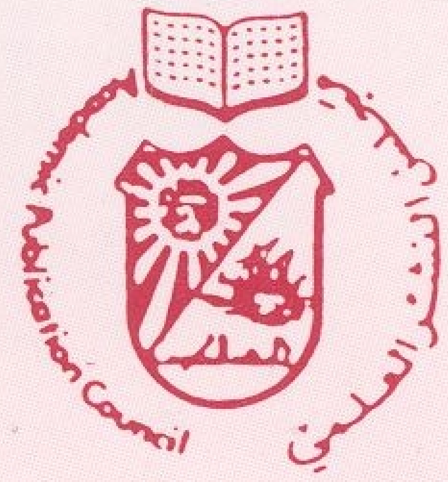


المجلة العربية للعلوم الإنسانية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

العدد الثالث والاربعون - السنة الحادية عشرة - ربيع ١٩٩٣



تعني المجلة بالميادين الآتية

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية - الدراسات النفسية - الدراسات الإجتماعية المتصلة بالعلوم الإنسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - المسرح - الفنون التشكيلية - النحت... الخ) - الدراسات الآثارية (الأركيولوجية).

الموزع في الكويت والوطن العربي

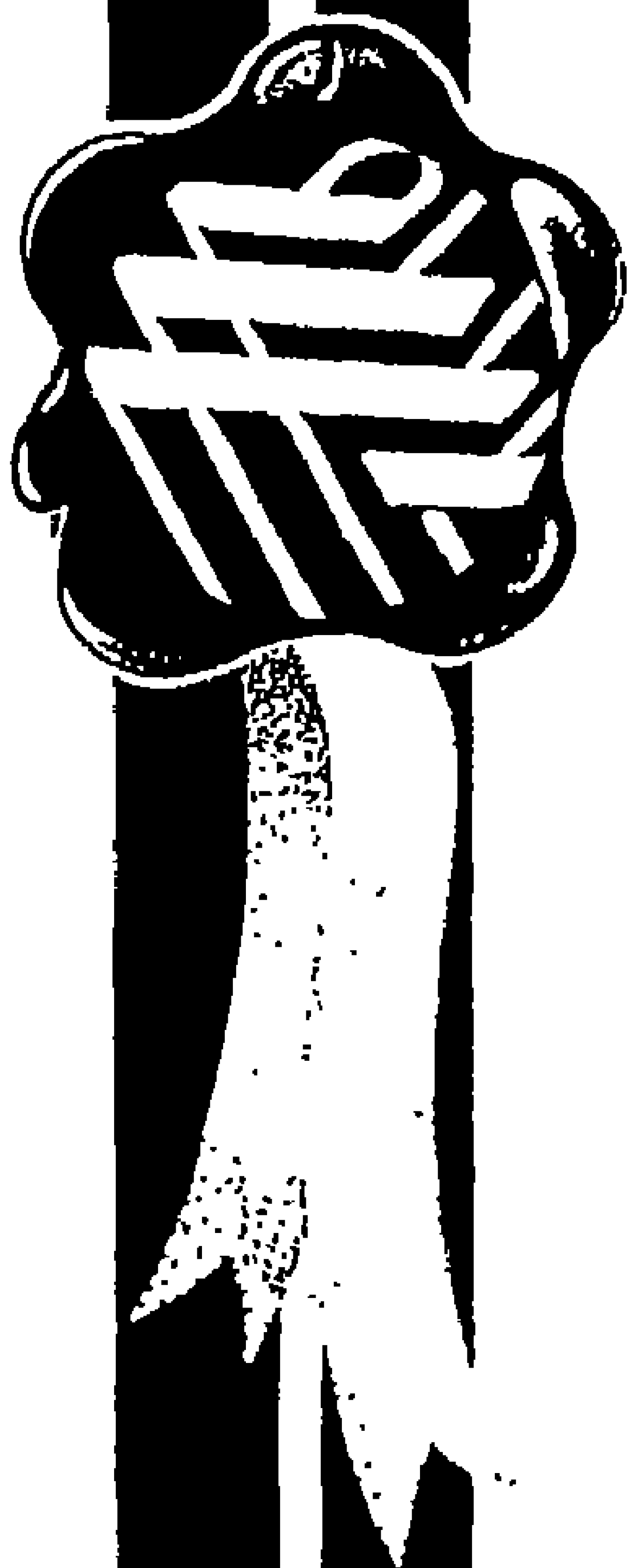
مكتبة الكويت المتحدة ص. ب. (٦٥٨٨) حولي رمز بريدي 32040
تليفون ٢٤١٢٨٢٠٠

الاشتراكات السنوية

في الكويت	:	٣ دنانير للافراد
	:	ديناران للطلاب
	:	١٤ ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية	:	٤,٥٠٠ دنانير كويتية أو ما يعادها
	:	١٦ ديناراً كويتياً للمؤسسات
في الدول الأجنبية	:	٢٠ دولاراً امريكياً
	:	٦٠ دولاراً امريكياً للمؤسسات

ثمن العدد

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي الأخرى	٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها
الدول العربية الأخرى	دولاران امريكيان أو ما يعادلها
الدول الأجنبية	٣ دولارات امريكية أو ما يعادلها



المجلة العربية للعلوم الإنسانية

تصدر عن مجلس النشر العلمي

جامعة الكويت

العدد الثالث والأربعون

السنة الحادية عشرة

ربيع ١٩٩٣

جميع المراسلات توجه باسم رئيسة التحرير: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة ـ رمز بريدي 13126 الكويت

الكويت ـ الشويخ ـ ت: ٤٨١٦٢٢٦١ ـ ٤٨١٧٦٨٩ ـ ٤٨١٥٤٥٣ تلكس: ٢٢٦١٦٢ (KUNIVER)

فاكس: ٤٨١٢٥١٤

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والإنجليزية

العدد الثالث والاربعون ـ السنة الحادية عشرة

ربيع ١٤١٣

محتويات العدد

الأبحاث

ملخصات الأبحاث المنشورة بالانجليزية

ندوة العدد

المناقشات

مراجعات وعرض الكتب

التقارير





الأبحاث

أربعة أختام فخارية في مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني

أحمد عبد الرازق أحمد*

* حصل على دكتوراه الدولة في الآداب (حضارة وآثار إسلامية) من السربون (جامعة باريس) عام ١٩٧٢.
يعمل أستاذاً بقسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة عين شمس.

الملخص

يتناول هذا البحث التعريف بأربعة أختام فخارية كانت محفوظة في دار الآثار الإسلامية - متحف الكويت الوطني قبل الغزو العراقي، لم تعرف طريقها إلى النشر حتى الآن، وهي ذات أشكال مستديرة ومصنوعة من طينات وردية أو صفراء ضاربة إلى الخضرة، يزينها زخارف متنوعة ويعلو ظاهرها عروات أو مقابض تسهل استخدامها أو الإمساك بها. وقد أسفرت التحاليل الكيميائية التي أُجريت على بعض النماذج المماثلة التي أمدّتنا بها حفائر مدينة الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية، على أن هذه الأختام كانت تصنع من طينات تتألف أساساً من طينة تبين ومن طمى النيل ومن جير المقطم بنسب مختلفة، وهي جميعاً كانت متوفرة وقريبة من صناع الفخار في هذه المنطقة.

كما كشفت دراسة العناصر الزخرفية المنقوشة على هذه الأختام عن وجود كتابات عربية بالخط الكوفي البسيط أو المورق أحياناً، نقشت معكوسة داخل أشكال هندسية متنوعة، تلقي الضوء على بعض جوانب الفكر الإنساني أبان العصور الوسطى وما كان يصاحب تناول بعض الحلوى من عبارات خاصة خلعت اسمها أحياناً على بعض الأنواع التي ما زلنا نجدها في بعض الأسواق المصرية حتى الآن.

ولعبت الرسوم الحيوانية أيضاً دوراً هاماً في زخرفة بعض هذه الأختام حيث نصادف عليها أشكالاً حيوانية من ذوات الأربع أو رسوماً لطيور أو أسماك نقشت في أوضاع متعددة إما منفردة أو مصاحبة لأشكال هندسية أو لزخارف نباتية متنوعة. كما انفردت زخارف تلك الأختام ببعض العناصر النباتية الصرفة من وريدات سباعية البتلات أو أوراق ثلاثية الفصوص أو فروع متماوجة ينتهي كل منها بنصف ورقة ثنائية أو ثلاثية الفصوص.

وقد ساهمت كل هذه العناصر الزخرفية في تأريخ تلك المجموعة من الأختام عن طريق مقارنتها بنظائرها على التحف الإسلامية الأخرى وبذا أمكن نسبتها إلى مصر في الفترة الممتدة من القرن الثالث - السابع للهجرة/ التاسع - الثالث عشر للميلاد.

وكشفت دراسة هذه الأختام أيضاً عن أنها كانت تستخدم في طبع وحدات زخرفية على الكعك في المواسم والأعياد المختلفة الذي شهد المجتمع الإسلامي في مصر العديد منها لا سيما في أيام الدولة الفاطمية وما كان يصاحب صناعة الكعك ونقشه بشتى أنواع الزخارف من بعض المفاجآت التي كان يعدها أحياناً بعض الحكام، كحشوه ببعض العملات الذهبية هدية منه لمن يتناول هذه الحلوى على مأدبته.

أمدتنا حفائر مدينة الفسطاط وغيرها من مناطق الآثار الإسلامية بجمهورية مصر العربية بالعديد من التحف الفخارية الغفل من الطلاء من أهمها شبابيك أو مصافي القلل[١] والمسارج الفخارية[٢] وقوارير النفط[٣] بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأختام نجدها موزعة بين متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[٤] وغيره من المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة، إذ كانت دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني تحتفظ قبل الغزو العراقي بأربعة منها لم تعرف طريقها إلى النشر بعد[٥] تتميز بأشكالها المستديرة التي يتراوح قطرها فيما بين ٦,٥ سم، ٩,٩سم مصنوعة من طينات وردية أو صفراء ضاربة إلى الخضرة، يزينها زخارف متنوعة قوامها إما كتابات عربية بالخط الكوفي، أو رسوم هندسية، أو عناصر نباتية، أو أشكال حيوانية، كما يعلو ظاهرها عروات أو مقابض تسهل استخدامها أو الإمساك بها. وفيما يلي وصفها وبيان كل منها[٦]:

ـ اللوحة رقم (١)/أ

ختم من الفخار وردي اللون، غفل من الطلاء، مستدير الشكل، غير كامل، كان يعلو ظاهره مقبض للإمساك به، بيد أنه مفقود حالياً. يزين الوجه زخارف بارزة قوامها جامة مركزية تحتوي على ثلاثة أسطر بها كتابات كوفية بسيطة نصها «كل/ هنياً/ مرياً» تقوم فوق أرضية من نتوءات بارزة، يلتف حولها حلقتان بارزتان، يتلوها إلى الخارج شريط مزدوج به نتوءات بارزة مستديرة الشكل تبدو أشبه بحبات اللؤلؤ. الزخارف بارزة ومنفذة بأسلوب كشط الأرضية حول العناصر الزخرفية خاصة وأن الكتابات تبدو هنا غير معكوسة.

رقم السجل LNS 42 C.

القطر ٩,٩ سم

مصر حوالي القرنين ٣ ـ ٤هـ / ٩ ـ ١٠م.

ـ اللوحة رقم (١)/ ب

ختم من الفخار الوردي اللون، غفل من الطلاء، مستدير الشكل غير كامل، يعلو ظاهره عروة أو مقبض صغير للإمساك به، ويزين الوجه زخارف بارزة وغائرة يغلب عليها الطابع الهندسي، إذ نشاهد دائرة بداخلها شكل خماسي الأضلاع، بداخله آخر أصغر منه يتوسطه دائرة مركزية صغيرة بالحفر الغائر.

الزخارف منفذة بواسطة القالب.

رقم السجل LNS 181 C.

القطر ٧ سم

مصر حوالي القرن ٤هـ/ ١٠م.

ـ اللوحة رقم (٢)/ أ

ختم من الفخار الضارب إلى الخضرة، غفل من الطلاء، مستدير الشكل، غير كامل يعلو ظاهره مقبض صغير.

يزين الوجه زخارف بارزة تمثل حيوان محور من ذوات الأربع له أذنان طويلتان وذيل طويل، ويتدلى من فمه ورقة نباتية مدببة الطرف، يقوم فوق أرضية منثورة ببعض النتوءات البارزة المستديرة الشكل، ويحده من الخارج ثلاث حلقات بارزة متداخلة. الزخارف منفذة بالحفر البارز عن طريق كشط الأرضية ولعلها ناتجة أيضاً عن استعمال القالب.

رقم السجل LNS 182 C.

القطر ٦،٥ سم.

مصر حوالي القرنين ٤ ـ ٥هـ/ ١٠ ـ ١١م.

ـ اللوحة رقم (٢)/ ب

ختم من الفخار الضارب إلى الخضرة، غفل من الطلاء، مستدير الشكل كان يعلو ظاهره مقبض، بيد أنه مفقود حالياً.

يزين الوجه زخارف بارزة قوامها نجمة سداسية الأطراف تتألف من مثلثين متشابكين، يتوسطهما شكل سداسي الأضلاع به وريدة سباعية الأوراق، كما يزين أطراف الشكل النجمي أوراق نباتية ثلاثية الفصوص، على حين يملأ المساحات الخارجية المحصورة بين أطراف الشكل النجمي فروع نباتية متماوجة تنتهي بأنصاف أوراق نباتية ثنائية وثلاثية الفصوص.

الزخارف منفذة بواسطة القالب.

رقم السجل LNS 453 C.

القطر ٨ سم.

مصر حوالي القرن ٧هـ/ ١٣م.

أما عن المواد الخام التي صنعت منها هذه الأختام المذكورة التي تتميز بفخارها ذي اللون الوردي المشوب بحمرة خفيفة أو بلونها الأصفر الضارب إلى الخضرة، فيذكر الفريد لوكاس أن سبب هذه الألوان في الفخار المحروق يرجع عادة إلى استخدام نوع

خاص من الطينة تتميز بلونها الرمادي الضارب إلى السمرة، وتخلو تماماً من المواد العضوية وإن كانت تحتوي في الوقت نفسه على مركبات الحديد، كما تشتمل أيضاً على نسبة عالية من كربونات الكالسيوم. وأشار أيضاً إلى أن هذه الطينة إذا ما أحرقت في درجة حرارة منخفضة فإنها تكتسب اللون الوردي أو البرتقالي، في حين أنها إذا تعرضت لدرجة حرارة عالية فإنها تكتسب اللون الرمادي أو الأصفر الضارب إلى الخضرة، وذلك على النقيض من الطينات الأخرى التي كلما زدنا لها درجة الحرارة كلما زاد ميلها نحو الحمرة. وذكر لوكاس كذلك أن هذه الصفات لا تتوافر عادة إلا في طينات قنا والبلاص(٧)، كما تتوافر أيضاً في طينة تبين التي تشبه من الوجهة الكيميائية كل من طينات قنا والبلاص(٨).

إلى هذه الطينات يمكننا أن نضيف أيضاً كل من طمى النيل وجير المقطم وهما من الطينات التي كانت تستخدم مع طينة تبين لصناعة القلل الفخارية ذات اللون المماثل على أيام كل من علي بهجت وفليكس ماسول(٩). لذلك كان من المناسب أن نستعين هنا بالتحاليل الكيميائية التي أجريت على هذه الطينات للتعرف على النسب المئوية لمكوناتها (جدول رقم ١) ومقارنة هذه النسب بالنسب التي حصلنا عليها من تحليل جزء صغير من ختم فخاري ينسب إلى حوالي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عثر عليه في مدينة الفسطاط(١٠) (جدول رقم ٢).

جدول رقم (١)

المكونات	طينة من قنا	طينة من البلاص	طينة من تبين	طمى النيل	جير المقطم
سليكا	٣٣	٣٤,٨	٣٦,٨٠	٤٣,٩٨	٥٧,٧٨
أكسيد الومنيوم	١٥	٢٠,٦	١٣	١٤,٨٨	١٥,١٠
أكسيد حديد	٨,١	٦,١	٩	١٥,٧٠	١٠,١٠
أكسيد كالسيوم	١٧,٥	١٢,٧	٢٦,٤٨	٣,٢٠	٠,١٠
أكسيد ماغنسيوم	٢	٠,٤	٠,٨٠	٢,٣١	١
صوديوم	١	١,٣	٢,١٢	١,١١	١,٠١
بوتاسيوم	١	١	١,٠١	٣,٣٠	٢,٧٠

جدول رقم (٢)

المكونات	النسبة المئوية
سليكا	٤١,٢١
أكسيد الومنيوم	٢١,٦٥
أكسيد حديد	١٠,٣٢
أكسيد كالسيوم	٢٢,١٠
ماغنسيوم	١,٧٥
صوديوم	١,٢
بوتاسيوم	١,١

بمقارنة مكونات كل من طينات قنا والبلاص وتبين وطمى النيل وجير المقطم (جدول رقم ١) بمكونات الطينة المصنوع منها الختم الفخاري الذي عثر عليه في الفسطاط (جدول رقم ٢) يتضح لنا تماثل المكونات في جميع الطينات المذكورة وإن اختلفت النسب المئوية من طينة إلى أخرى وهذا أمر طبيعي لأن الصانع المسلم لا بد أن يكون قد استخدم تركيبة تتألف من عدة طينات معاً بنسب مختلفة، لعلها كانت تتألف أساساً من طينة تبين وطمى النيل وجير المقطم، لأننا لو أخذنا متوسط النسب المئوية لكل من مكونات هذه الطينات الثلاث (جدول رقم ٣).

جدول رقم (٣)

المكونات	النسبة المئوية
سليكا	٤٦,١٨
أكسيد الومنيوم	١٤,٣٢
أكسيد حديد	١١,٦
أكسيد كالسيوم	٩,٩٢
ماغنسيوم	١,٣٧
صوديوم	١,٤١
بوتاسيوم	٢,٣٣

لوجدنا بين أيدينا تركيبة تتفق في نسب مكوناتها مع نسب مكونات الختم الفخاري (جدول رقم ٢) وإن زادت فيه نسبتي أكسيد الألمنيوم وأكسيد الكالسيوم عنها في الطينات الثلاث المذكورة، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى استخدام الصانع المسلم لنسب مختلفة من طينة تبين وطمى النيل وجير المقطم أثناء إعداده للتركيبة المستخدمة في صناعة الأختام الفخارية. وحسبنا دليلاً على ذلك أن هذه الطينات الثلاث كانت دائماً ولا زالت في متناول يد صناع الفخار بمدينة الفسطاط وقريبة منهم وذلك على العكس من طينات قنا والبلاص، التي كان نقلها وإحضارها يتطلب مزيداً من الجهد والمال، الأمر الذي كان يفضي في النهاية إلى زيادة التكاليف التي حرص الصانع المسلم على تجنبها خاصة بالنسبة لهذا النوع من المصنوعات ذات الطابع الشعبي.

وبعد انتهاء الصانع من تحضير الطينة وإعدادها[١١] كان يقوم بإحضار كتل صغيرة مبللة منها ثم يشكلها بيده على هيئة أقراص مستديرة وينفذ فوقها ما يريد من عناصر زخرفية إما عن طريق الحفر الغائر، إذا كان يريد الحصول على أختام ذات زخارف غائرة، أو عن طريق كشط الأرضية حول العناصر الزخرفية في حالة رغبته في الحصول على أختام ذات زخارف بارزة.

وليس ببعيد أيضاً أن يكون قد استخدم في زخرفتها أختاماً أخرى من الفخار بدليل أنه يوجد ضمن مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني ختم من الفخار يزينه زخارف بارزة تشتمل على كتابات عربية بالخط الكوفي البسيط تبدو غير معكوسة (اللوحة رقم ١/أ)، الأمر الذي يخرج هذا الختم من دائرة الأختام المستخدمة في زخرفة الكعك موضوع هذا البحث، التي تنفرد عادة بكتاباتها المنقوشة في اتجاه عكسي (اللوحة رقم ٣/أ)، كما هو الحال بالنسبة لبعض الأختام المحفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[١٢]، ويضعه في مصاف الأختام الأم التي كانت تستخدم في صناعة وزخرفة هذه التحف الفخارية.

وعقب انتهاء الصانع من تطبيق الزخارف بإحدى الطرق المشار إليها عالياً كان يقوم بإضافة مقبض صغير مستدير الشكل فوق ظاهر الختم حتى يسهل الإمساك به عند الاستعمال. وبعد الانتهاء من عملية التشكيل والزخرفة كان يعمد إلى ترك هذه الأقراص في الهواء لتجد تجفيفاً طبيعياً ثم يقوم بعد ذلك بشيها أو حرقها في أفران خاصة حتى تكتسب الصلابة اللازمة التي تساعد على مرونة استخدامها. وجدير بالذكر أن هذه الأختام كانت تدهن بمادة دهنية قبل استعمالها حتى لا تلتصق بالمواد التي تستخدم في زخرفتها[١٣].

بقي أن نتناول بالبحث العناصر الزخرفية التي تزين مجموعة الأختام الفخارية التي

كانت ضمن مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني والتي يمكن تصنيفها حسب الأنواع التالية:

أولاً: الزخارف الكتابية

يمثلها ختم واحد من الفخار الوردي يتوسطه نص كتابي غير معكوس نصه «كل هنياً مرياً» نقش بخط كوفي بسيط تخلو قوائم حروفه ونهاياتها من أية عناصر زخرفية باستثناء حرف الهاء في كلمة هنياً الذي يبدأ بنصف ورقة نباتية ثنائية الفصوص. يلتف حوله إطار خارجي يتألف من صفين متداخلين من دوائر صغيرة بارزة تبدو أشبه بحبات اللؤلؤ (اللوحة رقم ١/أ) تذكرنا بتلك الزخارف التي تتوج الرسوم الجدارية الجصية المنسوبة إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي والتي عثر عليها في مدينة سامراء بالعراق[١٤]، كما تذكرنا أيضاً بعناصر مماثلة تزين الإطارات الخارجية للنقوش الجصية الملونة، المنسوبة إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، التي عثر عليها بالحمام الفاطمي في منطقة أبي السعود، جنوبي منطقة القاهرة[١٥].

لذلك يرجع نسبة هذا الختم إلى الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع للهجرة/ التاسع ـ العاشر للميلاد، خاصة وأن كتاباته تبدو أكثر تطوراً وإتقاناً من كتابات ختم آخر مستدير الشكل محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٢٢/٣٨٥٧ ينسب إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، يزينه زخارف بارزة تشتمل على كتابات مركزية تسير في اتجاه عكسي نقشت بخط كوفي بدائي يكشف لنا عن ضعف اليد التي نقشته، نصه «كل هنياً واشكر مولاه»، يحيط به إطار خارجي يتألف من فرع نباتي متموج يخرج منه عند كل انحناء ورقة تمثل نصف مروحة نخيلية بعضها مجوف من أسفل (اللوحة رقم ٣/أ)، نجد نظيراً لها على الحافة العليا لأحد شواهد القبور المؤرخة في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[١٦]، وإن كانت كتابات الشاهد تبدو أكثر دقة وإتقاناً من كتابات ختم دار الآثار الإسلامية، وهناك ختم آخر غير كامل مصنوع من فخار أصفر ضارب إلى الخضرة محفوظ أيضاً في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٢٤٦٧ يشبه إلى حد كبير ختم دار الآثار الإسلامية يزينه زخارف غائرة تتألف من كتابة كوفية معكوسة نصها «كل هنياً تبدو أكثر إتقاناً» من كتابة ختم دار الآثار الإسلامية، إذ تنتهي قوائم الحروف بمثلثات مدببة بالإضافة إلى بعض العناصر النباتية البسيطة التي تزين كل من نهاية حرف اللام في كلمة «كل» ونهاية حرف الألف في كلمة «هنياً»، الذي ينتهي بنصف ورقة نباتية ثلاثية الفصوص. هذا ويلاحظ أن النص منقوش داخل شكل هندسي قائم الزوايا يتصل بأضلاعه الأربعة من الخارج أربعة مثلثات صغيرة حادة الزوايا تجعله أشبه بشكل نجمي يحيط بأضلاعه الخارجية نقط ومثلثات صغيرة غائرة (اللوحة رقم ٣/ب). وهو ينسب إلى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، نظراً لوجود علاقة

وثيقة بين زخارفه الهندسية وتلك التي نشاهدها بكثرة على منتجات العصر الفاطمي من الخزف وشبابيك القلل[١٧] وذلك على الرغم من أن أشكال الحروف الكتابية تذكرنا بكتابات أحد شواهد القبور المحفوظة بنفس المتحف والمؤرخة في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥١م[١٨].

ثانياً: الزخارف الهندسية

ونجدها ممثلة في مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني من خلال ختم وحيد غير كامل مصنوع من فخار وردي اللون مشوب بحمرة خفيفة، يزينه زخارف هندسية قليلة البروز، قوامها جامة دائرية يتوسطها شكل خماسي غير منتظم الأضلاع بداخله آخر أصغر منه، بوسطه دائرة صغيرة نفذت بالحفر الغائر، شأنها في هذا شأن المثلثات الحادة الزوايا وقطاعات الدوائر التي تملأ المساحات الداخلية والخارجية من التصميم الزخرفي (اللوحة رقم ١/ب)، وهو يؤرخ بحوالي منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، نظراً لوجود شبه كبير بين هذا الشكل والأشكال الخماسية المماثلة التي تزين بعض شبابيك القلل الطولونية الطراز المحفوظة في متحف الفن الإسلامي مع ملاحظة وجود بعض الاختلافات الثانوية من حيث التفاصيل الداخلية، إذ تحتوي بعض زخارف هذه الشبابيك على كتابات كوفية غير مقروءة[١٩]، كما يتفق أيضاً من حيث التصميم العام مع الأشكال الخماسية الأضلاع التي تزين بعض الشبابيك التي تنسب إلى العصر الفاطمي والمحفوظة في نفس المتحف، وإن كانت زخارف هذه الشبابيك تبدو بصفة عامة أكثر دقة وإتقاناً من حيث انتظام أضلاع الأشكال الخماسية، كما أنها تختلف عن زخارف الختم المشار إليه من حيث التفاصيل الداخلية إذ نجدها منثورة إما بوريدات رباعية الفصوص أو بوريدات خماسية الفصوص تنم عن دقة التنفيذ[٢٠]. بقي أن نشير إلى أن الرسوم الهندسية على الأختام الفخارية كثيراً ما ترد مصاحبة لعناصر أخرى مثل الكتابات والرسوم الحيوانية والزخارف النباتية.

ثالثاً: الزخارف الحيوانية

وهي ممثلة أيضاً في مجموعة دار الآثار الإسلامية من خلال ختم صغير من الفخار الأصفر الضارب إلى الخضرة، تآكلت بعض أطرافه السفلى، قوام زخرفته ثلاث حلقات بارزة متداخلة تضم بداخلها رسم لحيوان من ذوات الأربع نفذ بأسلوب الكشط له أذنان طويلتان وقوائم مرتفعة وذيل قصير منحني إلى أسفل، يتدلى من فمه ورقة نباتية مدببة الطرف (اللوحة رقم ٢/أ)، له نظير يشبهه تماماً في مجموعة كلية الآثار ـ جامعة القاهرة[٢١]، يرجح نسبته إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد، لأنه يذكرنا برسوم الحيوانات المنقوشة على الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني المنسوب إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، من ذلك

صحن محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة قوام زخرفته رسوم بيضاء فوق مهاد ملونة بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي المائل إلى الخضرة تمثل حيواناً من ذوات الأربع لعله أرنب يتدلى من فمه فرع نباتي ينتهي بورقة خماسية الفصوص[٢٢]، كما يشبه أيضاً رسوم الحيوانات المنقوشة على بعض الأخشاب الفاطمية الطراز المنسوبة إلى نفس الفترة، من بينها حشوة محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة[٢٣] وأخرى بمتحف كلية الآثار ـ جامعة القاهرة تنسب بدورها إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٢٤].

بيد أن الرسوم الحيوانية على كل من الخزف والخشب الفاطمي تبدو أكثر دقة وإتقاناً وعناية بالتفاصيل وتمثيل العضلات عن رسم الحيوان الذي يزين ختم دار الآثار الإسلامية الذي يكاد يشبه من حيث الشكل العام رسماً لحيوان يزين أحد شبابيك القلل المحفوظة بمتحف كلية الآثار ـ جامعة القاهرة[٢٥]، كما يذكرنا أيضاً بحيوان آخر منقوش على بقايا إناء من الفخار الغفل من الطلاء ينسب إلى العراق أو إيران في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[٢٦]، وإن كان الأخير قد مثل متجهاً إلى اليمين، كما بدت أذناه أكثر زخرفة، واستبدلت الورقة النباتية المتدلية من فمه بواحدة من سعف النخيل على عكس الحيوان الذي يزين ختم دار الآثار الإسلامية الذي يبدو متجهاً نحو اليسار ويغلب عليه طابع البساطة والبعد عن الواقع.

وجدير بالذكر أن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة من الأختام الفخارية، تشتمل أيضاً على بعض الأختام ذات الرسوم الحيوانية والطيور[٢٧] من أهمها ختم من الفخار الوردي، قوام زخرفته رسم لطائر لعله طاووس يبدو ناشراً ذيله وفاتحاً منقاره، يحيط به أوراق نباتية جناحية الشكل وذلك داخل إطار يتألف من مثلثات حادة الزوايا صفت على التبادل في شكل دائري (شكل ١)، ينسب إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٢٨].

وهناك ختم آخر من الفخار الوردي المشوب بحمرة خفيفة يزينه زخارف بارزة تمثل طائرين متواجهين، مثلاً في وضعة جانبية، يتوسطها من أسفل رسم لحيوان صغير من ذوات الأربع، لعله كلب أو ثعلب (شكل ٢). وهذا التصميم يذكرنا في الواقع بتصميم مماثل يزين أحد الألواح الرخامية التي عثر عليها مطمورة في أرضية خانقاه بيبرس الجاشنكير[٢٩] التي شيدت مكان دار الوزارة الفاطمية التي أقامها الوزير بدر الجمالي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣٠] لذا يرجح نسبته إلى هذه الفترة.

وبالمجموعة المذكورة ختم ثالث من الفخار الوردي أيضاً يزينه زخارف بارزة قوامها مثلث حاد الزوايا بداخله رسم مجسم لسمكة غريبة المظهر، فضلاً عن أنصاف ثلاث سمكات تحف بأضلاع المثلث من الخارج (شكل ٣)، من الصعب تحديد العصر

الذي ينتمي إليه بسهولة خاصة ونحن نعلم أن رسوم الأسماك قد شاع استخدامها على مواد عديدة منذ بداية العصر الإسلامي(٣١) واستمرت حتى نهاية العصر المملوكي(٣٢).

بيد أن وجود الشكل الهندسي المتمثل في المثلث يجعلنا نرجح نسبته إلى العصر الفاطمي إذ من المعروف أن الزخارف الهندسية قد شاعت على منتجات هذا العصر خاصة الفخارية منها(٣٣).



شكل (١) رسم توضيحي لطاووس منقوش على ختم من الفخار غير المطلي، محفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. مصر القرن ٥ هـ/ ١١م.

شكل (٢) رسم توضيحي لطائرين متواجهين يتوسطهما من أسفل حيوان صغير منقوش على ختم من الفخار غير المطلي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة. مصر القرن ٥ هـ/ ١١م.

شكل (٣) رسم توضيحي لمثلث وأربع سمكات منقوش على ختم من الفخار غير المطلي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة. مصر القرن ٤ ـ ٥ هـ/١٠ـ ١١ م.

رابعاً: الزخارف النباتية

لعبت الزخرفة النباتية دوراً مزدوجاً في زخرفة الأختام الفخارية، فهي إما ثانوية تصاحب عناصر أخرى قد تكون كتابات عربية كما هو الحال بالنسبة لختم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (اللوحة رقم ٣/أ)، وقد تكون هندسية كما هو الحال بالنسبة للختم الرابع المحفوظ ضمن مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني الذي يعلوه زخارف هندسية ونباتية بالحفر البارز، قوامها نجمة سداسية الأطراف، تتألف من مثلثين متشابكين، متساوين الأضلاع، الواحد رأسه إلى أعلى والثاني رأسه إلى أسفل[٣٤] يتوسطهما وريدة سباعية الأوراق، بالإضافة إلى أوراق نباتية ثلاثية الفصوص تملأ أطراف الشكل النجمي، وأخرى عبارة عن فروع نباتية متماوجة ينتهي كل منها إما بأنصاف أوراق نباتية ثنائية أو ثلاثية الفصوص، نثرت داخل المساحات المحصورة بين أطراف الشكل النجمي (اللوحة رقم ٢/ب)، نجد نظيراً له في متحف كلية الآثار ـ جامعة القاهرة وإن كان يخلو من العناصر النباتية التي استبدلت برسوم هندسية[٣٥].

والفاحص لهذا الختم يجد نوعاً من الصعوبة في نسبته إلى عصر بعينه اعتماداً على الزخرفة النباتية وحدها أو على الشكل الهندسي بمفرده، خاصة ونحن نعلم علم اليقين بأن الأشكال النجمية السداسية الأطراف، ذات الرسوم النباتية قد وجدت منذ عصر مبكر على بعض منتجات الفن الإسلامي، إذ نراها تزين بعض الحشوات الخشبية التي تنسب إلى الطراز الأموي[٣٦]، كما نشاهدها أيضاً على بعض شبابيك القلل التي ترجع إلى العصرين الفاطمي[٣٧] والأيوبي[٣٨] حيث تبدو الأخيرة وثيقة الصلة بالتصميم الزخرفي على ختم دار الآثار، لأنها تشتمل على وريدات مركزية وإن كانت سداسية وليست سباعية كما هو الحال بالنسبة للختم موضوع البحث. هذا ومن المعروف أن الوريدات قد شاعت بكثرة في زخرفة التحف الإسلامية أثناء العصرين الأيوبي والمملوكي، بل كانت تعد أيضاً من بين الرنوك الشخصية[٣٩]. وهي غالباً ما ترد خماسية[٤٠] أو سداسية[٤١] وأحياناً ثمانية الأوراق[٤٢]. أما النجمة السباعية فهي في الواقع قليلة نادرة ولم نصادفها على أي من التحف المعروفة لنا باستثناء ختم دار الآثار المشار إليه وسلطانية من الفخار المطلي تنسب إلى العصر المملوكي في القرن ٨هـ/ ١٤م[٤٣].

أما فيما يتعلق بالأوراق الثلاثية الفصوص والزخارف النباتية المتماوجة التي تملأ القطاعات الخارجية المحيطة بالشكل النجمي فهي تبدو قريبة الشبه بتلك التي تزين منتجات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[٤٤] الأمر الذي يدفع إلى نسبة هذا الختم إلى الفترة المذكورة.

وأمدتنا الحفائر الأثرية أيضاً ببعض الأختام الفخارية المزينة بزخارف نباتية صرفة، من

ذلك ختم محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مزين بثلاث أوراق نباتية بارزة تنبت من قاعدة مشتركة شبه مثلثة، ينسب إلى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة/ الثالث عشر - الرابع عشر للميلاد(٤٥).

بقي أن نشير بعد هذا العرض إلى أن هذه الأختام الفخارية كانت شائعة الاستعمال في كل من إيران والعراق في العصر الساساني(٤٦) كما عرفتها مصر أيضاً منذ قدم العصور(٤٧) خاصة تحت الحكم الروماني، إذ أمدتنا الحفائر الأثرية ببعض أمثلتها التي تتألف من أشكال مستديرة مصنوعة من فخار محروق، يزينها زخارف متنوعة بارزة وغائرة قوامها إما رسوم حيوانية أو أشكال لطيور أو عناصر نباتية(٤٨). ومن الملاحظ أنها استمرت أيضاً أثناء تبعية مصر للدولة البيزنطية أي في العصر المسيحي حيث عثرنا على بعضها يمتاز بزخارفه المزدوجة التي تعطي الوجه والظهر في آن واحد(٤٩) والتي يبدو أنها كانت تستخدم إما للحصول على وحدات زخرفية بارزة فوق سدادات الأواني أو للحصول على وحدات زخرفية فوق خبز القربان خاصة وأن دير البراموس بوادي النطرون يحتفظ بواحد من هذه الأختام له شكل مستدير، مزين على الوجه صلبان غائرة متكررة من النوع المعروف باسم صليب أندروس(٥٠) نقشت داخل مناطق مربعة يحيط بها من الخارج شريط به كتابات دعائية باللغة القبطية(٥١).

ومن الواضح أيضاً أن صناعة هذه الأختام الفخارية قد استمرت في ظل الإسلام بدليل العثور على كميات كبيرة منها، وإن كانت قد تميزت في هذا العصر بتحررها من المغزى الديني القديم الذي كان يسيطر على استعمالها واتخذت اتجاهاً جديداً يغلب عليه الطابع والهدف الزخرفي البحت الأمر الذي يجعلنا نتساءل هنا عن الأهداف التي تم من أجلها صناعة هذه الأختام الفخارية، بمعنى الاستعمالات التي كانت مخصصة لها.

الواقع أن الشبه الشديد بين زخارف بعض هذه الأختام خاصة تلك المحفوظة ضمن مجموعات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وبين زخارف بعض شبابيك القلل المحفوظة في نفس المتحف قد يدفع إلى الاعتقاد بأنها كانت تستخدم لطبع وحدات زخرفية فوق الطينات المعدة لصناعة شبابيك القلل المذكورة وهي لا تزال رطبة لينة ثم يعمد الصانع بعد ذلك إلى تفريغ حدود الرسم المطبوع وثقبه لتتحقق صفة الشباك المطلوب، بيد أن التجربة العملية التي قمنا بها في محاولة للحصول على شباك قلة عن طريق استعمال أحد هذه الأختام أثبت بما لا يقبل الجدل خطأ هذا الافتراض لأن العناصر الزخرفية التي نتجت عن استعمال هذا الختم كانت بارزة وغائرة الأمر الذي حال دون تفريغها وعمل الثقوب المألوفة بالنسبة لشبابيك القلل التي وصلتنا. يضاف إلى هذا أن بعض هذه الأختام تحمل كتابات عربية معكوسة تتعلق بالأكل والطعام(٥٢) كما أشرنا من

قبل ولا علاقة لها بالكتابات التي تزين بعض شبابيك القلل ذات الزخارف الكتابية، التي تشتمل على بعض العبارات الدعائية أو على بعض الأمثال الشعبية السائدة مثل «من صبر قدر» أو «فاز من اتقى» و «دمت سعيداً» و «عف تعافا» و «اقنع تعز» و «من خف طف» و «يا نايم فيق» و «العز الدائم»، إلى غير ذلك من العبارات والحكم المأثورة[٥٣].

كذلك من الصعب القول بأن هذه التحف كانت تستعمل بمثابة أغطية لهذا النوع من الأواني المعدة للشرب أو حتى لغيرها من الأواني الفخارية ذات الفوهات الضيقة لسبب بسيط هو أن الزخارف تعلو وجهها وليس ظاهرها الذي يتميز بمظهره الخشن الغفل من الزخرفة وبالمقبض المثبت في مركزه للإمساك به. حقيقة أنه عثر في نيسابور بإيران على بعض التحف الفخارية المماثلة كانت تستخدم كأغطية لبعض الأواني، إلا أن هذه الأخيرة تبدو مزينة من الظاهر حول المقبض[٥٤] وذلك على النقيض من تحف مجموعتي دار الآثار الإسلامية ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، الأمر الذي يدفعنا إلى الترجيح بأنها كانت مخصصة بالفعل لطبع وحدات زخرفية على الكعك في الأعياد والمواسم[٥٥] الذي شهد المجتمع الإسلامي العديد منها لا سيما زمن الدولة الفاطمية التي اشتهرت بالمآدب الفخمة خاصة في العيدين وفي شهر رمضان التي كانت تذخر بشتى أنواع الحلوى المشكلة على هيئة الصور والتماثيل[٥٦] بالإضافة إلى ما كان يحمل إلى الناس في عيد الفطر من الخشكنانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذي يقال له كعب الغزال والبرماورد والفستق وهو شوابير مثل الصنج وغير ذلك مما صنع في دار الفطرة التي شيدها الخليفة العزيز بالله[٥٧]، إذ كانت تنقل إلى القصر يوم العيد في طيافير أي صوان كبيرة مغطاة بطرح نفيسة وتنشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة بإحدى القاعات الكبرى، حيث يجلس الخليفة في شباك ومعه الوزير ليشاهد العامة وهي تأكل الفطرة وتأخذ منها على سبيل البركة إلى دورهم دون منع أو حرج[٥٨].

ولعله من الطريف أن نشير في ختام هذا البحث إلى أن أحد الحكام المصريين لم يكتف بنقش الكعك الذي كان يقدم على مائدته في عيد الفطر بالأختام، بل كان يأمر أيضاً بأن يُحَشَى بالدنانير ويطلق عليه اسم «أفطن له» أي تنبه إلى ما بداخله من القطع الذهبية. فقد جاء على لسان قاضي مصر محمد بن مفسر أن أبا بكر محمد بن علي المادرائي، أحد كتاب مصر في أيام الدولة الإخشيدية، «عمل في أيامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى «أفطن له» وعوض لبه لب ذهب، في كل واحدة خمسة دنانير. وعمل السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير اقتصر على صحن واحد. ووقف أستاذ على السماط فقال لأحد الجلساء أفطن له وأشار إلى الصحن، فتناول ذلك الرجل منه، فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة، ورآه الناس وهو إذا أكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره، فتنهبوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك

من يومئذ «أفطن له»[٥٩]. كما روى المقريزي أن هذا النوع من الكعك كان يباع في سوق الحلاويين بالقاهرة حيث كانت تروق رؤيته في موسم عيد الفطر لكثرة ما يوضع فيه من حب الخشكنانج وقطع البسندود والمشاش، وأنه كان يشرع في عمله في نصف شهر رمضان فتملأ منه أسواق القاهرة ومصر والأرياف. وأشار أيضاً أن ذلك قد بطل منذ سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م ولم يعد يُرى[٦٠].

بقي أن نشير إلى أن عادة نقش الكعك وزخرفته قد استمرت باقية على مر العصور بدليل أنه عثر على بعض الأختام التي يمكن نسبتها بسهولة إلى العصرين الأيوبي والمملوكي، وبدليل أنها ما تزال باقية حتى يومنا هذا، بل يكفي أن نشير إلى أن إحدى العبارات الواردة على هذا النوع من الأختام الفخارية ونعني بها «كل واشكر» ما تزال تطلق حتى الآن على نوع معروف من الحلوى في مصر.

الهوامش والمراجع

(١) عنها انظر ما كتبه كل من:

- P. Olmer, Les filtres de gargoulettes, Catalogue Générale du Musée Arabe du Caire, Le Caire, 1932; Le décor des filtres de gargoulettes de l'Egypte, Mélanges Maspéro, III, 1940, pp. 33-39.

- زكي محمد حسن: «شبابيك القلل»، **مجلة الثقافة**، المجلد الثالث، العدد ١١٢، القاهرة: ١٩٤١، ص ١٣- ١٧؛ العدد ١١٥، ١٩٤١، ص ٢٨- ٣٢ .

- M. Mostafa, Water, Jug Filters, Egypt Travel Magazine, No. 12, July 1955, pp. 20-25; G. Scanlon, Fatimid Filters, Archaeology and Olmer's Typology, Annales Islamologiques, IX, Le Caire, 1970, pp. 37-51.

- أحمد عبد الرازق: **شبابيك القلل الفخارية في دار الآثار الإسلامية**، الكويت: ١٩٨٨.

(٢) عنها انظر ما كتبه كل من:

- J. Lacam, Etude et classement des lampes à huile musulmanes, Collections des Musées Français, Cahiers de Berytus, III, 1953, pp. 197-203; W. Kubiak, Medieval Ceramic Oil Lamps from Fustat, Ars Orientalis, 8, 1970, pp. 1-18.

(٣) انظر بعض ما كتب عن هذا الموضوع في:

- J. Sauvaget, Flacons à vin ou grenades à feu grégeois, Mélange Grégoire, Annuaire de l'Institut, IX, Bruxelles, 1949;

أبو الفرج العش: «الفخار غير المطلي»، **الحوليات السورية**، المجلد العاشر، ١٩٦٠، ص ١٥٠- ١٥٤.

(٤) أحمد عبد الرازق: «الفخار المصري المطلي في العصر المملوكي»، **رسالة ماجستير**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦، اللوحات ٣٤- ٣٨، ص ١٢٤- ١٣٢.

(٥) افتتحت دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني في الخامس والعشرين من فبراير عام

١٩٨٣، وهي تقوم أساساً على مجموعة التحف الإسلامية الخاصة بالشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح التي تزيد حالياً على ٢٠,٠٠٠ تحفة متنوعة، وتم نهب كنوزها على أيدي قوات الغزو العراقي في شهر أغسطس عام ١٩٩٠، ثم أعيدت أغلب تحفها بعد تحرير الكويت.

(٦) أنتهز هذه الفرصة لأسجل شكري للشيخة حصة سالم الصباح مديرة دار الآثار الإسلامية لتفضلها بالموافقة على نشر هذه المجموعة وعلى إمدادها لي بالصور اللازمة. كما أتوجه بخالص الشكر أيضاً إلى الفنان عبد الكريم سليمان الغضبان الباحث بدار الآثار الإسلامية لقيامه بعمل الأشكال التوضيحية.

(٧) الفريد لوكاس: **المواد والصناعات عند قدماء المصريين**، ترجمة: زكي اسكندر، القاهرة: ١٩٥٨، ص ٦١٦.

(٨) يوسف بكر: **صناعة الفخار والخزف**، القاهرة: ١٩٥٩، ص ٤٣.

(٩) أشار كل من علي بهجت وفليكس ماسول إلى تركيبة الطينة المستخدمة في أيامهما لصناعة القلل الفخارية وهي على النحو التالي:

طينة من تبين (بالقرب من الجيزة)	٨٠
طمي النيل	٣٠
جير من المقطم	١٠

انظر:

Aly Bahgat et Felix Massoul, La céramique musulmane de l'Egypte, Le Caire, 1930, p. 14; L. Golvin, J. Thiriot, et M. Zakariya, Les potiers actuels de Fustat, Le Caire, 1982, p. 9.

(١٠) سبق أن قام مشكوراً بعمل جميع هذه التحاليل وغيرها الزميل الأستاذ الدكتور صالح أحمد صالح رئيس قسم الترميم بكلية الآثار - جامعة القاهرة في المعمل الكيماوي التابع لمصلحة الآثار المصرية وذلك في أوائل الستينيات.

(١١) عن هذه الخطوات بالتفصيل انظر: L. Golvin..., Les potiers, pp. 5-14

(١٢) الفخار المطلي، الأختام رقم ٢٦١٦، ٢٤٦٧، ٢٢/٣٨٥٧، ص ١٢٨، الأختام رقم ٢٦١٦، ٢٤٦٧، ٢٢/٣٨٥٧، ص ١٢٨.

(١٣) تشبه هذه الأختام الفخارية مجموعة أخرى محفورة في قوالب من الحجر الناري الصلب يرجح أنها كانت تستعمل في تشكيل المعادن والحلي المنصهرة، يؤيد ذلك وجود آثار للنار على بعضها. انظر: عبد الرؤوف يوسف: **الفخار، كتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها**، القاهرة: ١٩٧٠، ص ٣٢٩.

(١٤) زكي حسن: **أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية**، القاهرة: ١٩٥٦، ص ٢٧٥-٢٧٧.

(١٥) زكي حسن: **كنوز الفاطميين**، القاهرة: ١٩٣٧، لوحة ٤، ٥.

(١٦) - H. Hawary et H. Rached, Stèles funéraires, Le Caire, 1932, I, pl. XXX, fig.3.

(١٧) الفخار المطلي، ص ١٣٠؛ - P. Olmer, Les filtres de gargoulettes, pl. XXIII, fig. D.

(١٨) - H. Hawary et H. Rached, Stéles funéraires, I, pl. LVII, fig. 3.

(١٩) - P. Olmer, Les filtres, pl. LXXVIII, fig. C.

(٢٠) - P. Olmer, Les filtres, pl. IX, figs A, C.

(٢١) سعاد ماهر: **كتاب الفنون الإسلامية**، القاهرة: ١٩٨٦، لوحة رقم ٣.

(٢٢) زكي حسن: **فنون الإسلام**، القاهرة: ١٩٤٨، ص ٣١٥، شكل ٢٤٤؛ أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٥٥، ص ١٦، ٤٠٩.

(٢٣) فريد شافعي: «مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر»، **مجلة كلية**



الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ١/١٦، مايو ١٩٥٤، ص ٧٥، أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٤٤١، ص ١٠٩، ٤٤١.

(٢٤) أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٣٤٠، ص ١١٠، ٤٤١.

(٢٥) أطلس الفنون الزخرفية، شكل ٢٠٢، ص ٦٦، ٤٢٧، كنوز الفاطميين، لوحة ٣٦.

(٢٦) - E. J. Grube, Islamic Pottery of the Eighth to Fifteenth Century in the Keir Collection, London, 1976, p. 107, no. 66.

(٢٧) الفخار، ص ٣٢٩.

(٢٨) الفخار المطلي، لوحة ٢/٣٥، ص ١٣٠- ١٣١.

(٢٩) - G. Wiet, Album du Musée Arabe du Caire, Le Caire, 1930, p.6.

(٣٠) المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، جـ١، بولاق: ١٢٧٠هـ، ص ٤٣٨- ٤٣٩.

(٣١) حسن الباشا: **فن التصوير في مصر الإسلامية**، القاهرة: ١٩٦٦، ص ٣٥.

(٣٢) - A. Abel, Gaibi et les grands faienciers Egyptiens d'époque mamlouke, Le Caire, 1930, pl. XVI, figs 85, 87; Aly Bahgat et F. Massoul, La céramique musulmane, pl. J, figs 72, 74; E. Baher, Fish- Pond Ornament on Persian and Mamlouk Vessels, BSOAS, XXXI, 1968; E. Atil, Art of the Mamluks, Washington, 1981, pp. 79, 91.

(٣٣) الفخار المطلي، ص ١٣٢.

(٣٤) يعتقد البعض أن هذا الشكل يمثل أحد الرموز الصوفية حيث يرمز المثلث الأول إلى الأرض والثاني إلى السماء، ويرمز تطابقهما إلى الكون. انظر: عفيف بهنسي: «معاني النجوم في الرقش العربي»، **الحوليات الأثرية السورية**، دمشق: ١٩٨٢.

(٣٥) الفنون الإسلامية، لوحة رقم ٣.

(٣٦) - M. Dimand, studies in Islamic Ornament, Ars Islamica, IV, 1937, pp. 294-299.

فريد شافعي: «الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي»، **مجلة كلية الآداب**، المجلد الرابع عشر، جـ ٢، جامعة القاهرة، ١٩٥٢، لوحة ٣.

(٣٧) - P. Olmer, Les filtres de gargoulettes, pl. XXVI, fig. A.

(٣٨) - P. Olmer, Les filtres, p. 22, pl. VIII, fig. D.

(٣٩) - L. A. Mayer, Saracenic Heraldry, Oxford, 1933, pp. 24-25.

(٤٠) - E. Atil Art of the Mamluks, p. 131, no. 50.

(٤١) - L. A. Mayer, Saracenic, pl. XIII; J. W. Allan, Mamluk sultanic heraldry and the numismatic evidence, JRAS, 1970, p. 107, fig. I; E. Atil, Art of the Mamluks, p. 165, No. 75, p. 185, no. 93.

(٤٢) - L. A. Mayer, Saracenic, pl. XXXIV; E. Atil, Art of the Mamluks, p. 230, no 114, p. 240, no. 123.

(٤٣) - Ahmad Abd al- Rāziq, Le sagraffito de l'Egypte Mamluke dans la collection d'al-Ṣabāḥ. Annales Islamologiques, XXIV, 1988, pl. III/A.

(٤٤) - E. Atil, Art of the Mamluks, p. 59, No. 11, p. 129, No. 48.

(٤٥) الفخار المطلي، لوحة رقم ٣٨، ص ١٣٢.

(٤٦) م. س. ديماند: **الفنون الإسلامية**، ترجمة: أحمد عيسى، القاهرة: ١٩٥٨، ص ١٨٠.

(٤٧) - F. Petrie, Arts and Crafts of Ancient Egypt, p. 128.

(٤٨) الفخار المطلي، ص ٤٣.

(٤٩) - Gayet, L'Art Copte, Paris, 1902, figs 88-99.

كما عثرت بعثة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في منطقة القلايا بمحافظة البحيرة على ختم من هذا النوع في سنة ١٩٦٥ يزين وجهه رسم غائر لغزال، أما الظهر فيعلوه نقش لجديلة ثنائية الفروع.

(٥٠) جورج فيرجسون: **الرموز المسيحية ودلالتها**، ترجمة: يعقوب جرجس نجيب، القاهرة: ١٩٦٤، ص ٧١.

(٥١) الفخار المطلي، لوحة رقم ٣٣، ص ١٢٥.

(٥٢) الفخار، ص ٣٢٩.

(٥٣) - P. Olmer, Les filtres de gargoulettes, pl. LXXIV.

شبابيك القلل الفخارية في دار الآثار الإسلامية، ص ٣٢.

(٥٤) - Charles K. Wilkinson, Nishapure Pottery of the Early Islamic Period, New York (S.D), p. 348, No. 69-70.

(٥٥) أرنست كونل: **الفن الإسلامي**، ترجمة: أحمد موسى، بيروت: ١٩٦٦، ص ٥٤؛ الفخار، ص ٣٢٨.

(٥٦) عبد المنعم ماجد: **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، القاهرة: ١٩٥٥، جـ ٢، ص ١٠٠-١٠٢؛ **ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر**، الاسكندرية: ١٩٦٨، ص ٣١٤.

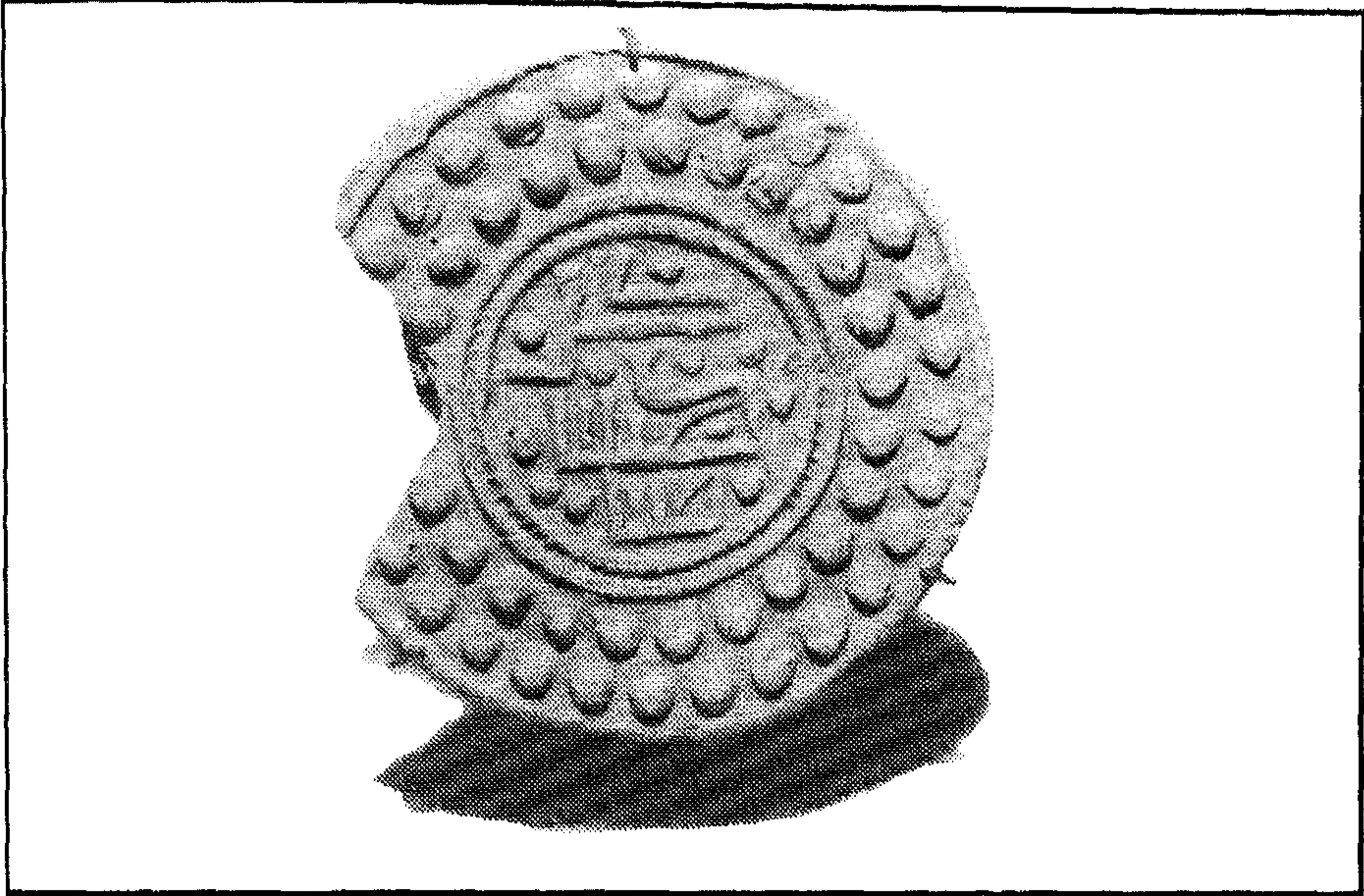
(٥٧) الخطط، جـ ١، ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٥٨) الخطط، جـ ١، ص ٤٥٤.

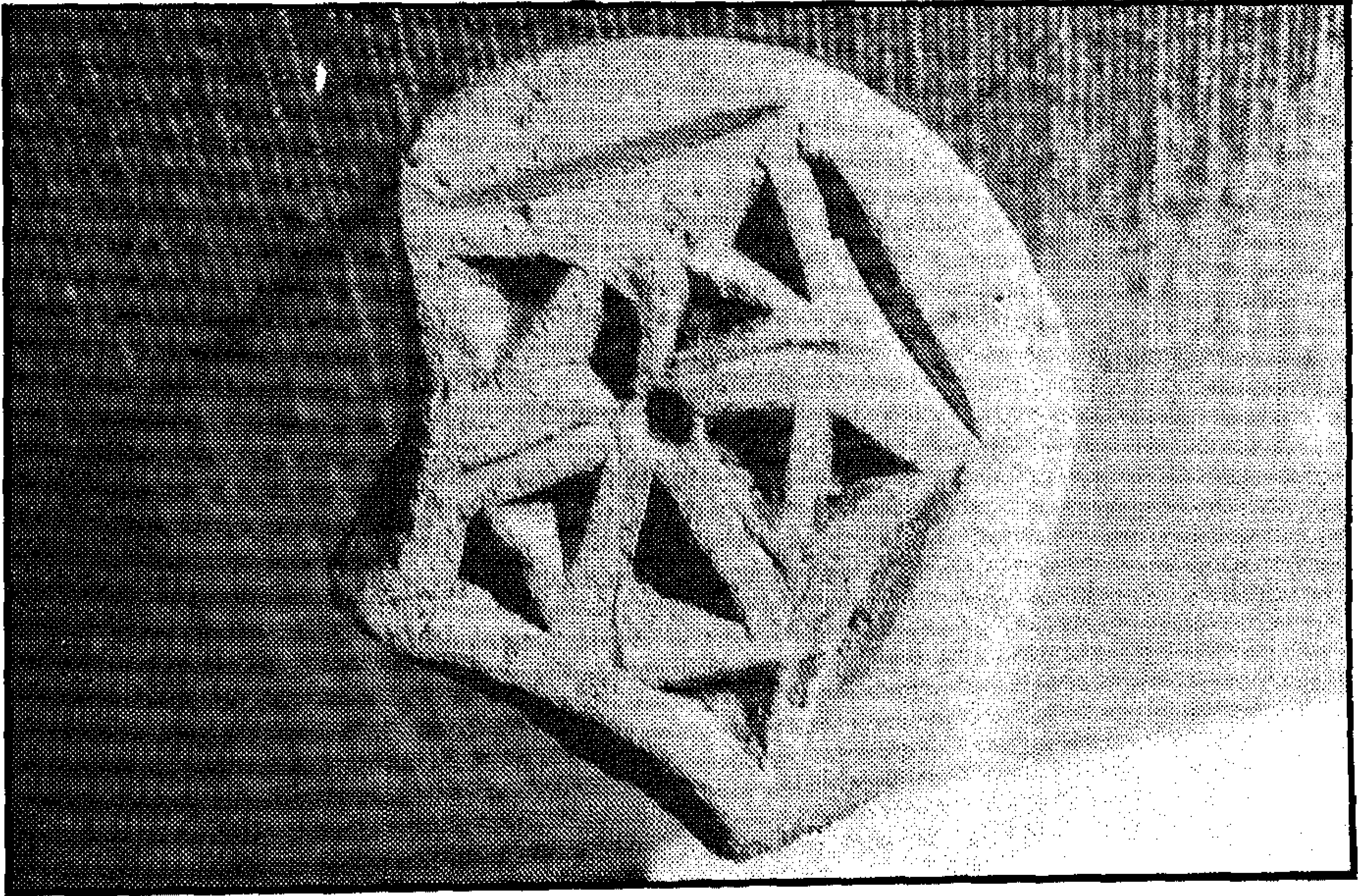
(٥٩) الخطط، جـ ٢، ص ٣٣٢.

(٦٠) الخطط، جـ ٢، ص ١٠٠.

* * *



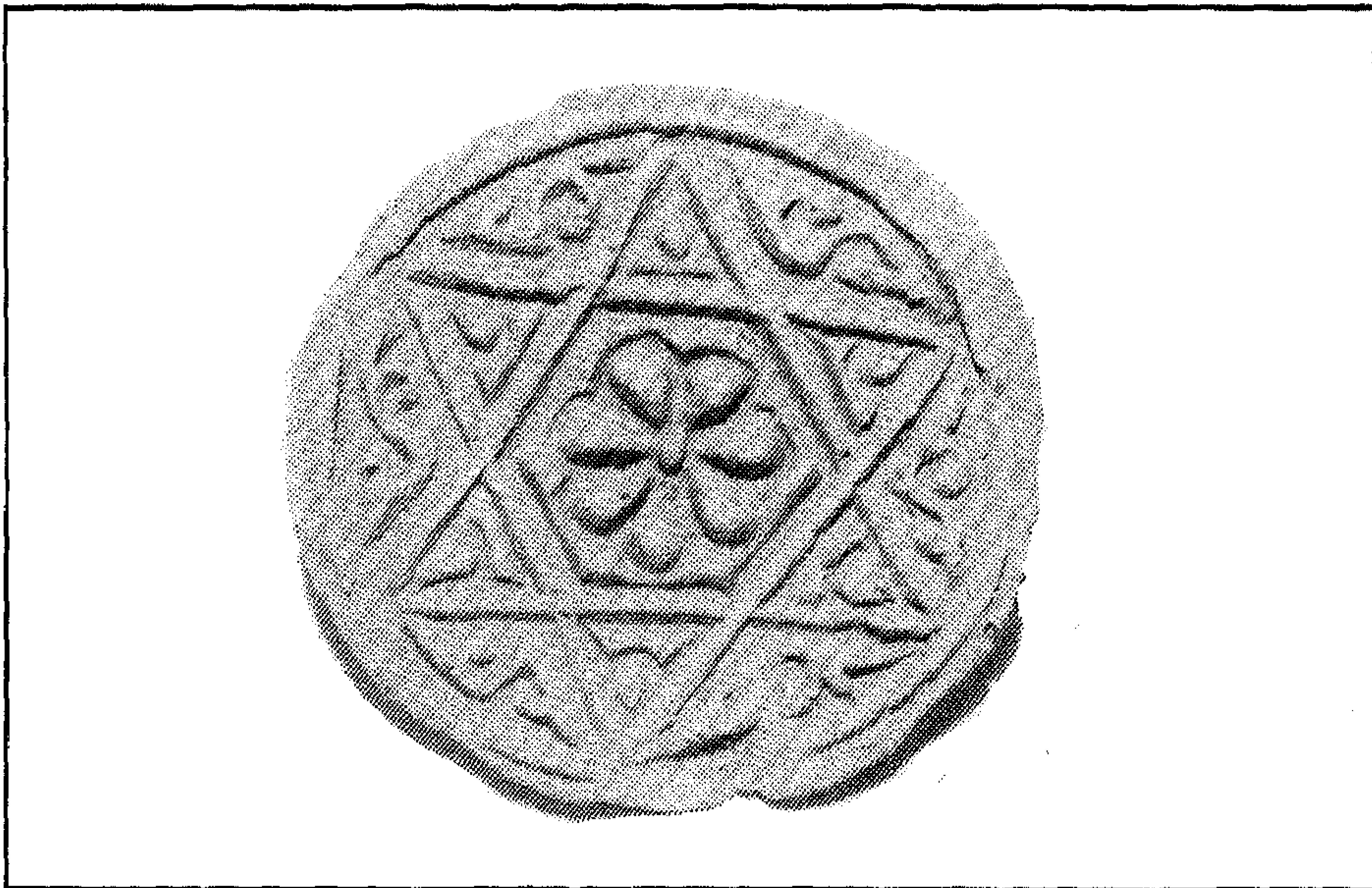
اللوحة رقم (١/أ) ختم من فخار غير مطلي يزينه كتابات كوفية ودوائر هندسية، مجموعة دار الآثار الاسلامية بالكويت. مصر القرن ٣ ـ ٤ هـ/ ٩ ـ ١٠ م.



اللوحة رقم (١/ب) ختم من فخار غير مطلي يزينه زخارف هندسية، مجموعة دار الآثار الاسلامية بالكويت. مصر القرن ٤ هـ /١٠ م.



اللوحة رقم (٢/أ) ختم من فخار غير مطلي يزينه رسم لحيوان، مجموعة دار الآثار الاسلامية بالكويت.
مصر ٤ ـ٥ هـ/١٠ ـ ١١م.



اللوحة رقم (٢/ب) ختم من فخار غير مطلي يزينه رسوم هندسية وعناصر نباتية، مجموعة دار الآثار الاسلامية بالكويت. مصر القرن ٧ هـ ١٣/م.



اللوحة رقم (٣/أ) ختم من فخار غير مطلي يزينه كتابات كوفية معكوسة وزخارف نباتية، مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. مصر القرن ٣ هـ/ ٩م.



اللوحة رقم (٣/ب) ختم من فخار غير مطلي يزينه كتابات كوفية معكوسة ورسوم هندسية، مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. مصر القرن ٤ هـ /١٠م.

ندوة العدد

المظاهر السلبية والإيجابية
في سلوك الشخصية الكويتية
المترتبة على العدوان العراقي للكويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

جميع المراسلات توجه باسم رئيسة التحرير:

ص.ب.: ٢٦٥٨٥ الصفاة

الرمز البريدي : 13126

الكويت

نحو تطوير الرقابة الإدارية في دولة الكويت (دراسة تحليلية)

سالم مرزوق الطحيح*

* حصل على الدكتوراه في إدارة الأعمال من جامعة تكساس A&M ١٩٧٧ .
يعمل رئيساً لجهاز الدراسات والبحوث الاستشارية لصاحب السمو أمير دولة الكويت.

الملخص

يطرح البحث تصوراً عملياً لمعالجة الخلل في وظيفة الرقابة من خلال تطوير أسلوب ومفهوم الرقابة الإدارية في المنظمات الحكومية لترقى إلى مستوى الرقابة كما تمارس في القطاع الخاص كبديل جدير بالإهتمام، من بين بدائل معالجة الخلل في وظيفة الرقابة الإدارية في المنظمات الحكومية.

وتوصل البحث إلى استخلاص نماذج الرقابة الإدارية من واقع تجارب الدول المختلفة بشأن وظيفة الرقابة الإدارية على المنظمات الحكومية، واستعرض تجربة الرقابة الإدارية في دولة الكويت، وقد بين البحث أهمية تطوير وسائل الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي لمواجهة التغييرات التي تشهدها الكويت.

وقدم البحث عدة توصيات هدفت إلى إيجاد نظام أساسي لوظيفة الرقابة الإدارية ووسائله، ووضعه موضع التنفيذ ليكمل عملية تطويرها. وارتكز هذا النظام على عدة توصيات أساسية في عدد من المجالات، من أهمها مجال الأهداف، حيث تم التركيز على وجوب ارتباط خطط وجهود المنظمات بأهدافها، ومحاسبة تلك المنظمات على مدى تحقيقها لأهدافها، ومجال اللوائح والإجراءات، حيث أشير إلى ضرورة إعادة النظر في اللوائح والإجراءات الحكومية، والحد من الاعتماد على الرقابة الإجرائية واللائحية والرقابة المسبقة، وأيضاً مجال التدخل، وذلك بالعمل على تحديد تدخل السلطة التنفيذية فقط في الحالات التي تؤدي فيها الرقابة الذاتية إلى آثار سلبية جسيمة.

مقدمة

مفهوم الرقابة الإدارية في الإدارة

عالجت البحوث المختلفة في مجال إدارة الأعمال الرقابة الإدارية في شركات القطاع الخاص من خلال مفهومين، بني الأول منهما على أساس رقابة الأفراد أو رقابة السلوك في المنظمات، والثاني على أساس رقابة المنتج النهائي[١]. كما ارتبطت تلك المفاهيم أساساً بالأهداف، فبدون اتفاق على تعريف الأهداف، وكذلك التعرف على طبيعتها وفهم العلاقة بينها وبين الوسائل اللازمة لتحقيقها، تنتفي وظيفة الرقابة وتتحول الأمور إلى وظيفة بعيدة عن مفهوم الرقابة[٢].

ولقد بينت الدراسات المختلفة في مجال إدارة الأعمال أن الرقابة الإدارية في شركات القطاع الخاص إنما ترتبط بالهيكل التنظيمي، وبحجم المنظمة، إضافة إلى ارتباطها الوثيق والأساسي بالأهداف، فكلما زاد حجم المنظمة ازداد الهيكل التنظيمي تعقيداً، وأثر ذلك في اختيار أسلوب الرقابة الإدارية المستخدم[٣]،[٤].

كما بينت الدراسات المختلفة أن المدراء يتبعون أحد أسلوبين من أساليب الرقابة الإدارية، آخذين في الاعتبار عنصر حجم المنظمة، وعنصر وضوح الأهداف المطلوبة، وكذلك عنصر الهيكل التنظيمي، فالمدير يختار أسلوب الرقابة على السلوك في الحالات التي يكون فيها حجم المنظمة كبيراً، والهيكل التنظيمي أكثر تعقيداً، والأهداف وعلاقتها بوسائل تحقيقها غير واضحة وصعبة الفهم. ويختار المدراء أسلوب الرقابة على المنتج كأسلوب آخر في الحالات التي يكون فيها حجم المنظمة صغيراً، والهيكل التنظيمي أقل تعقيداً، والأهداف وعلاقتها بوسائل تحقيقها واضحة ومحددة وسهلة الفهم. ومن ثم أصبح أي خلل في وظيفة الرقابة مدعاة لتعطيل تحقيق الأهداف المطلوبة. فالمنظمات تحتاج إلى الرقابة على المنتجات النهائية، كما تحتاج أيضاً إلى الرقابة على السلوك، ويمارس ـ عادة ـ في كل منظمة أحد هذين الأسلوبين من أساليب الرقابة. فقد تفرض عوامل معينة لجوء المنظمات إلى استخدام الرقابة على المنتج، مثل الحاجة إلى مقاييس أو أنماط إنتاجية معينة، واستخدام الرقابة على السلوك، مثل رقابة مدير على مدير أقل منه مستوىً.

إن وظيفة الرقابة الإدارية في منظمات شركات القطاع الخاص، طبقاً لما بينته مراجع إدارة الأعمال، إنما ترمي إلى ربط سلوك الأفراد أو المنظمات بالأهداف المطلوب تحقيقها من ناحية، وتحديد أساليب تحقيق تلك الأهداف من ناحية أخرى. فنقطة البداية في أي نظام للرقابة في تلك الشركات يتمثل في الأهداف المطلوب تحقيقها. وبناء على هذا المفهوم تكون الأهداف نقطة البداية والنهاية والغاية والهدف لأي نظام رقابي.

ولقد بينت الدراسات المختلفة في مجال إدارة الأعمال أن الرقابة الإدارية في

شركات القطاع الخاص تعتمد على الأمور الأساسية التالية:

أ - أن الرقابة مرتبطة بالأهداف ارتباطاً وثيقاً.

ب - أن ثمة نمطين أو أسلوبين للرقابة تحتمهما أهداف رقابية معينة، وعوامل مرتبطة بحجم المنظمة والعرف السائد بها، وطبيعة المهمة المراد تحقيقها، والقدرات الإدارية للإداريين أنفسهم.

ج - أن وظيفة الرقابة مرتبطة بمقاييس أداء كل من المنظمة والمدير والأفراد أنفسهم، ووجود هذه المقاييس ضروري لكي تؤدي وظيفة الرقابة الإدارية دورها المنشود.

د - أن المقاييس المستخدمة يتوجب أن تكون مفهومة وبسيطة، لكي يمكن لوظيفة الرقابة الإدارية أن تؤدَّى على الوجه المطلوب.

أما في المنظمات الحكومية، فلقد تباينت أنواع الرقابة الإدارية، معتمدة على مفاهيم مختلفة عن مفهوم الرقابة الإدارية بالقطاع الخاص[٥][٦]، وذلك من خلال تركيزها على معايير وأهداف مختلفة. فهناك الرقابة الإدارية على الجوانب المالية، التي تهدف إلى مراقبة التصرفات المالية للتأكد من إتمامها وفقاً للقواعد واللوائح المالية المعمول بها. وهناك الرقابة الإدارية على الجوانب القضائية، التي تهدف إلى الاعتراف بسلطة القضاء في الحكم على شرعية وقانونية تصرفات الإدارة. ولكن الرقابة القضائية لا تقحم ذاتها في دائرة العمل الإداري الحكومي ما لم تدع للتدخل طبقاً لما يجيزه القانون ويسمح به، وبعبارة أخرى إن القضاء الإداري لا يتمتع بالحكم على مدى قانونية السلوك الإداري الحكومي وشرعيته إلا في تلك الحالات التي يدعى فيها فقط لأن يمارس دورة كحكم[٧][٨].

ولما كان القطاع الحكومي في الكويت يعتبر أداة هامة لتحقيق الأهداف الوطنية، فإن الرقابة الإدارية تأتي في مقدمة العوامل التي تحقق هذا الهدف، إذ من خلال الرقابة الإدارية يمكن توجيه الموارد البشرية والمادية نحو تحقيق الأهداف المطلوبة، ورفع كفاءة تنفيذها[٩].

وقد وجه المهتمون بالرقابة الإدارية في القطاع الحكومي اهتمامهم من خلال التركيز على تقديم التشريعات المختلفة والمتنوعة، التي ترمي إلى معالجة النقص في أداء وظيفة الرقابة الإدارية، في حين بين آخرون أن المزيد في التشريعات الحالية أو التشريعات المستقبلية في مجال الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي لن يحقق أداء أفضل لوظيفة الرقابة الإدارية في ذلك القطاع، كما طرح آخرون مفهوم تحويل الأجهزة والإدارات الحكومية إلى القطاع الخاص كبديل لمواجهة هذا القصور[١٠][١١][١٢].

وقد بينت الدراسات المختلفة أنه، لتطوير وظيفة الرقابة الإدارية في القطاع

الحكومي، فإنه ينبغي التوسع في التشريعات، في حين بينت دراسات أخرى أن تحويل بعض المنظمات الحكومية إلى القطاع الخاص من شأنه أن يزيد من قدرة تلك المنظمات على مراقبة أعمالها بطريقة أو بأسلوب أكفأ[١٣][١٤]. ولم تعالج أي من تلك الدراسات فكرة تطبيق أسلوب ومفهوم الرقابة الإدارية المطبق في القطاع الخاص وإمكانية تطبيقة في القطاع الحكومي، وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لملء الفراغ في هذا المجال.

هدف البحث

يهدف البحث إلى تقديم تصور عملي لمدى تطبيق أسلوب ومفهوم وظيفة الرقابة الإدارية لدى القطاع الخاص في المنظمات الحكومية، كبديل جدير بالاهتمام، إذ أن التوسع في التشريعات أو تحويل بعض المنظمات الحكومية إلى القطاع الخاص لا يمثل حلاً لمعالجة الخلل في وظيفة الرقابة الإدارية، إذ يبقى السؤال قائماً حول كيفية معالجة تلك المنظمات التي لا تسمح طبيعتها بتحويلها إلى القطاع الخاص، كما يبقى السؤال قائماً عن أسباب قصور التشريعات الحالية - على الرغم من كثرتها - في رفع كفاءة وظيفة الرقابة الإدارية. وعليه، فإن الانتباه ينبغي أن يوجه إلى البحث عن وسائل لتطوير وظيفة الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي بشكل عام، وذلك بهدف رفع كفاءتها من خلال دراسة بدائل أخرى غير البدائل المطروحة.

منهج الدراسة

اعتمد منهج البحث على مرحلتين، حيث تم في المرحلة الأولى ما يلي:

١. إجراء مسح للدراسات السابقة عن مفهوم وظيفة الرقابة الإدارية طبقاً لما جاء في المراجع العلمية في مجال إدارة الأعمال، وذلك بهدف تكوين الإطار النظري للدراسة.

٢. دراسة الرقابة الإدارية في المنظمات الحكومية في دولة الكويت، بهدف تقييم الوضع الحالي، من خلال الإستعانة بالقوانين والتشريعات والدراسات المرتبطة بها.

٣. دراسة بعض نماذج الرقابة الإدارية لبعض الدول العربية (مثل المملكة العربية السعودية، والجمهورية العربية السورية، ودولة قطر، وجمهورية مصر العربية) والدول الأخرى (مثل النمسا، وهولندا، والسويد، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وتايلند)، وذلك في مجال الرقابة الإدارية بهدف التعرف على طبيعة الرقابة الإدارية في المنظمات الحكومية في تلك الدول، وتجاربهم في مجال تطوير الرقابة الإدارية في هذه المنظمات.

كما تم في المرحلة الثانية ما يلي:

١- إجراء مقابلات مكثفة مع عينة من القياديين في تسع وزارات في دولة الكويت، منها خمس وزارات تقدم خدمات مباشرة ولا تستخدم تكنولوجياً متقدمة، وأربع وزارات تقدم خدمات غير مباشرة وتستخدم تكنولوجياً متقدمة.

٢- إجراء مقابلات مكثفة مع تسعة من رجال الأعمال ممن يعملون في القطاع الخاص في وقت الدراسة، ويشغلون مناصب قيادية في منظمات متميزة بأدائها، وكانوا يشغلون في السابق مناصب قيادية في المنظمات الحكومية، ولهم أنشطة متميزة واهتمامات خاصة بعملية التطوير الإداري في القطاع الحكومي، في وقت إجراء الدراسة.

٣- إجراء مقابلات مع ثلاثة من الأساتذة المتخصصين في مجال الإدارة، وثلاثة من المتخصصين في مجال القانون الإداري، وجميعهم يعملون في جامعة الكويت وقت إعداد الدراسة.

ولقد تمثل الهدف من تلك المقابلات في التعرف على تقييمهم للرقابة الإدارية في القطاع الحكومي، بناء على تجربتهم السابقة، والوسائل المختلفة لتطوير وظيفة الرقابة الإدارية في مختلف المنظمات بناء على تجربتهم الحالية.

ولقد رؤي اتباع هذا المنهج نظراً لتناسب طبيعته مع طبيعة الدراسة، سيما وأن هذا الموضوع لم يطرح في دراسات سابقة، وباعتبار أن هذه الدراسة في رأي الباحث تعتبر منطلقاً لدعوة الباحثين في مجال الإدارة إلى تركيز اهتمامهم على ربط ما أفرزته الدراسات المختلفة في مجال إدارة الأعمال، وتطويعها لخدمة الإدارة في المنظمات الحكومية.

نتائج الدراسة

جاءت نتيجة الدراسة في جزئين: الجزء الأول منهما عكس تجارب الدول المختلفة بشأن وظيفة الرقابة الإدارية على المنظمات الحكومية، في حين عكس الجزء الثاني تقييم الرقابة الإدارية في دولة الكويت.

أولاً: تجارب الدول المختلفة بشأن وظيفة الرقابة الإدارية على المنظمات الحكومية

يوجد ثلاثة نماذج لوظيفة الرقابة الإدارية في دول العالم، كما يبيّنها الشكل رقم(١).

شكل (١)

تطور نماذج الرقابة الإدارية في المنظمات الحكومية في دول العالم

النموذج الأول	النموذج الثاني	النموذج الثالث
رقابة خارجية مرتبطة بالحد الأدنى من الإجراءات واللوائح والأمور التشريعية وتستخدم فيها التشريعات بشكل مخفف وغير مرتبطة بأهداف المنظمات الحكومية ولا توجد بها رقابة إدارية داخل تلك المنظمات.	رقابة خارجية مرتبطة بشكل رئيسي بالإجراءات واللوائح والأمور التشريعية وتستخدم فيها التشريعات بشكل مكثف وغير مرتبطة بأهداف المنظمات الحكومية ولا توجد بها رقابة إدارية داخل تلك المنظمات.	رقابة خارجة مرتبطة بالحد الأدنى من الإجراءات واللوائح والأمور التشريعية وتستخدم فيها التشريعات بشكل مخفف وتمثل الإجراءات واللوائح والأمور التشريعية الحد الآدنى وتتركز الرقابة الإدارية داخل المنظمات الحكومية وترتبط بالأهداف بشكل رئيسي وترتبط الإجراءات واللوائح بالأهداف.

ويتمثل النموذج الأول منها في قيام هيئات من خارج المنظمات الحكومية بوظيفة الرقابة الإدارية على تلك المنظمات. ويعتمد هذا النموذج على الإستعانة بالتشريعات والإجراءات واللوائح **بشكل مبسط وبالحد الأدنى منها**. ويكون عدد الهيئات الخارجية طفيفاً نسبياً وبسيطاً تنظيمياً، حيث لا يتعدى هيئة أو هيئتين على الأكثر. وتعتمد المنظمات الحكومية على تلك الهيئات الخارجية في كل ما يتصل بأمور الرقابة الإدارية، ولا تجد تلك المنظمات إلزاماً قانونياً من جانب الهيئات الخارجية لربط أهدافها الداخلية أو الأهداف التي أنشئت من أجلها بوظيفة الرقابة الإدارية. كما لا ترتبط رقابة الهيئات الخارجية بأهداف تلك المنظمات، بل تركز الهيئات الخارجية على مدى تطبيق تلك المنظمات الحكومية للوائح والإجراءات والتشريعات. وتتصف تلك التشريعات **بالتركيز**

على العموميات فقط على مستوى الدولة، وتقتصر وظيفة الرقابة الإدارية في داخل تلك المنظمات على مدى التزام سلوك الإدارة باللوائح والقوانين والإجراءات التي أقرتها تلك الهيئات الخارجية دون ارتباطها بأهداف المنظمات الحكومية[١٥][١٦].

ويتمثل النموذج الثاني من نماذج الرقابة الإدارية في قيام هيئات من خارج المنظمات الحكومية بوظيفة الرقابة الإدارية على تلك المنظمات. مع الإستعانة بالتشريعات والإجراءات واللوائح **بشكل مكثف**. ويكون عدد الهيئات الخارجية مرتفعاً نسبياً ومعقداً تنظيمياً. وتعتمد المنظمات الحكومية على تلك الهيئات الخارجية في كل ما يتصل بأمور الرقابة الإدارية، ولا تجد تلك المنظمات الحكومية إلزاماً قانونياً من جانب الهيئات الخارجية لربط أهدافها الداخلية أو الأهداف التي أنشئت من أجلها بوظيفة الرقابة الإدارية، بل وتركز الهيئات الخارجية على مدى تطبيق تلك المنظمات الحكومية للوائح والإجراءات والتشريعات، التي تتصف بالتفصيل **والتركيز على الجزئيات بشكل أساسي، وذلك على مستوى المنظمة أو الدولة**. وتقتصر وظيفة الرقابة الإدارية في داخل تلك المنظمات بمدى التزام سلوك الإدارة باللوائح والقوانين والإجراءات التي أقرتها الهيئات الخارجية، دون ارتباط وظيفة الرقابة الإدارية بأهداف تلك المنظمات[١٧].

أما النموذج الثالث فيتمثل في قيام هيئات من خارج المنظمات الحكومية بوظيفة الرقابة الإدارية على تلك المنظمات، مع الاستعانة بالتشريعات والإجراءات واللوائح **بشكل مبسط وبالحد الأدنى منها**، ويكون عدد الهيئات الخارجية طفيفاً نسبياً، ويتسم بعدم التعقيد تنظيمياً. ولا تعتمد المنظمات الحكومية على تلك الهيئات الخارجية في كل ما يتصل بأمور الرقابة الإدارية فيما عدا الحد الأدنى من التشريعات واللوائح والإجراءات التي أقرتها تلك الهيئات، وتتصف تلك اللوائح والتشريعات والإجراءات **بالعمومية، وذلك على مستوى الدولة ككل**. ويكون تركيز الهيئات الخارجية بضرورة التزام المنظمات الحكومية بأهدافها الداخلية أو الأهداف التي أنشئت من أجلها، وربط ذلك بوظيفة الرقابة الإدارية في داخل تلك المنظمات. وترتبط رقابة الهيئات الخارجية بأهداف تلك المنظمات، وتركز على مدى تنفيذها، كما تركز على مدى تنفيذ الأهداف الأخرى التي ترغب في تحقيقها. وتركز وظيفة الرقابة الإدارية في داخل تلك المنظمات على إضافة الأهداف التي ترمي إلى تطويع اللوائح والإجراءات لكي تتناسب مع تلك الأهداف من ناحية، ومع أهداف الدولة من ناحية أخرى[١٨][١٩].

ولقد بني النموذج الثالث على أساس مبدأ مفاده أن تدار الرقابة الإدارية بأسلوب القطاع الخاص، التي يعامل فيها الهدف كنقطة ارتكاز تدور حوله الأنظمة الإدارية لتلك المنظمات. وإذا كانت المنظمات في القطاع الخاص ترمي إلى تحقيق هدف الربح، كأحد

أهدافها الرئيسية بجانب أهداف أخرى، وتخضعه لمعايير يقاس على أساسها أداؤها، فإن المفهوم الأساسي لتلك المنظمات يتمثل في وجود هدف أساسي أو أهداف أساسية، وأهداف أخرى فرعية ومعايير لقياس أدائها ودرجة كفاءة تحقيقها، سواء أكانت لتحقيق ربح أم لتقديم خدمة أم غيرها. فالرقابة ليست هدفاً بحد ذاته، ولكن وسيلة توجه كلاً من الانتباه وسلوك الموارد البشرية والمادية نحو تحقيق الهدف أو الأهداف المطلوبة، وتضع المعايير المختلفة لقياس درجة تحقيق تلك الأهداف، والنظم المختلفة، ومعالجة أسباب الفشل في تحقيقها إن وجدت.

كما أن الرقابة الإدارية، طبقاً للنموذج الثالث، تركز على جانبين الأول منهما يتعلق بتوجيه الاهتمام والانتباه نحو الأهداف المطلوبة للمنظمات، ويترك لها إجراء وضع اللوائح والأنظمة التي تحقق ذلك، والثاني يختص بمدى تنفيذ تلك الأهداف على مستوى تلك المنظمات، وكذلك مدى تطبيق اللوائح والقوانين والإجراءات على مستوى الدولة ككل، مخضعاً تلك اللوائح والقوانين والإجراءات للأهداف العامة للدولة.

ولقد بدأت معظم دول العالم في بداية تكوينها باستخدام النموذج الأول للرقابة الإدارية، نظراً لتناسب هذا النموذج مع ظروف النشأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك الدول، ثم بدأت تلك الدول في استخدام النموذج الثاني لمواجهة التوسع والنمو في مجتمعاتها. وقد وجدت تلك الدول أنه، وإن كان النموذج الأول مناسباً في وقت ما للقيام بمهام الرقابة الإدارية، إلا أنه قد أصبح قاصراً لمواجهة نتائج هذا التوسع والنمو، سواء في المنظمات الحكومية أو على مستوى القطاعات المختلفة في الدولة.

وجاء النموذج الثاني لتفادي قصور النموذج الأول، حيث اتبعت معظم دول العالم النموذج الثاني بنسب متفاوتة. وفي بداية الثمانينيات وجدت تلك الدول أن النموذج الثاني قاصر أيضاً، وغير قادر على مواجهة التحديات التي أفرزها التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لتلك الدول في تلك الفترة.

وقد عالجت الدول المختلفة قصور النموذج الثاني من خلال اتباع أحد أسلوبين، الأول تمثل في زيادة التشريعات والأجهزة الرقابية والقوانين والإجراءات المرتبطة بها، أما الثاني فتمثل في استخدام النموذج الثالث للرقابة الإدارية، أو أسلوب القطاع الخاص في الإدارة. وانقسمت دول العالم منذ بداية الثمانينيات وحتى الآن إلى مجموعتين متميزتين، الأولى تطبق النموذج الثاني، والثانية تطبق النموذج الثالث في وظيفة الرقابة الإدارية.

وجاء اختيار كل دولة لأحد هذين النموذجين انعكاساً لنموها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ويبين جدول (١) توزيع الدول تحت الدراسة، من حيث تواجد نماذج الرقابة الإدارية فيها.

جدول(١)

توزيع الدول تحت الدراسة من حيث تواجد نماذج الرقابة فيها

دول تتبع النموذج الثاني	دول تتبع النموذج الثالث
المملكة العربية السعودية	السويد
دولة الكويت	النمسا
دولة قطر	هولندا
الجمهورية العربية السورية	اليابان
جمهورية مصر العربية	الولايات المتحدة الأمريكية
	تايلاند

وعليه، فإن نماذج الرقابة الإدارية التي تمارس حالياً على المنظمات الحكومية في دول العالم إنما تعكس تجارب تلك الدول في معالجة موضوع الرقابة الإدارية، كما تعكس درجة نموها السياسي والاقتصادي، فالنموذج الأول للرقابة الإدارية يعتبر نمطاً ابتدأت به جميع دول العالم، أما كل من النموذج الثاني، والنموذج الثالث، فيعبر عن مرحلة لاحقة تعكس تطور ونمو المؤسسات الحكومية من ناحية، ومحاولة الإجابة على الأسلوب الأمثل للرقابة الإدارية في عملية التطوير والتنمية لمجتمعات تلك الدول من ناحية أخرى. ويعكس اختيار أحد النموذجين الفلسفة السياسية والاقتصادية لتلك الدول.

وقد اشتركت الدول موضوع الدراسة في تواجد وظيفة الرقابة الإدارية كجزء من ممارسة تلك الدول لسلطاتها التشريعية أو التنفيذية أو كليتهما على المنظمات الحكومية. وانقسمت من حيث ممارستها لنماذج الرقابة الإدارية على المنظمات الحكومية إلى نوعين يظهر بينهما التمايز بشكل واضح، حيث يتواجد النموذج الثاني للرقابة الإدارية في المجموعة الأولى من تلك الدول، وتقع الدول العربية موضوع الدراسة في هذه المجموعة. أما المجموعة الثانية من الدول فيتواجد بها النموذج الثالث، وتقع كل من النمسا، وهولندا، والسويد، واليابان، وتايلاند، والولايات المتحدة الأمريكية في هذه المجموعة.

وخلاصة القول إن الدول موضوع الدراسة قد واجهت مشكلة الاختيار بين الإبقاء على النموذج الثاني أو التحول منه إلى النموذج الثالث، كأسلوب لمواجهة مشكلة الرقابة الإدارية فيها. إلا أن الاختيار بين هذين النموذجين يحكمه عاملان، يتمثل العامل الأول منهما فيما يمكن أن يطلق عليه العامل السياسي، بينما يتمثل العامل الثاني فيما يمكن أن يطلق عليه العامل الاقتصادي. فالانتقال إلى النموذج الثالث يتطلب تواجد صفات مرتبطة بالعامل السياسي، ومنها تواجد الإطار الديمقراطي للدولة، والفلسفة التي تتبناها الدول لدور القطاع الحكومي في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتقديم الخدمات. كما يتطلب النموذج الثالث أن تتوافر صفات مرتبطة بالعامل الاقتصادي، ومنها تواجد قطاع خاص فعال يتمثل في منظمات مؤثرة في الاقتصاد المحلي، ودرجة إنتاجية ومساهمة القطاع الخاص في الناتج الوطني لتلك الدولة.

ويبين جدول (٢) مقارنة بين النماذج الثلاثة، موزعة بحسب تواجد العوامل الأساسية لنماذج الرقابة الإدارية.

جدول(٢)

تواجد العوامل الأساسية في نماذج الرقابة الإدارية

العوامل الأساسية	النموذج الأول	النموذج الثاني	النموذج الثالث
١- وجود هيئات خارجية تقوم بعمل الرقابة.	يوجد	يوجد	يوجد
٢- وجود أكثر من جهاز للرقابة الخارجية.	لا يوجد	يوجد	لا يوجد
٣- أجهزة الرقابة الخارجية معقدة تنظيمياً	لا يوجد	يوجد	لا يوجد
٤- أجهزة الرقابة الخارجية بسيطة.	يوجد	لا يوجد	يوجد
٥- يتطلب النموذج رقابة على الأهداف.	لا يوجد	لا يوجد	يوجد
٦- ضرورة وجود العامل السياسي.	غير ضروري	غير ضروري	ضروري
٧- ضرورة وجود العامل الاقتصادي.	غير ضروري	غير ضروري	ضروري

ثانياً: تقييم الرقابة الإدارية في دولة الكويت

اتبعت دولة الكويت في بداية السبعينيات النموذج الثاني للرقابة الإدارية، حيث تم إنشاء العديد من الهيئات الرقابية الخارجية، إضافة إلى الهيئات المنشأة في فترات سابقة، نتيجة للنمو السياسي والاقتصادي والاجتماعي، واتساع أنشطة الدولة، وتعدد مجالاتها

الذي أدى إلى التوسع في الهيكل الإداري للدولة[٢٠] [٢١].

وقد أدى تعدد أجهزة الرقابة الإدارية إلى كثرة الأنظمة واللوائح والقوانين التي تنظم وظيفة الرقابة الإدارية من جانب الهيئات الخارجية على المنظمات الحكومية، ونتج عن تلك الكثرة ازدواجية في الاختصاصات في بعض الأحيان، وتضارب فيما بين مهام الهيئات الرقابية المختلفة في أحيان أخرى[٢٢]. وزاد من تعقد عملية الرقابة الإدارية أن الأدوار والوظائف التي يقوم بها الموظفون في مختلف المنظمات الحكومية غير واضحة بصفة أساسية، وأن المستويات الإدارية بها غير محددة، إضافة إلى أن التقسيم الإداري للهيكل التنظيمي للدولة قد اتسم بعدم الواقعية في مواجهة المتغيرات العديدة التي تتفاعل في المجتمع الكويتي[٢٣][٢٤][٢٥].

كل هذه الأمور مجتمعة قد جعلت هيئات الرقابة الخارجية، رغم ما لديها من كثرة في القوانين واللوائح والإجراءات، غير قادرة على التعامل الفعال مع المتغيرات المستجدة.

وقد اتبعت الدولة في بداية الثمانينات أسلوب التوسع في إنشاء الهيئات المستقلة التي يعطيها القانون حرية رقابة أعمالها، ويحدد دور رقابة الهيئات الخارجية عليها في أضيق حدود ممكنة، كأحد الحلول الجزئية، لمواجهة قصور الرقابة الإدارية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تم إنشاء مؤسسة البترول الكويتية، والهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية، والهيئة العامة للمعلومات المدنية، التي كانت في السابق إدارات في وزارات حكومية. ويلاحظ أن تلك الهيئات متنوعة في أهدافها، ففي حين كان هدف مؤسسة البترول أقرب ما يكون لأهداف المؤسسات التجارية، كان هدف المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية أقرب ما يكون لتقديم الخدمات الحكومية، ولم يمنع تنوع الأهداف من إنشاء هيئة مثل معهد الكويت للأبحاث العلمية، تلك الأبحاث التي كان يمكن أن يوكل إلى الجامعة مسؤولية إعدادها.

كما أعطيت الهيئات المستقلة الفرصة في أن تضع لذاتها أنظمة رقابتها الخاصة بها، ما عدا أموراً محدودة مارستها الهيئات الخارجية عليها، وانحصرت في تتبع الإجراءات واللوائح التشريعية دون أن تراقب أهدافها ودرجة تحقيقها وأسباب الانحرافات إن وجدت.

ولقد وضع هذا الأسلوب الطريق ممهداً لاستخدام النموذج الثالث من الرقابة الإدارية، إلا أنه ما زال يعتبر نموذجاً ثانياً لأنه لم يعالج رقابة الهيئات الخارجية لأهداف تلك المؤسسات ودرجة تحقيقها.

وفي منتصف الثمانينيات تقدم عدد من أعضاء مجلس الأمة بمشروع قانون لإنشاء الهيئة العامة للرقابة، وذلك لشعورهم بعجز وقصور أجهزة الرقابة الإدارية في ذلك الوقت،

إلا أن هذا المشروع لم يلق الموافقة عليه من جانب المهتمين وأعضاء اللجنة التشريعية بعد مناقشته، وذلك لاقتناعهم بأن استحداث المزيد من التشريعات والتنظيمات ليس الحل الناجع لمعالجة مشكلة الرقابة الإدارية، بل إن الاهتمام يتوجب أن يركز على أسباب قصور تلك التشريعات، وتقديم بدائل أخرى إن أمكن، دون التوسع في تلك التشريعات(٢٦)(٢٧)(٢٨).

وفي نهاية الثمانينيات ظهرت اتجاهات تدعو إلى تحويل بعض المنظمات الحكومية إلى القطاع الخاص، كحل للمشاكل التي تواجهها الإدارة في القطاع العام، ومنها مشكلة الرقابة الإدارية(٢٩).

وخلاصة القول إن هذه الدراسة قد بينت، إضافة إلى ما توصلت إليه الدراسات المرتبطة بالرقابة الإدارية وكذلك آراء المهتمين والمتعاملين، مدى الحاجة إلى التغيير في مفهوم وأسلوب وممارسة وظيفة الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي.

المناقشة والتوصيات

تواجه الكويت في مرحلة ما بعد التحرير تحديات عديدة، حيث تقوم بجهود ضخمة لأغراض التعمير وإعادة البناء، كما تواجه الكويت مشاكل النمو ومعوقاته، وآثار العدوان ونتائجة. فالمهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة، فتاريخ الكويت المعاصر وروح الإرادة الكويتية وما مرت به من تجارب كفيل بأن يعطي من التفاؤل أكثر من التشاؤم، ويؤكد أكثر مما يشكك في الأمل بمستقبل أفضل.

وليس ثمة شك في أن الخطوة الأولى خلال مرحلة ما بعد التحرير تقتضي بالضرورة تحديد الأهداف الوطنية للمجتمع الكويتي في المجالات المختلفة ضمن نظرة مستقبلية، وبعد ذلك تحدد الموارد والأدوات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف. وتمثل الإدارة الفعالة الأداة التي تمكن المجتمع من استغلال موارده المختلفة، سواء البشرية أو المادية، في مزيج متجانس فعال لتحقيق تلك الأهداف.

ولما كان القطاع الحكومي في الكويت يعتبر إحدى الركائز الهامة في تحقيق الأهداف الوطنية، لذلك فإن الرقابة الإدارية في هذا القطاع تأتي في مقدمة العوامل التي تضمن سلامة التنفيذ والتطبيق لوسائل تحقيق الأهداف المطلوبة، وتقييم نتائجها. فالرقابة على أعمال الجهاز الإداري ليست هدفاً في حد ذاته، ولكن إحدى الخطوات الرئيسية والهامة في مجال تحقيق الأهداف الوطنية، ومن ثم أصبح أي خلل في وظيفة الرقابة مدعاة لتعطيل تحقيق المهام التي أنشئت الوحدات الإدارية من أجلها.

ولقد بينت الدراسة أن وسائل الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي كانت قاصرة إلى

حد ما عن مواجهة المتغيرات التي حدثت في الكويت خلال الفترة التي سبقت العدوان العراقي الغاشم على الكويت، وزاد الشعور بقصورها خلال فترة ما بعد التحرير وإعادة البناء. كما بينت الدراسة أن النموذج الثالث للرقابة هو الأقرب لأسلوب القطاع الخاص في تطبيق الرقابة الإدارية، وأن القطاع الحكومي في دولة الكويت قد بدأ فعلاً يتقبل هذا النموذج من خلال إنشاء العديد من الهيئات المستقلة، وذلك كمحاولة لمعالجة حالات منفردة، من خلال إنشاء شركات القطاع المشترك لتحقيق أهداف محددة بعيدة عن قيود النظام الحكومي. وهذا التقبل قد ترجم بدوره الفلسفة الإدارية للقطاع الحكومي في تحقيق أهدافه، وإن تم ذلك بمعالجة حالات فردية دون أن يعكس فلسفة متكاملة لنظام متكامل. ومن شأن توافر العوامل الأساسية التي يتطلبها النموذج الثالث، من مناخ ديمقراطي ووجود العديد من المنظمات في القطاع الخاص والقطاع المشترك، أن أصبحت الأرضية ممهدة لنقلة نوعية من النموذج الثاني إلى النموذج الثالث، ولكن ينقصها عدم توافر نظام متكامل تمارس فيه وتتطور من خلاله وظيفة الرقابة الإدارية.

ويمكن القول إن وجود نظام متكامل يشمل الحالات الموجودة والمستجدة قد أصبح ضرورة مرتبطة بتحقيق الأهداف الوطنية، ونظراً لغياب إطار عام متكامل تتطور من خلاله وظيفة الرقابة الإدارية في القطاع الحكومي، فقد جاءت هذه الدراسة لملء الفراغ في هذا المجال.

وعليه، فإن توصيات هذه الدراسة مهتمة بتقديم نظام أساسي متكامل لوظيفة الرقابة الإدارية ووسائله، ووضعه موضع التنفيذ ليكمل عملية تطويرها.

ويرمي نظام الرقابة الإدارية المقترح إلى إيجاد إطار ونظام رقابة في المنظمات الحكومية، يكون أقرب لنظام الرقابة الإدارية في القطاع الخاص، وينظر لوظيفة الرقابة الإدارية كوسيلة فعالة في تحقيق الأهداف المطلوبة وليس هدفاً بذاته. يضاف إلى ذلك أنه يوجه الأولوية نحو الرقابة على نتائج ومستوى أداء المنظمات الحكومية. ويرتكز هذا النظام على المبادئ التالية:

أولاً: في مجال الأهداف

(١) التركيز على الأهداف والمهام المطلوبة التي تحققها المنظمات المختلفة من خلال إلزام تلك المنظمات بوضع أهداف لها متماشية مع الأهداف العامة للدولة، ومعايير لقياس أدائها، ومعايير أخرى لقياس مستوى إنتاجيتها.

(٢) تكون المنظمات الحكومية مسئولة عن وضع الأهداف الاستراتيجية والتشغيلية، وتحاسب على درجة تحقيقها ومستوى أدائها.



(٣) التركيز على وجوب ارتباط خطط وجهود المنظمات بأهدافها.

ثانياً: في مجال اللوائح والإجراءات:

(١) إعادة النظر في سائر اللوائح والإجراءات الحكومية، وذلك في ضوء الأهداف المطلوبة من المنظمات الحكومية.

(٢) الحد من الاعتماد على الرقابة الإجرائية واللائحية والرقابة المسبقة.

(٣) تتولى المنظمات الحكومية الجوانب الإجرائية للمهام والإجراءات ومستويات الجودة وتوفير عناصر الإنتاج البشري والمادي المرتبطة بها.

(٤) الحد من الزيادة في التشريعات الرقابية التي تركز على الإجراءات واللوائح.

ثالثاً: في مجال التدخل

تتدخل السلطة التنفيذية في الحالات الآتية:

(١) مرحلة اعتماد الأهداف.

(٢) الرقابة اللاحقة.

(٣) الحالات التي تؤدي فيها الرقابة الذاتية إلى آثار سلبية جسيمة.

رابعاً: في مجال الإدارة

إنشاء ديوان للتنمية الإدارية يكون موازياً لديوان المحاسبة، ويتبع رئيس السلطة التنفيذية، ويقدم له تقارير دورية مماثلة للتقارير المحاسبية التي يقدمها ديوان المحاسبة. وتقع أجهزة الرقابة الإدارية المختلفة تحت مظلته ويضم في مجلس إدارته أعضاء من خارج القطاع الحكومي، وتكون أهدافه على النحو التالي:

(١) اقتراح السياسات العامة المتعلقة بالخدمة المدنية في مشاريع القوانين المقترحة في مجال الرقابة واللوائح الخاصة بها، وإبداء الرأي في شأن علاقتها بتحقيق الأهداف المطلوبة.

(٢) دراسة السياسة العامة للمرتبات والأجور بصفة دورية، وتحديد الوظائف والدرجات بقدر ما تقتضية متطلبات أهداف الدولة.

(٣) مراجعة مشاريع ميزانيات الوظائف والمرتبات والأجور، والتأكد من مسايرتها

للأهداف المطلوبة والسياسات الموضوعة.

(٤) وضع النظم والقواعد الخاصة بشغل الوظائف والتدريب بما يتماشى وأهداف الدولة في مجال تنمية الموارد البشرية.

(٥) النظر بصفة دورية في مدى فاعلية الوسائل الرقابية القائمة بشكل دوري، والتحقق من وضع التوصيات والقرارات الصادرة من السلطتين التشريعية والتنفيذية موضع التطبيق.

(٦) بحث وتحري أسباب القصور في آداء العمل، وتأدية الخدمات، والكشف عن الصعوبات التي تعيق سير العمل في الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة، واقتراح سبل تلافيها.

(٧) متابعة تنفيذ القوانين واللوائح والتأكد من تحقيق الغرض منها.

(٨) بحث الشكاوي التي يقدمها المواطنون عن مخالفة القوانين أو الإهمال في أداء واجبات الوظيفة، وكذلك بحث مقترحاتهم.

(٩) بحث ودراسة ما تنشره وسائل الإعلام المختلفة من شكاوي أو تحقيقات تتناول مظاهر الإهمال أو سوء الإدارة.

(١٠) القيام بفحص وتقييم أعمال أية إدارة حكومية أو هيئة أو مؤسسة عامة، إذا دعت الحاجة الضرورية إلى ذلك، ومتابعة تنفيذ نتائج الفحص.

(١١) تطوير نظام اختيار القيادات الإدارية بما يضمن اختيار القيادات القادرة على تحقيق الأهداف العامة، وقيادة التطور الاقتصادي والاجتماعي نحو الأهداف المطلوبة.

(١٢) تدعيم المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار من خلال تكوين لجان استشارية لرؤساء المنظمات الحكومية، بحيث تكون بمثابة همزة وصل فيما بين تلك المنظمات والمواطنين.

(١٣) التركيز على تدريب العاملين في القطاع الحكومي من خلال التعاون مع منظمات القطاع الخاص، وذلك لاكتساب الخبرة في مجال ممارسة العمل في القطاع الخاص، وتضييق الفجوة بين أسلوب الإدارة في القطاعين الحكومي والخاص، والاستعانة بأفراد من القطاع الخاص للقيام بمهام مستشارين للمنظمات الحكومية.

الهوامش والمراجع

(١) - Ouchi, W., (1977): The Relationship between Organizational Structure and Organizational Control. Adminstrative Science Quarterly, 22:95-113.

(٢) - Ouchi, William G.and Mary ann McGuire (1975): Organization Control Two Functions, Administative Scince Quartely V.20PP. 559-569.

(٣) - Thompson, James D. (1967): Organizations in Action, New York: McGraw-Hill.

(٤) محمد رياض بندقجي: «الرقابة الإدارية وتطبيقاتها العملية في المشاريع التجارية والصناعية الأردنية»، **المجلة العربية للإدارة**، السنة السادسة، العدد الأول، ١٩٨٢.

(٥) التطوير الإداري (تجارب عالمية)، موجز لبعض أوراق العمل المقدمة لمؤتمر المائدة المستديرة الذي نظمه المعهد الدولي للعلوم الإدارية في بودابست (خلال الفترة من ٨/٣٠ إلى ١٩٨٨/٩/٢م) ديوان الموظفين، يوليو ١٩٨٩.

(٦) بكر القباني: **الرقابة الإدارية**، القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٧٨.

(٧) محمد كامل ليلة: **الرقابة على أعمال الإدارة (الرقابة القضائية) دراسة مقارنة، ١٩٨٥».**

(٨) عاطف البنا: **الرقابة القضائية لأعمال الإدارة العامة**، القاهرة: المنظمة العربية للعلوم الإدارية، ١٩٧٤.

(٩) محمد السنوسي: **الرقابة الإدارية على أعمال الجهاز الإداري**، تونس: ١٩٨٣.

(١٠) حبيب أبو صقر: **موجز الرقابة على المؤسسات العامة في البلدان النامية**، عمان: المنظمة العربية للعلوم الإدارية، ١٩٨٢.

(١١) سعيد عبد المنعم: **الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة**، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦.

(١٢) مديحة السيد موسى: **دور التنظيمات الإدارية الرشيدة في متابعة وتقييم أداء الرقابة على الجودة في المشروعات الصناعية في الدول النامية**، القاهرة: المنظمة العربية للعلوم الإدارية، ١٩٧٦.

(١٣) إبراهيم درويش: «الاتجاهات الحديثة في تحقيق المسؤولية الإدارية» **العلوم الإدارية**، السنة السابعة عشرة، العدد الأول، ١٩٧٥.

(١٤) جورج ليسكوبيه: «رقابة الدولة على المشروعات العامة»، **العلوم الإدارية**، السنة العاشرة، العدد الثاني، ١٩٨٦.

(١٥) سعيد الحكيم: «أجهزة الرقابة الإدارية الخارجية على أعمال الإدارة في الدولة الإسلامية»، **العلوم الإدارية**، السنة التاسعة عشرة، العدد الأول، ١٩٧٧.

(١٦) عثمان خيري: **البيروقراطية ومشكلات المحاسبة والمسؤولية والرقابة، الحكم الشعبي المحلي**، المجلد الثالث، العدد الخامس، فبراير، ١٩٧٥.

(١٧) د.مصطفى شاكر: «الرقابة الشعبية على الجهاز الإداري»، **اللقاء العلمي حول الرقابة الإدارية**، تونس: ١٩٨٣.

(١٨) سعيد عرفة: **نظام الرقابة ووظائف التخطيط والرقابة**، القاهرة: المنظمة العربية للعلوم الإدارية، ١٩٧٤.

(١٩) محمد أنس قاسم جعفر: «نظام أمبودزمان السويدي مقارنا بناظر المظالم والمحتسب في الإسلام»، **مجلة العلوم الإدارية**، العدد الأول، ١٩٧٥.

(٢٠) أجهزة الرقابة الإدارية في الكويت تكونت من الآتي: لجنة المناقصات المركزية، ديوان المحاسبة، مجلس الخدمة المدنية، إدارة الفتوى والتشريع، ديوان الموظفين، ديوان متابعة أعمال الجهاز

الإداري، إلى جانب الرقابة القضائية التي تتمثل في المحاكم والرقابة الذاتية داخل الوزارات ذاتها.

(٢١) إذا أخذنا، كمثال، الوظائف العامة كمؤشر لمدى توسع أجهزة الدولة، فإننا نجد أن مجموع الوظائف العامة قد بلغ في السنة المالية ١٩٦٦/٦٥ (١٩٥٤٢) موظفا كويتيا، و(٣٧٣٧٩) موظفا غير كويتي، كما بلغ مجموع الوظائف الخاصة عن السنة ذاتها (٥٥٣٨) يمثلون غير الكويتيين، بينما نجد أن مجموع الوظائف العامة في السنة المالية ١٩٨٥/٨٤ (٥٣٢٨٣) كويتيا، أي بزيادة مقدارها (٣٣٧٤١) كويتيا، وبنسبة زيادة بحدود ١٧٣٪ عن السنة المالية ١٩٦٦/٦٥، و(٨٨٢٧٠) غير كويتي، بزيادة مقدارها (٥٠٨٩١) غير كويتي، وبنسبة زيادة تصل إلى ١٣٦٪.

(٢٢) عادل الطبطبائي: «قانون الخدمة المدنية الجديد، دراسة تطبيقية، لقرارات مجلس الخدمة المدنية، وفتاوى ديوان الموظفين وإدارة الفتوى والتشريع»، **جامعة الكويت**، ١٩٨٣، ص ١٩ ـ ٢٢.

(٢٣) **تقرير اللجنة العليا لتطوير وتحديث الجهاز الإداري**، لجنة أساليب وطرق العمل، ديوان الموظفين، تقرير التشابك، يوليو ١٩٨٦.

(٢٤) **تقرير اللجنة العليا لتطوير وتحديث الجهاز الإداري**، ديوان الموظفين، ملخص تقارير اللجان التحضيرية، اكتوبر ١٩٨٦.

(٢٥) **تقرير اللجنة العليا لتطوير وتحديث الجهاز الإداري**، ديوان الموظفين، محتويات مجموعة تقارير اللجان التحضيرية، أكتوبر ١٩٨٦.

(٢٦) الاقتراح الخاص بمشروع قانون بإنشاء هيئة عامة للرقابة، مجلس الأمة، مارس ١٩٨٤.

(٢٧) وقائع اجتماع لجنة الشؤون التشريعية والقانونية بمجلس الأمة بخصوص مشروع قانون بإنشاء هيئة الرقابة العامة، ١٩٨٤.

(٢٨) مشاري العنجري: **مذكرة مقدمة الى اللجنة التشريعية والقانونية**، ١٩٨٣: ولقد بينت المذكرة أن إنشاء جهاز للرقابة العامة من شأنه أن يؤدي إلى تضارب الاختصاصات وتنازع على السلطات بين أجهزة الرقابة ويفقدها القدرة على الحرية والحركة ويشل أيدي العاملين بهذه الأجهزة ويكبت فيهم روح الإبداع والابتكار.

(٢٩) يدرس معهد الكويت للأبحاث العلمية في الوقت الحاضر إمكانية تحويل بعض إدارات وزارة المواصلات إلى القطاع الخاص، حيث وافق مجلس الوزراء مؤخرا على إنشاء شركة الاتصالات الكويتية، وكذلك تحويل خدمات الكهرباء والماء بوزارة الكهرباء إلى القطاع الخاص.

* * *

اقرأ في العدد القادم

الجهود الدولية لمواجهة العدوان العراقي على الكويت

أ.د. مفيد محمود شهاب

بعض سمات الشخصية اللازمة لنجاح تفريد التعلم القائم على استراتيجية كيلر في التدريس

شكري سيد أحمد*

* حصل على دكتوراه الفلسفة في التربية (مناهج وطرق تدريس) من جامعة عين شمس عام ١٩٨٤ .
يعمل أستاذاً مساعداً بجامعة قطر.

الملخص

لم تحظ دراسة العلاقة بين سمات شخصية المتعلمين ومستوى أدائهم التحصيلي (عندما يستخدمون في تعلمهم إحدى طرق تفريد التعلم) باهتمام جدّي في مختلف بلادنا العربية بوجه عام، مما دعا إلى الاعتقاد بأن بعض سمات شخصية المتعلمين قد يكون لها دور مؤثر على الأداء التحصيلي لهؤلاء المتعلمين، ومن ثم فإنه قد يكون من المهم التعرف على الدور الذي تلعبه بعض هذه السمات في مجال التحصيل الدراسي للمتعلمين ولاسيما في حالة اتباع بعض طرق التدريس غير التقليدية، ومن أمثلة هذه السمات: وجهة الضبط، والقلق، ودافعية الإنجاز، والانطواء، ومفهوم الذات، والاستقلالية، وقوة التحمل، والسيطرة وغيرها من السمات الأخرى. ومن ثم هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على سمات الشخصية اللازمة لنجاح تفريد التعلم القائم على استراتيجية كيلر في التدريس. وقد تكونت عينة الدراسة من ١٠٢ طالب من طلاب جامعة قطر الذكور فقط ممن سجلوا بأحد المقررات الدراسية بجامعة قطر، ودرسوا هذا المقرر باستخدام طريقة كيلر باعتبارها إحدى طرق التعلم الذاتي التي تقوم على تفريد التعلم، وقد تم تقسيم أفراد العينة طبقاً لدرجات تحصيلهم الدراسي النهائي في نهاية الفصل الدراسي إلى ثلاث مجموعات (منخفضو التحصيل ـ متوسطو التحصيل ـ مرتفعو التحصيل) باستخدام نظام الارباعيات (الارباعي الأدنى ـ الارباعيان الأوسطان ـ الارباعي الأعلى) وتم تطبيق ست أدوات أو مقاييس على مجموعتين فقط من المجموعات الثلاث للعينة (منخفضو التحصيل ومرتفعو التحصيل فقط)، وكانت هذه الأدوات أو المقاييس هي: مقياس وجهة الضبط ـ اختبار حالة (سمة) القلق ـ مقياس دافعية الإنجاز ـ قائمة أيزنك للشخصية ـ مقياس مفهوم الذات عن القدرة الأكاديمية ـ مقياس ادواردز للتفضيل الشخصي.

وقد أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي الطلاب مرتفعي التحصيل ومنخفضي التحصيل في بعض سمات الشخصية وهي: وجهة الضبط والقلق، والتجديد أو حب التغيير، ولوم الذات، بينما وجدت فروق دالة إحصائيا بين مجموعتي الطلاب مرتفعي التحصيل ومنخفضي التحصيل في سمات الشخصية الأخرى وهي دافعية الإنجاز، الانبساط، مفهوم الذات الأكاديمية، الاستقلالية، النظام، قوة التحمل، السيطرة.

مقدمة

يلاحظ أنه ـ خلال السنوات الماضية ـ تم فتح باب القبول على مصراعيه بجامعات العالم بعامة وجامعاتنا العربية والخليجية بخاصة أمام كل راغب في التعليم الجامعي نتيجة ازدياد الطلب الاجتماعي عليه ورغبة الحكومات في التوسع في هذا النوع من التعليم حيث أخذت حكومات غالبية الدول تشجع أبناءها على الالتحاق بالجامعات التي توسعت في إنشاء الكثير منها، وكان من نتيجة ذلك كبر حجم المجتمعات الطلابية بشكل كبير مما أدى إلى تنوع مستوياتهم التعليمية ومهاراتهم وعدم تجانسهم، وازدياد الهوة والفروق الفردية بينهم بصورة أوسع مما كانت عليه حينما كان يقتصر القبول بالجامعات على الصفوة، ومن ثم أصبح التعليم الجامعي الذي فتح أبوابه لكل راغب فيه بصورته التقليدية (التي تقوم على التعليم الجمعي في صفوف دراسية كبيرة الحجم وطريقة تدريس جمعية تقوم على الإلقاء أو المحاضرة والشرح، محددة بجدول دراسي يرتبط بزمن معين وبمحتوى تعليمي محدد وبمعدل تعلم واحد للجميع) غير موائم للموقف الجديد، مما أفرز آثاراً سلبية معاكسة أدت إلى تعميق المشكلات التربوية التي كانت موجودة، بل وإحداث مشكلات أخرى جديدة كان لابد للنظام التعليمي أن يتصدى لمواجهتها. وفي ضوء ذلك قامت العديد من البحوث والدراسات التي أكدت بعض نتائجها حقائق أذهلت الكثيرين ومنها مثلا أن جميع المتعلمين ـ على اختلاف مستوياتهم التحصيلية ـ يمكنهم أن يصلوا إلى نفس درجة الإتقان ومستوى الأداء التحصيلي الدراسي إذا ما أتيحت لكل منهم بيئة تعلم مناسبة لظروف كل منهم وأتيح الوقت الكافي للتعلم لكل واحد، وأن التفاوت في المستوى التحصيلي بين المتعلمين إنما يرجع في أساسه ـ وبالدرجة الأولى ـ إلى عدم تهيئة الطريقة التدريسية لبيئة التعلم المناسبة لظروف كل متعلم على حدة، ومن هنا ظهرت أفكار عديدة في إطار نظريات التعلم المختلفة تدور حول دراسة أنماط السلوك، ونظم التعزيز، والتغذية الراجعة، وغيرها للمعاونة في اقتراح أساليب تدريسية جديدة بصورة يكون من شأنها تهيئة بيئة تعلم مناسبة لظروف كل متعلم بحيث يقدم التعلم بشكل يناسب كل فرد بما يتمشى مع ميوله واهتماماته، ويتوافق مع إمكاناته وقدراته، ويتناسب مع استعداداته ومهاراته من أجل تحقيق التعلم الفعال أو تحقيق مهارات الأداء بمستوى الإتقان المطلوب. ولعل أسلوب تفريد التعلم أصبح الآن من الأساليب التربوية المعترف بها لدى العديد من الأوساط التربوية لمواجهة بعض المشكلات التدريسية وخصوصاً مشكلة الفروق الفردية وما ينجم عنها من مشكلات أخرى، ومما يجدر ذكره أن فكرة التعلم الذاتي والاستراتيجيات المختلفة التي قامت حوله لتفريد التعلم قد انبثقت أساساً من نظرية سكنر (Skinner) عام ١٩٥٤ في الاشتراط الإجرائي والتعزيز. واستخدام الآلات التعليمية والتعليم المبرمج يعدان أولى

المحاولات في هذا المجال كتطبيق لنظرية سكنر في مواقف التعليم والتعلم داخل غرفة الصف الدراسي، والتي أخذت بعدها تتوالى المحاولات الأخرى والمقترحات العديدة التي بزغ عنها ظهور العديد من الأساليب والاستراتيجيات ذات المسميات المختلفة والأسماء المتباينة التي يسعى كل منها إلى تفريد التعلم بالتركيز على جوانب معينة من جوانب السلوك الإنساني.

وليس معنى ذلك - بالطبع - أن تفريد التعليم، والتعلم الذاتي يعدان البلسم الشافي لمشكلات التدريس الجامعي، إذا اعترضتهما - شأنهما شأن كل جديد - العديد من المشكلات، وترجع الكثير من هذه المشكلات التي واجهت التعلم الفردي والتعلم الذاتي في مجال التعليم الجامعي إلى عدم الاتساق بين الخصائص النفسية وأنماط شخصية المتعلمين وبين الأنماط المعرفية التي يسلكونها وطرق التدريس التي تستخدم معهم من خلال هذه الأنماط، والنتيجة المنطقية لعدم الاتساق بين هذه الخصائص وأنماط الشخصية وبين الأنماط المعرفية تمثلت إما في إرهاق بعض المتعلمين وإحساسهم بجهد زائد يفوق قدراتهم، أو في ملل بعضهم الآخر بما يؤدي إلى الإخفاق في الدراسة بالنسبة للأولين أو التسرب من الدراسة بالنسبة للآخرين وخصوصاً حينما يستخدم منهج التعلم الذاتي أو يتم تفريد التعلم.

وتعد اختبارات القبول وغيرها من أساليب التقويم والاختبارات الأخرى التي تعقدها الجامعات قبل التحاق الطلاب بها من الأمور الهامة في هذا المضمار لأنها تهدف أساساً إلى التعرف على الخصائص النفسية وأنماط شخصية هؤلاء الطلاب قبل التحاقهم بالدراسة الجامعية بهدف التنبؤ بالمشكلات التي ينتظر أن تصادفهم ويعانون منها بعد التحاقهم بالجامعة وأثناء دراستهم فيها بسبب اتصافهم ببعض هذه الخصائص أو افتقادهم إلى بعضها الآخر. وتساعد هذه الاختبارات وغيرها من الإجراءات التقويمية الجامعات في التغلب على هذه المشكلات وتصميم البرامج الدراسية العلاجية التي ترفع من مستوى المتعلمين والعمل على ازدياد فاعلية طرق التعلم، ومن ثم ينبغي على المسئولين عن التعليم الجامعي أن يتعرفوا أولاً على خصائص وأنماط شخصية الطلاب الجدد المتقدمين للالتحاق للدراسة بالجامعة لتحديد خصائصهم النفسية وأنماط شخصياتهم التي تساعد في التنبؤ بمستويات أدائهم وتحصيلهم الدراسي بعد التحاقهم بالجامعة.

وانطلاقاً مما تقدم، تعد الدراسة الحالية إحدى الدراسات التي تحاول التعرف على أثر تفريد التعلم على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب الجامعيين، وما إذا كان هذا المستوى التحصيلي يختلف باختلاف سمات الشخصية لدى المتعلمين، وما إذا كان يتميز أولئك الطلاب الذين ينجحون في دراستهم باستخدام إحدى طرق التعلم الفردي

واستراتيجياته، ويختلفون في سمات شخصياتهم وأنماطها عن أولئك الطلاب الذين لا ينجحون في دراستهم باستخدام نفس هذه الطرق والاستراتيجيات.

وقبل البدء في الدراسة يعرض الباحث إطاراً نظرياً يتناول خلاله ثلاث نقاط أساسية في مجال تفريد التعلم هي على النحو التالي:

- **أولا** ـ تفريد التعلم: تعريفه ـ أهميته ـ مزاياه ـ مشكلاته ـ بحوثه.
- **ثانيا** ـ طرق تفريد التعلم واستراتيجياته المختلفة.
- **ثالثا** ـ طريقة كيلر للتفريد: نشأتها، ومكوناتها، وخصائصها، وكيفية تنفيذها.

إطار نظري

أولا ـ تفريد التعلم: تعريفه ـ أهميته ـ مزاياه ـ مشكلاته ـ بحوثه

لقد ظهر في الآونة الأخيرة اتجاه يسعى إلى تقريب الفروق الفردية بين المتعلمين عن طريق الإفادة مما يعرف بتفريد التعلم بطرقه واستراتيجياته المختلفة التي يسعى كل منها إلى تكييف التعلم وشروطه طبقاً لظروف كل متعلم، ولقد ساعدت التطورات في مجال تقنية التعليم وتكنولوجيا التعلم على تصميم وتنفيذ برامج تعليمية مناسبة لكل فئة من فئات المتعلمين طبقاً لظروفها وإمكاناتها، بل وطبقاً لظروف كل متعلم على حدة في ضوء قدراته وإمكاناته وكأنه برنامج تعليمي صمم خصيصاً لهذا المتعلم أو ذاك في ضوء تلك الظروف والإمكانات، وفي نفس الوقت يتسم هذا البرنامج التعليمي بالفاعلية، وكلفته المالية مناسبة ويسهل تنفيذه، وفي نفس الوقت كذلك فهو محبب من جانب المتعلم، يسرّه ويجلب له السعادة ويجذبه نحو التعلم.

ووفقا لما سبق يمكن تعريف تفريد التعلم بأنه «نظام للتعليم يمد كل متعلم بتعليم يتناسب مع احتياجاته، ويتوافق مع إمكاناته وقدراته، ويتمشى مع ميوله واهتماماته، أي أن المتعلم في ظل هذا النظام يكون حراً في الاختيار بين أنماط تعلم عديدة، وفي أن يتفاعل مع بيئة التعلم التي يراها تتناسب مع النمط المعرفي الذي يفضله»[1]، كما يمكن تعريف تفريد التعلم بأنه «تلك العملية التي تجعل التعليم يوجه شخصياً للوفاء باحتياجات المتعلم ـ كل متعلم ـ كفرد له ظروفه وإمكاناته وخصائصه التي تختلف من متعلم إلى آخر». ويمكن النظر إلى تفريد التعلم من زوايا عديدة: فهو **كفلسفة** يركز على التنوع والاختلاف أكثر مما يركز على التوحيد أو التنميط، وهو **كمفهوم** يركز على مصادر عديدة متنوعة للمعرفة أكثر من التركيز على المعلم كمصدر وحيد للمعرفة، وهو **كتصور أو استحداث تربوي** يركز على العملية وتتابعات الأنشطة التعليمية أكثر من تركيزه على المحتوى التعليمي نفسه، وهو **كاتجاه إنساني** يركز على الحرية وتقدير ظروف كل متعلم وأخذها

في الاعتبار أكثر من قيامه على الالتزام والتقييد من جانب جميع المتعلمين[٢].

ومن الطرق التي تقوم على تفريد التعلم في مجال التربية طرق التعلم بالآلات التعليمية[٣] وطريقة كيلر للتعلم الفردي الشخصي التي تعرف باسم طريقة كيلر personalized System of Instruction...(psi): (keller plan)[٤] وطريقة التعلم السمعي المعروفة باسم (A- t): (postliethwait's Audio- Tutorial Approach)[٥] وغيرها من الطرق التدريسية التي تقوم على تفريد التعلم. ومن خصائص هذه الطرق بصفة عامة أن المتعلم يتقدم في تعلمه وفق سرعته الذاتية الخاصة به إلى أن يتقن المادة المتعلمة، ونظراً لأنه مطلوب من المتعلمين أن يتقنوا محتوى المادة التعليمية فإنه سيكون من الطبيعي أن توجد فروق في مدة التعلم التي سوف يحتاج إليها كل متعلم لإتقان المادة المتعلمة لاختلاف معدلات التعلم فيما بين بعضهم البعض، وفي ضوء هذه الخاصية التي تقوم عليها فكرة تفريد التعلم بطرقه واستراتيجياته المختلفة فإنه يمكن تحقيق المزايا التالية في حالة اتباع طريقة التدريس التي تقوم على تفريد التعلم:

- من المتوقع أن تكون الطرق التي تقوم على التفريد أكثر فاعلية من طرق التدريس التقليدية الجمعية، لأن المتعلم هنا سيكون غير مثقل بحضور محاضرات في أوقات محددة وفق جدول زمني محدد قد لا يناسبه أو يروق له، وإنما سوف يكون حراً في تنظيم وقته وجهوده ويمكنه استثمار هذه الجهود والأوقات في إتقان المحتوى التعليمي بدرجة أكبر لازدياد فاعلية التعلم بدرجة أكبر.
- نظراً لأن التلاميذ والطلاب من مستويات تعليمية مختلفة وخلفيات تحصيلية متنوعة لذلك فإن أي معدل للتعلم يتم اتباعه في حالة التعلم الجمعي، وإن كان مناسباً للبعض فإنه سيكون غير مناسب للبعض الآخر، مهما كان هذا المعدل، لأنه يناسب فئة واحدة من التلاميذ إما التلاميذ بطيئي التعلم، أو التلاميذ المتوسطين أو العاديين، أو التلاميذ سريعي التعلم، ولا يمكن أن يناسب الجميع في نفس الوقت لاختلاف معدلات التعلم بينهم.
- تسمح طرق التعلم القائمة على التفريد بتفرغ المعلم واهتمامه بالمتعلمين الذين يحتاجون إلى توجيه وإرشاد بدرجة أكبر كالمتعلمين بطيئي التعلم، وذلك بالمقارنة بطرق التعلم الجمعي التي لا يجد المعلم خلالها وقتا للاهتمام بمثل هذه الفئات الخاصة من المتعلمين.
- إن إحدى طرق التعلم الفردي والمعروفة باسم طريقة كيلر (P S I) تسمح للمتعلمين أن يسير كل منهم في تعلمه بسرعته الذاتية الخاصة حتى يتقن المادة المتعلمة ويصبح عامل الوقت هو الفارق بين التلاميذ بعضهم البعض، لأنه سيكون على الجميع إتقان

المادة الدراسية المتعلمة دون تحديد للوقت الذي يستلزمه أو يحتاج إليه المتعلم للإتقان، ولا يسمح - عادة - بالانتقال إلى دراسة وحدة تعليمية تالية ما لم يتقن المتعلم دراسة الوحدة التعليمية السابقة عليها حيث ينقسم المحتوي التعليمي إلى وحدات تعليمية فرعية صغيرة متدرجة ومتسلسلة ينتقل خلالها المتعلم بالترتيب بحيث يكون إتقان الوحدة شرطاً للانتقال إلى دراسة الوحدة التالية وإلا طولب بإعادة دراسة نفس الوحدة في حالة فشله في اجتياز اختبار الإتقان الخاص بها، وهو حر في تحديد الموعد الذي يثبت خلاله أنه اتقن المحتوى لأنه غير مضغوط بوقت معين يلتزم في نهايته بتقديم اختبار الإتقان كما في الطرق التدريسية الأخرى، ولذلك فإن مثل هذه الطريقة تحقق هدفاً تربوياً هاماً يتمثل في إلقاء مسئولية تخطيط التعلم على المتعلم نفسه، فهو يترك حراً ليسير في تعلمه وفق معدل سرعة ذاتية خاصة به ومناسبة له، مما يجعله يعتمد على نفسه ويحس بمسئوليته عن التعلم وإنجاز العمل وتخطيطه والترتيب له بما قد يزيده ثقة في نفسه ويتضمن قيامه بدور إيجابي نشط في العملية التعليمية ويمده بتعزيز إيجابي يحقق له الرضا النفسي في حالة نجاحه في اختبارات الإتقان.

ولقد كانت مزايا وعيوب طرق تفريد التعلم باستراتيجياته المختلفة هدف العديد من البحوث والدراسات السابقة ولا سيما من ناحية أثر السير في التعلم بمعدل السرعة الذاتية لكل متعلم، حيث وجد كل من (kulik, kulik, and Carmichael, 1974)[٦] أن السير في التعلم بمعدل السرعة الذاتية للمتعلم له أثره الإيجابي على المتعلم الذي يفضل اتباع هذه الطرق التي تقوم على التفريد على الطرق التقليدية المعروفة حيث تبين أن المتعلمين ينجذبون نحو دراسة تلك المقررات الدراسية التي يتم تدريسها لهم باتباع إحدى طرق التفريد المختلفة بصورة أكبر مما ينجذبون نحو دراسة تلك المقررات الدراسية الأخرى التي لا يتم تدريسها باتباع مثل هذه الطرق كالطريقة التقليدية التي تقوم على التعلم الجمعي باستخدام المحاضرة والشرح أو الإلقاء.

أما كل من(Allen, Giat, and Cherney, 1974)[٧] فقد توصلوا في دراستهم إلى أن طول الفترة التي يقضيها المتعلم في دراسة الوحدة التدريسية الأولى باتباع طريقة كيلر للتعلم الفردي تعد أفضل مؤشر للتنبؤ بدرجة التحصيل الدراسي النهائي للمتعلم عن المقرر الدراسي بأكمله حيث وجدت علاقة عكسية قوية بين طول الفترة التي يستغرقها المتعلم لإنهاء إتقان تعلم محتوى الوحدة الدراسية الفرعية الأولى وبين درجة التحصيل الدراسي التي يحصل عليها المتعلم في اختبار التحصيل الدراسي النهائي في المقرر الدراسي بأكمله.

وفي دراسة أجراها كل من(Fernald, Chisert, Lawson, Scroggs, and Ridell, 1975)[٨]

تبين أن التلاميذ الذين استخدمت معهم طريقة كيلر ازداد معدل تحصيلهم الدراسي كما ازدادت مسئوليتهم عن التحصيل عن نظرائهم ممن درسوا نفس المقرر الدراسي بالطريقة التقليدية العادية. لقد أوضحوا أنه في ظل الطريقة التقليدية يكون المتعلم مجبراً على إنهاء التعلم خلال فترة محددة وعليه أن يقدم اختبارات في نهايتها حتى ولو لم يكن مستعدا أو لم يكن قد اتقن المحتوى بعد، وهذا يؤدي إما إلى أن يحصل المتعلم على معدل ضعيف في الاختبار أو أن ينسحب دون أن يتقدم للاختبار، وكل ذلك يرجع إلى تقييده بوقت محدد وزمن معين قد يكون غير مناسب له، إلا أنه من ناحية أخرى فإنه يعاب على طرق التعلم التي تقوم على تفريد التعلم أنه إذا ترك المتعلم حراً يسير في تعلمه بسرعته الذاتية فإن ذلك من شأنه جعل المتعلم يتكاسل ويرجئ تعلمه ويؤخره لعدم إلزامه بوقت معين حيث لوحظ أن المتعلمين غالباً ما ينشطون بشكل كبير قبيل أوقات الاختبارات فقط والتي بدونها نجدهم لا يقبلون على الدراسة والتعلم، ولذلك نجد أن أهم ما يصادف طرق تفريد التعلم من عقبات هو ما يعرف باسم تأجيل أو تسويف التعلم (procrastination)، ولعلاج هذه المشكلة التي تتفاقم في حالة اتباع طريقة كيلر يقترح البعض إجراء بعض التعديلات على هذه الطريقة على النحو الآتي:

- تحديد حد أقصى للفترة الزمنية التي ينبغي على المتعلم ألا يتجاوزها في تعلمه لكل وحدة تعليمية فرعية صغرى من الوحدات التي ينقسم إليها المحتوى (deadlines).
- الاحتفاظ بسجلات تفصيلية لتسجيل أوقات بدء وانتهاء التعلم لكل وحدة دراسية فرعية بالنسبة لكل متعلم حتى يمكن جعله يسرع في تعلمه دون إبطاء أو تأجيل أو تسويف ولو تدريجياً دون الإخلال بالإتقان وفي حدود سرعته الخاصة.
- التقليل من حجم الوحدات الدراسية الفرعية وجعلها قصيرة قدر الإمكان لأنه يستحسن جعل الوحدات الفرعية قصيرة الحجم ولوازداد عددها لما لذلك من أثر على تقليل تأجيل التعلم وانخفاض معدلات الانسحاب من الدراسة.
- عقد محاضرات عامة قليلة يجمع فيها المتعلمون لا تكون بهدف الشرح أو الإلقاء لأية مادة أو محتوى تعليمي وإنما بهدف الحث على التعلم وحفز المتعلمين وتشجيعهم على الإسراع في تعلمهم وإتقان المحتوى والتقدم لاختبارات الإتقان.

وهناك دراسات أخرى اقترحت للتغلب على مشكلة تأجيل التعلم وتسويفه ضرورة التعرف على السمات الشخصية للمتعلمين الذين ينجح معهم اتباع طرق التفريد التي تقوم على حرية تنظيم أوقات التعلم والسير فيه بمعدل السرعة الذاتية، بحيث يمكّن التعرف على هذه السمات من التمييز بين الذين ينجحون باتباع هذه الطرق وأولئك الذين لا ينجحون لاستغراقهم أوقات طويلة في تعلمهم دون جدوى لتأخير التعلم وتأجيله، ولذلك حاولت

بحوث ودراسات عديدة دراسة العلاقة بين الوقت المستغرق في التعلم وبين بعض العوامل المعرفية وسمات وأنماط شخصية المتعلمين كالدافعية. ووجهة الضبط، والاستقلالية والخضوع والقلق، وعادات الاستذكار، والاتجاهات نحو الدراسة، والجنس، والعمر، والمستوى التحصيلي السابق، والمرحلة التعليمية، والتخصص الدراسي، وغيرها من العوامل الأخرى.

ثانيا ـ طرق تفريد التعلم واستراتيجياته المختلفة

توجد طرق عديدة يمكن استخدامها في تفريد التعلم، وتكاد تتقارب هذه الطرق جميعها من حيث الأسس العامة التي يقوم عليها التفريد حيث تعد هذه الأسس بمثابة القاسم المشترك بينها جميعاً، وإن كان لكل منها ملمح (أو عدة ملامح) خاصة بها كما أن لكل منها مسمىً خاصاً أيضا، وفيما يلي نعرض بإيجاز لكل طريقة من الطرق الشائعة لتفريد مركزين على أهم ملامحها التي قد تتميز بها كل منها عن غيرها(٩):

(١) **طريقة التعلم القائم على إتقان نماذج تعلم صغيرة (موديولات) وتسمى: (M i):** **Mastery and Modular Instruction** وتتمثل أهم ملامح هذه الطريقة في أنها تصيغ النواتج النهائية للتعلم في صورة سلوكية محددة ودقيقة مع ترتيبها بشكل متسلسل ومتدرج (تنظيم هرمي رتبي) حسب مستوى الصعوبة.

(٢) **طريقة التعلم القائمة على العلاج الفردي (أو رزم الأنشطة التعليمية) وتسمى: (I p I):** **Individually prescribed Instruction (Learning Activity package)** ومن أهم ملامح هذه الطريقة اعتمادها على ضرورة قياس مستوى خبرات ومهارات المتعلم قبل بدء التعلم، ثم يتم تصميم المحتوى التعليمي وتتابعاته فيما بعد طبقاً لنتائج القياس القبلي للسلوك المدخلي بشكل يتناسب مع خصائص المتعلم ومستواه واهتماماته، ومن ثم فإن تحديد نتائج وأهداف التعلم يتم بصورة تعاونية مشتركة بين المعلم والمتعلم.

(٣) **طريقة التعلم القائم على تعزيز وإدارة الاحتمالات المتوقعة، وتسمى: (C M):** **Contingency Management and Contracting** وقد نشأت هذه الطريقة أساساً نتيجة محاولات تطبيق المبادئ السلوكية بصورة معملية (داخل المختبرات) على تعليم الأطفال وهم داخل الصف الدراسي في بيئة تعلم طبيعية حقيقية أو فعلية دون محاولة استخدام أساليب تعزيز (إيجابية أو سلبية) خارجية أو غير طبيعية، وتقوم هذه الطريقة على استخدام مبادئ «بريماك premack principles» التي تقوم على تحديد أنسب وسائل التعزيز حينما يتم التعلم في بيئة تعلم حقيقية أو طبيعية، وتنظيم هذه الأساليب التعزيزية بدقة كتتابعات محددة من أجل تحقيق الأداء

بالمستوى والكيفية المرغوب فيهما ويكون تحديد ترتيب التتابعات لمحتوى التعلم مسئولية مشتركة أيضاً بين المعلم والمتعلم.

(٤) **طريقة التعلم المبرمج، وتسمى: programmed Instruction :(P I)**وتستند هذه الطريقة - كما هو معروف - إلى الحذر الدقيق في عرض محتوى المادة في خطوات صغيرة متدرجة ومتسلسلة باستخدام التفريع أو التشعيب لتحقيق التقدم التدريجي للمتعلم خلال تتابعات المحتوي التعليمي من خطوة إلى أخرى مع تقليل الأخطاء المحتملة وجعلها أقل ما يمكن خلال انتقاله عبر الخطوات التي تضمها تتابعات المحتوى التعليمي.

(٥) **طريقة التعلم السمعي الفردي، وتسمى: Audio- Tutorial Method :(A T)**وأهم ما يميز هذه الطريقة تقديم المحتوى التعليمي من خلال وسائط عديدة يقوم المتعلم باستخدامها في مكان انفرادي خاص به داخل المكتبة أو غرفة خاصة للدراسة مزودة بكل الوسائل والمعدات التي تمكنه من التعلم باستخدام هذه الوسائط، وتركّز الطريقة على إتاحة فرصة اختيار المتعلم للأنشطة والوسائط التي يفضلها في تعلمه، وتتكامل الخبرات المختلفة من خلال هذه الوسائط بما يعكس تعلما ذا معنى بالنسبة له في النهاية.

(٦) **طريقة التعلم القائمة على معاونة الكمبيوتر، وتسمى:**

(C A I): Computer- Assisted Instruction (Computer- Managed Instruction)
يتميز الحاسب الآلي (الكمبيوتر) بقدرة عالية من حيث السرعة والدقة والسيطرة في تقديم المحتوى التعليمي، كذلك يمكن أن يستخدم في عمليات التقويم المستمر وتصحيح استجابات المتعلم أولاً بأول ووصف العلاج المناسب للأخطاء، والإمداد بتغذية راجعة فورية وفعالة، مما يكون له دور حيث يعمل - الحاسب - كوسيط مناسب يقدم التعلم المناسب لطبيعة كل فرد، طبقاً لاهتماماته، وبما يتناسب مع قدراته وإمكاناته، وبسرعته الذاتية الخاصة، مما يجعله وسيلة جيدة لتفريد التعلم.

(٧) **طريقة التعلم الفردي الشخصي (خطة كيلر)، وتسمى:**

(P S I): personalized System of Instruction (or: keller plan) ومن أهم خصائص هذه الطريقة - كما سنشير تفصيلا إلى ذلك خلال النقطة التالية - اعتمادها على تحمل بعض المتعلمين لمسئولية التعلم وقيامهم بالعمل كمرشدين لزملائهم المتعلمين ويسمى الطالب الموجه «مرشداً: proctor» وهذه الطريقة لها ملامحها وخصائصها التي تميزها، وعناصرها المكونة لها والتي سنتعرض لها بالتفصيل

باعتبارها الطريقة المستخدمة في التدريس خلال الدراسة الحالية كإحدى الاستراتيجيات التي يقوم عليها التعلم الذاتي في ظل فردية التعلم.

(٨) **طريقة التعلم القائمة على وحدات دقيقة (التعلم الدقيق)، وتسمى:**

(P T): Precision Teaching وتتميز هذه الطريقة باستخدامها خرائط السلوك لتسجيل ما يطرأ على سلوك المتعلم من نمو وتقدم بمقارنته بما كان عليه هذا السلوك قبل التعلم وذلك بالنسبة لكل مرحلة من مراحل هذا التعلم... إنه في ظل هذه الطريقة تتم مقارنة مستويات الأداء المتتابعة للحكم على مدى نموه وتقدمه خلال التعلم، وليست هناك محكات إتقان يستند إليها وينبغي تحقيقها أو وصول المتعلم لها. إنما المهم في هذه الطريقة أن يحقق المتعلم نمواً وتقدماً في سلوكه خلال الانتقال في التعلم من مرحلة إلى أخرى إذا ما قورن مستوى أدائه في مرحلة ما بما كان عليه هذا الأداء في مرحلة سابقة، ويعني ذلك اهتمام الطريقة بقياس النمو الناشئ عن معدل الاستجابة ونوعيتها وليس عدد مرات تكرارها.

ثالثا ـ طريقة كيلر للتفريد: نشأتها ومكوناتها، خصائصها وكيفية تنفيذها

ظهرت طريقة التعلم الفردي الشخصي المعروفة باسم «طريقة كيلر» (psi) :(keller's plan) لأول مرة عام ١٩٦٣ على يد كل من «فرد كيلر» (Fred s. keller) «وشيرمان» (Sherman) و«رودلفو آزي» (Rodolfo Azzi) «وكارولينا بوري» (Carolina M. Bori) حيث بدأوا تجاربهم بتطبيق هذه الطريقة في تدريس بعض المقررات الدراسية بالجامعة، وهي تعتمد أساساً على نظرية سكنر في الاشتراط الإجرائي Skinner's Theory ef Operant Conditioning وتقوم هذه الطريقة (كما أشار إلى ذلك كيلر نفسه في مقاله الذي نشره عام ١٩٦٨م وخصصه لعرض الطريقة بالتفصيل موضحاً خصائصها ومكوناتها وعناصرها) على ما يلي [١٠]:

(١) تعتبر هذه الطريقة بمثابة صيغة مناسبة للسير في التعلم بمعدل سرعة ذاتية للمتعلم حيث يمكن لكل متعلم أن يسير في التعلم بمعدل سرعته الذاتية الخاصة به.

(٢) ينقسم المحتوى التعليمي - في ظل اتباع هذه الطريقة - إلى عدة وحدات تعليمية فرعية صغرى متدرجة ومتسلسلة بحيث يكون على المتعلم أن يتقن تعلم محتوى الوحدة التعليمية كشرط للانتقال إلى دراسة الوحدة التعليمية الفرعية التالية لها.

(٣) لا يقوم التدريس بهذه الطريقة على عقد محاضرات عامة رسمية للمتعلمين، ولكن يمكن أن تعقد بعض المحاضرات العامة المحدودة لمرات قليلة، أو في المناسبات، ليس بهدف انتقال معرفة، أو إلقاء معلومات، أو شرح مادة تعليمية، وإنما تكون بهدف حث المتعلمين وحفزهم وازدياد دافعيتهم نحو التعلم.

(٤) تعد مادة المحتوى التعليمي في صيغة تحريرية مكتوبة تعمل بمثابة وسيط بين المعلم والمتعلمين حيث تعتبر المادة المكتوبة أو التحريرية هي الوسيط الأساسي الذي تنتقل خلاله المعرفة للمتعلمين.

(٥) الاعتماد على بعض الطلاب من المتعلمين أنفسهم (سواء في نفس المرحلة التعليمية من النابهين أو المتفوقين، أو من مراحل تعليمية أعلى، أو ممن تخصصوا في المادة التعليمية أو في نفس الفرع الدراسي) ليقوموا بدور التوجيه والإرشاد للطلاب المتعلمين ويسمون المرشدين أو الموجهين (proctors).

وكما يتضح من مكونات الطريقة أنها تلقي بمسئولية التعلم على المتعلم نفسه، كما تلقي بتبعة التعلم على زميل للمتعلم يوجهه ويرشده كمعلم خاص له يرشده وجهاً لوجه، وواحداً لواحد، نظراً لما لوحظ من أن الطالب يتعلم من زميله قدراً أكبر وبفاعلية أكبر مما يتعلم من معلمه العادي. إن التعلم هنا يتم تهيئة ظروفه واشتراطاته ليصبح موقف التعلم مناسباً لظروف كل متعلم، ومتوائماً مع إمكاناته وقدراته، ومتناسباً مع سرعته الذاتية الخاصة، ولا يقوم على محاضرات تعلم جمعي منتظمة في أوقات وأماكن محددة قد لا يرغب فيها المتعلم أو قد لا تناسبه، وباستخدام نفس الإمكانات والموارد العادية المتاحة. ولتنفيذ طريقة كيلر في تفريد التعلم يتبع ما يلي:

(١) يقسم المحتوى التعليمي للمقرر الدراسي إلى وحدات فرعية صغيرة متسلسلة أو متدرجة.

(٢) يقوم المعلم بإعداد ما يسمى بدليل الدراسة (Study Guide) للمتعلمين يعمل على إرشاد المتعلم نحو كيفية السير في التعلم. ويعتبر هذا الدليل مكملاً للكتاب المدرسي الخاص بالمقرر الدراسي.

(٣) يعين المعلم عدداً من الطلاب (زملاء للمتعلم من صف دراسي أعلى أو حتى من نفس مستوى صفه الدراسي) للعمل كمرشدين أو موجهين لزملائهم (proctors) وهم في نفس الوقت طلاب في الجامعة وقد تحسب لهم ساعات مكتسبة نظير قيامهم بهذا العمل.

(٤) يلقي المعلم على المتعلمين في البداية محاضرة عامة يشرح لهم خلالها كيفية التعلم بهذه الطريقة ونظام العمل خلال الفصل الدراسي وأثناء دراسة هذا المقرر الدراسي باتباع هذه الطريقة، ويمكن أن تكون هذه التعليمات على النحو التالي كما أوردها «كيلر» مخاطباً المتعلمين في مقاله الشهير بعنوان «مع السلامة أيها المعلم: Good-bye, Teacher»[(١١)].

- سوف يكون على كل طالب أن يتعلم ويسير في تعلمه ودراسته للمقرر الدراسي وفق

سرعته وبمعدل السرعة الذاتية الخاصة لكل متعلم.

- يبدأ الطالب بدراسة الوحدة التعليمية الفرعية الأولى ـ بعد أن يسترشد في ذلك بدليل الدراسة الخاص بهذه الوحدة ـ وعندما يحس أنه اتقن مهارات التعلم المطلوبة منه ـ طبقاً لأهداف التعلم المحددة لهذه الوحدة ـ يمكنه أن يعلن عن ذلك ليبدي استعداده للتقدم إلى اختبار إتقان يشترط اجتيازه بمعدل نجاح محدد لكي يسمح له بالانتقال لدراسة الوحدة التعليمية الفرعية التالية. أما إذا لم يستطع اجتياز هذا الاختبار فعليه إعادة دراسة نفس الوحدة التعليمية حتى يتقنها ويمكنه التقدم لاختبار الإتقان مرة أخرى وهكذا، وليس هناك جزاء أو عقاب يترتب على إعادة الاختبار عدة مرات.

- لا يعتبر الطالب اجتاز دراسة الوحدة التعليمية الفرعية ما لم يتقنها وذلك بحصوله في اختبار الإتقان الخاص بها على معدل درجات محدد لا يقل عنه كمعيار للإتقان، وعلى ذلك فإنه قد لا تكون هناك تقديرات تمنح للطالب عن إجابته عن الاختبارات الخاصة بالإتقان للوحدات الفرعية، فإما أنه قد حقق معدل الإتقان المطلوب ويمنح التقدير «اجتاز» ومن ثم يسمح له بالانتقال لدراسة الوحدة التالية، أو يمنح التقدير «غير مكتمل» ومن ثم يطلب منه إعادة دراسة نفس الوحدة التعليمية حتى يتقنها ويمكنه التقدم مرة أخرى لاختبار إتقان آخر فيها فيما بعد.

- لن تكون هناك محاضرات عامة بين المعلم والطلاب بهدف إلقاء معلومات أو الشرح بالصورة التقليدية المعروفة لكم خلال طريقة التدريس التقليدية أو العادية، وإذا كانت هناك محاضرات عامة فهي ستكون محدودة، أو لعدة مرات قليلة، وحضورها ليس إجبارياً وإنما اختيارياً، وسوف تكون بهدف تذليل بعض العقبات، أو حل بعض المشكلات، أو مناقشة بعض الأمور مما يتعلق بالدراسة وخلق الدافعية نحو التعلم فقط.

- سوف يكون المحتوى التعليمي الذي يضمه المقرر الدراسي بوحداته التعليمية الفرعية التي ينقسم إليها متاحاً للمتعلم بأكثر من صيغة، أو عن طريق عدة وسائط، فهو بجانب إعداده بصورة تحريرية مكتوبة كصيغة أساسية، قد يكون مسجّلاً على شرائط تسجيل مسموعة، أو مسجّلاً على شرائط تسجيل مسموعة ومرئية (سينما أو فيديو)، أو مبرمج على شرائط أو أسطوانات للاستخدام في الحاسبات الآلية (الكمبيوتر)، أو بأي وسيط آخر يسهل على المتعلم متابعته، ويمكنه استخدامه وتسهيل تعلمه، ويمكن لكل منكم اختيار الوسيط الذي يرغب فيه بالإضافة إلى الوسيط المطبوع في صورة تحريرية مكتوبة.

- سيكون لكل طالب منكم مرشد أو موجه خاص به يسمى «مشرفاً: Proctor» وسيقوم هذا المشرف بتطبيق اختبارات الوحدات الفرعية عليك حينما تكون جاهزاً وتعلن عن

استعدادك للتقدم إلى الاختبار بناء على طلبك وسوف يقوم هو بتصحيح هذه الاختبارات في نفس الحصة بمجرد الانتهاء من إجابتها وإعلامك بالنتيجة وتوجيهك في ضوئها، كما يتولى شرح ما قد يكون غامضاً عليك فهمه، ويمكنك أن تستشيره إذا عنّت لك أية ملاحظة أو استفسار أو مشكلة، وسوف يقدم لك المشرف التعزيز اللازم لك ويشجعك على التعلم باستمرار.

(٥) لا تعتبر هذه الطريقة المعلم هو مصدر المعرفة الوحيد، ولا تستغني عنه كلية في نفس الوقت كما في طرق التعلم الذاتي الأخرى، وإنما يختلف دور المعلم هنا عن دوره سواء خلال الطريقة التقليدية أو طرق التعلم الذاتي الأخرى، فهو هنا يوجه العملية التعليمية ويديرها حيث يتولى القيام بحل المشكلات التي لا يستطيع المرشد أو الموجه حلها، كذلك يعمل على تذليل أية عقبات أو صعوبات أثناء التعلم ويشرف على الموجهين أو المرشدين ويشجعهم، ويتولى أيضاً توجيههم إذا ما انحرفوا عن الخط المرسوم لهم في عملهم، كذلك يتولى المعلم (المحاضر) تصميم دليل الدراسة، وكذلك اختبارات الإتقان التي تحويها والتي تقدم للمتعلمين، ويكون مسئولاً عن اختيار أنشطة التعلم ومصادره وصياغة المحتوى التعليمي بما يتلاءم والوسائط العديدة التي تستخدم في صياغة هذا المحتوى، ومن ثم فإن المعلم في ظل هذه الطريقة لا غنى عنه، فهو ركن أساسي في هذا النظام وضروري، ولكن بدور آخر جديد يختلف عن الدور التقليدي الذي يقوم به في ظل الطريقة التقليدية العادية.

البحوث والدراسات السابقة

فيما يلي بعض البحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بمشكلة الدراسة الحالية والتي اطلع عليها الباحث:

١ ـ دراسة كيولا عام (Kula, 1973)[١٢]

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة بين بعض خصائص الشخصية لدى المتعلمين ومستوى تحصيلهم الدراسي في مقرر دراسي تم تدريسه لهم على المستوى الجامعي باتباع إحدى طرق التعلم الفردي. وتكونت عينة الدراسة من الطلاب الذين سجلوا في مقرر «التربية الفنية» الذي طرح كمقرر اختياري ضمن مقررات العلوم والفنون التي قدمتها جامعة «أنديانا» بالولايات المتحدة الأمريكية خلال فصل الربيع عام ١٩٧٢. وقد تناولت الدراسة المتغيرات المؤثرة على التحصيل الدراسي مثل عدد المقررات التي سبق للطالب دراستها في التربية الفنية، وعدد المقررات الدراسية التي سبق له دراستها باستخدام أي أسلوب من أساليب التعلم الذاتي ومستواه الدراسي (عدد الساعات المكتسبة حتى الآن)،

والاستعداد الدراسي والجنس، وبعض سمات الشخصية. وقد استخدم الباحث في دراسة الأدوات التالية:

- استبياناً لجمع بيانات عن الطلاب من حيث خلفياتهم الدراسية التي تتعلق بمتغيرات الدراسة.
- اختبار الاستعداد المدرسي (Scholastic Apptitude Test).
- مقياساً لسمات الشخصية.
- اختباراً تحصيلياً في المقرر الدراسي (من نوع الاختيار من متعدد).
- مقياس درجة الجمال الفني ويسمى (Gestalt Aesthetic Scale).

وقد استخدم الباحث أسلوب التحليل العاملي لتحليل نتائج الدراسة، وتتمثل أهم النتائج التي توصل إليها في الآتي:

- تعتبر المتغيرات التي تناولتها الدراسة بمثابة مؤشرات جيدة للتنبؤ بمستوى التحصيل الدراسي للطالب في الدراسة الجامعية إذا ما درس باستخدام إحدى طرق التعلم الفردي (أو الذاتي).
- تعتبر المتغيرات الخاصة بسمات الشخصية أفضل المؤشرات للتنبؤ بمستوى التحصيل الدراسي في حالة استخدام طرق التعلم الفردي الذاتي.
- تعتبر المتغيرات الخاصة بسمات الشخصية أكثر فاعلية كمؤشر للتنبؤ بمستوى التحصيل الدراسي في حالة استخدام طرق التعلم الذاتي إذا ما استخدم معها متغيرات تقليدية أخرى كدرجة الطالب في اختبار الاستعداد المدرسي أو القبول بالجامعة، ومستوى التحصيل الدراسي السابق، وكذلك نتائج اختباراته طوال فترة دراسته السابقة (معدلات النجاح الفصلية وكذلك المعدلات التراكمية).

٢ ـ دراسة كيركباتريك عام (Kirkpatrick, 1974)[١٣]

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة بين مستوى التحصيل وبعض سمات الشخصية وذلك في حالة اتباع طريقتين تدريسيتين، إحداهما استخدام استراتيجية التعلم الفردي الشخصي (كيلر)، والأخرى باستخدام طريقة التعلم التقليدية عن طريق المحاضرة (الإلقاء).

وتكونت عينة الدراسة من ٣٧ طالباً درسوا بطريقة التعلم الفردي و ٣٣ طالباً درسوا بطريقة المحاضرة التقليدية لأحد المقررات الدراسية الذي طرحته إحدى الجامعات

الأمريكية بعنوان «مدخل لتكنولوجيا الهندسة الكهربائية». وقد استخدم الباحث قائمة أدواردز للتفضيل الشخصي: (The Edwards Personal Preference Schedule): (EPPS)

لقياس بعض سمات الشخصية لدى أفراد العينة، كما استخدم مقياس آيزنك للشخصية (The Eysenck Personality Inventory) وذلك لتحديد درجة سمة الانطوائية/ الانبساطية لدى أفراد العينة.

واستخدم الباحث أسلوب التصميم العاملي من الرتبة ٢X٢X٢ واختبار الإحصائي «ت» للحكم على مدى دلالة ما قد يوجد من فروق بين أفراد مجموعات عينة الدراسة.

وكانت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من دراسته هي:

- تؤثر السمات التالية على التحصيل الدراسي حينما يتم تفريد التعلم واتباع إحدى طرق التعلم الذاتي:
  - الخضوع أو الخنوع وتقبّل النصيحة.
  - اتباع القواعد والمحافظة على النظام.
  - التجديد أو حب التغيير.
  - الجلد وقوة التحمل.
  - الانطوائية.

حيث لوحظ أنه يتفوق في التحصيل الدراسي مجموعة الطلاب الذين يتصفون بأنهم يتقبلون التوجيهات ويتبعون القواعد، ويحافظون على النظام، ويحبون التغيير أو التجديد، ولديهم جلد وقوة تحمّل على أداء ما يكلفون به، ولهم نزعات انطوائية، وذلك على نظرائهم من الطلاب الآخرين الذين لا يتصفون بهذه الخصائص أو السمات.

- لا توجد فروق جوهرية (دالة إحصائياً) في مستوى التحصيل الدراسي بين الطلاب الذين يتصفون ببعض السمات السابقة ومن لا يتصفون بها حينما يتم اتباع طريقة التعلم التقليدية بالمحاضرة (الإلقاء).
- يتفوق الطلاب ذوو النزعة الانطوائية على الطلاب ذوي النزعة الانبساطية في التحصيل الدراسي إذا ما درسوا بطريقة التعلم الذاتي، بينما يتفوق الطلاب ذوو النزعة الانبساطية على ذوي النزعة الانطوائية إذا ما درسوا بطريقة المحاضرة التقليدية.

٣ ـ دراسة فرانكلين عام (Franklin, 1975)[١٤].

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة بين مستوى التحصيل الدراسي وكل من

مقدار الوقت المستغرق في الدراسة، وبعض العوامل النفسية والمعرفية الأخرى لدى الطلاب الجامعيين في ظل نظامين مختلفين للتقويم هما نظام التقويم مرجعي المحك (Criterion-Referenced Tests)، ونظام التقويم مرجعي المعيار (Norm-Referenced Tests) عندما تتبع طريقة التدريس الفردي الشخصي (طريقة كيلر) (P S I) في التدريس.

وتكونت عينة الدراسة من ١٢٠ طالباً ممن سجلوا للدراسة بمقرر «الجغرافيا البشرية» الذي تم طرحه في إحدى الجامعات الأمريكية خلال فصل الخريف عام ١٩٧٤، وقد قام الطلاب بدراسة المقرر الدراسي باستخدام طريقة كيلر (P S I) حيث كانوا يدرسون المقرر بمعدل السرعة الذاتية الخاصة بكل منهم من خلال وسائط تعلم عديدة: (تليفزيون ـ شرائط كاسيت مسموعة ـ شرائح وأفلام ـ مذكرات مطبوعة ـ دليل دراسة مطبوع).

والمتغيرات التي تناولتها الدراسة هي: معدل درجات الطالب قبل التحاقه بالجامعة ـ معدل درجات الطالب في اختبارات القبول بالجامعة ـ المعدل التراكمي للطالب الذي يعكس مستواه الدراسي خلال دراسته السابقة بالجامعة ـ عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة (S S H A) ـ سمات الشخصية وبعض المتغيرات كوجهة الضبط، ودافعية الإنجاز، ومتغيرات أخرى كالجنس والسن وعدد الساعات المكتسبة ومستوى الفصل الدراسي المقيد به.

وكانت أهم نتائج الدراسة على النحو التالي:

- كانت أهم العوامل المؤثرة على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب في المقرر الدراسي هي: مستوى التحصيل الدراسي السابق والذي يعكسه المعدل التراكمي للطالب، وسمات الشخصية كما تقيسها الأداة المستخدمة في الدراسة (Sixteen 16 P F Scale).
- ترجع الفروق بين الطلاب من حيث مقدار الوقت المستغرق في دراسة المقرر وإتقان المحتوى التعليمي إلى عدة عوامل أهمها ما يلي:
  * مستوى التحصيل الدراسي السابق كما يعكسه المعدل التراكمي للطالب.
  * سمات شخصية ثلاث هي: حب العمل منفرداً (Like to work alone)، والتوجيه الذاتي (Self - Controlled)، ووجهة الضبط (Locus of Control).

وقد تبين أن هناك علاقةً عكسيةً بين مقدار الوقت المستغرق في دراسة المقرر ومستوى التحصيل الدراسي فيه، حيث وجد أن الطلاب الذين قضوا وقتاً أطول في دراسة المقرر كان تحصيلهم الدراسي فيه أقل من زملائهم الذين قضوا وقتاً أقل في دراسته.

- تؤثر المتغيرات المعرفية (مثل معدل نجاح الطالب قبل الالتحاق بالجامعة، ومعدل نجاحه

في اختبار القبول بالجامعة، ومعدله التراكمي) على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب إذا ما اتبع نظام التقويم مرجعي المحك، بينما تؤثر المتغيرات الانفعالية (الوجدانية) إذا ما اتبع نظام التقويم مرجعي المعيار.

٤ ـ دراسة مورجان عام (Morgan, 1976)[١٥]

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة بين سمات الشخصية لدى المتعلمين ومستوى التحصيل الدراسي في مواقف التعلم المختلفة التي تعتمد على تفريد التعلم، والتي تعتمد على المحاضرة (الإلقاء)، وتكونت عينة الدراسة من ٩٠ طالباً ممن درسوا مقرراً تمهيدياً في التربية الخاصة بجامعة ولاية فلوريدا. وقد قسمت عينة الدراسة إلى مجموعتين: الأولى وقوامها ٥٧ طالباً درسوا المقرر بطريقة التعلم الذاتي التي تعتمد على الموديول التعليمي (Instructional Module) والثانية وقوامها ٣٣ طالباً ودرسوا المقرر بطريقة التعلم التقليدية التي تقوم على المحاضرة والإلقاء (الشرح). وفيما يلي أهم نتائج الدراسة:

١ - لا توجد فروق دالة إحصائياً بين طريقة التعلم الذاتي المستخدمة في دراسة المقرر وطريقة التعلم التقليدية (المحاضرة) من حيث كل من: الاستقلالية/ الاعتمادية، ووجهة الضبط (داخلية/ خارجية).

٢ - توجد فروق دالة إحصائياً من حيث متغير الاستقلالية لصالح طلاب مجموعة التعلم الذاتي بين الطلاب الذين درسوا المقرر بطريقة التعلم الذاتي، وأولئك الذين درسوا نفس المقرر بالطريقة التقليدية، حيث تفوق طلاب مجموعة التعلم الذاتي على المجموعة الأخرى من حيث درجاتهم في متغير «الاستقلالية».

٣ - توجد فروق دالة إحصائياً من حيث عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة سواء درس الطالب بطريقة التعلم الذاتي أو بطريقة التعلم التقليدية (المحاضرة)، حيث يتفوق الطلاب الذين تعودوا عادات استذكار حسنة، واتجاهاتهم موجبة نحو الدراسة، على نظرائهم ممن تعودوا عادات استذكار غير حسنة، واتجاهاتهم سالبة نحو الدراسة سواء اتبع هؤلاء الطلاب طريقة التعلم الذاتي التي تقوم على فردية التعلم أو طريقة التعلم الجمعي التي تقوم على المحاضرة والشرح (أو الإلقاء).

٥ ـ دراسة أليس عام (Ellis, 1976)[١٦]

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد ما إذا كانت أساليب التعلم الذاتي تناسب المتعلمين من سمات شخصية معينة بشكل أكثر من غيرهم ممن لا تتوافر فيهم مثل هذه السمات، ولذلك فهي تسعى للتعرف على ما قد يوجد من علاقات بين مستوى التحصيل الدراسي وكل من سمات الشخصية، والاتجاهات نحو الدراسة لدى الطلاب عندما يدرسون بعض المقررات الدراسية بطرق تعلم ذاتي تقوم على تفريد التعلم في المرحلة الجامعية. وتكونت

العينة من ٧٨ طالبة ممن سجلن في مقرر للفيزياء تم طرحه بجامعة أوريجون الأمريكية خلال فصل خريف عام ١٩٨٣. وقد قسمت عينة الدراسة إلى مجموعتين: الأولى وقوامها ٥١ طالبة درسن المقرر الدراسي باستخدام طريقة التعليم المبرمج، والثانية وقوامها ٢٧ طالبة درسن المقرر الدراسي نفسه باستخدام طريقة التعلم السمعي المعروفة باسم (Audio-Tutorial) وقد طبقت المقاييس التالية:

- اختبار كاليفورنيا للشخصية...................... The California Test of Personality
- اختبار الاتجاهات نحو المختبر....... The Laboratory Attitude Assessment Inventory
- اختبار علوم عامة متقدم ....The Advanced General Science Test

وكانت تسجل أثناء الدراسة بيانات عن الطالبات مثل الوقت المستغرق في الدراسة وعدد المرات التي يطلبن فيها مساعدة الغير أثناء الدراسة، وبيانات أخرى مما يتعلق بسيرهن في الدراسة، وقد طبقت بعض الاختبارات والمقاييس تطبيقاً قبلياً وتطبيقاً بعديا. وقد تمت معالجة البيانات واستخراج النتائج بمعاونة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) باستخدام برامج الحزم الإحصائية الجاهزة للعلوم الاجتماعية المعروفة باسم (S P S S).

وفيما يلي أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة:

- ترتبط المتغيرات الفرعية الخاصة بسمات الشخصية مع متغير الاتجاهات نحو الدراسة، وطريقة التعلم، بمعاملات ارتباط موجبة قوية، بينما ترتبط مع متغير «عدد مرات طلب المساعدة من الغير» بمعاملات ارتباط سالبة قوية.
- يرتبط متغير الاتجاهات نحو الدراسة وطريقة التعلم بمعاملات ارتباط موجبة مع كل من متغيري مقدار الوقت المستغرق في الدراسة والاستقلالية وكذا متغير العلاقات الاجتماعية الجيدة (الحسنة) مع الآخرين.
- يرتبط التحصيل الدراسي بمعامل ارتباط سالب بمتغير الوقت المستغرق في الدراسة، بمعنى أن الطلاب والطالبات الذين استغرقوا وقتاً أطول في الدراسة (سواء بطريقة التعلم المبرمج أو طريقة التعلم السمعي) كانوا أقل تحصيلاً من الذين استغرقوا وقتاً أقل في الدراسة وذلك من حيث مستوى التحصيل الدراسي في المقرر.

٦ ـ دراسة ستوت عام ١٩٧٧ (Stout, 1977)[١٧]

هدفت هذه الدراسة إلى مقارنة طريقة التعلم الفردي الشخصي (كيلر) بالطريقة التقليدية التي تقوم على المحاضرة من حيث فاعلية كل منهما، مع أثر استخدام عدة استراتيجيات مختلفة لتنفيذ طريقة التعلم الفردي الشخصي لتفريد التعلم. وقد تكونت عينة

الدراسة من مجموعة الطلاب والطالبات الذين سجلوا في مقرر «مدخل علم النفس الاجتماعي» الذي تم طرحه بإحدى الجامعات الأمريكية خلال فصل الربيع عام ١٩٧٦، وتم تقسيم عينة الدراسة إلى خمس مجموعات يدرس طلاب كل مجموعة من المجموعات الأربع الأولى بطريقة التعلم الفردي الشخصي مع اختلاف في الاستراتيجية المستخدمة في التنفيذ تقوم كل منها على تحديد مواعيد معينة وفق نظم متنوعة مختلفة للانتهاء من دراسة الوحدات الفرعية والتقدم لاختبارات الإتقان الخاصة بها. أما المجموعة الخامسة فيدرس طلابها بطريقة المحاضرة التقليدية. وقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج أهمها ما يلي:

(١) لا توجد فروق دالة إحصائياً من حيث درجات اختبار نهاية الفصل الدراسي في المقرر بين طلبة المجموعات الخمس التي شملتها عينة الدراسة.

(٢) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث درجات مستوى التحصيل الدراسي السابق بين مجموعة الطلبة الذين أكملوا دراسة المقرر حتى نهاية الفصل ومجموعة الطلبة الذين تسربوا قبل إكمال الدراسة، وذلك لصالح الذين أكملوا الدراسة حيث كانت درجاتهم أعلى من درجات طلاب المجموعة الأخرى من حيث معدلات درجات التحصيل الدراسي السابق.

(٣) كانت نسبة عدد الطلبة الذين ينهون الواجبات والأعباء التي يكلفون بها في المواعيد المحددة أكبر من نسبة عدد الطلبة الذين لا ينهونها، وذلك إذا ما حددت مواعيد للانتهاء من أداء الأعمال، أما حينما يترك للطلبة حرية تحديد مواعيد الانتهاء من الأعمال والواجبات بأنفسهم فإن نسبة عدد الطلبة الذين لا ينهون هذه الواجبات في مواعيدها ـ التي حددوها هم لأنفسهم وبأنفسهم ـ أعلى من نسبة عدد الطلبة الذين ينهونها خلال هذه المواعيد.

(٤) تتسم اتجاهات طلبة مجموعات العينة الذين درسوا بطريقة التعلم الفردي بالإيجابية نحو طريقة التدريس المتبعة مما يعكس رضاهم بشكل كامل عن هذه الطريقة التدريسية التي تقوم على التفريد.

(٥) يعتبر تحديد توقيتات يلتزم بها الطلبة لإكمال الواجبات أو الانتهاء من الدراسة، وتقديم اختبارات الإتقان بمثابة وسيلة علاجية ناجحة لتلافي العيوب والمشكلات التي تواجه طريقة التعلم الفردي الشخصي، مثل مشكلة ارتفاع معدلات الإنسحاب والتسرب من الدراسة، ومشكلة تسويف التعلم أو تأجيله وهو ما يعرف بمصطلح «Procrastination». وعلى الرغم من أن ذلك قد ينتج عنه انخفاض الأداء التحصيلي لبعض الطلاب خصوصاً بطيئي التعلم إلا أنه سيكون هذا الأداء مساوياً ـ على الأقل ـ

لأدائهم في حالة التعلم بالطريقة التقليدية (طريقة المحاضرة أو الإلقاء).

٧ ـ دراسة مزناريتش عام ١٩٧٨ (Meznarich, 1978)[١٨]

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤالين رئيسيين هما:

١ - هل هناك أثر لتقديم اختبارات الإتقان بتكرارات أكبر وفي مواعيد مختلفة للمتعلمين على مستوى تحصيلهم الدراسي إذا ما درسوا بطريقة التعلم الفردي الشخصي (كيلر)؟

٢ - ما سمات الشخصية التي ترتبط بنجاح المتعلمين في الدراسة بطريقة التعلم الفردي الشخصي كما تعكسه درجات تحصيلهم الدراسي في حالة اتباع هذه الطريقة في دراسة المقرر الدراسي؟

وقد قسمت عينة الدراسة إلى مجموعتين ضابط وتجريبية بحيث يدرس طلاب كل مجموعة المقرر الدراسي بطريقة التعلم الفردي الشخصي مع اختلاف في عدد مرات تكرار تقديم اختبارات الإتقان التي تقدم لطلاب إحدى المجموعتين بالنسبة لطلاب المجموعة الأخرى (اختبارات قبلية ـ اختبارات بعدية: بعدية مؤجلة، وبعدية فورية، اختبارات أثناء الدراسة)، كما طبقت قائمة ادواردز للشخصية على جميع طلاب العينة للتعرف على بعض سمات الشخصية لديهم. واستخدم الباحث لمعالجة البيانات واستخراج النتائج أسلوب تحليل التباين، وأسلوب تحليل الانحدار متعدد المتغيرات. وفيما يلي أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة:

(١) ليس هناك أثر دال إحصائياً لكل من عدد مرات تكرار تقديم اختبارات الإتقان وتوقيتات تقديمها (قبلية ـ بعدية فورية ـ بعدية مؤجلة ـ أثناء الدراسة) على مستوى التحصيل الدراسي للمتعلمين الذين درسوا بطريقة التعلم الفردي.

(٢) أن السمة الوحيدة ـ من بين سمات الشخصية التي تم قياسها والبالغ عددها (١٥) سمة ـ التي وجد أن لها أثراً دالاً على مستوى التحصيل الدراسي في حالة اتباع طريقة التعلم الفردي هي سمة «الجلد وقوة التحمل».

(٣) يوصي الباحث ـ في ضوء نتائج الدراسة ـ بضرورة مصاحبة طريقة التدريس الفردي الشخصي (طريقة كيلر) عقد بعض المحاضرات العامة لإثارة الدافعية لدى المتعلمين وحفزهم نحو التعلم، كذلك عقد محاضرات مصغرة لتحديد درجة استعدادات المتعلمين لتعلم المادة الدراسية التي ينوون تعلمها ورفع مستوياتهم التحصيلية فيها. كما يرى الباحث أنه من المهم التأكد مسبقاً قبل بدء التدريس بهذه الطريقة من توافر بعض سمات الشخصية في المتعلمين الذين ينوون التعلم باستخدام هذه

الطريقة لضمان فاعلية التعلم ونجاح هذه الطريقة في تعليمهم.

٨ ـ دراسة هيث عام ١٩٧٨ (Heath, 1978)(١٩)

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على طبيعة ما قد يوجد من علاقة بين مستوى التحصيل وبعض سمات الشخصية للمتعلمين في حالة اتباع طريقة التعلم السمعي الشخصي المعروفة باسم (Audio-Tutorial) باستخدام موديولات متنوعة ذات مستويات كلفة مالية مختلفة. وقد تكونت عينة الدراسة من الطلاب الذين سجلوا في المقرر الدراسي رقم (٣٠١) بعنوان: «التدريس في المدرسة الثانوية» والذي تم طرحه خلال فصل الربيع عام ١٩٧٧ بجامعة ولاية واشنطن الأمريكية.

وقد طبقت الأدوات التالية لجمع المعلومات اللازمة لتحقيق أهداف الدراسة:

ـ مقياس «شوستروم» لسمات الشخصية المعروف باسم:

Shostrom's Personal Orientation Inventory (POI)

ـ مقياس براون/ هولتزمان لعادات الإستذكار والاتجاهات نحو الدراسة:

Brown-Holtzman Survey of Study Habits and Attitudes (SSHA)

ـ مقياس الأحكام الحدسية.................................... Instructors' Intuitive Judgments

وكانت أهم نتائج الدراسة تتلخص فيما يلي:

(١) لا تختلف نوعية الموديولات من مستويات كلفة مالية مختلفة، اختلافاً جوهرياً من حيث التحصيل الدراسي للطلاب الذين يستخدمونها باتباع طريقة التعلم السمعي الشخصي (AT).

(٢) ليست لغالبية سمات الشخصية أثر دال على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب حينما يستخدمون طريقة التعلم الشخصي (AT) فيما عدا سمة «الجلد وقوة التحمل»، حيث وجد أن الطلاب الذين يتسمون بدرجة عالية من هذه السمة يتفوقون على نظرائهم من الطلاب ممن يتسمون بدرجة منخفضة فيها من حيث التحصيل الدراسي النهائي في المقرر الدراسي.

(٣) من السمات الأخرى التي وجد لها أثر دال على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب الذين درسوا بطريقة التعلم السمعي الشخصي (AT) كل من: عادات الاستذكار، والاتجاهات نحو الدراسة.

٩ ـ دراسة كولفين عام ١٩٨٣ (Colvin, 1983)[٢٠]

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر كل من العوامل المعرفية والانفصالية أو الوجدانية على التحصيل الدراسي للطلاب حينما يدرسون باتباع طريقة التعلم الفردي الشخصي (طريقة كيلر) لوحدة في المواد الاجتماعية. وقد تكونت عينة الدراسة من ٥٩ طالباً من طلاب الصف العاشر الذين سجلوا في مقرر «تاريخ العالم» في مدرسة عامة بإحدى المدن الأمريكية الكبرى.

وقد استخدمت في الدراسة الأدوات التالية:

ـ اختبار «سويني» لتحليل الدافعية نحو المدرسة

The School Motivation Analysis Test (SMAT), (Sweney, 1976)

ـ اختبار كاليفورنيا للتحصيل الدراسي The California Achievement Test (CAT)

وقد طبق كل من الاختبارين على عينة الدراسة تطبيقاً قبلياً ثم تمت دراسة الوحدة الدراسية طوال الفصل الدراسي من واقع خطة أعدها الباحث الذي قام بالتدريس بنفسه لجميع طلاب العينة، ثم قدم اختبار تحصيل نهائي في نهاية الفصل الدراسي لكل طلاب العينة.

وقد كانت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة على النحو التالي:

(١) يرجع ٥٩٪ من الفروق في مستوى التحصيل الدراسي بين الطلاب إلى تفاعل كل من العوامل المعرفية والعوامل الانفعالية (الوجدانية) معاً.

(٢) يرجع ٥٢٪ من الفروق في مستوى التحصيل الدراسي بين الطلاب إلى العوامل المعرفية وحدها، وهذا يعني أن العوامل المعرفية لها أثر أقوى من العوامل الانفعالية (الوجدانية) على التحصيل الدراسي للطلاب.

(٣) يعتبر عامل مستوى التحصيل الدراسي السابق بمثابة مؤشر جيد للتنبؤ بمستوى التحصيل الدراسي للطالب حيث إنه ـ كما تبين نتائج الدراسة ـ كلما كان تحصيله الدراسي السابق مرتفعاً كلما دل ذلك على أنه سيحقق مستوى تحصيلياً أعلى في الدراسة فيما بعد.

(٤) على الرغم من الأثر الضئيل للعوامل الوجدانية (الانفعالية) على التحصيل الدراسي للطلاب إلا أن لهذه العوامل الانفعالية أثرها على العوامل المعرفية نفسها والتي تؤثر على التحصيل الدراسي في النهاية، مما يعطي أهمية لهذه العوامل كمحدد هام للتحصيل الدراسي النهائي.

(٥) على الرغم من أنه لتفاعل العوامل المعرفية والانفعالية (الوجدانية) معاً أثر دال على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، إلا أنه لوحظ أن كلا منهما منفرداً لا أثر له على مستوى التحصيل الدراسي أو أن أثره ضئيل (أو غير دال إحصائياً) على التحصيل.

١٠ ـ دراسة ماكاي عام (Mckay, 1984)[٢١]

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على بعض أنماط الشخصية لعينة من الطلاب الجامعيين، ودراسة ما قد يوجد من علاقة بين هذه الأنماط ومستوى التحصيل الدراسي باتباع طرق تدريسية مختلفة تقليدية وغير تقليدية، ومدى فاعلية كل طريقة تدريسية من هذه الطرق في مواقف التعلم الفردي والتعلم الجمعي. وقد تكونت عينة الدراسة من ٥٧٩ طالباً ممن درسوا بعض المقررات الدراسية الجامعية عام ١٩٨٣، وعام ١٩٨٤ بإحدى جامعات الولايات المتحدة، وقد قسمت العينة حسب طريقة التدريس ومواقف التعلم إلى ثلاث مجموعات هي:

مجموعة ١ـ يدرس طلابها المقرر الدراسي عن طريق البث التليفزيوني.

مجموعة ٢ـ يدرس طلابها المقرر الدراسي بطريقة التعلم الذاتي.

مجموعة ٣ـ يدرس طلابها المقرر الدراسي بطريقة المحاضرة التقليدية.

وقد طبقت على عينة الدراسة بجميع فئاتها المقاييس والاختبارات الآتية:

- مقياس دافعية الإنجاز.
- مقياس سمات الشخصية.
- مقياس عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة.
- مقياس توقعات المعلمين.

وقد درس طلاب كل مجموعة من المجموعات الثلاث بالطريقة المحددة لها وقد توصلت الدراسة في نتائجها إلى أن أكثر العوامل فاعلية وتأثيراً على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب هي: دافعية الإنجاز ـ عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة، حيث كانت هذه العوامل بمثابة مؤشر جيد للتنبؤ بمستوى التحصيل الدراسي للطلاب ونجاحهم في الدراسة باتباع طرق التعلم الذاتي، ومن ثم فإنه قبل تفريد التعليم وتنفيذ برامج التعلم الذاتي يوصي الباحث ـ في ضوء نتائج دراسته ـ بضرورة تطبيق بعض المقاييس والاختبارات الخاصة بقياس هذه المتغيرات للتأكد من مدى توافرها في المتعلمين قبل بدء الدراسة وفقاً لهذا النوع من البرامج التي تقوم على تفريد التعليم والتعلم الذاتي وذلك

لضمان فاعلية التعلم ونجاح الطلاب في تعلمهم حينما يتعلمون باستخدامها.

١١ ـ دراسة جراي عام ١٩٨٤ (Gray, 1984)[٢٢]

هدفت هذه الدراسة إلى مقارنة طريقة كيلر بالطريقة العادية التقليدية من حيث أثر كل منهما على بعض الجوانب: (اتجاهات الطلاب نحو المقرر الدراسي، مفهوم الذات «Self - perception»، تقدير الذات «Self - esteem»، مستوى التحصيل الدراسي، ورضا الطلاب والمعلمين عن المقرر الدراسي وطريقة التعليم). وتكونت عينة الدراسة من ٧٩٣ طالباً ممن درسوا المقرر بطريقة المحاضرة التقليدية، و ١٥١ طالباً ممن درسوا نفس المقرر الدراسي بطريقة كيلر. وقد استخدم الباحث أسلوب الإحصائي «ت» للحكم على دلالة ما قد يوجد من فروق بين متوسطات درجات مجموعتي عينة الدراسة بالإضافة إلى معالجة بعض البيانات الأخرى التي تم التوصل إليها بطريقة وصفية تحليلية.

وكانت أهم نتائج الدراسة تتمثل فيما يلي:

(١) توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مجموعتي العينة في كل من المتغيرات التالية:

* اتجاهات الطلاب نحو المقرر الدراسي.
* درجات التحصيل الدراسي في الاختبار النهائي.
* رضا الطلاب عن المقرر الدراسي.

وكانت الفروق لصالح مجموعة الطلاب الذين درسوا المقرر الدراسي بطريقة التعلم الفردي الشخصي (كيلر).

(٢) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مجموعتي عينة الدراسة في كل من متغيري مفهوم الذات، وتقدير الذات لدى الطلاب، وكذلك رضا المعلمين عن المقرر الدراسي وطريقة التعليم.

(٣) أوضح الطلاب الذين درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر أنهم يرغبون في دراسة المزيد من المقررات الدراسية الأخرى باتباع هذه الطريقة التدريسية، كما أظهروا رضا كبيراً عن هذه الطريقة لاعتقادهم بأنها أكثر فاعلية، ومناسبة لهم، لأنها حققت تفاعلاً بين الطلاب بعضهم البعض، وبينهم وبين المعلمين من ناحية أخرى.

١٢ ـ دراسة سيرابون عام ١٩٨٤ (Surapon, 1984)[٢٣]

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية طريقة كيلر في تدريس أحد المقررات الدراسية في الرياضيات وما إذا كانت هذه الطريقة أجدى للطلاب ذوي

الاستعدادات الدراسية العالية أم المنخفضة وكذلك التعرف على اتجاهات الطلاب نحو التعلم باستخدام هذه الطريقة.

وقد تكونت عينة الدراسة من ٨٤ طالباً وطالبة (٤٢ طالباً، ٤٢ طالبة) ممن سجلوا بمقرر «مدخل في التفاضل» خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٨٣/ ١٩٨٤ بجامعة Srinakharin Wirot University (S W U) في بانجوك. وجميع طلاب وطالبات العينة من الطلبة الجامعيين الجدد الذين لم ينهوا من الدراسة الجامعية سوى فصل دراسي واحد بالجامعة المذكورة، وبعضهم من ذوي التخصص الدراسي العلمي والبعض الآخر تخصص تربوي (علوم ورياضيات). وتم تقسيم عينة الدراسة إلى مجموعتين تدرس إحداهما المقرر الدراسي بطريقة كيلر بينما تدرسه الأخرى بالطريقة التقليدية العادية (الإلقاء أو المحاضرة).

فيما يلي أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة:

- على الرغم من وجود فروق بين متوسطي درجات اختبار التحصيل الدراسي النهائي لطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح طلبة المجموعة التجريبية إلا أنها كانت فروقاً غير دالة إحصائياً.
- هناك معاملات ارتباط موجبة قوية بين مستوى التحصيل الدراسي السابق في الرياضيات ودرجات التحصيل الدراسي النهائي في المقرر الدراسي لدى طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة، وهذا يعني أن الطلاب ذوي الاستعدادات الدراسية العالية يحققون تحصيلاً دراسياً عالياً سواء درسوا بطريقة كيلر أو بالطريقة العادية التقليدية.
- أظهر الطلبة اتجاهات موجبة نحو طريقة التدريس المقترحة (كيلر) وأقروا برغبتهم في التسجيل مستقبلاً بالمقررات الدراسية التي يتم طرحها وتدريسها باستخدام هذه الطريقة التدريسية إذا ما أتيحت لهم الفرصة، وقد علّل الطلبة حبهم لهذه الطريقة بالخدمات والرعاية التي يلقونها خلالها من قبل الموجهين أو المرشدين (proctors) والتشجيع الذي يقدمونه لهم.
- لا توجد علاقة بين معدل سرعة التعلم للطالب أو الطالبة ومستوى تحصيله الدراسي، بمعنى أنه على الرغم من تأخر بعض الطلاب في تعلمهم إلا أنهم استطاعوا في النهاية إتقان محتوى المقرر الدراسي كغيرهم من الطلاب، كذلك لم تكن معدلات الانسحاب من المقرر والتسرب من دراسة عالية سواء لدى طلاب المجموعة الضابطة أو لدى طلاب المجموعة التجريبية.
- أقر بعض الطلبة بأن طريقة كيلر أفادت من حيث تحسين عادات الاستذكار لديهم حيث ألقت عليهم بمسئولية تخطيط التعلم وتنظيمه.

تعقيب على البحوث والدراسات السابقة

من الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة التي تم عرضها فيما سبق يتضح ما يلي:

(١) جميع هذه الدراسات والبحوث تمثل دراسات أجريت على عينات من بيئات غير عربية ويشير ذلك إلى أنه في الوقت الذي تزداد فيه هذه النوعية من الدراسات في هذا المجال في البيئات غير العربية، فإنه تندر مثل هذه الدراسات في البيئة العربية بوجه عام، والخليجية بوجه خاص.

(٢) تناولت أغلبية الدراسات المذكورة دراسة للعلاقة بين متغيرات معرفية ونفسية وشخصية تعكس خصائص المتعلمين في ظل اتباع العديد من أساليب واستراتيجيات تفريد التعليم وبرامج التعلم الذاتي، ومن بينها طريقة كيلر لتفريد التعلم، وقد حاولت بعض الدراسات قياس فاعلية الأستراتيجية المستخدمة في تنفيذ التفريد، بينما حاولت دراسات أخرى إجراء مقارنة من حيث الفاعلية بين استراتيجية ما وأخرى في مجال التفريد، كما حاول نوع ثالث من هذه البحوث والدراسات مقارنة طريقة التعليم التقليدية التي تقوم على الشرح والإلقاء باستخدام المحاضرة بطرق التعلم الفردي التي تقوم على ذاتية التعلم، وذلك من حيث فاعلية كل منهما على بعض الجوانب، سواء المعرفية (كمستوى الأداء النهائي كما يعكسه مستوى التحصيل الدراسي النهائي - أو انتقال أثر التعلم - أو درجة استبقاء التعلم أو الاحتفاظ به)، أو الجوانب الوجدانية أو الانفعالية (مثل الاتجاهات، والقلق وغيرها).

(٣) يلاحظ عدم الاتفاق بين نتائج هذه البحوث والدراسات فيما يتعلق بتأثير بعض سمات الشخصية التي تعكس خصائص المتعلمين على مستويات تحصيلهم الدراسي حينما يتم تفريد التعلم وتستخدم برامج التعلم الذاتي، وقد يرجع ذلك إلى العديد من الأسباب التي يراها الباحث خلال الدراسة الحالية، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

* اختلاف أساليب واستراتيجات تنفيذ تفريد التعليم، ونوعية برامج التعليم الذاتي المتبعة خلال هذه البحوث والدراسات.
* اختلاف طبيعة المتغيرات النفسية وسمات الشخصية التي تناولتها هذه الدراسات من دراسة إلى أخرى، خصوصاً وأنه تنوعت المقاييس المستخدمة في قياس كل منها.
* اختلاف مواقف التعلم التي أجريت في إطارها هذه الدراسات من حيث شروط التعلم وظروفه، ومن ذلك مثلاً عدم تماثل عينات الطلاب الذين أجريت عليهم

الدراسة، واختلاف المراحل التعليمية، والمستويات المعرفية التي ينتمون إليها.

وانطلاقاً مما تقدم تعتبر الدراسة الحالية إحدى الدراسات القليلة ـ على حد علم الباحث ـ التي تجري على البيئة العربية في مجال التفريد، وتجريب إحدى استراتيجيات تنفيذه مما يقوم على طريقة كيلر، ودراسة العلاقة بين سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي لدى المتعلمين ومستويات تحصيلهم الدراسي عندما يتبعون في تعلمهم هذه الطريقة التدريسية التي تقوم على التفريد وذاتية التعلم خلال المرحلة الجامعية.

تحديد مشكلة الدراسة

على الرغم من أن الكثير من البحوث والدراسات السابقة قد توصلت نتائجها إلى أن تفريد التعلم قد يكون فعالاً، وأن الطرق والاستراتيجيات التدريسية التي تقوم على التفريد قد تكون أجدى وأكثر فاعلية من الطريقة التقليدية التي تقوم على التعلم الجمعي باستخدام المحاضرات والشرح، إلا أنه لم تتوصل أي من هذه البحوث والدراسات المذكورة إلى إجابة عن بعض الأسئلة مثل: أي الطلاب يفيد من تفريد التعلم؟ هل هم الطلاب ذوو الاستعداد الدراسي العالي أم الطلاب ذوو الاستعداد الدراسي المنخفض؟ وهل يختلف الطلاب الذين تناسبهم الطرق التدريسية التي تقوم على فردية التعليم عن نظرائهم ممن لا تناسبهم هذه الطرق من حيث بعض خصائص أو سمات الشخصية، أو نمط التفضيل الشخصي؟

وبناء على ما تقدم تنحصر مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: هل يختلف الطلاب الذين ينجحون باتباع طريقة كيلر لتفريد التعلم من حيث بعض سمات شخصياتهم وأنماط التفضيل الشخصي لديهم عن أولئك الطلاب الذين لا ينجحون باتباع هذه الطريقة؟ وبمعنى آخر هل يختلف الطلاب الذين يحققون مستوى تحصيلياً عالياً عن أولئك الذين يحققون مستوى تحصيلياً منخفضاً في ظل اتباع طريقة كيلر لتفريد التعلم من حيث هذه السمات أو الأنماط؟ وبعبارة أخرى: ما سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي التي تميز الطلاب الذين ينجح معهم اتباع طريقة كيلر لتفريد التعلم عن الطلاب الذين لا ينجح معهم اتباع هذه الطريقة؟

أهمية الدراسة

أثيرت في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات بعض الأسئلة التي لم تكن تجد لها إجابات سريعة ودقيقة في ذلك الوقت، وتتعلق بمدى فاعلية طرق التدريس التي كانت تتّبع وقتئذ في غالبية الجامعات في العالم ومنها جامعاتنا العربية، وفي معظم الدراسات التي أجريت في بعض الجامعات غير العربية مثل (Antioch College) وجامعة (Colorado University) خلص الباحثون من نتائجها إلى أنه يمكن تخفيض ثلثي الوقت الذي

يقضيه الطلاب في الدراسة أثناء المرحلة الجامعية دون أن يؤثر ذلك على أدائهم وتحصيلهم الدراسي[٢٤][٢٥]، بل لقد ذهب كل من[٢٦] (Dubin & Taveggia, 1963)أبعد من ذلك كثيراً حيث قالا ـ في أواخر الستينيات ـ أن مثل هذه الأنشطة الصفية التقليدية الحالية التي تقوم على إلقاء المحاضرات والمناقشة داخل الصف الدراسي بصورتها الحالية يمكن الاستغناء عنها كلية في ظل نظام التدريس الجامعي دون أن يؤثر ذلك على مستوى التحصيل الدراسي للطلاب، ومن خلال نتائج ٩١ دراسة أجريت في مجال طرق التدريس الجامعي خلال الفترة من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٦٥ تبين أن الطلاب تعلموا أكثر حينما اعتمدوا في التعلم على أنفسهم عما لو اتبعوا المسلك التعليمي التقليدي الجامعي الذي يقوم على المحاضرة والإلقاء. إن مثل هذه الدراسات وما توصلت إليه من نتائج زعزعت الثقة لدى الكثيرين من المعلمين في طرق التدريس التقليدية، واضطر بعضهم إلى الاستعانة بتكنولوجيا التعليم كوسيلة لتحسين التدريس وازدياد فاعليته، فنجد بعضهم يلجأ إلى استخدام التليفزيون التعليمي كوسيلة تعليمية، وبعضهم الآخر يجري تجاربه حول فاعلية استخدام الآلات التعليمية واستخدام الحاسبات الآلية في التعليم والتعلم، وبعضهم حاول اقتراح طرق تدريسية تقوم على التقنيات التربوية وتكنولوجيا التعليم سواء المسموعة منها والمرئية، أو المكتوبة منها والمقروءة. ومع بداية نشأة هذه الطرق كان هناك شك في فاعليتها وهل تفوق هذه الفاعلية فاعلية طريقة التدريس التقليدية التي تقوم على المحاضرة والشرح (شكري وآخر، ١٩٨٨)، إلا أنه منذ بداية السبعينيات بدأت نتائج بعض البحوث والدراسات تؤكد بالفعل فاعلية هذه الطرق ودور تكنولوجيا التعليم في تحسين هذه الطرق وازدياد فاعليتها خصوصاً في المستوى الجامعي. وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي أجريت في البيئات غير العربية بشأن قياس فاعلية هذه الطرق المستخدمة ومقارنتها ـ من حيث الفاعلية ـ بطريقة التدريس التقليدية التي تقوم على المحاضرة والشرح، إلا أن هذا النوع من الدراسات قليل في البيئة العربية بوجه عام والبيئة الخليجية بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب التي لا يتسع المقام هنا لسردها، ولا يزال الميدان التربوي في البيئة العربية بعامة والخليجية بخاصة في حاجة ماسة إلى إجراء العديد من البحوث والدراسات التي تجري حول مدى مساهمة تكنولوجيا التعليم والتقنيات التربوية في مجالات التعلم وتفريده، والعمل على ازدياد فاعلية طرق التدريس التي تقوم على هذه التقنيات في إطار التعلم الذاتي وتفريد التعلم[٢٧]. ومن هنا تأتي أهمية الدراسة الحالية التي تعد إحدى الدراسات في هذا الاتجاه، فهي تتصدى لقضية هامة للإجابة عن تساؤل كثيراً ما يثيره رجال التربية بينهم وبين أنفسهم ويتمثل في السؤال التالي: مع أي نوعية من الطلاب ينجح التعلم الذاتي وتفريد التعلم؟ بمعنى هل يناسب تفريد التعلم بشكل أكبر الطلاب ذوي الاستعدادات الدراسية العالية أو الأعلى تحصيلاً أم يناسب ذوي

الاستعدادات الدراسية الأدنى أو الأقل تحصيلاً؟ هل يناسب سريعي التعلم أم بطيئي التعلم؟ هل هو أكثر فاعلية مع الطلاب الذين تتوافر فيهم بعض الأنماط وسمات الشخصية دون غيرهم؟ أم ممن تتوافر فيهم سمات نفسية معينة؟... وهكذا. ولذلك تتجلى أهمية الدراسة الحالية في محاولة دراسة العلاقة بين مستوى التحصيل الدراسي للطلاب وبعض سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي لديهم في ظل اتباع إحدى الاستراتيجيات الهامة لتفريد التعلم وهي ما يعرف بطريقة كيلر، أو طريقة التعلم الفردي الشخصي (PSI)، بحيث تفيد دراسة هذه العلاقة في مجالات منها ما يلي:

* المساعدة في تصميم برامج التعلم الذاتي المناسبة وتقديمها لفئات المتعلمين المناسبين لكل منها.
* الأخذ في الاعتبار عند تصميم برامج التعلم الذاتي ألا يتم ذلك إلا في مواقف تعلم معينة، وبشروط معينة ينبغي توافرها في المتعلمين بحيث نضمن تناسب طبيعة البرامج التعليمية مع طبيعة المتعلمين.
* اقتراح أنسب الأساليب التدريسية العلاجية التي تناسب المتعلمين ممن تتوافر فيهم سمات نفسية معينة والتي يكون من شأنها رفع مستويات تحصيلهم الدراسي وازدياد فاعلية التعلم بالنسبة لهم.
* تقديم برامج تفريد التعلم المناسبة ذات الفاعلية لكل مستوى من مستويات المتعلمين باتباع استراتيجيات تفريد التعلم الملائمة.

فروض الدراسة

تقوم الفروض التي تسعى الدراسة الحالية إلى اختبار صحتها على اختبار مدى دلالة ما قد يوجد من فروق في سمات الشخصية وبعض أنماط التفضيل الشخصي لدى مجموعة الطلاب الذين حققوا مستوى تحصيلياً عالياً، وأولئك الذين حققوا مستوى تحصيلياً منخفضاً عندما يدرسون مقرراً دراسياً باستخدام طريقة كيلر للتعلم الفردي الشخصي. ومن ثم يمكن صياغة هذه الفروض على النحو التالي:

(١) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث وجه الضبط بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٢) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث سمة القلق بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٣) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث دافعية الإنجاز بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٤) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث الانطواء بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٥) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث مفهوم الذات الأكاديمية بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٦) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث الاستقلالية بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٧) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث النظام بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٨) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث قوة التحمل بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(٩) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث التجديد بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(١٠) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث السيطرة بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

(١١) توجد فروق دالة إحصائياً من حيث لوم الذات بين مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل.

متغيرات الدراسة

تعتبر **سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي** ـ كما تقاس بنتائج تطبيق المقاييس والأدوات المستخدمة خلال الدراسة الحالية ـ بمثابة **متغيرات مستقلة**، ويعتبر **مستوى التحصيل الدراسي** ـ كما يقاس بنتائج تطبيق اختبارات التحصيل الدراسي النهائية التي طبقت بعد انتهاء المقرر الدراسي في نهاية الفصل الدراسي ـ بمثابة **المتغير التابع**. وسمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي التي تناولتها الدراسة يمكن تعريفها على النحو التالي كما تقاس بتطبيق اختبارات ومقاييس الشخصية المستخدمة خلال هذه الدراسة:

(١) وجهة الضبط (Locus of control)

يعرف وجهة الضبط بأنه إدراك الفرد للعلاقة بين سلوكه وبين ما يقع له من أحداث في حياته اليومية، بحيث يرى ذوو وجهة الضبط الداخلية أن سلوكهم هم يعتبر هو المسئول بصورة ما عما يقع لهم من أحداث، في حين يرى ذوو وجهة الضبط الخارجية

أن ما يقع لهم من أحداث إنما يرجع إلى عوامل خارجية[٢٨]، وعلى ذلك يتم تحليل المفهوم من عدة محاور تفسره هي:

- ما يقع للفرد في حياته الشخصية/ مقابل ما يحدث في المجتمع من أمور لا يمكن للفرد أن يتحكم فيها.
- نوعية الأحداث وهي تنقسم إلى أحداث سعيدة/ وأحداث غير سعيدة.
- نوعية القوى التي تتحكم في حياة الفرد وتنقسم إلى قوى شخصية كالأب أو الرئيس وقوى غير شخصية كالقدر والحظ وغيره[٢٩].

(٢) سمة القلق (Anxiety Trait)

يعرّف القلق بأنه إحساس خاص يتكون لدى الفرد في موقف ما من المواقف تجعله يبدو غير طبيعي، أو غير عادي، أو غير سوي خلال مواجهته هذا الموقف ومحاولة تجنب مواجهته والهروب منه قدر إمكانه[٣٠].

(٣) دافعية الإنجاز (Achievement Motivation)

يقصد بدافعية الإنجاز تلك العملية التي تتعلق باتجاهات الفرد نحو النجاح بصرف النظر عما يتحقق له أو يحرزه بالفعل من نجاح. أي أنها تعد بمثابة نوع من التخطيط للأعمال والأفعال والإحساس الداخلي لدى الفرد يرتبط بالكفاح من أجل النجاح في تحقيق مستوى إنجاز معين، وهي لا تعني بالضرورة تحقيق الإنجاز نفسه وإنما تعني بالكفاح من أجل تحقيقه بصرف النظر عن تحققه أو عدم تحققه بالفعل فيما بعد[٣١]، أي أنها كما يعرفها البعض رغبة في النجاح أو الفوز أو تحقيق قصب السبق على الآخرين لإتمام الأعمال على وجه مرضي حيث تعود هذه الأعمال على الفرد بشعور من الرضا عن الذات وتزيد من ثقته بنفسه[٣٢].

(٤) الانطواء (Extraversion)

إن الشخص المنطوي الخالص هو شخص هادئ ومترو أو متأمل، ومغرم بالكتب أكثر من غيره من الناس، ومحافظ ومتباعد إلا بالنسبة لأصدقائه المقربين، وهو يميل إلى التخطيط مقدماً، أي أنه ينظر قبل أن يخطو أية خطوة، ويتشكك في التصرف المندفع السريع، ولا يحب الاستثارة، ويأخذ شئون الحياة اليومية بالجدية المناسبة، ويحب أسلوب الحياة الذي حسن تنظيمه، ويخضع مشاعره للضبط الدقيق. أما الشخص المنبسط الخالص فهو - على نقيض المنطوى - شخص اجتماعي يحب الحفلات، وله أصدقاء كثيرون، ويحتاج إلى أناس حوله يتحدث إليهم، ولا يحب القراءة أو الدراسة منفرداً،

ويسعى وراء الاستثارة، ويتصرف بسرعة دون ترو، وهو مندفع بوجه عام، ويأخذ الأمور ببساطة، ولا يسيطر على انفعالاته(٣٣).

(٥) مفهوم الذات عن القدرة الأكاديمية (Academic Self - Concept)

يشير مفهوم الذات إلى مفهوم الفرد عن ذاته في المجال الأكاديمي بصفة عامة ومجال التحصيل الدراسي بصفة خاصة، ويعتمد على مقارنة قدرات الفرد وإمكاناته الأكاديمية بقدرات وإمكانات رفاقه في الصف الدراسي أو في نفس التخصص الدراسي، وتتم المقارنة في أبعاد القدرة الأكاديمية في إطار علاقات الفرد الاجتماعية، ولا يقتصر هذا المفهوم على المجال المدرسي فقط، بل قد يمتد إلى غيره من المجالات الأخرى حيث تبدأ مقارنة الفرد لذاته بأقرب الزملاء إليه، ثم تتسع المقارنة لتتجه إلى مجالات أخرى خارج المجال الدراسي، وإن كانت تظل مرتبطة بالإنجاز أو التحصيل(٣٤).

(٦) الاستقلالية (Autonomy)

يعتبر الفرد مستقلاً إذا كان يقول رأيه في الموضوعات المختلفة، وأن يكون مستقلاً عن الآخرين في اتخاذ القرارات، وأن يشعر بالحرية في عمل ما يريده حتى ولو اعتبره الآخرون مخالفاً للتقاليد، ويتجنب المواقف التي يراها تقليدية، ويعمل دون اعتبار لما يراه الغير، وقد ينتقد ذوي السلطة والنفوذ(٣٥).

(٧) النظام (Order)

يعتبر الفرد منظّماً حينما يكون عمله الكتابي منظماً، ويخطط قبل القيام بعمل صعب، ويرتّب الأشياء ويحفظها بنظام، وهو يخطط مقدماً عندما يقوم برحلة وينظم تفاصيل العمل، ويحفظ أوراقه وخطاباته بنظام، ويتناول وجبات طعامه بانتظام في أوقات محددة، وأموره تسير بانتظام في يسر دون تغيير(٣٦).

(٨) قوة التحمل (Endurance)

يتمتع الفرد بقوة التحمل حينما يستمر في عمله حتى يتمه، ويكمل أي عمل يتكفل به، ويعمل بجد، ويستمر في حل المشكلة أو المسألة أو اللغز حتى يتمه. ويمكنه العمل إلى وقت متأخر من الليل لإنجاز ما يقوم به، ويستغرق ساعات طويلة في العمل دون انقطاع، ويستمر في العمل حتى ولو بدا له أنه لا يتقدم خطوة واحدة(٣٧).

(٩) التجديد (أو حب التغيير) (Change)

يعتبر الفرد محبّاً للتغيير إذا كان يحب عمل أشياء جديدة ومختلفة، وأن يسافر ويقابل أناساً جدداً، ويلاقي جدة وتغيراً في روتين حياته اليومية، ويقبل على الأشياء الجديدة، ويحاول تجريب أعمال وأشياء جديدة ومختلفة مما لم يسبق له معرفة بها، كما يحب السفر إلى أماكن مختلفة، ويشارك في الموضة(٣٨).

(١٠) السيطرة (Dominance)

يعتبر الفرد ذا سيطرة عالية حينما يجادل دفاعاً عن وجهة نظره، ويجب أن يكون قائداً في جماعات ينتمي إليها ويعتبره الآخرون قائداً، ويتخذ قرارات الجماعة ويحسم المناقشات والخلافات بين الآخرين، ويقنع الآخرين ويؤثر فيهم ليعملوا ما يريده، ويشرف على أعمالهم، ويوجهها، ويوضح لهم كيف يقومون بها[٣٩].

(١١) لوم الذات (Abasement)

يتسم الفرد بهذه الخاصية إذا كان من النوع الذي يشعر بالإثم حين يقترف عملاً خاطئاً وأن يتقبل اللوم حينما يصدر عنه أمر سيئ، ويشعر بأن الألم الشخصي والتعاسة يفيد أكثر مما يضر، ويشعر بالحاجة إلى العقاب عندما يخطئ، ويشعر بالارتياح حينما يذعن للآخرين في الرأي، ويعترف بالخطأ، ويشعر بأنه أقل من الآخرين[٤٠].

عينة الدراسة

تكونت العينة الأصلية من ١٠٢ طالب (جميعهم من الذكور) بجامعة قطر ممن سبق لهم دراسة مقرر دراسي بالجامعة باتباع طريقة التعلم الفردي الشخصي (P S I) التي تعرف بخطة كيلر (Keller Plan)من خلال تجربة أجراها بعض الباحثين على طلاب جامعة قطر. وقد استفاد الباحث خلال الدراسة الحالية من نتائج اختبارات التحصيل النهائي التي طبقت على الطلاب بعد انتهاء دراسة المقرر، حيث تم تصنيف هؤلاء الطلاب إلى ثلاث مجموعات طبقاً لمستويات نتائج تحصيلهم في المقرر الدراسي: (مرتفع - متوسط - منخفض) باستخدام ألـ ٢٧٪ الاعلى، وألـ ٢٧٪ الأدنى، ثم قام بتطبيق المقاييس والأدوات المستخدمة خلال الدراسة الحالية على مجموعتين فقط من الأفراد، وهم مرتفعو التحصيل (الـ ٢٧٪ الأعلى)، ومنخفضوا التحصيل (الـ ٢٧٪ الأدنى) وقد بلغ عددهم ٢٨ طالباً لكل مجموعة من المجموعتين، وقد اقتصرت الدراسة على الذكور فقط لصعوبة جمع البيانات عن الإناث من ناحية، ولإبعاد أثر متغير الجنس خلال الدراسة الحالية من ناحية أخرى.

أدوات الدراسة

فيما يلي الأدوات التي استخدمت خلال الدراسة الحالية:

(١) مقياس وجهة الضبط

وضع هذا المقياس «روتر: Rotter» وقام بتعريبه وتقنينه على البيئة العربية علاء الدين كفافي ويتكون من ٢٣ زوجاً من العبارات إحداهما تشير إلى الوجهة الداخلية في الضبط بينما تشير الأخرى إلى الوجهة الخارجية فيه. ومضاف إلى المقياس ست عبارات دخيلة لا علاقة لها بوجهة الضبط لتقليل احتمالات ظهور الاستجابات المستحسنة اجتماعياً أو

الناتجة عن عدم الاكتراث. وتعطى درجة واحدة لكل إجابة تشير إلى الوجهة الخارجية في الضبط فقط. ومن ثم تشير الدرجة العالية في المقياس ككل إلى وجهة خارجية في الضبط وبالعكس. وللمقياس درجات مرضية من الصدق والثبات كما أشار الباحث إلى ذلك(٤١).

(٢) اختبار حالة/ سمة القلق

أعد هذا الاختبار في الأصل تحت اسم قائمة سمة/ حالة القلق:

State - Trait Anxiety Inventory (S T A I).

بواسطة كل من سبيلبرجر وجورستش، وليشن (Spielperger, Gorsuch & Lashene) وقامت بتعريبه وتقنينه على البيئة العربية أمينة كاظم. ويقيس الاختبار القلق كحالة وكسمة في نفس الوقت حيث إن له صورتين (س/١)، (س/٢) وقد اكتفى الباحث خلال الدراسة الحالية باستخدام الصورة التي تقيس القلق كسمة فقط. وتتكون هذه الصورة من ٢٠ عبارة تعكس كل منها وضعاً للحالة التي يشعر بها المفحوص في العادة، وهو من نوع ليكارت المدرج إلى خمسة مستويات. وتدل الدرجة العالية في المقياس ككل إلى درجة عالية من القلق وبالعكس(٤٢).

(٣) مقياس دافعية الإنجاز

وضع هذا المقياس في الأصل «سميث Smith» ويتكون من ١٠٣ عبارات وقد اختيرت ٣٠ عبارة منها في الصورة العربية مما يرتبط أكثر بالتقدير على المقياس الكلي الأصلي، ثم تكرر نفس الإجراء بحيث أصبحت الصورة العربية النهائية للمقياس تتكون من عشر عبارات يجيب المفحوص عن كل منها بالإجابة: «نعم»، أو: «لا» وتشير الدرجة العالية التي يحصل عليها المفحوص في المقياس ككل إلى درجة دافعية إنجاز عالية وبالعكس. وقد سبق تطبيق هذا المقياس على طلاب من بيئة قطر، ويشير الباحث إلى أنه تتوافر له درجات صدق وثبات مناسبة(٤٣).

(٤) قائمة أيزنك للشخصية

أعد هذه القائمة في الأصل كل من أيزنك وأيزنك (H.j.Eysenck & S.B.EysencK) وقام بتعريبها وتقنينها على البيئة العربية كل من جابر عبد الحميد ومحمد فخر الإسلام، وهي من صورتين متكافئتين (أ)، (ب) ويستطيع الباحث أن يستخدم إحداهما، وقد استخدمت خلال الدراسة الحالية الصورة (أ) وهي تتكون من ٥٧ عبارة تعكس ٢٤ عبارة منها بُعد الانبساط (م)، وتعكس ٢٤ عبارة أخرى بُعد العصابية (ع)، وتعكس العبارات التسع الباقية الكذب (ك) لاستبعاد الإجابات المستحسنة اجتماعياً. وقد اكتفى الباحث بتصحيح العبارات التي تعكس بُعد «الانبساط» فقط خلال الدراسة الحالية. وأسئلة الاختبار

يجاب عن كل منها إما بـ «نعم» أو «لا». وتشير الدرجة العالية التي يحصل عليها المفحوص في الاختبار ككل إلى درجة «انبساط» عالية وبالعكس تشير الدرجة المنخفضة التي يحصل عليها في المقياس ككل إلى درجة «انطواء» عالية. والمقياس له درجات ثبات وصدق عالية كما أشار إلى ذلك الباحثان في كراسة تعليمات المقياس(٤٤).

(٥) مقياس مفهوم الذات عن القدرة الأكاديمية

أعد هذا المقياس في الأصل «بروكوفر: Brookover» وهو يقيس مفهوم المرء عن ذاته في السياق المدرسي، خاصة في المجال الأكاديمي بالمقارنة مع زملائه. وإن كان التقدير ينسحب على إطار أكثر اتساعاً من العلاقات الاجتماعية. ويضم المقياس في صورته العربية ست عبارات أساسية تقيس كل منها تقدير الفرد لذاته من الناحية الأكاديمية بالمقارنة مع زملائه. وهو من نوع ليكارت المدرج إلى خمسة مستويات تتدرج من «أنا أفضلهم» إلى «أنا أقلّهم». وتشير الدرجة العالية التي يحصل عليها المفحوص في المقياس ككل إلى درجة عالية من مفهوم الذات وبالعكس وقد سبق تطبيق هذا المقياس أيضاً على طلاب من بيئة قطر. ويشير الباحث إلى أنه تتوافر له درجات مناسبة من الصدق والثبات(٤٥).

(٦) مقياس التفضيل الشخصي

أعد هذا المقياس في الأصل «آن ادواردز» بعنوان:

Edwards Personal Preference Schedule (E P P S). وقام بتعريبه وتقنينه في البيئة العربية جابر عبد الحميد، وهو يتكون من ٢٢٥ عبارة لكل منها إجابتان يختار المفحوص إحداهما. وتهدف عناصر المقياس إلى تقدير عدد من الحاجات النفسية كما حددها موري Murray وهي (التحصيل - الخضوع - النظام - الاستعراض - الاستقلال الذاتي - التواد - التأمل الذاتي - المعاضدة - السيطرة - لوم الذات - العطف - التجديد (حب التغيير) - قوة التحمل - الجنسية الغيرية - العدوان). وقد اقتصر الباحث على ستة أبعاد منها فقط في الدراسة الحالية. وهو يتوافر له درجات صدق وثبات مناسبة كما أشير إلى ذلك(٤٦).

إجراءات الدراسة

(١) تم إجراء إحدى التجارب التدريسية على بعض طلاب جامعة قطر من الذكور فقط دون الإناث باتباع طريقة كيلر لتدريس أحد المقررات الدراسية، وطبقت اختبارات تحصيل نهائي على الطلاب في نهاية الفصل الدراسي بعد انتهاء الدراسة، وقد استعان الباحث في الدراسة الحالية بكشوف نتائج اختبارات هؤلاء الطلاب من واقع هذه التجربة حيث قام - بناء على النتائج - بتصنيفهم إلى ثلاثة مستويات من حيث التحصيل الدراسي (عال - متوسط - منخفض) باتباع طريقة الـ ٢٧٪ الأعلى

والـ ٢٧٪ الأدنى. وقد بلغ عدد الطلاب الذين اعتبروا مرتفعين من حيث التحصيل ٢٨ طالباً، كما بلغ عدد الذين اعتبروا منخفضين من حيث التحصيل ٢٨ طالباً أيضاً، (الـ ٢٧٪ الأعلى والـ ٢٧٪ الأدنى)، بينما اعتبر باقي الطلاب وعددهم ٤٦ طالباً متوسطين من حيث التحصيل الدراسي.

(٢) قام الباحث بنفسه، وبالاستعانة ببعض الزملاء بالجامعة، بتطبيق المقاييس والاختبارات النفسية المشار إليها سابقاً على طلاب مجموعتين فقط من المجموعات الثلاث وهما مجموعتا الطلاب المرتفعين والمنخفضين فقط بواقع ٢٨ طالباً لكل مجموعة، وكان يراعي ترك فاصل زمني بين تطبيق كل مقياس وآخر لاستبعاد عوامل التداخل والتشويش والإرهاق وقد استبعد الباحث باقي الطلاب الذين يعتبرون متوسطين من حيث التحصيل الدراسي، حيث رؤي الاقتصار على مقارنة الطلاب المرتفعين في التحصيل بالمنخفضين فيه من حيث سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي التي تناولتها الدراسة.

(٣) تم تصحيح استجابات الطلاب على المقاييس والاختبارات المطبقة عليهم، وقد أعدت كشوف مستقلة لطلاب كل مجموعة من المجموعتين على حدة بحيث يكون لكل طالب في المجموعة درجة مستقلة لكل بُعد من الأبعاد الأحد عشر التي تعكس سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي والتي تمثل المتغيرات التي تناولتها الدراسة.

(٤) تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لطلاب كل مجموعة من المجموعتين على حدة، ثم حسبت قيمة «ت» للفروق بين متوسطي درجات المجموعتين في كل بُعد من الأبعاد المذكورة، ثم تم الكشف عن دلالات قيم «ت» الناتجة للحكم على مدى جوهرية هذه الفروق.

(٥) قبل البدء في حساب قيم «ت» قام الباحث بالتأكد من توافر شروط تطبيق هذا الأسلوب الإحصائي المعلمي (البارامترى)، حيث حسبت قيم «ف» للحكم على مدى تجانس المجتمعات التي سحبت منها مجموعات العينة، ووجدت قيم «ف» غير دالة إحصائياً، مما يعني تجانس العينات من حيث المجتمعات المسحوبة منها بما يسمح باستخدام أسلوب الإحصائي «ت» للحكم على دلالة ما قد يوجد من فروق بين مجموعتي عينة الدراسة من حيث المتغيرات التي تناولتها.

نتائج الدراسة

يوضح الجدول رقم (١) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات

طلاب عينة الدراسة بمجموعتيها (مرتفعي التحصيل ومنخفضي التحصيل) في كل متغير من متغيرات الدراسة:

جدول رقم (١)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات طلاب العينة بمجموعتيها في المتغيرات المختلفة التي تناولتها الدراسة

م	المجموعة / المتغير	المجموعة الأولى مرتفعو التحصيل		المجموعة الثانية منخفضو التحصيل		النهاية العظمى للدرجة
		م ١	ع ١	م ٢	ع ٢	
١	وجهة الضبط	١٢,١٣	٣,٧٥	١١,٧٠	٢,٩٥	٢٣
٢	سمة القلق	٤٦,٩٥	٩,١٣	٤٨,١١	٨,٣٦	١٠٠
٣	دافعية الإنجاز	١٤,١٣	٣,١٨	٩,٨٣	٣,٠٧	٢٠
٤	الانبساط (مقابل الانطواء)	٩,٩١	٢,١١	١٣,٦١	٣,٧٥	٢٤
٥	مفهوم الذات الأكاديمية	٢١,١٣	٤,١٥	١٨,٠٥	٣,٦٦	٣٠
٦	الاستقلالية	١٧,٥٨	٥,١٧	١٢,٦٣	٤,٩٧	٢٨
٧	النظام	١٦,١١	٤,١٣	١٠,٩١	٣,٦٥	٢٨
٨	قوة التحمل	١٥,٢٤	٣,٩٥	١١,٧٢	٤,١٢	٢٨
٩	التجديد (حب التغيير)	١٣,٢٥	٣,٧٢	١٢,٩٤	٤,٠٣	٢٨
١٠	السيطرة	١٦,٧٥	٤,١١	١١,٠٩	٣,٥٥	٢٨
١١	لوم الذات	١٤,١١	٣,٥٧	١٣,٥٩	٤,١٣	٢٨

كما توضح الجداول من رقم (٢) إلى رقم (١٢) قيمة «ت» ومدى دلالتها للفروق بين متوسطي درجات المجموعتين في كل متغير من المتغيرات التي تناولتها الدراسة على حدة:

جدول رقم (٢)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في وجهة الضبط

المجموعة	الوسط الحسابي«م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٢,١٣	٣,٧٥	٠,٤٧	غير دالة
منخفضو التحصيل	١١,٧٠	٢,٩٥		

جدول رقم (٣)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في سمة القلق

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	٤٦,٩٥	٩,١٣	٠,٤٩	غير دالة
منخفضو التحصيل	٤٨,١١	٨,٣٦		

جدول رقم (٤)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في دافعية الإنجاز

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٤,١٣	٣,١٨	٥,٠٦	دالة على مستوى٠١,
منخفضو التحصيل	٩,٨٣	٣,٠٧		

جدول رقم (٥)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في الانبساط

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	٩,٩١	٢,١١	٤,٤٧	دالة على مستوى ٠١,
منخفضو التحصيل	١٣,٦١	٣,٧٥		

جدول رقم (٦)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في مفهوم الذات

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	٢١,١٣	٤,١٥	٢,٨٩	دالة على مستوى ٠١,
منخفضو التحصيل	١٨,٠٥	٣,٦٦		

جدول رقم (٧)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في الاستقلالية

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٧,٥٨	٥,١٧	٣,٥٩	دالة على مستوى ٠١,
منخفضو التحصيل	١٢,٦٣	٤,٩٧		

جدول رقم (٨)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطرب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في النظام

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٦,١١	٤,١٣	٤,٩٠	دالة على مستوى٠١,٠
منخفضوا التحصيل	١٠,٩١	٣,٦٥		

جدول رقم (٩)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في قوة التحمل

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٥,٢٤	٣,٩٥	٣,٢١	دالة على مستوى٠١,٠
منخفضو التحصيل	١١,٧٢	٤,١٢		

جدول رقم (١٠)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في حسب التغيير

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	«قيمة» «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٣,٢٥	٣,٧٢	٠,٢٩	غير دالة
منخفضو التحصيل	١٢,٩٤	٤,٠٣		

جدول رقم (١١)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت»
ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب
مرتفعي ومنخفضي التحصيل في السيطرة

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٦,٧٥	٤,١١	٥,٤٢	دالة على مستوى١ ٠,٠
منخفضو التحصيل	١١,٠٩	٣,٥٥		

جدول رقم (١٢)

يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة «ت» ومدى دلالتها للفرق بين متوسطي درجات مجموعتي الطلاب مرتفعي ومنخفضي التحصيل في لوم الذات

المجموعة	الوسط الحسابي «م»	الانحراف المعياري «ع»	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
مرتفعو التحصيل	١٤,١١	٣,٥٧	٠,٥٠	غير دالة
منخفضو التحجيل	١٣,٥٩	٤,١٣		

ويوضح الجدول رقم (١٣) تلخيصاً لأهم النتائج السابق عرضها بخصوص قيم «ت» ومدى دلالاتها للفروق بين مجموعتي عينة الدراسة من حيث سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي السالف ذكرها:

جدول رقم (١٣)

يوضح قيم «ت» ومدى دلالاتها للفروق بين مجموعتي الطلاب (المرتفعين والمنخفضين في التحصيل الدراسي) من حيث سمات الشخصية وأنماط التفضيل الشخصي

م	نمط التفضيل الشخصي/ السمة	قيمة «ت»	مستوى الدلالة
١	وجهة الضبط	٠,٤٧	غير دالة
٢	سمة القلق	٠,٤٩	غير دالة
٣	دافعية الإنجاز	٥,٠٦	٠,٠١
٤	الانبساط (مقابل الانطواء)	٤,٤٧	٠,٠١
٥	مفهوم الذات الأكاديمية	٢,٨٩	٠,٠١
٦	الاستقلالية	٣,٥٩	٠,٠١
٧	النظام	٤,٩٠	٠,٠١
٨	قوة التحمل	٣,٢١	٠,٠١
٩	التجديد (حب التغيير)	٠,٢٩	غير دالة
١٠	السيطرة	٥,٤٢	٠,٠١
١١	لوم الذات	٠,٥٠	غير دالة

مناقشة النتائج وتفسيرها

يتضح من النتائج السالف عرضها في الجداول أرقام (٢)، (٣)، (١٠)، (١٢) أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً من حيث كل من المتغيرات التالية: وجهة الضبط ـ سمة القلق ـ التجديد (أو حب التغيير) ـ لوم الذات، وذلك بين مجموعة الطلاب الذين حققوا مستوى تحصيليا عاليا وبين نظرائهم ممن حققوا مستوى تحصيلياً منخفضاً حينما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر، وعلى ذلك يمكن القول بأنه:

* لا يختلف الطلاب من أصحاب الوجهة الخارجية للضبط عن نظرائهم من أصحاب

الوجهة الداخلية للضبط من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا مادرسوا بطريقة كيلر.

* لا يختلف الطلاب الذين يتسمون بدرجة قلق عال عن نظرائهم ممن يتسمون بدرجة قلق منخفض من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا بطريقة كيلر.

* لا يختلف الطلاب الذين يحصلون على درجة عالية في متغير التجديد (حب التغيير) عن نظرائهم ممن يحصلون على درجة منخفضة من هذا المتغير من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا بطريقة كيلر.

* لا يختلف الطلاب الذين يحققون درجة عالية في متغير لوم الذات عن نظرائهم ممن يحققون درجة منخفضة فيه من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا بطريقة كيلر.

وبناء على ما سبق يمكن رفض الفرضيات البديلة أرقام (١)، (٢)، (٨)، (١٠) السابق عرضها ضمن فروض الدراسة والمتعلقة بهذه المتغيرات الأربعة المذكورة.

وتتفق هذه النتيجة ـ فيما يتعلق بمتغير وجهة الضبط ـ مع ما توصل إليه «مورجان» في دراسته عام ١٩٧٦ (morgan, 1976)[٤٧] بشأن هذا المتغير حيث لم تكن هناك فروق جوهرية من حيث وجهة الضبط بين ذوي التحصيل العالي وذوي التحصيل المنخفض، وتختلف هذه النتيجة ـ فيما يتعلق بمتغير التجديد (أو حب التغيير) ـ عما توصل إليه كيركباتريك في دراسته عام ١٩٧٤ (Kirkpatrick, 1974)[٤٨] بشأن هذا المتغير حيث وجد من دراسته أن هناك فروقاً دالة إحصائياً من حيث التجديد (أو حب التغيير) بين ذوي التحصيل العالي وذوي التحصيل المنخفض.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن هذه السمات الأربع المذكورة «وجهة الضبط ـ سمة القلق ـ التجديد (حب التغيير) ـ لوم الذات» ليست لازمة من لوازم النجاح في تفريد التعلم القائم على استراتيجية كيلر في التدريس بحيث يصبح التعلم فعالاً بهذه الطريقة مع من تتوافر فيهم هذه السمات سواء بدرجات عالية أو بدرجات ضعيفة.

ويتضح من الجداول أرقام (٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨)، (٩)، (١١) أنه توجد فروق دالة إحصائياً من حيث كل المتغيرات التالية: (دافعية الإنجاز ـ الانبساط ـ مفهوم الذات الأكاديمية ـ الاستقلالية ـ النظام ـ قوة التحمل ـ السيطرة) بين الطلاب الذين حققوا مستوى تحصيلياً عالياً وبين نظرائهم ممن حققوا مستوى تحصيلياً منخفضاً حينما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر. وعلى ذلك يمكن القول بأنه:

* يتفوق الطلاب ذوو دافعية الإنجاز العالية على نظرائهم من ذوي دافعية الإنجاز المنخفضة من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب الانطوائيون على نظرائهم من الانبساطيين من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب ذوو مفهوم الذات الأكاديمية العالية على نظرائهم من ذوي مفهوم الذات الأكاديمية المنخفضة من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب الاستقلاليون على نظرائهم من الاتكاليين (أو الاعتماديين) من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب الذين يحصلون على درجات عالية في متغير «النظام» على نظرائهم ممن يحصلون على درجات منخفضة في هذا المتغير من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب ذوو قوة التحمل العالية على نظرائهم من ذوي قوة التحمل المنخفضة من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

* يتفوق الطلاب الذين يحصلون على درجات عالية في متغير «السيطرة» على نظرائهم ممن يحصلون على درجات منخفضة في هذا المتغير من حيث مستوى التحصيل الدراسي إذا ما درسوا المقرر الدراسي بطريقة كيلر.

وبناء على ما سبق يمكن قبول الفرضيات البديلة أرقام (٣)، (٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٩)، (١١) السابق عرضها ضمن فروض الدراسة والمتعلقة بهذه المتغيرات السبعة المذكورة.

وتتفق النتيجة السابقة ـ فيما يتعلق بكل من الانبساطية، وقوة التحمل ـ مع ما توصل إليه كيركباتريك في دراسته عام ١٩٧٤ (Kirkpatrick, 1974)[٤٩] بشأن هذين المتغيرين. كما تتفق ـ فيما يتعلق بقوة التحمل ـ مع ما توصل إليه كل من مزنارتش عام ١٩٧٨، وهيث عام ١٩٧٨، وماكاي عام ١٩٨٤: (Mckay, 1984)[٥٠]، (Heath, 1978)[٥١]، (Meznarich, 1978)[٥٢].

ولكنها تختلف عما توصل إليه مورجان عام ١٩٧٦ (Morgan, 1976)[٥٣] بشأن متغير الاستقلالية حيث وجد أنه لا يختلف الاستقلاليون عن الاعتماديين من حيث التحصيل الدراسي.

أما فيما يتعلق بتفسير النتائج التي تتعلق بهذه المتغيرات السبعة التي وجدت فروق دالة إحصائياً فيها بين الطلاب ذوي التحصيل العالي والطلاب ذوي التحصيل المنخفض

فنورد شرحاً موجزاً لها فيما يلي:

(١) **دافعية الإنجاز:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس العلاقة التي وجدت بين دافعية الإنجاز ومستوى التحصيل الدراسي بعامة بصرف النظر عن الطريقة التدريسية المتبعة حيث إنه كلما كان لدى المتعلم دافعية إنجاز عالية حقق مستوى دراسياً عالياً وبالعكس.

(٢) **الانبساط:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس أن طرق التعلم الفردي تجعل المتعلم يعمل منفرداً عن غيره من المتعلمين مما يجعلها تناسب الانطوائيين أكثر مما تناسب الانبساطيين الذين يحبون الجماعة والعلاقات الاجتماعية التي تتوافر في طرق التعلم الجمعي أكثر مما تتوافر في طرق التعلم الفردي.

(٣) **مفهوم الذات الأكاديمية:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس أن الأفراد الذين يكون مفهومهم لذواتهم عالياً يكونون أكثر ثقة في أنفسهم عن نظرائهم ممن يفقدون هذه الثقة في أنفسهم، وهذا له دوره المؤثر على مستوى التحصيل الدراسي بصرف النظر عن الطريقة التدريسية التي يتبعها المعلم، وقد ترجع النتيجة التي تم التوصل إليها إلى احتياج طريقة كيلر أكثر من غيرها من الطرق وخصوصاً الطريقة التقليدية (المحاضرة) إلى ثقة عالية من الفرد في نفسه نظراً لأنها تلقي بمسئولية التعلم وعبء التخطيط له وتنظيمه كاملاً على المتعلم نفسه الذي إذا لم يكن مفهومه عن ذاته عالياً فقد يفشل في تولي مثل هذه المسئولية.

(٤) **الاستقلالية:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس أن طبيعة طريقة كيلر تقتضي إلقاء مسئولية التعلم وتخطيطه على المتعلم نفسه الذي يسير في تعلمه مستقلاً عن الآخرين بسرعته الذاتية الخاصة مما يجعل الشخص الذي يتمتع باستقلالية عالية ينجح في الاستفادة منها بشكل أكبر، ويصبح التعلم أكثر فاعلية مما هو الأمر بالنسبة للمتعلم الذي يتسم باتكالية أو اعتمادية عالية.

(٥) **النظام:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس أن طبيعة هذه الطريقة تقتضي أن ينظم الفرد أوقات الدراسة، وتوقيتات التعلم التي تترك له لينظمها هو بنفسه لنفسه، ويسير في تعلمه بسرعته الخاصة، وهو الذي يقرر متى

أتقن المحتوى والتقدم لاختبار الإتقان، ويتطلب ذلك شخصاً متعوّدا على النظام ليصبح التعلم أكثر فاعلية عما لو كان الشخص فوضوياً لا يتمكن من تنظيم وقته وأوقات تعلمه.

(٦) **قوة التحمل:** يمكن تفسير النتيجة السابقة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير في ضوء طبيعة الطريقة نفسها، التي أقر غالبية المتعلمين عن طريقها في كثير من البحوث والدراسات السابقة بأنها طريقة تحتاج إلى مشقة وجهد أكبر لأنها تلقي بمسئولية التعلم كاملة على المتعلم نفسه مما يجعله يحس بالمسئولية عن تعلمه وتحتاج إلى قوة تحمل أكثر مما تحتاج الطرق الأخرى للتعلم، وخصوصاً الطريقة التقليدية (المحاضرة) التي يكون دور المتعلم فيها سلبياً يقتصر على الاستقبال.

(٧) **السيطرة:** يمكن تفسير النتيجة التي تم التوصل إليها بشأن هذا المتغير على أساس ما تقتضيه الطريقة من درجة عالية من السيطرة تمكن المتعلم من العوامل والظروف المحيطة بموقف التعلم بحيث يتحكم فيها ليصبح التعلم أكثر فاعلية.

خلاصة وتوصيات البحث

يتضح من النتائج السالف التوصل إليها خلال الدراسة الحالية أنه بينما تعتبر بعض سمات الشخصية لازمة لنجاح المتعلمين إذا ما درسوا بطريقة كيلر، فإن بعضها الآخر قد لا يعتبر كذلك، حيث إن الطريقة التدريسية قد تكون ذات فاعلية مع المتعلمين من أنماط شخصية متنوعة بصرف النظر عن تباين سمات شخصياتهم، ومن نتائج هذه الدراسة اتضح أن المعلمين ذوي دافعية الإنجاز العالية يتفوقون على نظرائهم من ذوي دافعية الإنجاز المنخفضة في التحصيل الدراسي إذا ما درسوا بطريقة كيلر، كما يتفوق الانطوائيون على نظرائهم من الانبساطيين، ويتموق ذوو مفهوم الذات الأكاديمية العالية عن نظرائهم ذوي مفهوم الذات الأكاديمية المنخفضة كذلك، كما تبين أيضاً أن المتعلمين الاستقلاليين يتفوقون على نظرائهم الاتكاليين أو الاعتماديين، ويتفوق الذين يحصلون على درجات عالية في «النظام» على نظرائهم ممن يحصلون على درجات منخفضة في هذا المتغير، ويتفوق كذلك ذوو قوة التحمل العالية على نظرائهم من ذوي قوة التحمل المنخفضة، كما يتفوق الذين يحصلون على درجات عالية في «السيطرة» على نظرائهم ممن يحصلون على درجات منخفضة فيها، ويعني ذلك أن لبعض سمات شخصية المتعلم أهمية في تحديد مدى نجاحه وازدياد أو انخفاض مستوى تحصيله إذا ما قام بالتعلم بصورة ذاتية باتباع إحدى طرق التعلم التي تقوم على التفريد، وإذا كان مدخل تفريد التعليم من شأنه التقريب بين الفروق الفردية التي قد توجد بين المتعلمين مما يجعلهم ذوي مستويات تحصيل متقاربة في النهاية مهما اختلفت سمات وأنماط شخصياتهم، إلا أنه يكون من المهم تحقيق

الاتساق بين خصائص المتعلمين وأنماط شخصياتهم وبين الأنماط المعرفية التي قد يتبعونها، لأنه بدون تحقيق مثل هذا الاتساق قد يصبح نمط التعلم غير فعال ومن ثم يصبح غير ذي معنى بالنسبة للمتعلم.

وفي ضوء ما سبق يمكن التوصية بما يلي:

(١) تشجيع المعلمين على قبول فكرة تفريد التعلم وتهيئة بيئة التعلم المناسبة لتنفيذ هذه الفكرة باتباع أي استراتيجية ملائمة.

(٢) العمل على تهيئة بيئة تعلم مناسبة لظروف كل متعلم واهتماماته ومشكلاته وحاجاته مما يكون من شأنه تقريب الفروق الفردية بين المتعلمين.

(٣) تشجيع المعلمين على تجريب أساليب وطرق تدريسية غير تقليدية في مجال التعليم والتعلم تختلف عما تعودوا عليه لمدة طويلة من قبل، مع إجراء بعض التغييرات في نظام اليوم المدرسي بصورة تسمح بإجراء مثل هذا التجريب.

(٤) التركيز على دراسة أنماط شخصية المتعلمين بحيث يختار نمط التعلم الملائم لنمط شخصية المتعلم لضمان تحقيق فاعلية التعلم وتحقيق أهداف التعليم.

ونظراً لأن نتائج الدراسة الحالية تعتبر محدودة بحدود هذه الدراسة التي اقتصرت على التدريس لعينة صغيرة من الطلاب الجامعيين الذكور فقط دون الإناث، لذلك يوصي بإجراء المزيد من البحوث والدراسات الأكثر عمقاً في هذا المجال، ومن ذلك يمكن اقتراح ما يلي كدراسات مستقبلية:

(١) إعادة نفس الدراسة على عينة من الطالبات الجامعيات الجدد للتعرف على ما قد يوجد من فروق بين الطلاب والطالبات بشأن سمات الشخصية اللازمة لنجاح التعلم باستخدام طريقة كيلر.

(٢) مقارنة بين الطريقة التقليدية وطريقة كيلر في تدريس بعض المقررات الدراسية (الجامعية وفي المرحلة الثانوية) كالرياضيات واللغات (العربية والانجليزية) وغيرها من المقررات الدراسية.

(٣) التعرف على أثر اتباع طريقة كيلر في التعلم على إحداث بعض التغيرات في اتجاهات المتعلمين نحو المادة الدراسية التي يتقرر تدريسها لهم باتباع هذه الطريقة.

(٤) دراسة المستلزمات الضرورية لتهيئة بيئة تعلم مناسبة لتنفيذ طريقة كيلر في التدريس بمدارسنا وجامعاتنا العربية، وما قد يستتبع ذلك من إجراء تعديلات على نظام اليوم المدرسي التقليدي المتبع حالياً.

(٥) دراسة أثر اتباع طريقة كيلر في التدريس على بعض المتغيرات المعرفية الأخرى بخلاف التحصيل الدراسي، كالاحتفاظ بالتعلم، وتنمية أساليب التفكير الصحيح، وحل المشكلات وغيرها.

الهوامش والمراجع

(١) شكري سيد أحمد: **تفريد التعليم: مبادئه، وأهميته، واستراتيجيات تنفيذه**، القاهرة: المكتب الجامعي للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ص ١٦.

(٢) تفريد التعليم، ص ١٦.

(٣) انظر:

- Skinner, B.F.
  The Technology of Teaching, New York: Appleton-Century-Crofts, (1954).

(٤) انظر:

- Keller, F.S. & Sherman, J.G.
  Keller Plan Handbook, W.A. Benjamin, Inc., Menlo Park, California, (1974).

(٥) انظر:

- Mintzes, J.J. (1975)
  The A-T Approach 14 Years Later: A Review of Recent Research.Journal of College Science Teaching. 4, PP. 247-252.

(٦) انظر:

- Kulik, J.A., Kulik, C.L. & Carmichacl, K. (1974).
  The Keller plan in Science Teaching, Science, 83, PP. 379-383.

(٧) هذه الدراسة مأخوذة من:

- Hess, J.H. & Lehman, G.R. (1976)
  PSI and the Generic Method of Programmed Instruction, PLET, Vol. 13(1); February, P.P. 13-22.

(٨) انظر:

- Fernald, P.S. & et.al. (1975)
  Effects of Individualized Instruction Upon Low-and High-Achieving Students Study Behavior, and Students'Evaluation of Mastery Journal of Experimental Education, 43. PP. 27-34.

(٩) للمزيد من التفاصيل بشأن خصائص الأساليب والطرق المختلفة للتفريد والفروق بينها يمكن الرجوع إلى دراسة: شكري سيد أحمد: «طرائق وأساليب تفريد التعلم كمدخل لحل المشكلات التدريسية في الجامعات العربية»، **المجلة العربية لبحوث التعليم العالي أشيراء**، سوريا: ديسمبر عام ١٩٨٨، ص ٤٥- ٧٠.

(١٠) انظر:

- Keller, F.S.
  Goodbye, Teacher..., Journal of Applied Behavior Analysis, (1968) PP. 78-89.

- Good bye, PP. 80-82. (١١)

(١٢) انظر:

- Kula, Judith Ann (1974)
  An Analysis of Selected Personal Traits As Predictors of Success in Self-Instruction In Art At The College Level. Ed. D. Dissertation (Indiana University, 1973), DAI: P. 4702 A.

(١٣) انظر:

- Kirkpatrick, David Andrew: (1975)
  The Relationship of Personality Structure and Methods of Instruction to Academic Achievement. Ph.D. Dissertation (Purdue University, 1974), DAI: P.3483 A.

(١٤) انظر:

- Franklin, Thomas Edwin (1976)
  The Prediction of Achievement and Time Spent in Instruction in a Self-paced Individualized Course. Ph.D. Disseratation, (West Virginia University, 1975), DAI: 1976, P. 4347 A.

(١٥) انظر:

- Morgan, Danial Paul (1977)
  Relationships Between Learner Characteristics and Instructional Methods in a Special Education Mini-Course on Individualized Instruction. Ph.D. Dissertation (The Florida University, 1976), P. 4287 A.

(١٦) انظر:

- Ellis, Dwight W. (1977)
  The Relationships Between Personality, Attitude, Achievement, and Performance of College Students Undertaking Individualized Studies. Ed. D. Dissertation (University of Maine, 1976), P. 6429 A.

(١٧) انظر:

- Stout, Larry Jack (1978)
  A Comparison of Four Different Pacing Strategies of Personalized System of Instruction and a Traditional Lecture Format. Ph.D. Dissertation, 1977, DAI: 6205-6206 A.

(١٨) انظر:

- Meznarich, Richard Anthony (1978)
  The Personalized System of Instruction with and without Repeated Testing-to-Mastery, Ph.D. Dissertation (Texas A & M University, 1978).

(١٩) انظر:

- Heath, Stanley P. (1978)
  An Investigation of Cost Factors in Producing Individualized Learning Modules Suitable for Specified Learning, Attitudes, and Personalities, Ed. D. (Washington State University).

(٢٠) انظر:

- Colvin, Joe C., Jr. (1984)
  Student Cognitive and Affective Entry Characteristics as Related to Student Achievement in an Individualized Social Studies Unit of Instruction, Ed. D. Dissertation (University of Houston, 1983), P. 67 A.

(٢١) انظر:

- Mckay, David Angus (1985)
  Students Characteristics Affecting Academic Performance in College-Level Independent Study. Ph.D. Dissertation, (The University of Texas at Austin, 1984), DAI: P. 862 A.

(٢٢) انظر:

- Gray, Pamela Lynn (1984)
  A Comparative Study of Two Formats of the Basic Course in Speech Communication: PSI-Based and Lecture-Recitation. Doctoral Dissertation, The Pennsylvania State University.

(٢٣) انظر:

- Surapon, Vatanavigkit (1984)
  A Personalized System of Instruction in Mathematics Course for Thai College Students, (Doctoral Dissertation, Syracuse University).

(٢٤) انظر:

- Churchill, R. and S. Baskin,
  Experiments on Independent Study. Yellow Springs, Ohio: Antioch College,(1958).

(٢٥) انظر:

- Gruber, H.E. and M. Weitman (1962)
  Self-Directed Study: Experiments in Higher Education. Boulder, Colo.: University of Colorado, Behavior Research Laboratory Report No. 19.

(٢٦) انظر:

- Dubin, R., & Taveggia, T.C.,
  the Teaching-Learning Paradox. Eugene, Ore: University of Oregon Press, (1968).

(٢٧) شكري سيد أحمد: «دراسة عاملية للعوامل المسهمة في تكوين قلق التحصيل في الرياضيات» **مجلة رسالة الخليج العربي**، العدد (٣٠) السنة التاسعة، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٩٧٩، ص ٢٩-٦١.

(٢٨) جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفافي: **وجهة الضبط وبعض المتغيرات النفسية المرتبطة به**، المجلد (٢١)، ص ٣٦١ - ٤٣٨، الدوحة دولة قطر: مركز البحوث التربوية بجامعة قطر، ١٩٨٧ .

(٢٩) صفاء الأعسر وآخرون: **دراسة استطلاعية للعلاقة بين دافعية الإنجاز وبعض المتغيرات العقلية والشخصية والاجتماعية في المجتمع القطري**، المجلد الثاني من مجلدات المركز، الدوحة، دولة قطر: مركز البحوث التربوية بجامعة قطر، ١٩٨٣ .

(٣٠) شكري سيد أحمد: «قلق التحصيل في الرياضيات وعلاقته ببعض السمات النفسية والشخصية المعرفية

لدى عينة من الطلاب الخليجيين الجامعيين الجدد»، دراسة تم نشرها في **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، العدد (٣٢)، المجلد الثامن، خريف ١٩٨٨م، ص ١٣٦- ١٧٧.

(٣١) انظر:

- Vilder, C. (1977)
  Achievement Motivation. In: S. Ball (Ed.): Motivation In Education, New York Academic Press.

(٣٢) علاء الدين كفافي: **مقياس وجهة الضبط**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.

(٣٣) جابر عبد الحميد جابر، ومحمد خفر الإسلام: **قائمة أيزنك للشخصية E.P.I.: كراسة التعليمات**، القاهرة: دار النهضة العربية، (ب.ت).

(٣٤) وجهة الضبط وبعض المتغيرات النفسية المرتبطة به، ص ٣٨٠- ٣٩١.

(٣٥) جابر عبد الحميد جابر: **كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٣.

(٣٦) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٣.

(٣٧) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٣.

(٣٨) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٤.

(٣٩) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٥.

(٤٠) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٥.

(٤١) وجهة الضبط وبعض المتغيرات النفسية المرتبطة به، ص ٦.

(٤٢) أمينة كاظم: **قائمة حالة ـ سمة القلق**، الكويت: دار القلم، ١٩٨٥.

(٤٣) مقياس وجهة الضبط، ص ٧.

(٤٤) قائمة أيزنك للشخصية، ص ٦.

(٤٥) مقياس وجهة الضبط، ص ٥- ٩.

(٤٦) كراسة تعليمات مقياس التفضيل الشخصي، ص ٩.

(٤٧) - Morgan, Op.Cit., P. 4237.

(٤٨) - Kirkpatrick, Op.Cit., P. 3483.

(٤٩) - Kirkpatrick, Op.Cit., P. 3483.

(٥٠) - Mckay, Op.Cit., P. 862.

(٥١) - Heath, Op.Cit,. PP. 76-81.

(٥٢) - Meznarich, Op.Cit., PP. 109-111.

(٥٣) - Morgan, Op.Cit., P. 4287.

* * *

مشكلة التصنيف في دراسة الأدب

شكري محمد عياد*

* حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ .
أستاذ سابق في جامعتي القاهرة والرياض.

الملخص

لا يمكن أن تحصل دراسة الأدب على مكانة علمية إن لم تحل مشكلة التصنيف. والبحث الحالي يرمي إلى مناقشة قواعد التصنيفات المختلفة التي وجدت في تراث ثلاث ثقافات: الثقافة العربية القديمة واليونانية القديمة والغربية الحديثة. وقد اعتمدت هذه المناقشة معيارين: المعيار الأول هو التزام المنهج الوصفي. فعلم الأدب (أو تاريخ الأدب في اصطلاح آخر) لا شأن له بالتقويم أو التفسير، اللذين يخصان علماً آخر وهو النقد الأدبي. واستخدام كلا العلمين لنتائج العلم الآخر لا يبرر الخلط بين منهجيهما. والمعيار الثاني هو تعدد عوامل التصنيف. فالملاحظ هو أن قاعدة التصنيف في كل واحدة من الثقافات الثلاث تقوم على اعتبار واحد، إذ تختار ـ بطريقة تحكمية ـ عاملاً واحداً تفرده بالتأثير في ظهور الأنواع الأدبية وتطورها، بحيث لا يتدخل الاعتبار الواقعي (أو العملي) في التصنيف إلا بصورة عرضية.

والبحث الحاضر يقدم خطة للتصنيف تجعل الاختلافات الراجعة إلى الزمان أو المكان أو الفلسفة العامة أو تغير الذوق خاضعة للعوامل الثلاثة الأساسية المعترف بها ـ موضوعياً ـ باعتبارها منتجة للأثر الأدبي، وهي المنتج والمستقبل والمادة أو الموضوع، وهي عوامل تدفعها إلى الحركة آليات ثلاث: موقف المنتج واستعداد المستقبل ووسيلة الاتصال بينهما. وقد ألمح البحث إلى الأقسام الأساسية في كل واحد من هذه العوامل والآليات. أما ناتج هذه الظاهرة، بما هو ناتج اجتماعي، فيتألف (مرة أخرى) من ثلاثة جوانب متصلة، وهي: النمط، والأسلوب، والرؤيا.

ويأمل البحث الحاضر أن يضع تاريخ الأدب على بداية طريق جديد، بأن يقدم إلى الباحثين أداة نافعة لتعيين الأنواع الأدبية وشرحها، مع الاعتراف بما لأصالة الحكم ودقة الملاحظة من قيمة في الدراسات الأدبية.

مقدمة

عندما يسأل الطفل: ما هذا ؟ فهو على أول طريق العلم. فإذا قلت له: كتاب أو مجلة، أو ساعة، أو تفاحة، أو بطة، فقط صنفت له أجزاء الوجود. ويمكنه أن يتقدم بعد ذلك إلى معرفة الوظائف، ثم إلى إدراك العلاقات. وبعد ذلك يمكنه أن ينتقل إلى إدراك ما نسميه (الحقائق) وهي المعاني الكلية المجردة، كمعني الزمن، ومعني الحياة.

وكل علم عرفه البشر بدأ بالتصنيف. فأول ما بدأ النحو بتصنيف الحركات، ثم تصنيف أقسام الكلام، وبعد ذلك جاء البحث في العلل. وعلم الفيزياء بدأ بتصنيف المادة، قبل أن يبحث في خصائصها والظواهر التي تطرأ عليها والتغيرات التي تحدث فيها. والكيمياء بدأت بتصنيف العناصر التي تتشكل منها المادة، قبل أن تختبر تأثير بعضها في بعض. وعلم الأحياء بدأ بتصنيف الكائنات الحية قبل أن يبحث في خصائص كل منها وأنماط سلوكه وظروف حياته. وليس المقصود بالبداية هنا كونها زمنية بالضرورة. فالتصنيف لا يمكن أن يظهر إلا إذا كان مصحوباً بدرجة ما من ملاحظة الفروق، ولكنه لا يكاد يوضع حتى يصبح إطاراً مرجعياً لكل بحث جديد في الصفات. ويلاحظ هنا أمران:

١ ـ أن كل ثورة في تاريخ العلم تشتمل بالضرورة علي إحلال تصنيف جديد محل القديم، فتصنيف المادة إلى أنواع من الجسيمات ـ بدلاً من التصنيف الإجمالي والعملي إلى مواد صلبة وسائلة وغازية ـ كان ضرورياً لكي تكتشف قوانين الغازات وقوانين الحركة. وتصنيف المادة إلى ذرات وضع معياراً دقيقاً لمعرفة العناصر ومن ثم دراسة خصائصها الكيميائية.

٢ ـ أن التصنيف الجديد لا يلغي التصنيف القديم ولكن يجعله أكثر دقة وتحديداً وأكثر بساطة في الوقت نفسه. فأساس التصنيف ـ كما سبقت الإشارة ـ هو ملاحظة الفروق (أي اختلاف الصفات). وفي مرحلة بدائية من تطور العلم تكون الملاحظة محصورة في أشد الصفات ظهوراً، ويكون مثل هذا التصنيف كافياً للأغراض العملية. ولكن تنوع طرق التعامل مع المادة يؤدي إلى ملاحظة فروق ومشابهات لم تكن ملحوظة في المرحلة السابقة، فيوضع تصنيف جديد يعتمد على وحدات أصغر. وكما تكون هذه الوحدات أكثر دقة في التمييز بين الأصناف المختلفة، وجمع الأصناف التي يظن للوهلة الأولى أنها متباينة، فإن هذه الوحدات تهيىء في الوقت نفسه أساساً أكثر شمولاً لتصنيف الوقائع، واكتشاف العلاقات بينها، بل والتنبؤ بوقائع جديدة لم تكشف عنها التجربة بعد ـ على نحو ما أثبت جدول مندليف للعناصر.

ولكن علماء الطبيعة قلَّما يتحدثون عن تصنيف الموجودات، وإن كنا نجدهم

يتحدثون عن تصنيف الظواهر، وذلك لأن أساس علومهم هو البحث في التغيرات والحوادث، لا في الذوات والحالات. والفرق في نظرنا لا يترتب عليه اختلاف جوهري في المنهج، فالذوات والصفات والتغيرات والحوادث يجمعها اسم «الوقائع»، أي موضوعات المعرفة الخارجية، وليس ثمة حد فاصل بين الذوات والصفات من ناحية والتغيرات والحوادث من ناحية أخرى. وإنما الاختلاف في المنظور، فالمنظور الثابت يرينا الوقائع ثابتة، والعكس بالعكس. وملاحظة التغير تنتج عن اعتبار الزمن، فإذا أسقط اعتبار الزمن فإن الوقائع تبدو في حالة ثبات. ويظهر الفرق عندما نقارن العلوم الطبيعية بعلم الأحياء (أو التاريخ الطبيعي) فالوقائع في علم الأحياء وهي الكائنات الحية لا تتغير في الزمن مهما كانت العوامل التي تطرأ عليها، والمقصود بالكائنات الحية وكونها لا تتغير، إنما هو الأجناس لا الأفراد، فعلم الأحياء لا اشتغال له بالأفراد، وحتى علم نفس الحيوان لا يبحث في الفروق الفردية بين حيوانين من جنس واحد. وإذن فدورة الميلاد والطفولة والشباب والاكتهال والشيخوخة والموت لا تدخل تحت ما نسميه التغيرات أو الحوادث، لأنه تصيب الأفراد ولا تصيب الجنس، أما التغيرات التي تدخل في ميدان علم الأحياء فلا تعدو فناء جنس أو ظهور جنس لم يكن موجوداً. وحتى نظرية التطور لا تتضمن فكرة التغير لأن التطور الذي قال به دارون مبني على ما سماه الانتخاب الطبيعي، أي أن الجنس لا يبقي منه إلا الأفراد الذين يتمتعون بصفات تؤهلهم للبقاء في ظل تغير ظروف البيئة، وقد سقطت النظرية المخالفة التي تقول بأن ثمة إرادة تدفع الكائن الحي إلى تغيير شيء من طبيعته كي يتلاءم مع الظروف الجديدة. وإنما سقطت هذه النظرية لأنها لم تستطع أن تقدم دليلا على توارث الصفات المكتسبة. وقد تعود هذه النظرية إلى الحياة في صورة جديدة، بعد أن أثبتت الهندسة الوراثية إمكان تعديل الصفات الموروثة، ولكن علم الأحياء كما نعرفه الآن لا يزال بعيداً عن دراسة التغيرات والحوادث، ومنصباً على دراسة الذوات والصفات، أي أنه علم وصفي خالص، مجال التجريب فيه محدود، واعتماده كله على التصنيف، وقواعد التصنيف لدى علمائه هي هي كما وضعها ليناوس في القرن الثامن عشر، وإذا كان هناك من جديد فهو اكتشاف أحياء جديدة، أو اختلاف حول بعض الأحياء التي تقع على الحدود بين المملكة النباتية والمملكة الحيوانية.

* * *

أين موقع الدراسة الأدبية من هذه الدراسات؟ عندما بدأ اتصالنا بالثقافة الغربية، واطلاعنا على مناهج الدراسة الأدبية عندهم، في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، كان لدينا مفهوم للدراسة الأدبية أنها «علم» مؤلف من علوم متعددة: النحو والبلاغة والعروض والإملاء والخط، إلى جانب حفظ قطع من مأثور الشعر والنثر ومعرفة ما يتصل بها من اللغة والأخبار. ثم عرف شيء اسمه تاريخ الأدب على أيدي بعض المبتعثين

العائدين من أوربا، وكان «التأريخ» قد اتخذ في أوربا القرن التاسع سمت العلم، الذي لا يكتفي بسرد الأحداث وسير الأعلام كما كان شأنه عند الأقدمين، بل يخضع الوقائع لنظام عقلي يتتبع الأصول والفروع، ويبحث عن العلاقات، ويربط الأسباب بالنتائج. وهكذا بدأنا ندرس الأدب مقسماً على حسب العصور، وربطت العصور الأدبية بالدول المتعاقبة، وحدود تلك الدول، فأصاب مادة الأدب ـ وهي الفن القولي ـ من جراء ذلك ما أخل بتناسقها الطبيعي من الحشد مرة والتمزيق مرة، وافتعال الأسباب والمؤثرات من خارج الأدب نفسه في جميع الأحوال.

لقد أعطي (لانسون) صيغة واضحة ونهائية للمنهج التاريخي عندما قال إن تاريخ الأدب هو فرع من التاريخ العام. وإذا تأملنا كتب «تاريخ الأدب» التي لا تزال تدرس وتؤلف في الشرق والغرب وجدناها أشبه بفصول منتزعة من التاريخ العام، ومضموم بعضها إلى بعض، مع تدعيم كل فصل بمقدمة عن «الخلفية التاريخية» لا تعدو أن تكون تلخيصاً لما تتضمنه الفصول الأخرى من كتب التاريخ العام، تلك الفصول التي يخصص بعضها للحياة السياسية وبعضها للحياة الاجتماعية وبعضها الآخر للحياة الثقافية..الخ.

ومع أن القرن التاسع عشر نفسه شهد محاولتين ـ على الأقل ـ لإقامة «تاريخ الأدب» على أساس شبه مستقل ـ أعني مشروع (سنت بيف) لكتابة «تاريخ طبيعي للأرواح» ودراسات برونتيير في تطور الأنواع الأدبية . فقد كان للمنهج التاريخي الصرف الغلبة في النهاية. (لعل الخسارة بذلك لم تكن كبيرة، «فالتاريخ الطبيعي للأرواح» يخضع للأدب وفقاً للمفهوم الرومانسي إخضاعاً تاماً لنفسيات المبدعين، إلى جانب أن تصنيف هذه النفسيات يمكن أن يكون مشكلة كبيرة. والبحث في تطور الأنواع الأدبية يقوم على مفاهيم مستجلبة من علم الأحياء، ومفروضة فرضاً على الأدب). ولكن عيوب المنهج التاريخي ظهرت لدارسي الأدب في الغرب منذ أكثر من خمسين سنة. فكانت المذاهب النقدية الحديثة على اختلافها ثورة على «تاريخ الأدب»، فأهم مبادئها هو النظر إلى العمل الأدبي بمعزل عن قائله وعن ظروفه التاريخية. وهكذا برزت لدى النقاد المحدثين مشكلتان: الطبيعة الخاصة المميزة للأدب، أو للّغة الأدبية، ثم: هل يمكن تصنيف الأعمال الأدبية طبقاً لما بينها من مشابهات وفروق؟

وقد كان حظ المشكلة الأولى من اهتمام هؤلاء النقاد أكبر كثيراً. وعلة ذلك ـ في رأينا ـ أنهم خلطوا بين أصول النقد وتاريخ الأدب، والمشكلة الثانية هي من اختصاص تاريخ الأدب، فحين تناولوها ـ بوصفهم نقاداً ـ لم يعطوها ما تستحق من اهتمام. وعندنا أن ثمة فرقاً جوهرياً بين أصول النقد (أو ما يحب المعاصرون أن يسموه نظرية الأدب) وبين تاريخ الأدب. فأصول النقد هي بحث في أسس الحكم بقيمة عمل أدبي ما، وطريقُهُ إلى

العلمية أن يعتمد على نظرية فلسفية في القيمة (أو الحكم الجمالي). أما تاريخ الأدب فعلم وصفي يتناول مجموع الآثار الأدبية، التي تقبلتها أمة ما في مختلف عصورها، أو تقبلتها الإنسانية بوجه عام، على أنها داخلة تحت وصف «الأدبية»، ومحاولة جمع شتات هذه الآثار واستكشاف ما بينها من روابط وعلاقات، بمنهج يمكن أن يكون شبيهاً بمنهج التاريخ الطبيعي (ومن هنا لا نرى بأساً من الاحتفاظ بتسمية هذا العلم «تاريخ الأدب» وإن كنا نضع بجانبها التسمية الأخرى وهي «علم الأدب»).

ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن مستقبل هذا العلم يمكن أن يكون أفضل من مستقبل «التاريخ الطبيعي» نفسه. فأساس العلمين واحد وهو التصنيف. وسيظل كلاهما مرتبطاً بالتصنيف مهما يظهر من أنواع جديدة، ومهما يجدّ من تعديلات في ترتيب الأنواع. ولكن قاعدة التصنيف (وهي التي تقابل ما سميناه «الوحدات» في العلوم الطبيعية) مختلفة في كل منهما. فالتاريخ الطبيعي لا يعتمد قاعدة واحدة في التصنيف، فهي مرة طريقة التكاثر، ومرة طريقة التغذي، ومرة التركيب التشريحي، إلخ. أما «تاريخ الأدب» فيمكن أن يقوم على أساس تصنيفي واحد، مهما تختلف الأنواع والأفراد. والسر في ذلك أن طبيعة الأدب، أوصفته الجوهرية، يمكن أن يتفق عليها، في حين أن الصفة الجوهرية للحياة مجهولة، وإنما تعرف الحياة بمظاهرها، أو بسلوك الأحياء.

وثمة أمران يجب أن نبقي على ذكر من كل منهما قبل أن نشرع في هذا البحث:

الأول: أن تصنيف الأعمال الأدبية إلى أنواع لا يعني إسقاط عاملي الزمان والمكان من الحساب. ولكنهما يُستبقيان بوصفهما مؤثرين في تشكيل الأنواع الأدبية. أما الذي يجب إسقاطه حقاً فهو دراسة العبقريات الخاصة، أو ما يسميه لانسون «الروائع»[1]، وهي عنده مادة تاريخ الأدب. فدراسة «الروائع»، القديمة أو المعاصرة، يجب أن تبقى في دائرة النقد الأدبي الذي يعنى بأحكام القيمة. أما «تاريخ الأدب» أو «علم الأدب» فلا يمكن أن يخلص للوصفية إذا استمد صفات «النوع» من أعمال تعد نموذجية، وقد تكون صفاتها الفردية مباينة للصفات المشتركة في النوع.

الأمر **الثاني** أننا لا نحاول شيئاً جديداً حين نحاول أن نقيم تاريخ الأدب، أو علم الأدب، على أساس تصنيف الأعمال الأدبية، فالتصنيف، كما أوضحنا في صدر هذه المقدمة، هو المرحلة الأولى في تكوين العلم، وقد يظل القسم الأكبر منه. (وأحسبنا لا نحتاج اليوم إلى مناقشة تلك الفكرة التي لا تزال عزيزة على البعض منا، فكرة أن دراسة الأدب هي نفسها أدب، ولا يمكن أن تكون علماً. فهي فكرة متلكئة من بقايا اختلاط مناهج الدراسة الأدبية عندنا ـ كدخول طعام على طعام ـ والقائلون بها هم الذين لا يزالون حائرين بين دعوة الفن ودعوة العلم، أو ضائعين لا يملكون القدرة على أيهما). وتصنيف

الأعمال الأدبية هو ـ في الواقع ـ أول ما اهتم به الدارسون العلميون للأدب، وقد تركوا فيه تراثاً ضخماً، ولكن طغيان المنهج التاريخي حجب العيون عن رؤية هذا التراث زمناً طويلاً.

وإذن، فليكن بحثنا هذا وصلا لما انقطع.

تصنيف الأدب عند النقاد العرب القدماء

الأدب عند النقاد العرب القدماء يعني الكلام البليغ. والكلام البليغ عندهم صفة توشك أن تكون ملازمة لكلام العرب الأقحاح، بخلاف السوقة والمولدين. وعلى هذا جرى كتاب البيان والتبيين للجاحظ: فاشتمل على المنثور والمنظوم بلا تفرقة بينهما، والمنثور فيه الخطب والأمثال والأجوبة التي تصدر من فصحاء الأعراب على البديهة فيعجب بها السامعون. فالسر وراء هذا الجمع هو أن النقاد العرب لم يشعروا بالحاجة إلى إبراز خصائص معينة لكل من الشعر والنثر، والذين اشتغلوا بالشعر خاصة من المتقدمين، ولم ينظروا إلى النثر، وكأنه غير موجود، هم طبقة النقاد للغويين من أمثال الأصمعي وابن سلام الجمحي، إذ كانت بغيتهم الشعر دون النثر، لأن الشعر ـ بل القديم منه خاصة ـ هو مصدر اللغة الفصيحة ومعيار البلاغة العربية الأصيلة التي ستحدّدُ صورتها فيما بعد تحت اسم «عمود الشعر». ولعل أحداً من المتقدمين لم ير ضرورة لإفراد كل من الشعر والنثر ببحث خاص ومتميز سوى ابن قتيبة، الذي قدم لكتابه «الشعر والشعراء» بمقدمة تناول فيها مسائل نقدية تخص الشعر مثل قضية القدماء والمحدثين وقضية الطبع والصنعة وقضية اللفظ والمعني، كما جعل كتابَهُ «أدب الكاتب» دفاعاً عن الثقافة العربية ضد الثقافة الوافدة، ويمكننا أن نقول، بلغة عصرنا، إن الثقافة التي دافع عنها ابن قتيبة هي الثقافة الإنسانية، التي زاحمتها لدى طائفة كبيرة من الكتاب ثقافة علمية مأخوذة عن اليونان (وقد عرف العرب، في العصر الأول للترجمة بوجه خاص، ثقافة اليونان في جانبها العلمي الصرف، أو المنطقي على الأكثر، ولم يعرفوا الجانب الإنساني لهذه الثقافة، كما يظهر في محاورات أفلاطون مثلاً). من هنا يبدو أن النقاد العرب في أواسط القرن الثالث ميزوا بين الشعر من حيث هو فيض وجداني وبين النثر من حيث هو عمل عقلي (ولكن دون أن ينصوا بصراحة على هذا التمييز) وشعر بالفرق ذاته ذلك الوراق الذي خلع على كتاب «البرهان» لابن وهب الكاتب اسم «نقد النثر» ونسبه لقدامة بن جعفر صاحب «نقد الشعر»، مع أن الثقافة الفلسفية ظاهرة في كليهما، إلا أن الغالب على كتاب «نقد الشعر» هو الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا فيدخل تحتها النظر في الشعر من حيث هو كلام يراد به الإمتاع، والغالب على ما سمي «نقد النثر» هو الثقافة المنطقية والفقهية، وهي ثقافة عقلية محضة. على أن ابن وهب بعد أن يقدم في صدر كتابه فصولاً عن أنواع البيان (أو طرق

المعرفة كما نقول الآن) مما يؤذن باطراد القول في التمثيل والاستدلال والاحتجاج ـ على الأقل كما فعل أرسطو في القسم الأول من كتاب «الخطابة» ـ ينتقل إلى الكلام على «العبارة» من حيث هي نوع من البيان، ويميز بين نوعين من نظم العبارة وهما الشعر والنثر، ويقدم الكلام على الشعر، ويقرر أن الكلامين إذا تساويا من حيث المعنى وكان أحدهما منظوماً والآخر منثوراً فُضل المنظوم لمكان الوزن والقافية، ثم يذكر من مزايا الشعر أن الكذب لا يستحسن في كلام سواه، وينسب هذا القول إلى أرسطو. وهكذا يأخذ بيان الفروق بين الشعر والنثر صورة «المفاضلة»، وتظل هذه النغمة تتردد لدى النقاد الذين جمع معظمهم بين الشعر والكتابة، كأبي هلال العسكري وابن رشيق. أما حازم القرطاجني فكتابه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» مقصور على الشعر، لا يذكر كلمة «النثر» مطلقاً، ولا يشير إلى «الخطابة» إلا حين يذكر أنها تعتمد على الإقناع بينما يعتمد الشعر على التخييل، ولو أن الأقاويل الخطابية يمكن أن تدخل في صفة الشعر.

وهكذا لا يلبث أن تنبهم الحدود بين القسمين الأدبيين الكبيرين، فيتوارى النثر خلف الشعر، بينما يتوقف الحديث عن الطبع والصنعة في الشعر، وإذا ذكرت كلمة «الشعور» في تعريف الشعر، وقيل إن الشاعر «يأتي بما لا يشعر به غيره»[٢] ضاعت في ثنايا الحديث عن المعاني، واقتباس الشعراء معاني الحكماء، وترتيب أقسام القصيدة كما ترتب فصول الرسالة[٣].

وطبيعي بعد أن غصب الشعر من النثر ما أحب أن يضمه إليه، وتركه بلا ميزة تميزه، أن تُهْمَل بلاغتُهُ التي ظهرت في تعدد أنواعه (حسب المفهوم الدقيق لهذا الاصطلاح) أكثر مما ظهرت في صياغته اللغوية. فمن أنواعه القديمة: المثل (وقصة المثل جزء أساسي منه) ومن أنواعه الحديثة خرافات ابن المقفع، وفصول الجاحظ ومحاورات أبي حيان التوحيدي، ونوادر الحسن التنوخي، ومقامات بديع الزمان والحريري.

فهذه الأنواع كلها أهملت إهمالاً تاماً، ولم يسمح لها النقاد بدخول حلبة الأدب، لأنها كانت متميزة تميزاً أصيلاً عن الشعر.

وفي مقابل ذلك وجدنا عندهم عدة محاولات لتصنيف الشعر تقوم كلها على اختلاف المعاني أو الأغراض. ولما كان الحصر متعذراً، فقد لجئوا إلى أحد طريقين: إما ذكر أهم الأغراض، وإما ذكر الأغراض الكلية التي يمكن أن تندرج تحتها أغراض خاصة كثيرة. فقدامة يقسم أغراض الشعر إلى مديح وهجاء ورثاء وتشبيه ووصف ونسيب، ذاكراً أن هذه الأغراض الستة هي أكثرها تداولاً[٤]. والواقع أن التأمل فيها يؤكد أن قدامة إنما راعى الاستعمال ولم يراع القسمة المنطقية. فالتشبيه نوع من الوصف، والوصف داخل في كل واحد من الأغراض الأربعة الباقيات. وقد جاء ابن رشيق بعده فقال إن معظم الشعر

راجع إلى باب الوصف، وإن الوصف مشتمل على التشبيه[٥]. وإنما ظهرت نزعة قدامة إلى تحكيم النظر الفلسفي في أغراض الشعر حيث جعل المدح راجعاً إلى الفضائل الأفلاطونية الأربعة، والهجاء نقيضاً للمدح، والرثاء نوعاً منه[٦].

أما ابن وهب فلعله كان أكثر استيعاباً من قدامة. فقد قسم الشعر أولاً بحسب وزنه وقافيته إلى قصيد ورجز ومسمط ومزدوج[٧]، ونبه إلى أن القصيد هو أحسنها وأشبهها بمذاهب الشعر، وأن الرجز أخفها وأنه كان ـ كما يدل أصله اللغوي ـ مرتبطاً بالعمل، ولكن الشعراء تعاطوه فلحق بالقصيد. ولعل ابن وهب لو تتبع الفروق بين هذه الأنواع، من حيث الأغراض والمعاني، والطول والقصر، لكان أقرب إلى تمييز «الأنواع» الشعرية التي عرفها العرب فعلاً. ولكنه لم يفعل، بل ترك ذكر «المقطوعة» التي ميز العروضيون بينها وبين القصيدة على حسب عدد الأبيات فحسب، وكأنه لم ير هذا الفرق سبباً كافياً لأن يجعل منها «نوعاً» مثل بقية الأنواع. ولابن وهب تقسيم آخر لـ «فنون» الشعر ـ كما سماها هذه المرة ـ محدداً أصنافاً أربعة رئيسية وهي: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو. وذكر من فنون المديح: المراثي والافتخار والشكر والتلطف في المسألة، وعدد أمثلة لكل صنف من الأصناف الثلاثة الأخرى[٨].

وهكذا نجد عند النقاد العرب نوعين من التصنيف: تصنيفاً يعتمد على (التأليف) كما يعبر ابن وهب، أي على العناصر اللغوية وحدها، وتصنيفاً يعتمد على (المعاني) أو (الأغراض). وكلاهما تصنيف «كُلّي» بمعنى أنه يمكن أن يقال على أنواع أو «فنون» كثيرة. والواقع أن النقاد العرب وقفوا عند النظرة الكلية أو «الواحدية» للشعر. فهم نظروا إلى «الشعر» مطلقاً، لا من قيود الزمان والمكان فقط، بل مما يمليه تنوع أغراض الشعر ووظائفه من تعدد الأشكال. ومع أنهم عنوا باختلاف أساليب الشعراء أو «مذاهبهم» كما يقولون أحياناً، كما عنوا كثيراً بالمناسبة بين ألفاظ الشعر ومعانيه من ناحية وبين ما يقال فيه، ومن يقال له من ناحية أخرى، فإنهم لم يروا لشيء من ذلك تأثيراً مهماً في تنويع أشكال الشعر.

وهكذا أهملوا ألواناً من الشعر كانت خليقة أن تعد «أنواعاً» شعرية متميزة، كغزليات عمر القصصية، ونسيب قيس العاطفي، وطرديات أبي نواس وخمرياته. ولقد كان للخمرية على الخصوص تاريخ حافل، وتطورت تطوراً مهما على يد ابن المعتز والشريف العقيلي. ولكن «الأنواع» الجديدة من الشعر على وجه الإجمال كانت قصيرة العمر، ولعل إهمال النقاد لها، وإيثار معظم الشعراء سلوك النهج التقليدي في القصيدة، مع المبالغة، ما وسعتهم المبالغة، في صنعة البديع، حتى خصصوا له قصائدهم «البديعيات» ـ لعل هذين العاملين قد ساعدا على خمول تلك الأنواع. لقد سيطر «القصيد» على الشعر كما سيطر الشعر على النثر، وكان من مظاهر هذه الواحدية أن النقد لم يتجاوز المعاني الجزئية، وهذا بدوره

جعل للصياغة الحظ الأكبر من اهتمام النقاد، حتى غزت البلاغة كتب النقد كما نجد في كتاب الصناعتين لأبي هلال وكتاب العمدة لابن رشيق.

ونلاحظ النظرة الواحدية نفسها عند حازم القرطاجني، رغم تأثره الواضح بأرسطو، حيث نجده يقيم الشعر كله على «التخييل» و«المحاكاة» ولم يقسم المحاكيات كما قسمها أرسطو من جهة موضوع المحاكاة ومن جهة كيفيتها أو أدواتها، بل اكتفى بتقسيمها إلى نوعين: محاكاة الشيء نفسه ومحاكاة الشيء في غيره. والأولى هي الوصف والثانية هي التشبيه[٩]. فلم يزد علي ابن رشيق إلا أن رقّي «التشبيه» إلى رتبة مساوية للوصف، بدلاً من جعله نوعاً منه. وكلاهما ـ على كل حال ـ كان يتكلم عن شكل من أشكال العبارة، قد يشغل فصلاً كاملاً من قصيدة عند حازم، ولكنه لا يكون «نوعاً» أدبياً.

ولعل حازماً كان أقرب إلى فكرة «الأنواع» الأدبية ـ وأقرب أيضاً إلى التأثر المباشر بأرسطو ـ عندما تكلم عن طريقتين أو مذهبين في الشعر: طريقة الجد وطريقة الهزل، وميز بينهما من حيث المعاني والألفاظ[١٠]. ولكن هذا التمييز وحده لا يكفي لتمييز نوع عن نوع في الشعر العربي، وإن كان كافياً لتمييز الكوميديا عن التراجيديا، وربما كانت «الخمرية» أو «الطردية» أو «المقطوعة» أو «الموشحة» أجدر بأن تسمي نوعاً.

وربما كان لتعدد أغراض القصيدة تأثيره في ذلك الاتجاه الواحدي عند النقاد العرب، فأصبحت كلمة «قصيدة» مساوياً تقريباً لكلمة «شعر». ولم تكن أرجوزة مثل «ذات الأمثال» لأبي العتاهية، أو مزدوجة مثل مزدوجة ابن المعتز التاريخية في أعمال المعتضد، حتى وإن نسج بعض الشعراء على منوالهما، كافٍ لأن يُنْشِيءَ «نوعاً» «شعرياً» متميزاً من القصيدة. وعندما نما «التسميط» وأصبح «توشيحاً»، أخرج النقاد الوشاحين من زمرة الشعراء. أما عن نظرة الشعراء أنفسهم إلى «أنواع» ما ينظمونه من شعر، فيكفي أن نتذكر صنيع كل من أبي تمام والبحتري في حماستيهما لنرى كم كان تصنيفهم لـ «أبواب» الشعر، من حيث النوع والعدد، تابعاً لذوق الشاعر لا غير.

ولعل أحداً من نقاد العرب القدماء لم يوضح مفهوم «الفن» الأدبي مثلما وضحه الفقيه عبدالرحمن ابن خلدون (وقد رأينا أن ما يسمونه «فناً» يختلف اختلافاً غير هين عما نسميه «نوعاً»). وهو يبني كلامه ـ في أغلب الظن ـ على الباقلاني. فالقاضي أبو بكر الباقلاني استدل على إعجاز القرآن بمخالفته لكل ما عهد عند العرب من فنون الكلام: وهنا قسم كلامهم أربعة أقسام: فقسم موزون مقفى(وهو ضرب لا نعرفه اليوم إلا فيما ذكره العروضيون من عيوب القافية تحت اسمي الإكفاء والإجازة) وقسم مقفى غير موزون وهو النثر المسجوع، وقسم غير موزون ولا مقفى وهو النثر المرسل[١١]. فابن خلدون يذكر الأقسام الثلاثة، ويقول أيضاً إن القرآن خارج عنها جميعاً[١٢]. ويزيد ابن خلدون على من

سبقوه بأنه لا يعتمد في التقسيم العناصر اللغوية وحدها، وإن بقي تصنيفه لشعر إلى موضوعات مشابها لتصنيفات سابقيه. فأما التمييز بين الشعر والنثر عنده فيجمع بين العناصر اللغوية والمعنوية تحت اسم (الأساليب). فيقول: «واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبة وأمثال ذلك. وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور، من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور ـ إذا تأملته ـ من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن».

وينفرد ابن خلدون عن سابقيه بتعريف للشعر يجمع بين عناصره اللغوية والمعنوية فيقول إنه «هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروى، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به»(١٣). ويعترض على خلط كتاب الدواوين من أهل زمانه بين أساليب الشعر وأساليب النثر فيقول: «وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ من تطبيق الكلام على مقتضى الحال... إذ أساليب الشعر تناسبها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والإطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات... والتزام التقفية أيضاً من اللوذعية والتزين، وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور من الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه»(١٤).

فجملة القول في موقف النقاد العرب من الأنواع الأدبية أنهم لم يهتموا بغير القسمين الكبيرين: الشعر والنثر، بل إن الفروق بين هذين القسمين كادت تنطمس حين احتذى الناثرون حذو الشعراء في أغراضهم وأساليبهم. أما الفنون النثرية التي استقلت بطريقتها أو تباعدت عن الشعر في أسلوبها فقد أغفلوها إغفالاً. وسر ذلك أن فن القول انحصر عندهم في الشعر، وانحصر الشعر في القصيدة. وقصّر إهمال النقاد باع المجددين من الشعراء فبقيت النظرة إلى الشعر واحدية، لا تعترف إلا بنوع واحد وهو القصيدة.

الأنواع الأدبية عند اليونان

وإذا قلنا «اليونان» فنحن نعني أرسطو بالذات. فما ورد عن أفلاطون من كلام عن الأنواع الأدبية لا يعدو شذرات موجزة، كان لتلميذه فضل تنميتها وإخضاعها لمنهجه الفكري التجريبي (إذا توسعنا قليلاً في مدلول هذا الوصف). بل إننا نتكلم عن كتاب واحد لأرسطو، وهو «كتاب الشعر». فكتابه عن الخطابة قسّم هذا الجنس الكبير من النثر إلى خطابة سياسية وقضائية واجتماعية، وهي أقسام نابعة من نظام الحياة عند اليونانيين وتابعة له. ولكنه لم يتحدث عن أي من هذه الأنواع حديثاً على قدر من التفصيل. إنما اهتم

في القسم الأول بالإقناع، واعتمادِه على القياس التمثيلي الذي لا يفيد اليقين، ولكنه يمكن أن يؤثر في السامعين. وخصص القسم الثاني للكلام على الطبائع والميول النفسية لمختلف الفئات، على اعتبار أن ذلك لازم للخطيب إذا أراد أن يوجه سامعيه نحو قبول شيء أو رفضه. كما خصص القسم الثالث والأخير للعبارة أو أساليب البيان، وهو أهم أقسام الكتاب، وقد أحال إليه في كتاب الشعر لأن قوانين العبارة مشتركة بين الشعر والخطابة.

أما النثر المكتوب ـ مثل محاورات أفلاطون ـ فيشير إليه أرسطو إشارة سريعة في الفصل الأول من كتاب «الشعر»، معترفاً بأنه لون من المحاكاة بواسطة اللغة، ولكنه يقف عند هذا الحد، ملاحظاً أنه لا يوجد اسم واحد جامع يدل على «الصنعة التي تحاكي باللغة وحدها منثورة أو منظومة»[١٥]. ومن قوله «اللغة وحدها» يبدو أنه خصص كتابه للشعر الممزوج بالغناء أو الإنشاد، وهو الشعر الملحمي والشعر التمثيلي، تاركاً الشعر والنثر اللذين يعتمدان على اللغة وحدها، وكذلك الأنواع الشعرية التي تعتمد على الغناء في جميع أجزائها.

ومن هذا يتضح أن أرسطو لم يحاول أن يستوعب جميع الفنون القولية التي كانت معروفة في زمنه، بل اقتصر على فنين وهما التراجيديا والكوميديا، رابطاً بين التراجيديا والملحمة من ناحية، وبين الكوميديا وفن قصصي شبيه بالملحمة، إلا أنه يقصد إلى الإضحاك مثل الكوميديا، من ناحية أخرى. لماذا أفرد أرسطو هذه الأنواع الأربعة بالتصنيف، مهملاً ماعداها؟ لم أجد أحداً ممن بحثوا في نظرية الشعر عند أرسطو قد تعرض لهذه المسألة، على الرغم من ملاحظتهم أنه لم يهمل الأنواع النثرية أو الشعرية المغناة، التي سبقت الإشارة إليها فقط، بل أهمل أيضاً أغاني بندار وسافو. وليس هذا السؤال فضولاً محضاً. فقد يكشف عن الأساس الذي اعتمده أرسطو في تصنيف الأنواع، ومن ثم يكون قبولنا لهذا الأساس أو رفضنا إياه سابقاً لقبولنا التصنيف ذاته أو عدم التزامنا به.

يقول أرسطو في الفصل الرابع من الشعر: «ولما ظهرت التراجيديا والكوميديا جنح الشعراء إلى كل من هذين النوعين مسوقين بطبائعهم الخاصة، فأصبح بعضهم صناع كوميديا عوضاً عن كونهم صناع أهاج، وأصبح بعضهم الآخر أساتذة للتراجيديا بعد أن كان أسلافهم شعراء ملاحم، فإن التراجيديا والكوميديا كانتا شكلين أعظم وأرفع من الشكلين السابقين»[١٦]. ويضيف بعد قليل أن التراجيديا «بعد أن مرت بكثير من التغييرات توقفت إذ وصلت إلى طبيعتها الذاتية»[١٧].

ويقول في ختام الحديث عن المقارنة بين التراجيديا والملحمة (الفصل السابع والعشرين): «فإذا كانت التراجيديا تفضل الملحمة من جميع هذه الوجوه وتزيد أنها

تحدث الفعل الخاص بصناعتها (فإنها لا ينبغي أن تحدث أي لذة كانت بل تلك التي أشرنا إليها) فبين أنها أفضل لأنها أقدر على **بلوغ الغاية** من الملحمة[١٨]» وتأكيد الكلمات من عندنا).

وبيّن من هذين النصين أن أرسطو ينظر إلى التراجيديا ـ وإلى الشعر بوجه عام ـ في ضوء العلة التمامية وهي العلة الرابعة من العلل التي يفسّر بها الوجود (أو كما يقال: العلل الميتافيزيقية أو الأنطولوجية). والواقع أنه أشار إلى العلل الأربع في ثنايا كتابه دون أن يشعُر بالحاجة إلى التوسع في شرح علاقتها بفن الشعر، فقد كانت هذه العلل معروفة بدرجة كافية لمن يستمعون إليه أو يقرءون مذكراته. أشار إلى العلة الفاعلية في اختلاف طبائع الشعراء من حيث الميل إلى تصوير الفضيلة أو الرذيلة. وأشار إلى العلة المادية أو الهيولانية في المحاكاة، وأشار إلى العلة الصورية في أدوات المحاكاة وكيفية المحاكاة. وهنا يشير إلى العلة التمامية وهي أن صور المحاكاة الشعرية تترقى من نوع إلى نوع حتى تَصِل إلى غايتها فتكون التراجيديا أقدر من كل الأنواع السابقة عليها، والتي تشبهها من حيث المادة، على إثارة إنفعالي الشفقة والخوف، وذلك بفضل اختصاصها بمزيد من التركيب والتركيز (ويتضح ذلك عند مقارنتها بالملحمة خاصة).

وانفعالا الشفقة والخوف لهما وظيفة أخلاقية في نظر أرسطو. فهما يطهران النفس من مثل هذه الانفعالات. ولهما شروط حتى يكون تأثيرهما أقوى ما يكون وأفضل ما يكون. تتمثل هذه الشروط في خصائص التراجيديا بعناصرها المختلفة: من القصة التي يجب أن تنطوي على قدر من التعجيب (بفضل التعرف وانقلاب الأحوال) إلى شخصية البطل وشرطها أن تكون أعظم من المعهود، وأن يكون سقوطها لعيب لا يخل بعظمتها، إلى اللغة التي يجب أن تتصف بالسمو والجلال. والواقع أن الاعتبار الأخلاقي له المحل الأول في فلسفة أرسطو الفنية. فالمحاكاة عنده خاصة بالأفعال، والوصف المميز للأفعال هو كونها فاضلة أو خسيسة. وهكذا يبدو أن أرسطو كان يدور في فلك أساتذة أفلاطون، وبينما ذهب أفلاطون إلى أن الشعر في معظمه مفسد للأخلاق، أراد أرسطو أن يثبت عكس ذلك، واضطر أن يبقى داخل الدائرة التي وضع فيها أفلاطون الشعر والشعراء: (دائرة الأخلاق).

لهذين العاملين مجتمعين: ربط الشعر بالأخلاق من ناحية، وإخضاع نظريته في الفن لفلسفته العامة من ناحية أخرى، أهمل أرسطو ما أهمل من فنون الشعر ـ والأدب النثري من باب أولى ـ سوى التراجيديا والكوميديا. على أنه استبقى الملحمة لسبب واضح وهو أنها الأصل المباشر للتراجيديا، وأن شعراء التراجيديا استمدوا معظم موضوعاتهم من هوميروس، هذا إلى أن ملاحم هوميروس تحمل شبها قوياً بالتراجيديات من حيث الشكل الفني أو

«كيفية» التعبير. فمع أن الملحمة تختلف عن التراجيديا من حيث اعتمادها على القص، أي أن الشاعر الملحمي يروي أحداث القصة بلسانه، فإن هوميروس امتاز على شعراء الملاحم بأنه كان لا يكاد يقدم لنا أشخاصه حتى يختفي وراءهم، ويتركهم يتكلمون ويتحركون أمام أعيننا. وتقديم هوميروس على من عداه لهذه الصنعة بالذات دليل آخر على أن أرسطو كان يرى في التراجيديا ـ وهي التي تعتمد في جميع أجزائها على رؤية الأشخاص يتكلمون ويعملون ـ أنها النوع الشعري الأرقى.

وهكذا يبدو أن أرسطو كان أحاديّ النظرة مثل النقاد العرب القدماء. استبدِلْ كلمة التراجيديا بكلمة القصيدة لا تجد فرقاً بينهما من هذه الناحية. بل إن النقاد العرب الذين عرفوا أرسطو ـ وقبلهم الفلاسفة العرب ـ حاولوا أن يتحرروا من هذه النظرة الأحادية، بدءاً من أصلها الأخلاقي وهو محاكاة الأفعال: وكان لهم من نفاذ النظرة ما جعلهم يرجعون هذه النظرة الضيقة ـ حسب رأيهم ـ إلى عادات الشعراء اليونان، أي إلى عوامل خاصة وجزئية بيئية أو تاريخية ـ لا علاقة لها بجوهر الشعر نفسه. فقد ألمح ابن سينا إلى أن الكلام على «الشعر المطلق» ـ أي الحقيقة الجوهرية للشعر ـ لا ينحصر فيما قاله أرسطو، وأن للعرب في صنعة الشعر عادات لم يعرفها اليونان. وزاد حازم القرطاجني هذا القول إيضاحاً بأن بيّن أن شعر اليونان (أو في الحقيقة: ما وصفه أرسطو من شعر اليونان) لم يتجاوز محاكاة الأفعال، وأن العرب برعوا في محاكاة الذوات. ولكن ابن سينا والقرطاجني كليهما ـ على ما يبدو ـ لم يقصدا «أنواع» الشعر، بل موضوعاته وأغراضه وأساليبه[١٩].

تصنيف الأنواع الأدبية في النقد الأدبي الحديث

والمقصود بوصف «الحديث» هنا هو ما يبدأ من عصر النهضة الأوروبية إلى اليوم. والعجيب حقاً في هذه التصنيفات الحديثة أنها ظلت تتحرك داخل الدائرة التي وضعها أرسطو، وكأنها طوق حديديّ قبلته عن رضى، وكأن أهل صناعة النقد لم تبلغهم دعوة فرنسس بيكون للعلماء كافة أن يتركوا قراءة أرسطو ويتجهوا مباشرة إلى قراءة الطبيعة.

لا غرابة في أن يأخذ العصر الكلاسي بتصنيف أرسطو، وأن يجعل منه قاعدة فنية، لا مجرد تصنيف وصفي (وقد كان عند أرسطو جامعاً بين الصفتين)، وأن يتشدد في ضرورة الفصل بين النوعين: التراجيديا والكوميديا. فقد أخذ الكلاسيون مبدأ المحاكاة عن أرسطو، وتابعوا هوراس أيضاً في اعتبار محاكاة الشعراء المتقدمين طريقاً مختصراً ومضموناً لمحاكاة الطبيعة. ولكن قد يكون هناك بعض الغرابة في أن بوالو أضاف إلى الأنواع الثلاثة الأرسطية (الملحمة والتراجيديا والكوميديا) (النوع الرابع ذكره أرسطو لاستكمال القسمة فحسب، ولم يمثل له إلا بقصيدة واحدة مفقودة لهوميروس وهي «المارجيتيس») عدة أنواع

ثانوية، لا ترتفع إلى مرتبة الأنواع الأرسطية، ومنها الغزلية والإليجية (الرثائية أو العاطفية الرقيقة) والروندو والمادريجال والأهجية والفوودڤيل والأغنية. وقد جرى بوالو في ذلك على نهج أسلافه من النقاد اللاتين الذين رأوا من الضروري أن يعترفوا بأنواع مارسها الشعراء بكثرة في عصرهم، ولكن دون أن يزحزحوا التصنيف الأرسطي عن مكانته[٢٠].

أما التعديل (أو لنقل: التحريف) الأساسي الذي أدخله النقاد الأوربيون على التصنيف الأرسطي فقد تم على أيدي منظري الحركة الرومانسية مواكباً لمحاولاتهم الواعية أو غير الواعية للتخلص من فكرة المحاكاة. لقد ذهب باتو - في أواخر العصر الكلاسي - إلى أن الشاعر الغنائي يحاكي العواطف، محتجاً بالمناجيات التي تقع في الشعر التمثيلي. على أن منظري الرومانسية - وعلى رأسهم فردريك شليجل - لا يلبثون أن يتعدوا عن فكرة المحاكاة فيصنفون الشعر على أساس الذاتية والموضوعية. فعند شليجل أن الشعر الغنائي ذاتي، والشعر التمثيلي موضوعي، والملحمي ذاتي موضوعي. ويعدل خلفاؤه هذا التصنيف فيما يتعلق بالملحمة والتمثيلية: فالملحمة هي الموضوعية، والتمثيلية تجمع بين الذاتية والموضوعية. ويلاحظ أيضاً أن معيار (الذاتية والموضوعية) يختلف بعض الاختلاف عن معيار (كيفية القول) الذي وضعه أرسطو: فكون الشاعر هو المتكلم، أو المتكلم الأصلي في الملحمة لا يعني أن الملحمة «ذاتية»[٢١].

على أن منشأ فكرة التصنيف عند أرسطو جعل نقاداً كثيرين فيما بعد ينسبون هذا التقسيم الثلاثي إليه، ناسين أنه لا يتفق مع مبدأ (المحاكاة) الذي يسيطر على التصنيف الأرسطي. ووجد بعد ذلك من ضم الملحمة والتمثيلية في جنس واحد، لاعتمادهما على القصة، وجعلوا هذا الجنس قسيماً للشعر الغنائي. ووجد من ربطوا بين الأجناس الثلاثة وبين الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، ولكنهم اختلفوا في تقرير أي زمن يرتبط بأي جنس. ووجد من ربطوا الأجناس الثلاثة بالضمائر الثلاثة: المتكلم والمخاطب والغائب، ولكنهم اختلفوا في تفصيل ذلك الارتباط أيضاً. ووجد من ربطوا بين الأجناس الثلاثة وبين التطور الحضاري (حسب النزعة التاريخية للفكر الرومانسي). وعلى رأس هؤلاء ڤيكتور هوجو الذي ذهب في مقدمة «كرومويل» إلى أن هذه الأجناس الثلاثة تتعاقب في كل مرحلة من مراحل التطور القومي (أي على سبيل التكرار) فيسبق الغنائي ويتلوه الملحمي ويأتي الدرامي في نهاية المرحلة[٢٢].

ويستوقف نظرنا استخدام جوتة لهذا التصنيف الثلاثي وطريقة ربطه بالأنواع الثانوية الكثيرة التي يمكن أن تندرج تحته. فعنده أن (جذم الشعر) أو الشعر الفطري Urdichtung - وهو الأصل الذي انشعبت منه جميع الأجناس والأنواع - كان يجمع بين الغنائية والملحمية والدرامية، وأن هذه الأجناس الثلاثة هي الأجناس الطبيعية التي لا يمكن أن

يوجد غيرها، ولكن هناك أنواعاً يصعب إحصاؤها حول هذه الأجناس الثلاثة قريبة من (جذم الشعر) أو بعيدة عنه، إلى جانب الأعمال (النموذجية) التي يمكن اعتبارها تمثيلاً صادقاً لكل جنس من الأجناس الثلاثة. وقد تلقف «بترسن»، في أوائل هذا القرن، اقتراح غوتة، وصوره في هيئة دائرة يتوسطها «جذم الشعر»، وتمتد منه أنصاف أقطار ثلاثة تمثل «الأجناس الطبيعية» الثلاثة، وتنتشر حولها أنواع كثيرة، منها ما يكون أقرب إلى أحد أنصاف الأقطار ـ أي أقرب إلى الشكل النموذجي للغنائية أو الملحمية أو التمثيلية ـ ولكنه على كل حال يقع على جانب منه، بين هذا الجنس والجنس الذي يليه؛ وأقرب الأنواع إلى جوهر الشعر يوجد قرب المركز، وأقربها إلى «النثرية» يوجد على محيط الدائرة.

ويلاحظ أن الناقد الفرنسي جيرار جينيت حين ينقل هذه الدائرة عن مبتكرها الألماني يضطر إلى استبقاء أسماء الأنواع في أصلها الألماني، لأن كثيراً من هذه الأنواع لا يوجد ما يساويه تماماً في الأدب الفرنسي. وهذه الملاحظة تنبهنا إلى عيب أصيل في تصنيفات المحدثين، وهو أنهم يخلطون بين ما يعدونه أجناساً طبيعية، وما يعدونه أنواعاً أدبية. فالأنواع الأدبية لا يمكن أن تخضع لهذا التقسيم النظري الذي ربطوه مرة باللغة (الأزمنة أو الضمائر) ومرة بتطور الحضارة. فإنما الأنواع الأدبية مواضعات تروج عند قوم دون قوم، وفي عصر دون عصر. على أننا نستطيع أن نوجه هذا النقد نفسه إلى «الأجناس الطبيعية» حسب تصورهم. فقد يقال إن القسمة المنطقية تقتضي إما أن يقول الشاعر ما يريد قوله مباشرة وإما أن يضعه على ألسنة آخرين، وأن الشاعر الذي يتكلم بطريقة مباشرة إما أن يتحدث عن نفسه أو عن غيره (ولو أننا سنكون عندئذ بحاجة إلى قسمة أخرى، وهي أن الغير الذي يتحدث عنه الشاعر يمكن أن يكون مخاطباً أو غائباً). ولكن هذه القسمة الثلاثية أو الرباعية يندر أن توجد خالصة في الواقع، فهل يحق لنا في هذه الحالة أن نعدها «أنواعاً» أدبية أو حتى «أجناساً» كبرى تندرج تحتها أنواع؟ إن هذا يذكرنا بمثل من علم الأحياء (وهو أقرب العلوم إلى علم الأدب من حيث مكان التصنيف). فقد كان علماء الأحياء يتحدثون عن كائنات «نموذجية» تتمثل فيها خصائص الجنس على أتم ما يكون وأنقى ما يكون، ولكنهم ما لبثوا أن تبينوا أن هذا التصور الذهني المجرد لا يفيد شيئاً في رصد الوقائع، فأهملوا فكرة «الفرد النموذجي» وأصبحوا يتحدثون عن «شعوب» يوجد بينها من الاختلافات مالا يمكن حصره، وإن كان من الممكن افتراض أنها تنحدر من أصل واحد[٢٣].

والحق أن «طريقة التكلم» لا تصلح لاعتبارها أساساً لتصنيف الأنواع الأدبية. والأحسن أن تعد، كما عدها جيرار جينيت، «كيفيات» توجد في الأعمال الأدبية في معظم الأحيان مختلطة، في أشكال تفوق الحصر، وتختلف باختلاف الثقافات.

«النوع الأدبي» إذن مقولة تاريخية، تستمد من الواقع لا من إطار ذهني مجرد. ولكننا حين نقول ذلك لا نحل إلا نصف المشكلة. فلا يزال تحديد «النوع الأدبي» معرضاً لاختلاف كثير. إذا جاز لنا أن نتحدث عن «رواية سياسية» أفلا يجوز أن نتحدث عن «رواية دينية»؟ أولاً يصح ـ قياساً على هذا ـ أن نتحدث أيضاً عن رواية عمالية، ورواية بحرية،الخ.؟ يستعرض (ولك ووارن) بعضاً من هذه «الأنواع» التي شاعت في روايات القرن التاسع عشر، ولا يقبلان تسميتها أنواعاً، لأن الرابطة التي تجمع بينها هي وحدة الموضوع فحسب، ووحدة الموضوع لا تكفي بنفسها لتحديد نوع أدبي (ما دمنا نرى أن الموضوع وحده لا يكفي لوجود عمل أدبي). ولكنهما يقترحان أساساً آخر لتسمية الأنواع، وهو الأساس الشكلي. وعندهما أن الوزن الشعري المعين، أو نظام التقفية، قد يكونان كافيين لتمييز نوع أدبي، مُحْتَمِين بقول أرسطو إنه لو رام أحد وضع ملحمة في غير الوزن السداسي لما استطاع أن يبرز ملحمة جيدة، لأن الوزن السداسي هو أكثر الأوزان بهاء، وأليقها بالملحمة. على أن «الشكل» غير مقصور على الوزن (أو اللغة بوجه عام) فهو «البنية» أو طريقة تنظيم الأجزاء: هل تبدأ القصة أو المسرحية من بداية العقدة أو من لحظة التأزم؟ وهل يشترط في العقدة أن تكون محكمة أو يكتفي بعقدة متراخية؟ ويمثلان لهذا الاختلاف الأخير ببناء القصة عند تشيكوف إذا قارناه. بشكل القصة عند إدجار ألان بو أو عند هنري[٢٤].

ولكن الطريف أنهما لا يرتبان على هذا الاختلاف اختلافاً في النوع. فهل نحن أمام نوعين من القصة القصيرة أو تحولات في نوع واحد؟ وهل يكفي «الشكل» وحده لتوضيح هذه التحولات؟ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن التراجيديا اليونانية، والتراجيديا عند شكسبير، والتراجيديا عند إبسن. ولا يقدم ولك وزميله جواباً مقنعاً عن هذه التساؤلات. ومثل هذا «التردد» في تحديد الأنواع الأدبية ـ كما يقولان ـ سمة من سمات الكتابات النقدية في القرن التاسع عشر، وهما يفسران هذا التردد ـ الذي لم ينجُوَا منه ـ بقول النقاد إن المدة من ١٨٤٠ إلى ١٩٤٠ لم تعرف أنواعاً أدبية مستقرة. ولكننا نتساءل: إذا كان هذا شأن الإبداع الأدبي، فهل هو عذر كاف لعلم الأدب، الذي يحاول أن يصف الإبداع الأدبي كله، غير مقيد بميول العصر الذي يعمل فيه الأديب؟

وقد رأينا ـ على العكس ـ أن القرن التاسع عشر شهد محاولات كثيرة جادة لتصنيف الأعمال الأدبية تصنيفاً شاملاً. ولا يمكن أن تفوتنا ملاحظة أن هذه التصنيفات الشاملة حاولت أن تستفيد من الدراسات الأنثروبولوجية والفلكلورية التي ترجع بداياتها الواعدة إلى تلك الحقبة نفسها. وإنما أخذنا على هذه المحاولات شيئين: أولهما أنها قيدت نفسها بالتصنيف الثلاثي الذي بني على تصنيف أرسطو بعد كثير من التحريف، وثانيهما أنها خلطت تصنيفاً نظرياً بآخر مستمداً من الواقع الأدبي، والأول ينبغي أن يتصف بالثبات

والعموم، في حين أن الثاني متغير وجزئي. ومن ثم أعفي أصحاب التصنيفات أنفسهم من هذه المشكلة الفلسفية الصعبة: مشكلة العلاقة بين الثابت والمتغير، بين الكلي والجزئي، بين المطلق والنسبي.

وثمة صفة أخرى نلاحظها في تصنيفات القرن التاسع عشر، وهي أنها لم تقتصر على الشكل في التمييز بين الأنواع، بل ربطت دائماً بين الشكل وبين الطابع الحضاري، ومعنى ذلك أن الشكل ـ عندهم ـ كان مظهراً لقيمة أو وظيفة اجتماعية. وإذا كان برونتيير قد أسرف في تطبيق معيار الوظيفة ـ متأثراً بعلم الأحياء ـ حتى ذهب مثلاً إلى أن الشعر الغنائي الفرنسي في القرن التاسع عشر يجب أن يعتبر تطوراً للخطابة الدينية في القرن السابع عشر، وإذا كان غيره قد اعتمدوا على تأملات محضة في الربط بين الأجناس الكبرى وبين المراحل الحضارية، فهم على الأقل قد حاولوا أن يجيبوا على التساؤلات التي تجاهلها ولك وصاحبه تجاهلاً تاماً، لاعتمادهماالشكل وحده أساساً للتصنيف.

* * *

والذي نشاهده اليوم أكثر من فوضى الأنواع والأشكال في الأعمال الإبداعية هو فوضى النقد في بحث هذه الأنواع، وإن كان الاتجاه الشكلي هو الغالب عليها جميعاً. لقد قامت مدرسة «الأرسطيين الجدد» في جامعة شيكاغو كنوع من الاحتجاج على مدرسة «النقد الجديد» التي كانت «أحادية» في نظرتها إلى الشعر. فهؤلاء يبحثون عما يعدونه الصفة الجوهرية للغة الشعرية، وقد سماها بعضهم «مفارقة» وسماها آخرون «توتراً»، ويستوي في اعتبارهم أن يكون النص المدروس قصيدة غنائية أو قصصية أو مسرحية أو رواية. فأراد «الأرسطيون الجدد» أن يعيدوا الاهتمام مرة أخرى إلى العناصر الشكلية الكبرى مثل العقدة والشخصية. ولكنهم كانوا ـ كسابقيهم ـ نقاداً، لا مؤرخي أدب، فلم يكن همهم في التصنيف بل في إظهار جماليات العمل الذي يدرسونه. وكان نظراؤهم الشكلانيون في روسيا يحاولون الأمرين معاً، أي دراسة اللغة الشعرية ودراسة البنية كذلك، وعنوا على الخصوص بالبنية القصصية، وتبعهم البنيويون الفرنسيون وقد عنوا كذلك بلغة القص، ولم يبدوا اهتماماً يذكر بالشعر الغنائي.

فالنقاد المعاصرون إذن لم يعنوا بالأنواع الأدبية من حيث هي مجموعات مشتركة في خصائص معينة، إنما عنوا، في دراستهم للنوع الأدبي، بالخصائص الشكلية التي تكوّن لغة مشتركة يمكن أن يستخدمها الكاتب كلها أو بعضها، وبالطريقة التي تروق له، ليصنع عمله الأدبي. وهذه العملية التأليفية، بكل ما تنطوي عليه من تفاصيل، هي شغل الناقد البنيوي، الذي لا ينبغي أن يبحث عن معنى كلي كامن وراء النص، لأن النص يجب أن يبقى مفتوحاً لما لا يحصى من الاحتمالات. ومن هذه الاحتمالات أن يعطي المعنى

ونقيضه، وأن يرجىء المعنى بحيث لا نجد في النهاية أي معنى يمكننا أن ننسبه إلى العمل الأدبي: وهم بهذا كله يعبرون أصدق تعبير عن سمات الكتابة الإبداعية الحديثة.

لقد بدأ النقد البنيوي بالبحث عن أنساق أو أشكال في الكتابة، ولكنه كان في الوقت نفسه يواكب الإبداع الحداثي، والإبداع الحداثي كان كافراً بكل أنواع الكتابة الأدبية السابقة، لأنها أنتجت أدباً «كُتِب ليقرأ»، وهم يريدون أدباً «كُتِب ليكتب» كما يقول بارت، لأنهم يريدون أن يكون إنتاج المعنى من عمل القارىء نفسه. وطبيعي إذن ألا تعني «الأنواع الأدبية» شيئاً بالنسبة لهم، وأن تكون «الكتابة» هي كل شيء، و«النص» هو كل شيء.

ليس همنا الآن أن نناقش هذا المذهب في النقد، ولكننا نلاحظ فقط أن فوضى الأشكال الأدبية، لدى المبدعين ولدى النقاد، قد بلغت حداً لم يكن يخطر ببال ولك ووارن وهم يجمعان أصول كتابهما سنة ١٩٤٢.

ونحن نقول «النقاد البنيويون...» وكأنهم فريق واحد، أو نسخ متشابهة. لذلك يلزمنا أن نصحح هذا الوهم، فنقول إن الذي يجمع «النقاد البنيويين» شيء واحد ـ أو هذه على الأقل هي النقطة التي بدأوا منها: أن الأدب «مؤسسة» لها تكاملها الداخلي، تستمد من الحياة ولكنها لا تعكس الحياة (على عكس الفكرة الرومانسية عن كون الأدب «مرآة» للحياة أو المجتمع)، بل تُخضع العناصر المستمدة من خارجها لمنطقها هي، ولذلك يمكن أن تجرى عليه قوانين شبيهة بقوانين اللغة. رولان بارث وجيرار جينيت ناقدان بنيويان فرنسيان، ولكن لكل منهما اتجاهه الخاص وطابعه المميز في الكتابة: أما بارث فيتشرب النص كالإسفنجة، وربما عربد فيه، وأما جينيت فباحث مستقص في أعمال غيره من النقاد، السابقين والمعاصرين، قادر على كشف ما فيها من نقص أو ضلال، وكأنه يريد أولاً أن يبني لغة متماسكة متكاملة للنقد. وقد انتفعنا كثيراً بمقالته: «الأجناس والأنماط والكيفيات» عند إعداد هذا المقال.

والنتائج التي انتهى إليها جينيت في هذا المقال أن ما سمي ـ خطأ ـ أجناساً طبيعية أو كبرى إنما هي في الحقيقة «كيفيات»، وهي عند التصحيح، وباستبعاد ما يسمى الجنس الغنائي، ثلاثة: القص الخالص والقص المختلط والمحاكاة. ويلاحظ أن ما ترجمناه بكلمة «كيفيات» هو في الفرنسية MODES وأغلب الظن أنها تسمية مستعارة من النحو الفرنسي، حيث نجد الفعل له كيفيات ـ وإن شئت فقل أحوال ـ أربعة: التقرير والتمني والظن والطلب. أما الأجناس الأدبية فعنده أنها تُرد، من ناحية، إلى «شعور» تراجيدي أو ملحمي أو خيالي إلخ. ومن ناحية أخرى إلى مؤثرات من واقع التاريخ وواقع الثقافة. وبجانب ذلك هناك الكيفيات التي ذكرها: «فالأجناس يمكن أن تعبر حدود الكيفيات (إذا رويت تراجيدية

ما فإنها ستظل تراجيديّة) كما أن الأعمال الأدبية تعبر حدود الأجناس... ولكننا نعلم جيداً أن الرواية ليست قصصاً فقط، ومن ثم فهي ليست قصصاً ما، ولا حتى نوعاً من القصص»(٢٥).

والتمثيل بالرواية كجنس أدبي تمثيل بشيء معروف وشائع، ولكن الإشارة إلى أنها ليست مجرد قصص إشارة مبهمة. لم يضع جينيت إذن أية معايير للجنس الأدبي، ولكنه خلط أنواعاً من الشعور ـ يمكن تعداد أمثلتها بلا نهاية ـ بكيفيات للتعبير، بعوامل تاريخية وثقافية، وترك الخلطة بدون أن ينضجها، وبذلك لم يكن موقفه من الأجناس الأدبية عن موقف التفكيكيين . ورثة البنيويين . الذين أنكروا الحدود بين الأجناس، وظل في النهاية، وبعد بحث طويل ممتع في تاريخ المصطلحات الثلاثة: الغنائي والملحمي والدرامي، وما أصابها من تحريف بتأثير الواقع الأدبي، وما حشر فيها من أنواع أدبية التقطت اعتباطاً ـ ظل مثل سابقيه يقيم تصنيف الأدب إما على افتراضات ذهنية وإما على تسميات شائعة غير محددة، فلم يعتمد أساساً للتصنيف ـ شكلياً، كما فعل ولك ووارن، أو غير شكلي، معتذراً ـ في ختام مقالته بأن «علم الشعر» لم يصل بعد إلى درجة من النضج تكفي لتوضيح هذا الموضوع، وأن الأقوال السابقة فيه خليقة بأن تنسى، أي أن هذا العلم، القديم والحديث في الوقت نفسه، في سجلاته القديمة ما يمكن الاعتماد عليه.

* * *

نورثروب فراي ناقد أمريكي كبير، قد يختلف مع جينيت ـ أو يختلف معه جينيت في أشياء كثيرة، ولكنهما متفقان على الأقل في هذه النقطة: يقول فراي في مقدمة كتابه «تشريح النقد»:

«إذا كان علينا أن نتصور النقد على أنه دراسة متماسكة ومنظمة، يمكن أن تشرح مبادئها الأولى لأي شاب ذكي في التاسعة عشرة، فبناء على هذه النظرة يجب القول إنه لا يوجد ناقد في الوقت الحاضر يعرف أي شيء عن النقد. فالذي يملكه النقاد الآن هو دين قائم على الأسرار، بلا كتاب مقدس، وهم سدنة هذا الدين الذين لا يمكنهم التفاهم، أو التشاجر، إلا مع بعضهم البعض»(٢٦).

ولكن فراي يكن احتراماً كبيراً لأرسطو، وإذ يترك في ذهن قارئه انطباعاً بأن النقد لم يكتب فيه شيء له قيمة على مدى أكثر من ألفي سنة منذ وفاة المعلم الأول، يشعره أيضاً بأنه هو ـ فراي ـ قد انتقد في كتابه ذاك لينقل النقد من حال إلى حال. وهو يبرز في تلك المقدمة فكرتين: الأولى أنه سيعنى بمسألة الأجناس والأنواع في الشعر، والثانية أنه سيعتمد على منهج الاستقراء، إذ إن هذا المنهج هو الأنسب لعلم في دور النشأة. وهو يعد الاستقراء والتصنيف داخلين في دائرة «النقد»، ولذلك يرى أن «النقد»، في حاجة ماسة

أيضاً إلى فكرة مهيمنة ومنظِّمة، إلى نظرية محورية كنظرية التطور في علم الأحياء، حتى يرى الظواهر الكثيرة التي يتعامل معها كأجزاء في كلٍّ واحدٍ.

والحق أنه يبذل جهداً هائلاً في هذا السبيل، حتى أنه لا يقدم نظرية واحدة بل ثلاث نظريات، محاولاً، بكثير من الخطوط المستعرضة، أن يحقق شيئاً من الارتباط بين هذه النظريات. ونحن نرى بوضوح أن المقالات الأربع التي يتألف منها كتابه تنقسم إلى قسمين: فالمقالتان الأولى والرابعة محاولتان للتصنيف على أساسين مختلفين. والمقالتان المتوسطتان تعالجان تفسير العمل الأدبي. ومهما حاول فراي أن يخفي المنحى التقييمي في هاتين المقالتين فإنه لا ينجح في ذلك. إذ يبقى «الرمز» أو «الأسطورة» قيمة عليا لا تتحقق إلا للأعمال الأدبية الشامخة. لذا نرى أن هذا القسم الأوسط يشكل حقاً نظرية في النقد بمعناه الصحيح، ويمكن أن يناقش على هذا الأساس. ولكننا ونحن بصدد علم الأدب، هذا العلم الوصفي المحض، لا نتوقف إلا عند المقالتين الأولى والرابعة.

والعيب الأظهر في المقالتين أن فراي نسي كلامه عن «الاستقراء» (أو لعل الاستقراء له عنده معنى آخر غير ما نفهمه من هذا اللفظ) فبنى التصنيفين كليهما على مقدمات نظرية. ثم إنه حاول أن يحتفظ في مقدماته بأكثر ما يمكن استخدامه من المفاهيم الأرسطية، قاهراً الوقائع على الانضواء تحت هذه المفاهيم، ومكرها المفاهيم الأرسطية - وفقاً لتقليد عريق في النقد الأوروبي - على قبول هذه الوقائع. وقد يكون من المستغرب أن يحيي في هذا العصر فكرة ترجع إلى أواخر العصر الكلاسي، بل يمكن أن توجد لها أصول في أوائل عصر النهضة، وهي اعتبار الشعر الغنائي نوعاً من المحاكاة. على أن هذا الشطط في التفسير لا يفسد تصنيفاته كما يفسدها تعدد هذه التصنيفات وتضاربها. ومن الطريف أن يعتمد تصنيفاً للأدب يقسمه إلى قصص وفكر، مستنداً إلى عناصر التراجيديا الثلاثة عند أرسطو بعد استبعاد العناصر الخارجية (أو الأدوات: وهي الغناء والمنظر والعبارة) أعني: «القصة» - ويظهر أن فراي وجدها من الممكن أن تندمج في «الأخلاق» - والفكر. غير أن فراي لا يسمي أياً من هذين القسمين جنساً أو نوعاً، بل هما عنده «كيفيتان» أو «حالتان» كما هما عند جينيت (أو بالأحرى أن جينيت أخذ عنه هذه التسمية، فكتاب فراي ظهر سنة ١٩٥٧، وكانت المقالة الأولى منه سبق نشرها سنة ١٩٥٣، ومقال جينيت نشر سنة ١٩٧٧) وجينيت - كما رأينا - قد تخلى عن أي محاولة نظرية لتصنيف «الأنواع الأدبية»، تاركاً مصير هذه الأنواع للمشاعر الإنسانية في ارتباطها بالثقافة والتاريخ، أما فراي فقد اكتفى بما يوحيه عنوان هذه المقالة الأولى: «النقد التاريخي: نظرية الكيفيات» ولكن صنيعه في هذه المقالة يدل بذاته على استحالة أي تأريخ للأدب بدون اعتماد تصنيف ما. والتصنيف حسب «الحالات» لا يخرج عن كونه تصنيفاً، وإن كان تصنيفاً شديد العموم، بحيث لا يمكن أن تعد «الحالات» مساوية «للأنواع» أو حتى «للأجناس».

على أن هذا التصنيف الذي يقدمه فراي «من تحت المائدة» ـ كما يقال في لغة رجال الأعمال ـ أي بدون إيضاح لمشروعيته ـ يقترن بتصنيف آخر، لا يعتمد على «كيفية القول» بل على موضوعه. وموضوع القول مأخوذ أيضاً من أرسطو: فأرسطو يقول في تقسيم المحاكاة حسب موضوعها (ما يحاكي): إنه «إذا كان الذين يحدثون المحاكاة إنما يحاكون أناساً يعملون، وكان هؤلاء المحاكَوْن ـ بالضرورة ـ إما أخياراً وإما أشراراً (فإن الأخلاق تخضع غالباً لهذين القسمين، لأن الرذيلة والفضيلة هما اللتان تميزان الأخلاق كلها)، فينتج من ذلك أن المحاكين إما أن يكونوا خيراً من الناس الذين نعهدهم أو شراً منهم أو مثلهم[٢٧].

وعلى هذا الأساس ميز أرسطو بين نوعي التراجيديا والكوميديا، فالأولى تمثل أناساً أفضل ممن نعهدهم، والثانية تمثل أناساً أدنى ممن نعهدهم. ولا نجد في نص «الشعر» الذي وصل إلينا إشارة إلى القسم الثالث (محاكاة البشر العاديين) ولا إلى السبب في إغفاله. أما فراي فيتمم التصنيف ويفصّله:

فالذين هم أفضل منا ثلاثة أقسام:

١ ـ أشخاص يفوقون البشر لأنهم من جنس فوق جنس البشر، وهؤلاء هم الآلهة، وهم موضوع الأساطير الدينية.

٢ ـ أشخاص يفوقون غيرهم من البشر من حيث الدرجة، ويفوقون البيئة التي يوجد فيها سائر البشر (أي لا تعوقهم معوقات البيئة التي تعجز البشر الآخرين) فهم يأتون من أفعال القوة والشجاعة ما هو فوق طاقة البشر. هؤلاء هم أبطال السير والحكايات الشعبية.

٣ ـ أشخاص يفوقون غيرهم من البشر من حيث الدرجة، ولكنهم لا يفوقون البيئة التي يوجدون فيها. ومن ثم هم ينتهون نهاية مأساوية نتيجة لخطأ يقعون فيه. وهؤلاء هم أبطال التراجيديا كما تصورهم أرسطو.

٤ ـ أشخاص لا يمتازون على غيرهم من البشر ولا على البيئة التي يوجدون فيها. ويعطي فراي هذا القسم اسماً جديداً، وهو «الكيفية المحاكية الدنيا» Low mimetic، مقارناً بالقسم السابق الذي يسميه «الكيفية المحاكية العليا» high mimetic، منبهاً في الوقت نفسه إلى أن الوصف بالعليا والدنيا هنا لا يتضمن حكماً قيمياً، وإنما أريد به تحديد الأقسام لا غير. وتنطبق «المحاكاة الدنيا» على القصص الواقعي، الذي لم يعد فيه مكان لأبطال، بالمعنى المفهوم من القسم السابق.

٥ ـ أشخاص دوننا قدرة أو ذكاء. وينطبق هذا القسم على القصص التي يمكن أن نجد فيها تصويراً لموقفنا في الحياة، لكن في ضوء حرية أعظم، مثل قصص كافكا. ويسمي فراي هذا القسم «الكيفية التهكمية».

فإن فراي يسمي كل نوع من هذه الأنواع «كيفية» mode. ولها خمس كيفيات تناظرها في القسم الكبير الثاني، وهو «الأدب الفكري». وإذا فلم تعد «الكيفية» اصطلاحاً خاصاً بطريقة القول (قصص أو فكر) بل غلب عليه هذا التسلسل في شخصية البطل (أو اللا بطل). وهو تسلسل يراه فراي تاريخياً، فنحن نعيش اليوم في العصر التهكمي.

ويزيد الأمر تعقيداً وتشويشاً أن فراي لم يرَ «التراجيديا» خاصة بمحاكاة الأفاضل (المحاكاة العليا في اصطلاحه) و«الكوميديا» خاصة بمحاكاة الأراذل (المحاكاة الدنيا) بل إن كل حالة من هذه الحالات الخمس توجد في التراجيديا والكوميديا معاً. ومعيار التفرقة بين الاثنين هو أيضاً من تلك الأفكار التي يُسِرّ بها فراي من تحت المائدة، وهو يستمدها من الدراسات التي ربطت بين الطقوس الاجتماعية والأشكال الأدبية (وهذا واضح على الخصوص في الكوميديا). فمدار التراجيديا على انفراد البطل (أو اللابطل) عن المجتمع الذي يحاول أن ينتمي إليه. ومدار الكوميديا على طرد الإنسان الشرير من الهيئة الاجتماعية، وقبول الإنسان الخير (النهاية السعيدة). ولو أن فراي يشير أيضاً إلى أن المطرود يمكن أن يكون هو الإنسان الساذج، الذي يقوم بإضحاك الناس، وفي هذه الحالة يكون طرده منظراً أقرب إلى الإيلام، كما في شخصية «فولستاف» في مسرحية شكسبير التاريخية «هنري الرابع» (من الكيفية المحاكية العليا) وشخصية المهرج في آخر أفلام شارلي شابلن «أضواء المسرح» (من الكيفية التهكمية).

قد تكون حجة فراي في حجب اسم «الجنس الأدبي» عن القصص وعن الفكر أنهما يوجدان مجتمعين في العمل الواحد، فنحن قد نسأل عن عقدة المسرحية أو الرواية وقد نسأل أيضاً عن مغزاها. ولكننا نعرف كذلك أن الفكر يمكن ألا يدخل في شيء من القص، بل كثيراً ما يحدث ذلك، مالم نعدّ كل جملة خبرية قصصاً. (ولا بد من أن نسلم بأن «الفكر» هنا يتسع لكي يشمل الانفعال أيضاً، ما دام الشعراء الرومانسيون داخلين في هذا القسم، وما داموا «ثوريين» و«ذاتيين» كما يصفهم فراي متجنباً كلمة «الغنائية»). ثم إن الصفة المطردة في جميع هذه الأقسام الكبرى أنها قلما توجد خالصة أو نقية (ولعل هذا ما يستفاد من دائرة پيترسن).

وإذا كان فراي قد اختار أن يسمي الأقسام التي تحدث عنها في مقالته الأولى «كيفيات» لا أجناساً أو أنواعاً، وأن يربطها بالتاريخ لا بالتصنيف، مهملاً التفرقة الأساسية بين «القص» و«الفكر» على اعتبار أنهما «وجهان» للعمل الأدبي الواحد، فإننا نجده في المقالة الرابعة والأخيرة ـ وقد جعل عنوانها: «النقد البياني: نظرية الأجناس» ـ يقر بأن إدخال عمل أدبي معين تحت جنس واحد من هذه الأجناس يمكن أن يكون متعذراً. أما

«الأجناس» نفسها فقد قسمها باعتبار الشكل (وهو الاتجاه السائد عند المعاصرين كما سبق أن لاحظنا)، ولكنه حرص على أن يستظل دائماً بمظلة أرسطو. فهو ما زال يذكر عناصر التراجيديا عنده: القصة والأخلاق والفكر والعبارة والمنظر والغناء. وإذا كان أرسطو قد استبعد المنظر لأنه عنصر ضعيف الصلة بالشعر، وجعل الغناء محسّنا ممتعاً فحسب، ولم يزد في تعريفه على ذلك، فلا بأس إذا أسقط فراي هذين العنصرين، ورأى أنه إذا استوفى الكلام على العناصر الأربعة الأخرى فقد استطاع أن يبني على مبادىء أرسطو نقداً علمياً يناسب هذا العصر. وقد استوفى الكلام على القصة والأخلاق والفكر في المقالات الثلاث الأولى، فبقي العنصر الأخير وهو العبارة.

وأساس التصنيف عنده هو طريقة العرض (كما يتضح من عنوان المقالة)، أي أن الأجناس عنده راجعة إلى أشكال العبارة، تلك التي نظر إليها جينيت، فيما بعد، على أنها كيفيات، ورأى أن مفهوم «الجنس الأدبي» أوسع من ذلك وأشد تعقيداً بكثير. وطرق العرض ـ أساس التصنيف عند فراي ـ تنحصر في أربع: فإما أن تُمثَّل الكلمات أمام مشاهِد، وإما أن تقال أمام مستمع، وإما أن تغنى أو تنشد، وإما أن تكتب لقارىء. والأنواع الثلاثة الأولى سماها لنا اليونان، فهي على الترتيب: التمثيلي والملحمي والغنائي. أما النوع الرابع فلم يسموه لأنهم لم يعرفوه، وعلينا نحن أن نسميه[٢٨].

وبصرف النظر عن مدى الدقة في نسبة هذا التصنيف الثلاثي إلى اليونان، فإننا نلاحظ كيف احتال عليه فراي حتى جعله خاصاً بالعبارة وحدها. فلا ذكر هنا للمحاكاة وهي أساس التصنيف اليوناني، ولا ذكر للقصة وهي روح العمل الملحمي والعمل الدرامي عند أرسطو. نلاحظ أيضاً انفراد النوع الغنائي عن الأنواع الثلاثة الأخرى بأنه لم يذكر فيه متلق. فأساس القسمة إذاً ليس واحداً: فهناك التمثيل والقول (أو الإلقاء) والإنشاد والكتابة من ناحية، وهناك مشاهد ومستمع و(لا شيء) وقارىء من ناحية أخرى. وهذا الفرق جدير بأن يفرد الغنائي عن الأقسام الثلاثة الأخرى، فتكون كلها قسماً ويكون الغنائي قسماً قائماً برأسه. كذلك ينبغي أن يفرد الأدب المكتوب ـ في اعتبار آخر ـ عن الأقسام الثلاثة الأخرى مجتمعة، وهذا الاعتبار هو أنها جميعاً شفاهية، فـ «تمثل» و«تقال» و«تنشد» كلها أنواع من الأداء الشفهي. ومع أن فراي يحصر بحث العبارة في مسألة الإيقاع، فإن التقسيم الرباعي يعود فيختلط عنده، لاختلاط الأساس الذي قام عليه، فيتكلم في القسم الأول عن إيقاع الشعر (الإيقاع الترددي) باعتباره مساوياً لإيقاع الكلام المنطوق، ثم يتكلم في القسم الثاني عن إيقاع النثر «الإيقاع المتصل»، ولكنه يخرج منه النثر الخطابي ملحقاً إياه بالقسم الأول. ويتكلم في القسم الثالث عن إيقاع التمثيل (إيقاع المناسبة: أي مناسبة الكلام لمن يقال على لسانه). وفي القسم الرابع عن إيقاع الشعر الغنائي (إيقاع الترابط: ويعني به ـ على

عكس ما تدل الكلمة حرفياً ـ الإيقاع المتقطع، الذي يشبه سجع الكهان). ومع ذلك فإنه يستشهد على هذا الإيقاع الغنائي ببيت في مسرحية لشكسبير.

وهكذا يبدو أن هناك نوعين من الإيقاع فقط: الإيقاع الترددي والإيقاع المتصل، وأن الأول خاص بالأشكال المنطوقة من الأدب، والثاني خاص بالأشكال المكتوبة. وأما إيقاع المناسبة والإيقاع المتقطع فليسا إلا نوعين من الإيقاع الترددي. فهل تكفي هذه الفروق للكلام على «أجناس» أدبية؟

لقد اكتفينا بعرض الخطوط العامة لمقالتي فراي، وتركنا التفريعات والاستطرادات وهي كثيرة جداً (كما أنها غنية جداً وموحية جداً). وفراي يقرر في صدر مقدمته أنه اتبع في هذا الكتاب وصية ماتيو أرنولد: أن يطلق الكاتب العنان لخواطره حول الموضوع، إذا كان هذا الموضوع قد كتب فيه الكثير، دون أن يكون فيما كتب وجهة نظر تحيط بأطرافه. وهذه طريقة في الكتابة يمكن أن تكون ممتعة ومثيرة للفكر وباعثه على التأمل (وهذه هي الفضائل التي جعلت كتاب فراي يحسب في العالم الغربي من أهم كتب النقد التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية). ولكنها ـ بكل تأكيد ـ لا تقرب دراسة الأدب قيد شعرة من «العلمية» التي أرادها فراي، بل تزيد ضجة النقد علواً واختلاطاً.

إن أول ما يجب لإزالة هذا الاختلاط هو فصل النقد الأدبي عن تاريخ الأدب. فالنقد علم تقييمي، وتاريخ الأدب علم وصفي.

وقد حاولنا في كتابنا «دائرة الإبداع» أن ترسم الخطوط الرئيسية للنقد الأدبي، وأن نبين كيف يمكن أن يكون علمياً وتقييمياً في الوقت نفسه. أما تاريخ الأدب فلا يمكن أن يصبح علماً وصفياً إلا إذا استطاع أن يحل مشكلة التصنيف. وقد أوضحنا في مقدمة البحث أسباب اعتقادنا هذا، وبينا في تلك المقدمة أن التصنيف لا يمكن أن يقوم بدون قاعدة للتصنيف، وألمحنا إلى أن هذه القاعدة يمكن أن تكون أكثر تجانساً من قواعد التصنيف في علم الأحياء.

ولم يكون استعراضنا لآراء من تقدمونا في هذا السبيل رغبة في الإزراء بجهودهم، أو الإدلال بما عندنا، فالاقتراح الذي سنقدمه في الفقرة التالية مبني على جهود أولئك السابقين، إلا أننا تجنبنا أخطاءهم كما أفدنا من أنظارهم.

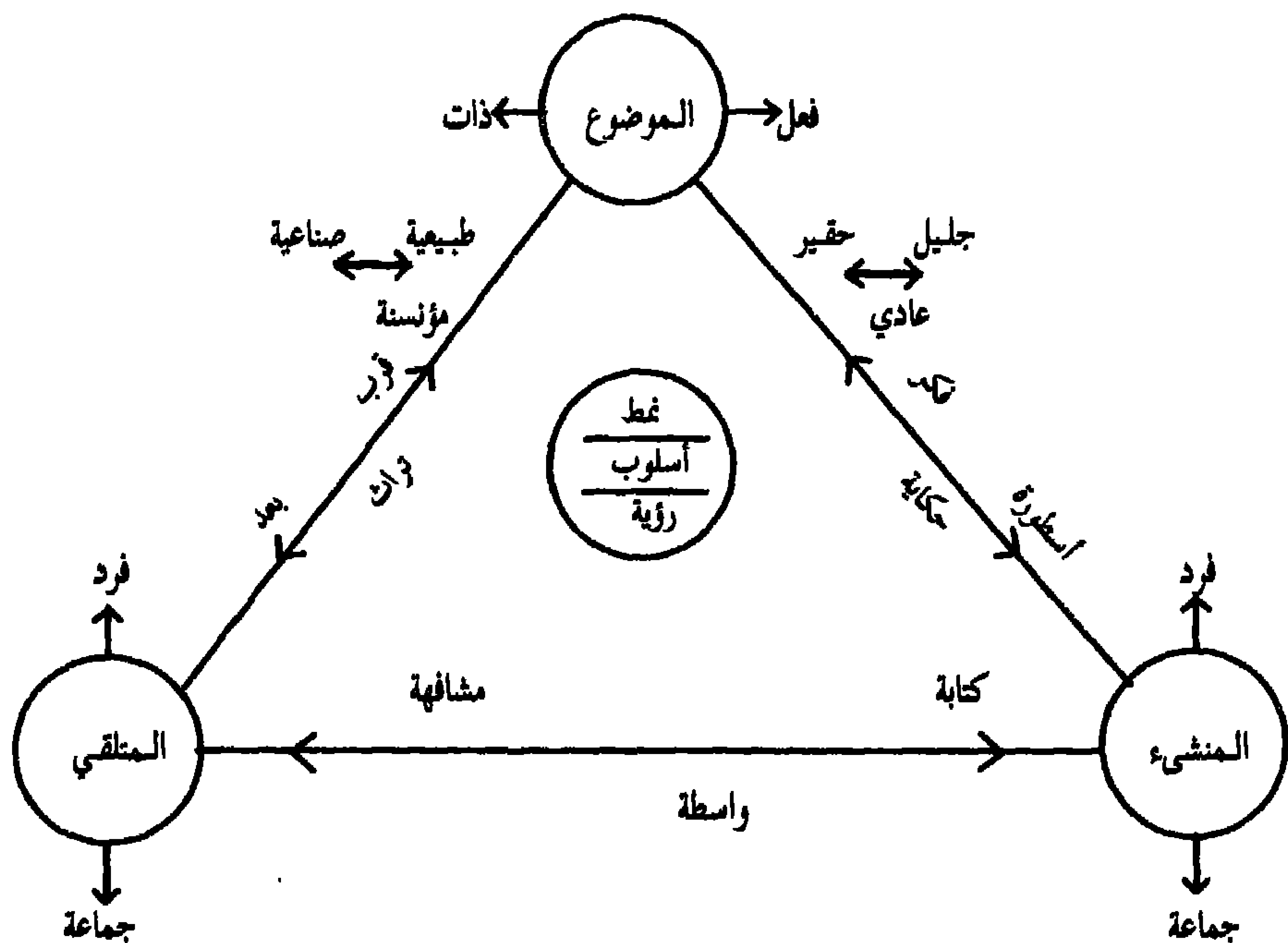
أساس التصنيف كما نقترحه

لا يمكننا أن نطمع في أساس دقيق ورشيق مثل «الكوارك» يكشف لنا أسرار الذرة في علم الأدب. فالإبداع الأدبي ـ الذي نريد أن نصنف أجناسه ـ نشاط شديد التركيب

والتعقيد، أو هكذا يبدو لنا حتى الآن. وقد حاولنا في «دائرة الإبداع» أن نصور هذا النشاط من المنظور الفردي: أي باعتباره تجربة إبداعية تتم بين كاتب وقارىء، أو مصدر ومستقبل، أما حين ننظر إلى هذا النشاط بوصفه ظاهرة اجتماعية فيجب أن نراعي في تصورنا له جميع احتمالات الإبداع، وأن نبرز هذه الاحتمالات على حساب خصوصية التجربة، كما يجب أن نقدم نتائج الإبداع على معاناة الإبداع، وصورته الكلية على أمثلته الكثيرة. فهذا النموذج يجب أن يجمع شتات الأمثلة المتفرقة، دون أن يطغى على خصوصية كل منها، أي أن يكون واسطة بين الفردي والكلي، وبذلك يمكن اعتماده أساساً للتصنيف.

ويجب أن نلاحظ في هذا النموذج: اختلاف الموضوعات، واختلاف كيفيات النظر إلى هذه الموضوعات، واختلاف المبدعين، واختلاف المتلقين، واختلاف الطرق التي يصل بها أولئك إلى هؤلاء. ومن خلال ذلك تتكون أنماط من التعبير، ويتألف من مجموعها أسلوب: أسلوب عصر، أو أسلوب ثقافة، ويكون هذا الأسلوب معبراً عن رؤية، سميناها في سياق آخر: أسطورة جماعية.

ولعل هذه العلاقات المتشابكة تتضح من الرسم التخطيطي التالي:



ويبقى أن نفسر بعض العلاقات والمصطلحات ثم نبين كيف يجب أن يستعمل هذا النموذج:

١ - فالسهم ذو الرأسين يعني أن هناك تدرجاً. أي أن الرأسين يمثلان حالتين متطرفتين بينهما أحوال كثيرة تميل إلى هذا الطرف أو ذاك. وإذا وجدت بينهما حالة وسطى فالمراد أنها مركبة منهما.

٢ - المراد بالذات المؤنسنة تصوير الجماد أو الحيوان في صورة إنسان. كقول امرىء القيس:

كـأن ثبيـرا في عرانـين وبلـه كبير أنـاس فـي بجـاد مزمَّلِ

أو قول الفرزدق:

فقلت إذا عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبانِ

٣ - المراد بالحكاية، المتوسطة بين الأسطورة والفكر، أن المبدع لا يخلع على الموضوع صفات خارقة، أو بعيدة عن مجال العادة، وكذلك لا يخضعه لتفكيره، بل يقف وسطاً: يحكيه (أو يحاكيه، كأنه يمثله لنفسه على ماهو عليه، حتى ينظر في أمره).

٤ - المراد بالواسطة بين الكتابة والمشافهة أن النص المكتوب لا ينتقل إلى المتلقي مباشرة بل من خلال وسطاء كما في التمثيل بمختلف أنواعه (تمثيل حيّ، إذاعي، تلفزيوني).

٥ - المراد بالنمط تقليد أدبي ما. فالقصيدة نمط، والمقامة نمط. وبين النمط والأسلوب عموم وخصوص: فأسلوب عصر ما، أو ثقافة ما، يشمل أنماطاً متعددة، إلا أن النمط قد يتجاوز أسلوب العصر، فتوجد القصيدة في القرن الأول وفي القرن الرابع، والأسلوبان مختلفان. ويمكن أن يُرتقى بالأسلوب للدلالة على ثقافة أمة بأكملها، والرؤية تتبع الأسلوب، ولا تتبع النمط.

٦ - تتغير نقطة الارتكاز بين رؤوس المثلث: فتكون مرة عند الموضوع، ومرة عند المنشيء، ومرة عند المتلقي.

أما عن وظيفة هذا النموذج، فإنه مرجع يمكن باستفتاء عناصره تحديد خصائص النوع الأدبي. فهو لا يصنف ولكنه يمكن أن يتخذ معياراً أو بوصلة للتصنيف. أما القول بأن نوعاً أدبياً ما قد وجد في عصر ما، واستمر أو تطور، فهذا لا بد أن يستقرأ من النماذج الأدبية نفسها، فإذا تميزت مجموعة من القصائد عن غيرها في عنصر أو أكثر من هذا النموذج، ووصلت إلى درجة من الشيوع عند عدد من الشعراء (ويصدق القول نفسه على الفصول المنثورة) صح اعتبارها نوعاً أدبياً.

على أن هذا النموذج لا يحل جميع المشكلات للباحث، بل سيبقي آخرها وأهمها متوقفاً على ملاحظته ودقة نظره وسعة اطلاعه وعمق ثقافته، وأعنـي ما صوّرته في الدائرة التي تتوسط هذا المثلث: أي تحديد صفات النمط، وصفات الأسلوب وكيفية الرؤية.

وستدخُل في مسألة النمط اعتبارات مهمة: كتعدد الموضوعات في العمل الأدبي الواحد، وما يدل عليه ذلك (القصيدة التقليدية)، وطول العمل أو قصره، وطرق الصياغة اللغوية (مما يدخل تحت علم الأسلوب العام).

وقد يرى الباحث أن «القصيدة» كانت نوعاً أدبياً متميزاً، وكانت في الوقت نفسه المنبع الذي صدرت عنه أنواع شعرية تميزت، فيما تميزت به، بوحدة الموضوع، بينما تطورت القصيدة نفسها تطوراً غير هين. ومن هذه الأنواع الشعرية التي تفرعت عن «القصيدة»: الغزلية القصصية، كما مارسها عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد، والخمرية كما مارسها أبو نواس ثم ابن المعتز ثم الشريف العقيلي وكثيرون منهم أو بعدهم. والأرجوزة جنس شعري ثان تطور تطوراً مضاداً لتطور القصيدة، إذ بدأت أبياتاً قليلة في غرض واحد يتعلق بأمور الحياة اليومية، ولم تكن فيها صنعة إذ كانت الأبيات من الرجز تصدر عن أناس لا يعتمدون هذا الفن ولا ينقطعون له، ثم وجدت طبقة الرجاز المحترفين ونافسوا الشعراء أصحاب القصيدة، وظل للرجز مع ذلك أسلوبه المتميز بتدفقه واتصال أبياته (على عكس أبيات القصيد) فناسب موضوعاً يتطلب الإيقاع السريع وهو الصيد، كما نرى في الطرديات التي أكثر منها أبو نواس، وكان موضوع الصيد قبل ذلك واحداً من الموضوعات التي يمكن أن تلم بها القصيدة.

والمقطوعة جنس أدبي كذلك، وجد من أقدم عصور الشعر العربي كما وجدت القصيدة الطويلة، وتميزت المقطوعة دائماً بوحدة الموضوع، وناسبت غرض الوصف، ومواقف الارتجال. وقد يرى الباحث أيضاً أن المقطوعة العاطفية الذاتية كانت نوعاً متميزاً، وقد يرى أن أكثر شعر المجنون، والعباس بن الأحنف، والبهاء زهير، وكل شعر إسماعيل صبري بعد استبعاد قصائد المناسبات، كان من هذا النوع.

وسيكون المثلث الأساسي الذي اقترحناه مُعيناً للباحث على تعيين الجنس الأدبي، فإن السمات الخارجية للجنس الأدبي تتضح بقدر ما يمكن تحديد موقعه بين الأطراف التي احتوى عليها هذا المثلث. علي أن السمات الداخلية لا تتضح إلا بالدراسة الأسلوبية للنصوص. وهنا يجب أن نؤكد أموراً ثلاثة:

الأول: أن ما سميناه «السمات الخارجية» يرجع في القسم الأكبر منه إلى المحيط الاجتماعي. ويمكن أن يتبين الباحث ذلك بمراجعة النموذج. ونحن نفترض أن المحيط الاجتماعي يؤثر تأثيراً عميقاً في شكل العمل الأدبي ودلالته. وإذن فسيكون الحديث عن السمات الخارجية والسمات الداخلية حديثاً واحداً متصلاً.

والأمر الثاني: أن ما قدرناه من ضرورة التمييز بين منهج النقد الأدبي ومنهج تاريخ الأدب لا يعني الفصل التام بينهما. فذلك ـ بداهة ـ غير ممكن وغير مطلوب. والخبرة بالمنهج النقدي العلمي (التفسيري ـ التقييمي) تعين مؤرخ الأدب على التقاط السمات

الفنية التي هي المحك النهائي لتمييز النوع الأدبي.

والأمر **الثالث والأخير**: أن ما لاحظناه من سيطرة الشعر على النثر لا يعني إمكان الجمع بينهما في التصنيف. إن ذلك قد يمكن في الأدب الحديث، كما يمكن في الآداب الغربية الحديثة، إذ يصح أن تعالج الدراما كجنس أدبي واحد، سواء أكتبت شعراً أم نثراً. فقد تفرد مسرحيات شوقي، أو الشرقاوي، أو صلاح عبدالصبور بالدراسة تحت عنوان «المسرح الشعري»، ولكن ذلك لا يخرجها من جنس المسرح أو الدراما. إن الفرق بين المسرح الشعري والمسرح النثري فرق في الأداة لا غير، وهذا قد يجعل الأول أقدر على أشياء لا يحسنها الثاني (هذه دعوى إليوت، في مقال له مشهور، لكن مسرح إبسن، ومترلنك، وسنج، ينقض هذه الدعوى)، ولكن على كل حال لا يكفي للتمييز بينهما كجنسين أدبيين، أو حتى كنوعين متمايزين من جنس واحد.

هذا عن الأدب الحديث. أما عن أدبنا القديم فقد سيطرت لغة الشعر على لغة النثر، ولكن النثر بقي مستقلاً عن الشعر في كل شيء تقريباً عدا ذلك. أي أننا نرى الصورة نفسها، ولكنها معكوسة هذه المرة. وكما وجدنا أن اختلاف طريقة التعبير لا يكفي وحده لتمييز نوع عن نوع، نجد الآن أن تشابه طريقة التعبير لا يكفي وحده لإدماج نوع في نوع، فضلا عن إدماج جنس في جنس.

ومراعاة التمييز بين الشعر والنثر هي الخطوة الأولى الضرورية لإبراز أنواع نثرية كثيرة بقيت زماناً طويلاً في الظل، ولا يكاد يلم بها دارسو الأدب في جامعاتنا ومدارسنا. ويكفي أن نذكر ـ إلى جانب الأنواع التي أشرنا إليها فيما سبق ـ نوعين نثريين لدينا منهما تراث حافل. السيرة والرحلة. وقد نميل إلى أن نعد التاريخ أيضاً من الأدب النثري، وكذلك وصف البلدان، ووصف عجائب المخلوقات.

الخاتمة

أحسبني قد عرضت هذا الموضوع المهم ـ موضوع تصنيف الأدب ـ بأوضح ما أستطيع، وجمعت كل ما استطعت جمعه من أفكار السابقين حوله، وخلصت إلى اقتراح، إن كانت له قيمة فهو خطوة أولى على الطريق الصحيح لإيجاد تاريخ علمي للأدب، وإلا فإنني أدعو الله ألا يبقي صفحات مطوية في مجلة أو كتاب، وأن يبعث في نفوس المهتمين بالأدب وتدريسه قلقاً وتطلعاً إلى مستقبل أفضل لهذه الدراسة. والله من وراء القصد، وهو المستعان على كل حال.

الهوامش والمراجع

(١) لانسون (جوستاف): **منهج البحث في تاريخ الآداب**، ترجمة محمد مندور، ملحق بكتابه «النقد

المنهجي عند العرب»، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٩، ص ٤٠٧.

(٢) ابن وهب (أبو الحسين اسحق بن إبراهيم بن سليمان): **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٧، ص ١٦٤.

(٣) ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي): **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٥٦، ص ١٢٦. وظهرت له طبعة محققة جديدة من عمل الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، الرياض: دار العلوم، ١٩٨٥.

(٤) قدامة بن جعفر (أبو الفرج): **نقد الشعر**، نشر كمال مصطفى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٩، ص٦١.

(٥) ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، جـ ٣، نشر محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٥٥، ص ٢٩٤.

(٦) نقد الشعر، ص ٦٨ - ٧٤، ١٠١ - ١١١.

(٧) البرهان في وجوه البيان، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٨) البرهان في وجوه البيان، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٩) حازم القرطاجني (أبو الحسن): **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦، ص ٩٤، ١٠٥، ١١١ - ١١٥.

(١٠) منهاج البلغاء، ص ٣٢٧ - ٣٣٥.

(١١) الباقلاني (أبوبكر): **إعجاز القرآن**، جـ ١، بهامش كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٥، ص ٥١ - ٥٢.

وللكتاب طبعة أحدث، ظهرت مستقلة عن دار المعارف بالقاهرة، بتحقيق السيد أحمد صقر.

(١٢) ابن خلدون (عبدالرحمن): **المقدمة**، باريس: نشر م. كاترمبر، ١٨٥٨، أعيد طبعه في بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٠، القسم الثالث، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(١٣) المقدمة، ق ٣، ص ٣٣٥.

(١٤) المقدمة، ق ٣، ص ٣٢٤.

(١٥) **كتاب أرسطوطاليس في الشعر**، نقل أبي بشر متى بن يونس... حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عياد، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص ٣٠.

(١٦) أرسطوطاليس، ص ٤٠.

(١٧) أرسطوطاليس، ص ٤١.

(١٨) أرسطوطاليس، ١٥٦.

(١٩) منهاج البلغاء، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢٠) - Genette, Gerard: "Genres, (types), modes" in: **Poetique** 32, Novembre 1977, p. 400.

(٢١) - Poetique, P407-408.

(٢٢) - Poetique, P414.

(٢٣) - Darwin charles: The Origin of Species (The New American Library, New York 1958) Ch. xiv: Classification.

(٢٤) - Rene Wellek & Austin Warren: Theory of Literature (Harcourt, Brace & co., New York 1949) p. 243.

(٢٥) - Poetique, P421.

(٢٦) - Frye, northrop: **Anatomy of Criticism** (Princeton, New Jersey 1973, 1 st ed. 1957) p. 14.

(٢٧) أرسطوطاليس، ص ٣٢.

(٢٨) - Anatony of Criticism, P248.

* * *

دراسة توليدية تحويلية للتركيب المصدري المضاف في اللغة العربية الفصحى

لبانة مشوّح*

* حصلت على الدكتوراه في اللسانيات العامة من جامعة باريس الثامنة عام ١٩٨٦م.
تعمل مدرسة اللسانيات والنحو والترجمة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة دمشق.

الملخص

تقع هذه الدراسة ضمن الإطار النظري للقواعد التوليدية وتستفيد من المبادئ العامة لنظرية «الحكم والربط» (تشومسكي - ١٩٨١) في دراسة خصائص التركيب المصدري في اللغة العربية الفصحى.

عنينا بدراسة تركيب المصدر المضاف حصراً لما في علاقة الإضافة من سمات مميزة.

افترضنا بادئ ذي بدء أن المصدر المضاف إلى مفعوله فاعلاً هو ضمير مستتر يقع على المشجر الركني ضمن الركن الاسمي المخصص للفاعل.

ثم، وبالاستناد إلى المعطيات اللغوية، افترضنا أن هذا الركن الاسمي متقدم على المصدر في البنية العميقة. ثم برهنا نظرياً وتجريبياً على وجود قاعدة تقديم تنقل المصدر إلى موقع يستطيع منه حكم فاعله الظاهر، وبالتالي منحه حالة إعراب حتى يصبح التركيب أصولياً وفق «مرشح حالات الإعراب». بينا أن هذه القاعدة لا تطبق في حال كون الفاعل ضميراً مستتراً مما يسمح بالتعاقب بين المصدر ومفعوله الذي يضاف إليه.

تساءلنا في نهاية البحث إن كان من الممكن أن تعمم النتيجة التي توصلنا إليها على الجملة الفعلية حيث الفعل متقدم على فاعله في البنية السطحية. أي إذا كان من الممكن أن نعتبر أن للجملة الفعلية في العربية، على غرار التركيب المصدري، بنيةً عميقة الفاعل فيها متقدم على الفعل. وأن الفعل لا يصبح متقدماً على فاعله إلا نتيجة تطبيق قاعدة تحويلية ما.

لقد خلصنا إلى القول إن اعتماد هذه النظرية وتعميمها قد يكون من شأنه تفسير ظواهر نحوية عديدة وتبسيط قواعد العربية لجعلها أكثر ملاءمة لمتطلبات العصر.

مقدمة

تقع هذه الدراسة النحوية ضمن الإطار النظري العام للقواعد التوليدية والتحويلية التي أوجدها وطورها عالم اللسانيات الأمريكي نوام تشومسكي Noam Chomsky في الخمسينيات من هذا القرن وهي تتخذ منهجاً لها ما يسمى بنظرية الحكم والربط Government&Binding Theory التي ضمنها تشومسكي في كتاب يحمل العنوان نفسه، نشره عام ١٩٨١[١].

يطرح هذا النموذج النظري نفسه على حد سواء كنظرية لسانية تبحث في القواعد العامة التي تخضع لها كل اللغات الطبيعية، وكنظرية في الاكتساب اللغوي، فمن خلال دراسة الكفاءة اللغوية La compétence Linguistique للمتكلم - السامع، أي المعرفة الضمنية التي يمتلكها عن لغته، ومن خلال تحليل السمات المميزة لكل لغة، يتم الكشف عن الخصائص المشتركة والقوانين اللغوية العامة. من هذا المنطلق، يجب على الباحث الألسني أن يقوم من جهة بوصف دقيق للخصائص المركزية للغة التي يدرسها، ليعمد فيما بعد إلى تحليل المعطيات المتوافرة وتفسيرها عن طريق وضع نظريات عامة يمكن التكهن من خلالها بمعطيات لغوية جديدة. ومن جهة أخرى فإن عليه أن يرد التنوع الظاهري للمظاهر اللغوية التي تناولها بالبحث إلى قوانين تدخل في النظام العام للنظرية الألسنية[٢].

ومن هنا فإن الهدف المزدوج لهذا البحث يكمن في الكشف عن القواعد المحدودة التي تنظم التركيب المصدري في اللغة العربية الفصحى، وذلك من خلال ربطها بالتفاعلات العميقة التي تدخل فيها المكونات النظرية العامة والتي من أهمها نظرية حالات الإعراب Théorie des cas، نظرية الحكم أو العامل Théorie du Gouvernement، ونظرية العناصر الفارغة La Théorie des catégories vides، سنعمد تباعاً إلى شرح كل من هذه النظريات والمبادئ على حدة كما وردت في تشومسكي ١٩٨١، وبالقدر الذي يقتضيه فهم النص. نبدأ أولاً بالتمييز بين مستويين للغة ونعني بهما البنية العميقة والبنية السطحية.

١ـ البنية العميقة والبنية السطحية

تستوجب معرفة لغة من اللغات، حسب نظرية النحو التوليدي، القدرة على إعطاء مجموعة محددة من الجمل «بنية عميقة Structure Profonde تعبر عن الوظائف القاعدية التي تضطلع بمهمة تحديد التأويل الدلالي Interprétation Sémantique، وبنية سطحية Structure de surface تحدد كلية التأويل الصوتي Interprétation Phonologique. كما تستوجب أن نصل بين هاتين البنيتين بطريقة صحيحة، وأن نعطي للبنيتين العميقة والسطحية معاً تأويلاً دلالياً وصوتياً. فإما أن تكون البنية العميقة للجملة مطابقة لبنيتها

السطحية ويكون الانتقال من الأولى إلى الثانية قد تم دون الحاجة إلى تطبيق تحويل ما. وإما أن يتم هذا الانتقال عبر تطبيق قاعدة تحويلية يتيمة أسماها تشومسكي (١٩٨١) قاعدة «انقلα» (٣) Move –α حيثα هو أي عنصر معجمي ينبغي، أو يمكن نقله من مكانه في البنية العميقة إلى مكان آخر يحتله في البنية السطحية

إن جملة مثل «من ضربَ زيداً؟» قد نتجت، وفق هذا التحليل، عن تطبيق قاعدة «انقلα» بصورة إلزامية على اسم الاستفهام في البنية العميقة الموافقة: (ضربَ من زيدا). ينتج عن ذلك البنية السطحية المجردة S-Structure: (من$_x$ ضرب (أثر$_x$) زيدا). حيث يحتل ركن الفاعل الاسمي (ر .إ) عنصر فارغ هو أثر اسم الاستفهام trace ومرتبط به ارتباط الضمير بعائده. تخضع العلاقة القائمة بين العنصر المعجمي الذي وقعت عليه القاعدة التحويلية وأثره لضوابط تركيبية عديدة. وهي تمكن المتكلم ـ السامع من تبيان (من بين أشياء أخرى) الوظيفية الموضوعاتية للعنصر المذكور (وهو في مثالنا اسم الاستفهام).

٢ـ الخصائص المميزة Les traits pertinents

تصنف نظرية القواعد التوليدية العناصر المعجمية حسب صفاته المميزة إلى اسمية (+ اسم)، وفعلية (+ فعل). فمثلاً إن إحدى الصفات الأساسية للاسم هو كونه معرباً. من هنا فإن كل عنصر معجمي معرب له خاصية (+ اسم). أما الفعل فيتميز عن الاسم، من بين أشياء أخرى، بلزومه أو تعديه. لذا يمكننا تصنيف كل عنصر معجمي يحمل نفس الخاصية في باب (+ فعل)، كما هو الحال بالنسبة للمصدر واسم الفاعل...

تنقسم إذن العناصر حسب معيار الصفات المميزة لها إلى (± اسم) و(±فعل). فالاسم هو (+ اسم) و(− فعل)، والفعل (− اسم) و(+ فعل). وعلى هذا الأساس يصنف المصدر والنعت على أنهما (+ اسم) و(+ فعل)، وأما حرف الجر فهو (− اسم) و(− فعل)، فلا هو بالمعرب ولا هو بالمتعدي بالمعنى الموضوعاتي thématique للكلمة، وهكذا...

٣ـ نظرية الحكم La théorie du gouvernement

تحدد هذه النظرية العلاقة التركيبية التي يجب أن تتوفر بين عنصرين حتى يمكن لأحدهما أن يحكم الآخر.

يحكم العنصر α عنصراً آخر B:

أولاً: إذا كان α يهيمن بالشكل الصحيح على B.

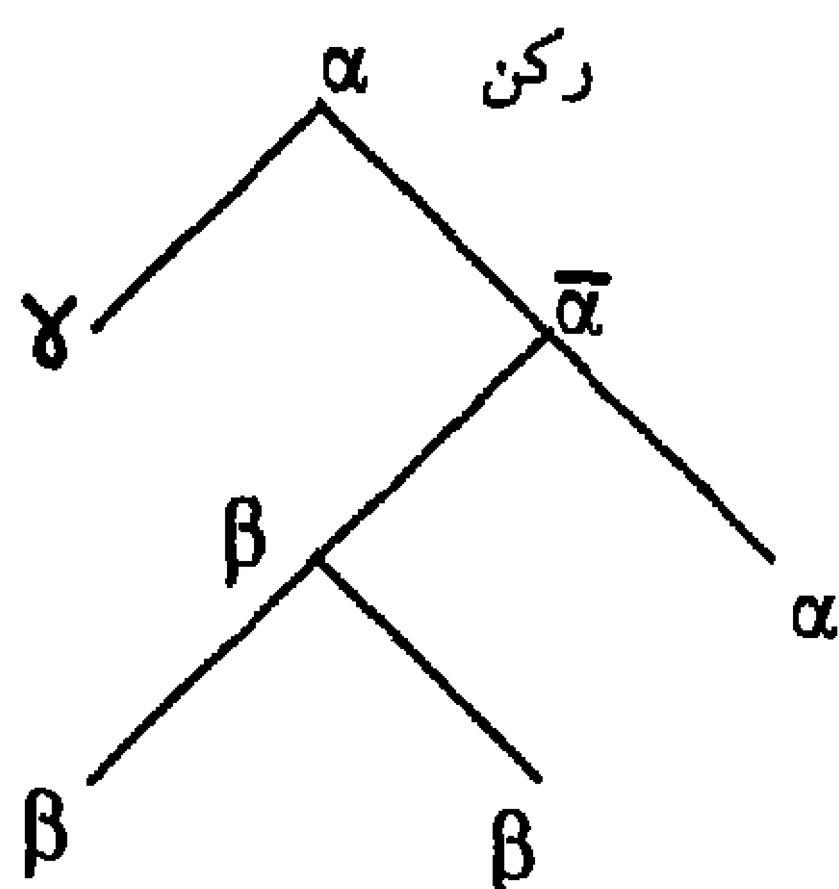
ثانياً: إن لم يكن هناك عنصر ثالث، وليكن γ، يستطيع أن يحكم B، وهو أقرب إليه من α على المشجر البنيوي.

ففي جملة مثل (ضَربْت زيدا)، يحكم الفعل (وهو α) زيداً (وهو B) بينما هو لا يحكمه في (مررت بزيد) حيث إن الباء (وهي هنا γ) أقرب على المشجر البنيوي لزيد من الفعل.

للإيضاح أيضاً نقول إن في جملة (أردت ضرْب زيدٍ) لا يمكن لفعل «أردت» أن يحكم «زيد» لأن المصدر أقرب منه لزيد على المشجر البنيوي.

أما عن البند الأول لنظرية الحكم، أي عما يسمى بعلاقة الهيمنة السليمة C-Commande، فإن العنصر α يهيمن على العنصر B إذا كان α لا يحوي B وكانت أول عقدة متفرعة تحوي α تحوي أيضاً B.

يوضّح المشجر التالي هذه العلاقة:



يحكم α العنصر β لأنه يهيمن عليه، إذ إن $\bar{\alpha}$ هي أول عقدة متفرعة تحوي α وتحوي أيضاً β. لا يمكن لركن α أن يحكم β لأنه يحويه، فهو إذن لا يهيمن عليه. ولا يهيمن α على γ لأن أول تفرع يحوي α لا يحوي γ ، وبالتالي، وحسب البند الأول لنظرية الحكم، فإن α لا يستطيع أن يحكم γ .

أخيراً، تحسن الإشارة إلى أن اللغات تختلف فيما بينها بالاتجاه الذي يتم فهي حكم عنصر لآخر. فالحكم لا يتم في العربية إلا من اليمين إلى اليسار وعلى هذا لا يمكن للعنصر γ أن يحكم α، بالرغم من كونه مهيمناً عليه.

يفترض هذا أنه إذا كان العامل متأخراً على معموله في البنية السطحية فإنه متقدم عليه حكماً في البنية العميقة، وذلك حتى يتيسر له العمل فيه، فيرفعه أو ينصبه أو يجره كما هو الحال في (زيداً ضرْب عمرٌ)، حيث نفترض أن الفعل يحكم ويعمل في أثر الركن الاسمي المتقدم عليه، وليس في زيد مباشرة.

٤ ـ نظرية حالات الإعراب La théorie des cas

هناك نوعان من حالات الإعراب. فمنها ما هو مكتسب كالنصب في المفعول به، ومنها ما هو متضمن في طبيعة العنصر الأساسية كالنصب في الحال والظرف.

بالنسبة للفئة الأولى، تنص نظرية حالات الإعراب على أن لبعض العناصر النحوية القدر على منح حالة إعراب ما للركن الاسمي الواقع تحت حكمها. تختلف هذه العناصر من لغة إلى أخرى ولكن يمكننا القول إنها في العربية الاسم والفعل وحرف الجر والمقيدات وعنصر الزمن.

مرشح حالات الإعراب Le filtre sur les cas

كل ركن اسمي له تمثيل مورفولوجي وليس له حالة إعراب هو غير أصولي. (انظر J-R. Vergnaude 1973).

يشكل مرشح حالات الإعراب، وفق ما أثبته البحث التجريبي، ركناً أساسياً من أركان القواعد الكلية. حيث إنه مشترك بين كل اللغات الإنسانية ويمتلكه الطفل كجزء من كفاءته اللغوية الذاتية.

رُبط مرشح حالات الإعراب هذا ربطاً وثيقاً بالنظرية الموضوعاتية La théorie thématique التي تعنى بتوزع الوظائف الموضوعاتية على الأسماء. فقد اعتبرت حالة الإعراب شرطاً لازماً للاسم حتى يحصل على وظيفة موضوعاتية مناسبة. وهكذا فإن هذا المرشح يفسّر مع النظرية الموضوعاتية عدم جواز تركيب مثل (نوم الطفل الرجل) إذ ليس للرجل عامل ينصبه أو يرفعه أو يجره. وهو يعتبر بالتالي غير مرئي بالنسبة لنظام توزيع الوظائف الموضوعاتية.

كذلك الأمر بالنسبة لعدم جواز (سرّني إكرامُك العظيمُ خالداً) حيث يَمنع الفصل بالنعت المصدّر من العمل في «خالد»، فيبقى هذا الأخير دون حالة إعراب، وبالتالي دون وظيفة موضوعاتية.

نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لـ «زيد» في التركيب التالي (ضُرِبت الزوجةُ زيد)، حيث لا عامل يعمل فيه، وبالتالي فإنه لا يحمل علامة إعراب ويفتقد لأية وظيفة موضوعاتية.

٥ ـ نظرية العناصر الفارغة La théorie des catégories vides

تنص نظرية العناصر الفارغة على أن كل عنصر معجمي يقابله من حيث الخصائص التركيبية عنصر فارغ. فالعنصر العائدي Expression référentielle كالرجل أو زيد يقابله عنصر فارغ اصطُلح على تسميته «المتحول» Variable (كأثر اسم الاستفهام)، والضمير

المتصل والمنفصل يقابله الضمير المستتر [ضم] (كفاعل المصدر المستتر). و«نفس» المتصلة بضمير في جملة مثل (أعطى نفسه فرصة أخيرة) يقابلها عنصر فارغ يختلف عن الضمير المستتر من حيث الشروط التركيبية التي تتحكم في ارتباطه بعائده.

أما عن المبادئ والشروط التي تتحكم بتوزع كل من هذه العناصر الفارغة فلا مجال لشرحها في هذه العجالة.

التركيب المصدري

من المعروف أن بمقدور مصدر الفعل المتعدي، على غرار الفعل المتصرف، الظهور في تركيب يحوي الفاعل والمفعول على حد سواء. في هذه الحالة، يعمل المصدر حين يكون مضافاً في فاعله ومفعوله حسب نظريتي الحكم وحالات الإعراب، فيجر الأول وينصب الثاني. هذا ما نجده في الجمل التالية:

(١) أعجبني ضرب الأميرِ اللصَّ

ويمكن للمصدر المضاف أيضاً أن يظهر ملازماً لمفعوله ويكون فاعله ضميراً مستتراً، أي عنصراً فارغاً من أي محتوى معجمي. علامة إعراب المفعول به تكون في هذه الحالة الجر وليس النصب، خلافاً لما هو الحال في التركيب الفعلي المقابل[٣]:

(٢) آ ـ أود ضرْب اللصِ

* ب ـ أود ضرْب اللصَّ

(٣) ضرَب اللصَّ

لنؤكد بادئ ذي بدء على نقطة أساسية وهي:

أن لضمير الفاعل المستتر في (٢ـ آ) وظيفتين، إحداهما دلالية والأخرى تركيبية، مثله في ذلك مثل كل العناصر الفارغة حسب مبدأ العناصر الفارغة. فبالرغم من «استتاره»، أي فروغه من أي محتوى معجمي، إلا أن له خصائص تركيبية وهو بذلك يحتل موقعاً محدداً على المشجر البنيوي، شأنه في ذلك شأن أي عنصر معجمي آخر. تعنى هذه الدراسة بتحديد هذا الموقع وذلك بالاستناد إلى الظواهر النحوية المتوفرة في التركيب المصدري موضوع البحث. فلمثل هذا التحديد دلالات هامة ونتائج سنستخلصها فيما بعد[٤].

النقطة الثانية التي نود أن نلفت نظر القارئ إليها هي أننا لا نعنى هنا بعمل المصدر المجرد عن الإضافة وأل ـ وهو المنون ـ نحو «عجبت من ضربٍ زيدا» ولا المصدر المحلى بالألف واللام، نحو «عجبت من الضربِ زيدا». وإنما نقتصر في دراستنا على

المصدر المضاف إلى فاعله (انظر (١)) أو إلى مفعوله (انظر (٢)) ذلك أن أهمية التركيب الذي يدخل فيه المصدر المضاف تنبع بالنسبة لنا من طبيعة علاقة الإضافة نفسها. هذه العلاقة التي يعتبر فيها الاسم المجرور «داخلاً في الجار غير منفصل، فصار كأنه شيء من الاسم لأنه معاقب للتنوين»(٥). المصدر المضاف والاسم المضاف إليه متعاقبان إذن، سواء أكان هذا الاسم فاعل المصدر أم مفعوله. هذا التعاقب سيكون دليلنا لإثبات أن فاعل المصدر المستتر متقدم عليه، على العكس من الفاعل المستتر في جملة فعلية عادية.

أما المصدر المنون فهو يعمل كالفعل تماماً من حيث إنه يرفع فاعله وينصب مفعوله. وأغلب الظن أنه يدخل في نفس تركيب الجملة الفعلية فيما يخص علاقته مع مفعوله، سواء أكان فاعله ظاهراً أم مستتراً.

من المعطيات السابقة والمتمثلة في (١) و(٢). يمكننا افتراض وجود عملية نحوية خاصة تفرض على المصدر الدخول في مركب إضافة مع الركن الاسمي الذي يجاوره. سواء احتوى هذا الركن الاسمي على عنصر معجمي أم على عنصر فارغ. وكما في كل تركيب إضافة، يحمل الاسم المضاف إليه علامة الجر، أياً كانت الوظيفة الموضوعاتية Le rôle thématique المنوطة به. (فالاسم المجرور في (١) «فاعل» Agent. بينما هو «مفعول به» Thème في (٢ـ آ). وبما أن (اللص) وهو المفعول له يحمل حكماً علامة الجر في (٢ـ آ). وبما أن هذا ممكن فقط في حال كون العلاقة القائمة بين المصدر والركن الاسمي الذي يليه علاقة تعاقب، فإننا نفترض أن الركن الاسمي الذي يحوي المفعول به يتبع المصدر مباشرة في المشجر البنيوي. أما ضمير فاعل المصدر المستتر والذي سنرمز له ب(ضم)، فلا يمكن أن يتوضع على المشجر البنيوي بين المصدر ومفعوله وإلا أخل بهذا التعاقب. فلو كان (ضرْب) في تركيب متسلسل يسمح له بأن يحكم فاعله ومفعوله على حد سواء كما هو الحال في (١)، لكان توزع علامات الإعراب مغايراً لما هو عليه في واقع الحال. ولكانت (٢ـ ب) أصولية بنفس الدرجة التي هي عليها (١).

لنسلم على ضوء كل ما سبق بأن البنية العميقة لتركيب المصدر المضاف في العربية تختلف عن بنيته السطحية. تمثل هذه البنية العميقة في (٤)، حيث (ج) هي رمز جملة، و(ر.إ) هي رمز ركن اسمي و ـ أ ـ و ـ ب ـ متحولان:

(٤)	(أ))	(α)	مصدر	((B)...ب))
	ج ر.إ	ر.إ		ر.إ
	أعجبني	زيد	ضرْب	اللص
	أعجبني	[ضم]	ضرْب	اللص

(α) هو فاعل التركيب المصدري والركن الاسمي B الواقع على يسار المصدر له وظيفة المفعول به Thème. ويكون غائباً عند لزوم المصدر.

إذا كان للعنصر α تمثيل مورفولوجي كما هو الحال في (١)، فإنه يصبح بالضرورة، وككل ركن اسمي ظاهر خاضعاً لمرشح حالات الإعراب. فكيف يحصل على علامة الإعراب وهو متقدم على المصدر، كما يبين (٤)؟

ذكرنا أن عنصراً ما لا يمكنه أن يمد عنصراً آخر بحالة إعراب ما مالم يكن يحكمه (أو يعمل فيه حسب التعبير المعهود في النحت العربي). وذكرنا أيضاً أن عملية الحكم لا تتم في العربية (عامية كانت أم فصحى) إلا من اليمين إلى اليسار وليس بالاتجاه المعاكس. من المسلم به إذن أن المصدر في التركيب (٤) عاجز عن حكم α لأن هذا الأخير واقع على يمينه، وبالتالي فإنه يستحيل عليه مده بأية حالة إعراب.

من جهة أخرى، لا يمكن للركن الاسمي α في (٤) أن يحصل على حالة الإعراب الضرورية من أي مصدر آخر متوضع خارج حدود الركن المصدري. ذلك أنه يقع ضمن حدين أعظميين projections maximales ((ج) و(ر.إ)). فالتركيب المصدري هو في آن واحد ركن اسمي (لأن لرأسه أو لمركبه الأساسي، وهو المصدر نفسه، ما للاسم من خصائص وأولها كونه معرباً متغير الآخر)، وركن جملة (لما له من خصائص الجملة الفعلية باستثناء عامل الزمن المجرد عنه المصدر). لذا فإنه يقع ضمن حدود لا يمكن تجاوزها من قبل أي عامل محتمل فعلاً كان أم اسماً، أم حرف جر أم مقيّداً Complémenteur. أما المصدر فهو رأس الركن الاسمي مما يجعله في متناول حكم الفعل الذي يعمل فيه فيمده بحالة إعراب تتناسب والوظيفة النحوية المنوطة به.

نستنتج مما سبق أن جملة مثل (٥) لا يمكن أن تكون أصولية بسبب مرشح حالات الإعراب الذي يمنع متكلم اللغة Locuteur أصلاً من توليدها. ويجعل المتلقي أو السامع auditeur يرفضها دون تردد. وذلك بغض النظر عن تأديتها أم لا لوظيفتها الدلالية:

(٥)	*	(أعجبني (	(	الأميرُ ضرب اللص)))
	ج	ج	ر.إ	
				الأميرَ
				الأميرِ

لتفادي هذا الانحراف لا بد من تأخير الفاعل إلى حيث يمكنه الحصول على حالة إعراب مناسبة. ينتج عن هذا التحويل الجملة (١) التي توافق المرشح المذكور.

ناقشنا فيما سبق خصائص التركيب المصدري الذي يحوي فاعلاً ظاهراً واعتبرنا أن البنية العميقة لمركب مثل ((ضرْب الأميرِ اللصَ)) هي ((الأمير ضرْب اللص)). أما الانتقال الحتمي للفاعل من يمين المصدر إلى يساره فقد عزوناه إلى مرشح حالات الإعراب.

ولكن ماذا لو كان فاعل المصدر ضميراً مستتراً (ضم)؟

لقد بات معروفاً بالاستناد إلى دراسات معمقة تناولت نفس العنصر في لغات متنوعة وعديدة[٦]، أن (ضم) لا يخضع لمرشح حالات الإعراب. ونقتصر هنا على إيراد حجة واحدة وهي أن خصائص توزع (ضم) propriétés distributionnelles في الجملة تناقض تماماً تلك التي يمتاز بها الاسم الظاهر. وهكذا فإن المكان الذي يحتمل أن يتوضع فيه (ضم) يجب ألا يطاله حكم أي من العناصر المعجمية. هذا مرتبط بخصائص (ضم) العميقة والتي لا مجال هنا للخوض فيها.

ينتج عما سبق أن التحويل الذي أدى إلى نقل الفاعل الظاهر داخل التركيب المصدري من على يمين المصدر إلى يساره ليس فقط غير ضروري بل هو محظور. فهو لو طبق على α حيث α (ضم) لوضعه في موقع يتنافى وخصائصه التركيبية، لأنه سيصبح آنئذ محكوماً من قبل المصدر وهذا غير ممكن كما أسلفنا، وبالفعل، فإن جملة مثل (٢ب) غير جائزة، بمعنى آخر، فإننا نعتبر أن البنية السطحية للتركيب المصدري الوارد في (٢- آ) هي (٦- آ) وليس (٦- ب):

(٦) آ - (((ضم) ضرْب اللصِ))

ج ر.ا

ب - (((أثرx) ضرْب (ضمx) اللصِ))

ج ر.ا

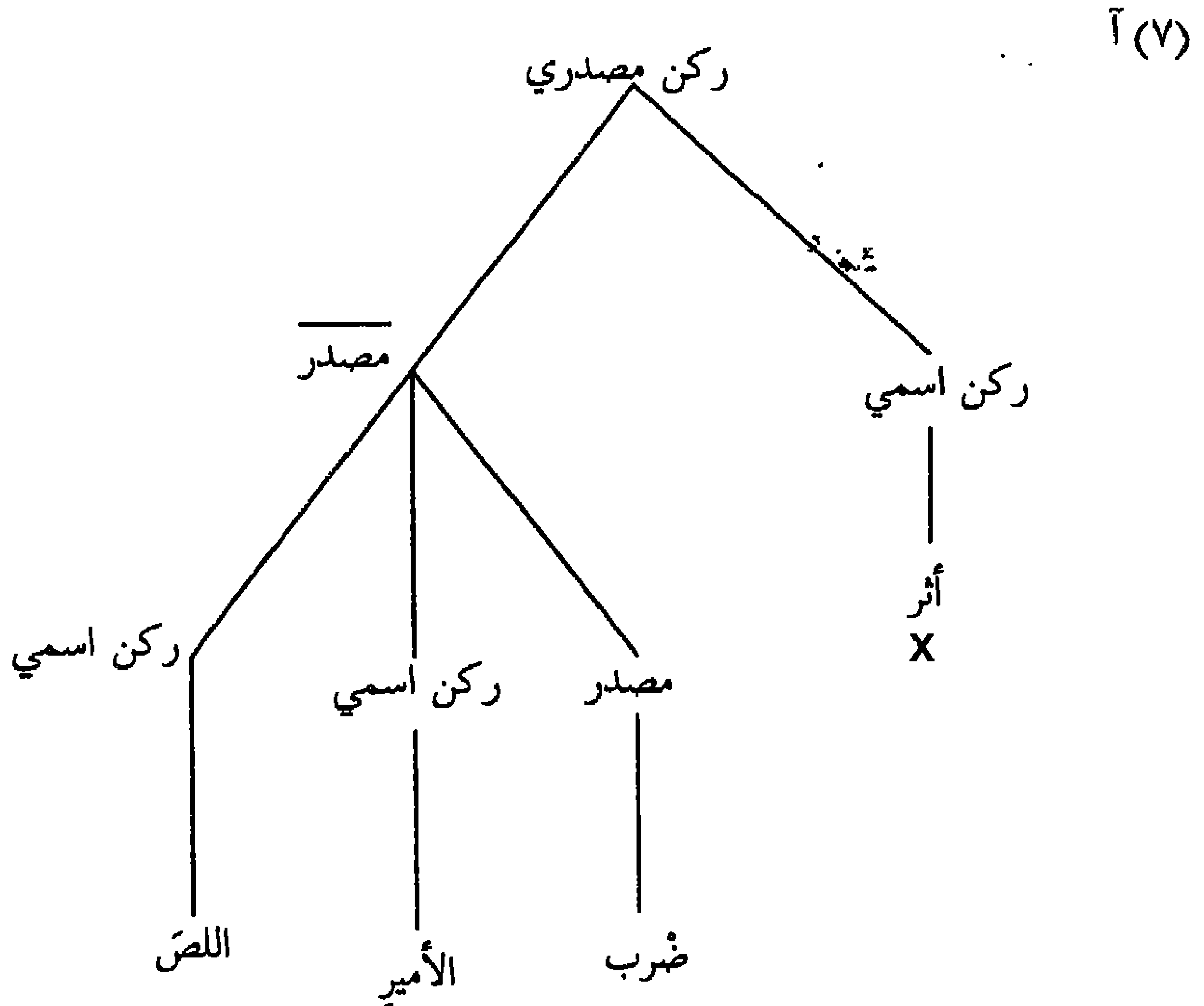
ولو كان الأمر على خلاف ما ذكرنا لمنع (ضم) المصدر من الدخول في مركب إضافة مع (اللص)، ولحمل (اللص) علامة النصب بدلاً من الجر وهذا غير ممكن.

تقديم أم تأخير

ولكن أي شكل ستأخذه القاعدة التي تسمح بالانتقال من البنية العميقة المجردة (الأمير ضرْب اللص) إلى البنية السطحية (ضرْب الأميرِ اللصَّ)؟ وكيف لنا أن نختار بين نوعين من التحويل يمكن أن ينتج عن كل منهما التركيب المصدري الصحيح في البنية السطحية، وأعني بهما تحويل ينقل الفاعل إلى موقع على يسار المصدر، أو آخر ينقل المصدر إلى موقع متقدم على يمين الركن الاسمي الفاعل. بمعنى آخر، هل قاعدة التحويل هذه هي قاعدة تأخير أم قاعدة تقديم؟

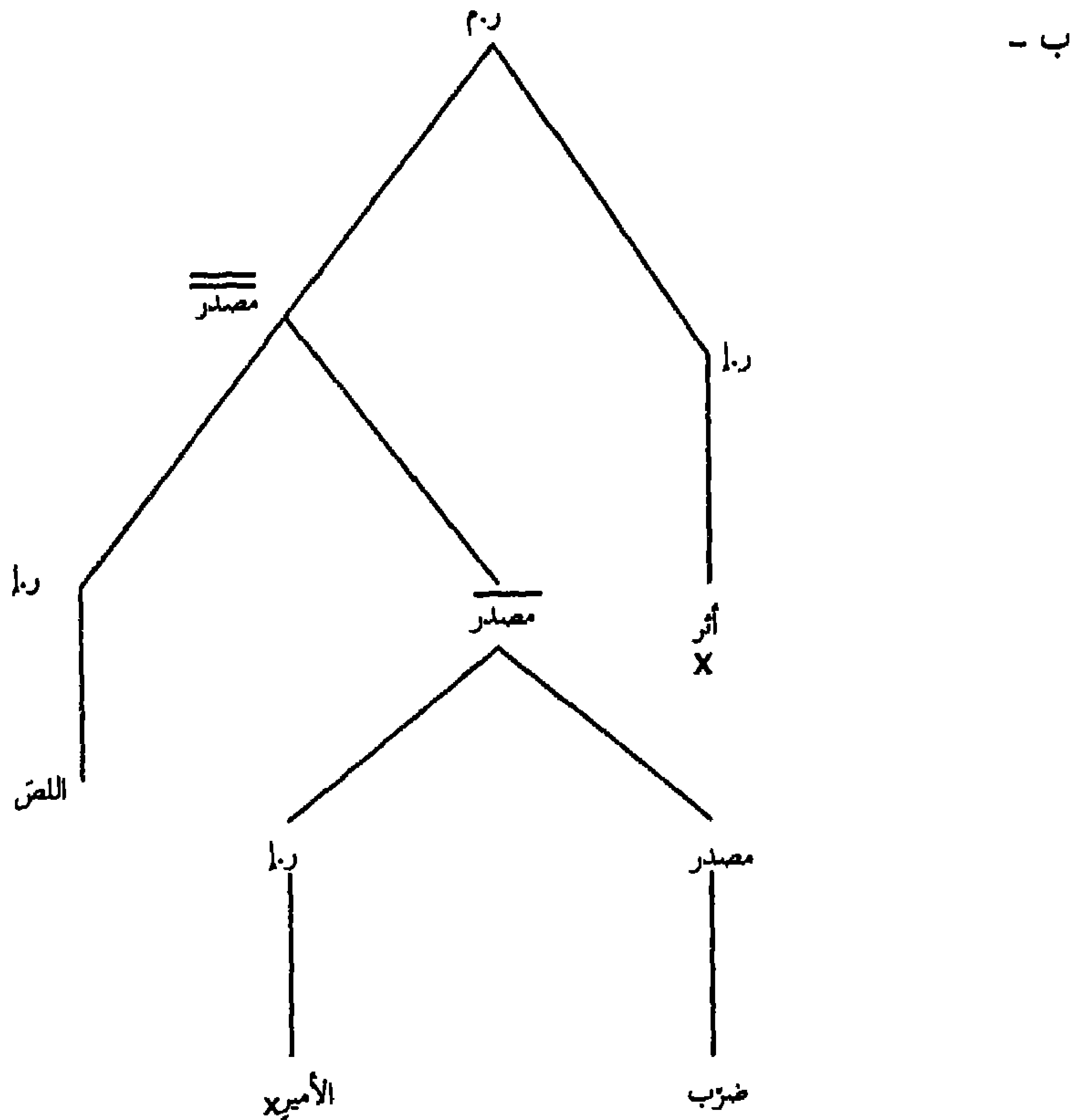
إذا افترضنا أن الانتقال من البنية العميقة (٤) إلى البنية السطحية (١) يتم عبر قاعدة تأخير لفاعل المصدر، فإنه يمكن تمثيل البنية السطحية للتركيب بواسطة واحد من المشجرات التالية التي تحلل التركيب المصدري إلى مكوناته المباشرة والتي يحوي كل منها على الأثر الذي تركه (الأمير) عند انتقاله من يمين المصدر إلى يساره:

(٧) آ



حيث مصدر هو مركب داخل الركن الأساسي، يحتوي على رأس هذا الركن بالإضافة إلى عنصر آخر أو أكثر.

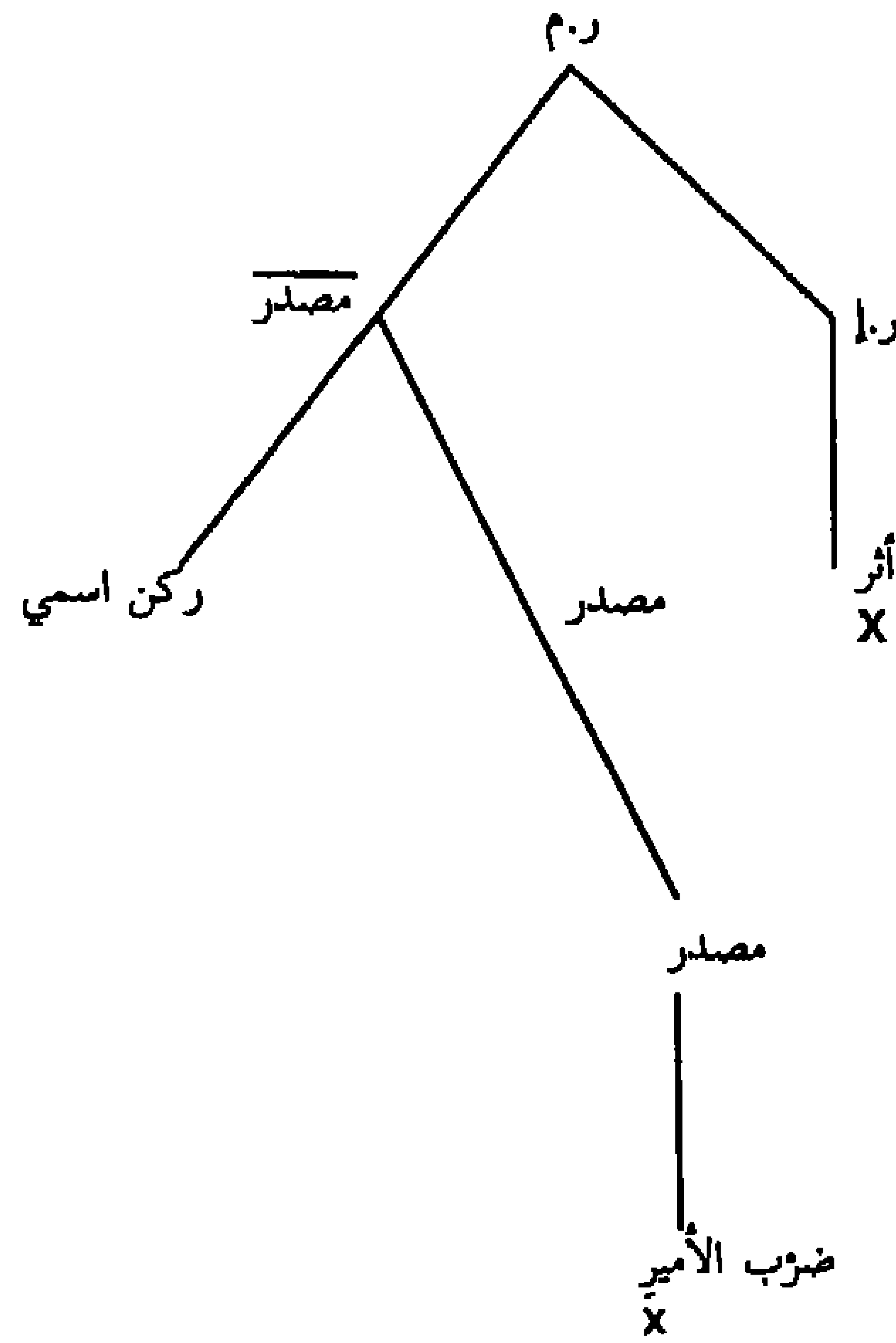
ب -



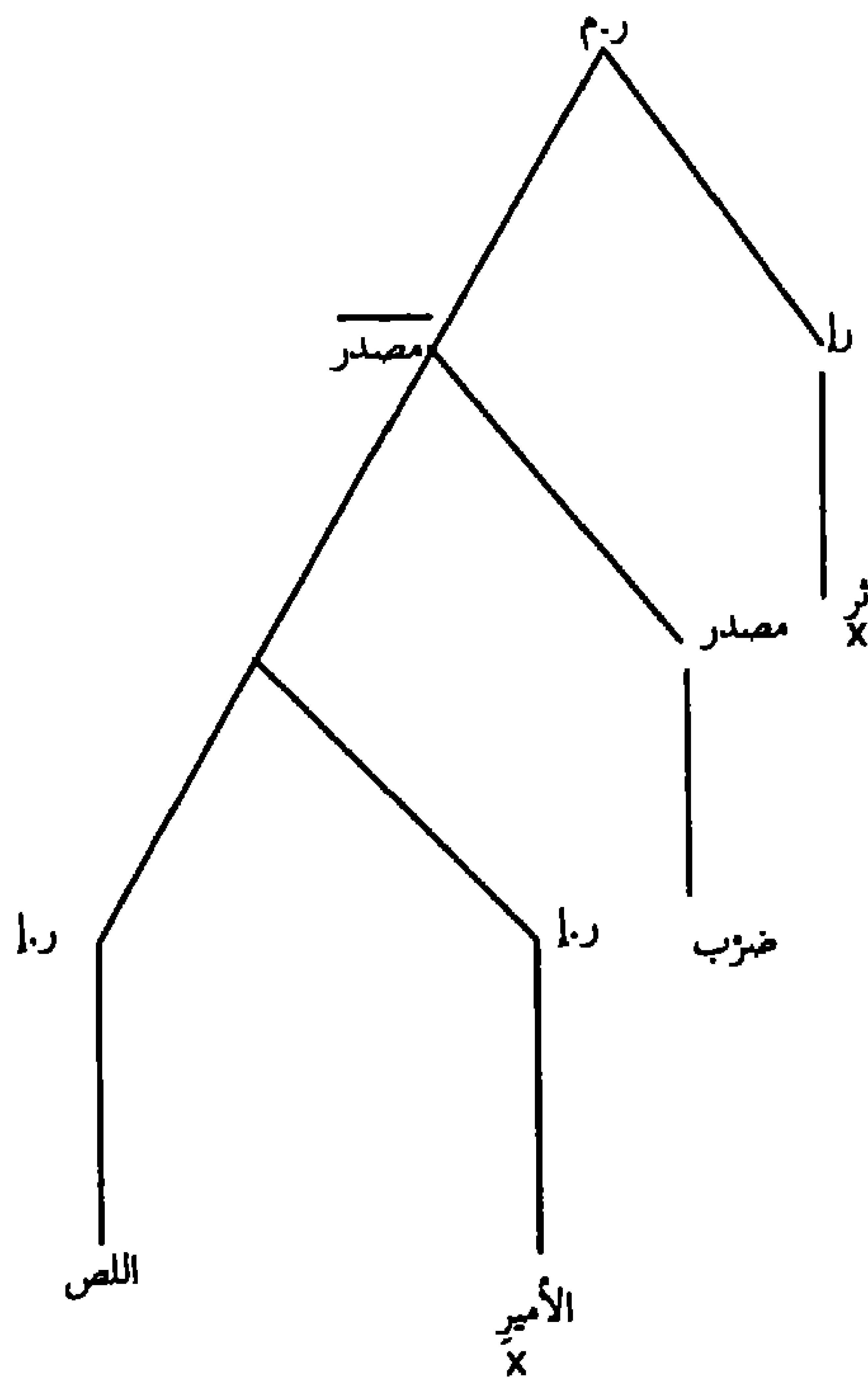
إن اختيار أي من هذه المشجرات يجب ألا يتم بصورة عشوائية لما له من نتائج عميقة في الدراسة النحوية. ذلك أن القيمة النظرية لأي مشجر بشكل خاص ولنظرية النحو بشكل عام إنما تنبع ليس فقط من القدرة على تلخيص المعطيات اللغوية التي هي قيد الدرس ومن ثم إيجاد تفسير للتنظيم القائم ضمن هذه المعطيات، وإنما تكمن أيضاً في القدرة على التكهن الصحيح بمعطيات أخرى ضمن اللغة نفسها.

إن المشجر البنيوي الثلاثي التفرع (٧- آ) مرفوض نظرياً وتجريبياً على حد سواء. فمن الناحية النظرية يعتبر مخالفاً لقيد يفترض أنه عام وتخضع له كل اللغات الطبيعية. ألا وهو قيد الطرق غير الملتبسة(٧) La contrainte sur les chemins non-ambigus ينص هذا القيد الذي أوجده عالم اللسانيات الأمريكي ريتشارد كين Richard Kayne على أن الطريق الواصل بين عنصر ما وعنصر آخر يحكمه يجب أن يكون خالياً من أي لبس. ويكون في الطريق لبس إذا واجه في مساره نحو الأسفل أكثر من تفرع واحد أو أكثر من احتمال واحد. بمعنى آخر، فإن المشجر يجب أن يكون ثنائي التفرع وليس ثلاثياً أو أكثر(ه) كما هو الحال في المشجر الركني (٧- آ).

ج -


ر.م
مصدر
ر.ا
ركن اسمي
مصدر
أثر
x
مصدر
ضرب الأمير
x

ح -


ر.م
مصدر
را
مصدر
أثر
x
ر.ا
ر.ا
ضرب
اللص
الأمير
x

أما من الناحية التجريبية، فإن المشجر (٧- آ) غير ملائم لكون التفرع الثلاثي فيه يفترض أصلاً تماثل العلاقة القائمة بين المصدر والركن الاسمي الأول من جهة، والمصدر والركن الاسمي الثاني من جهة أخرى. وهذا مخالف لواقع الحال. فالمصدر مرتبط مع الركن الاسمي الأول بعلاقة خاصة ومتميزة تتجلى بالإضافة. هذه العلاقة التي يذهب النحوي الكبير سيبويه إلى حد تشبيهها بتلك القائمة بين المصدر والتنوين، مفقودة بين المصدر والركن الاسمي الثاني، حيث تكتسب طبيعة أخرى مختلفة.

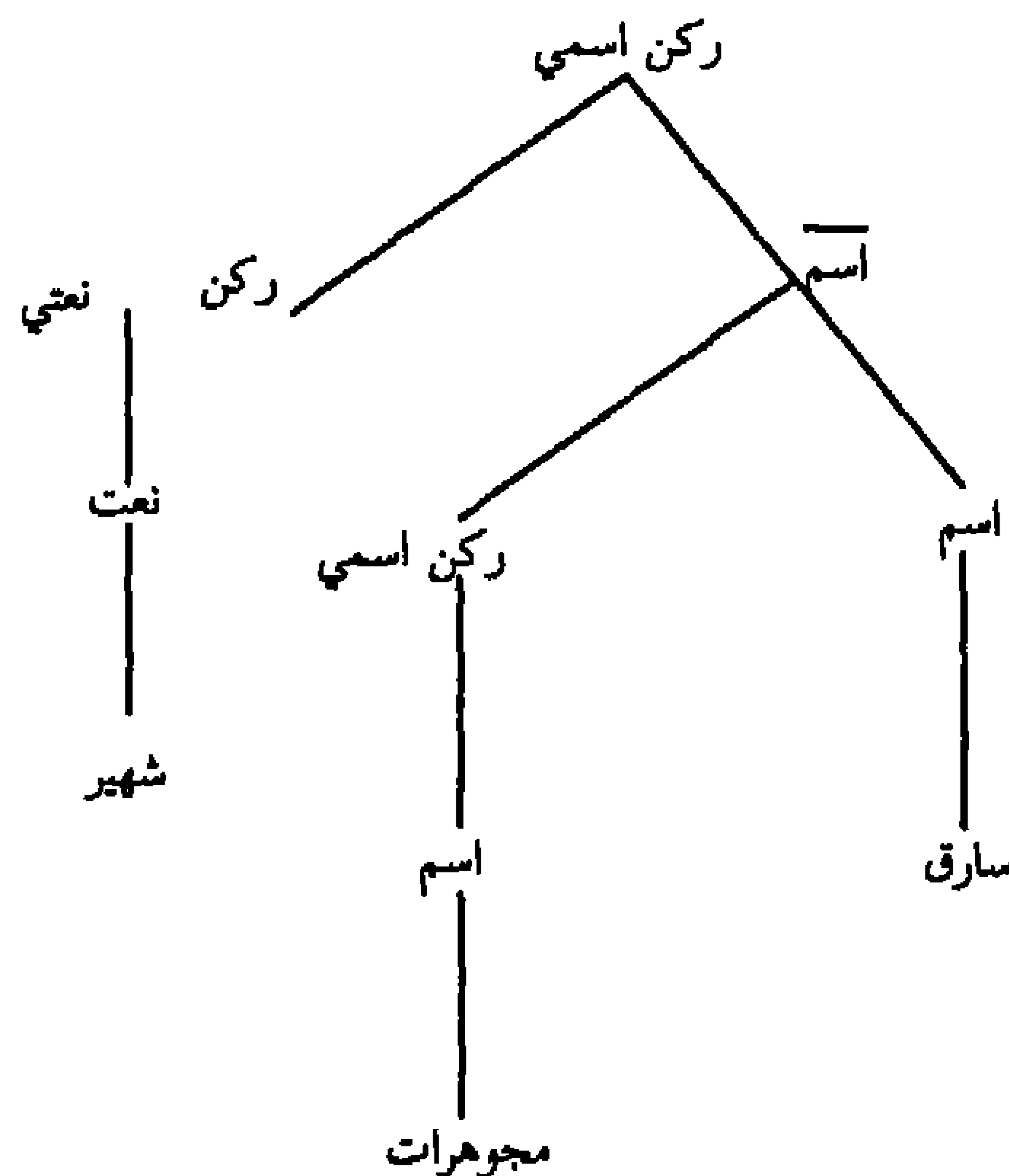
المشجر (٧- ب) لا يمكنه بدوره أن يقرن بالبنية السطحية (ضرْب الأميرِ اللصّ) المتحولة من (الأمير ضرْب اللص)، إذا أن أحد المبادئ الأساسية لنظرية حالات الإعراب يحصر العناصر المعجمية القادرة على منح حالة إعراب ما بتلك التي تنتمي للفئة البسيطة (س) كالاسم والفعل وحرف الجر مثلاً. بينما يمنع العناصر الأعظمية Catégories Majeures (أي الركن الاسمي والركن الفعلي والركن الحرفي) وكذلك العناصر المركبة من فئة (سَ.) من أن تمد ركنا اسمياً ما بأية حالة إعراب كانت. يُفسِّر هذا المبدأ، إذا ما ربط بمرشح حالات الإعراب، وجوب توضع النعت العائد على رأس تركيب الإضافة بعد المضاف إليه، كما يبين المثال (٨- آ)، وليس مباشرة على يسار المضاف، كما في (٨- ب).

(٨) آ ـ سارق مجوهرات شهير.

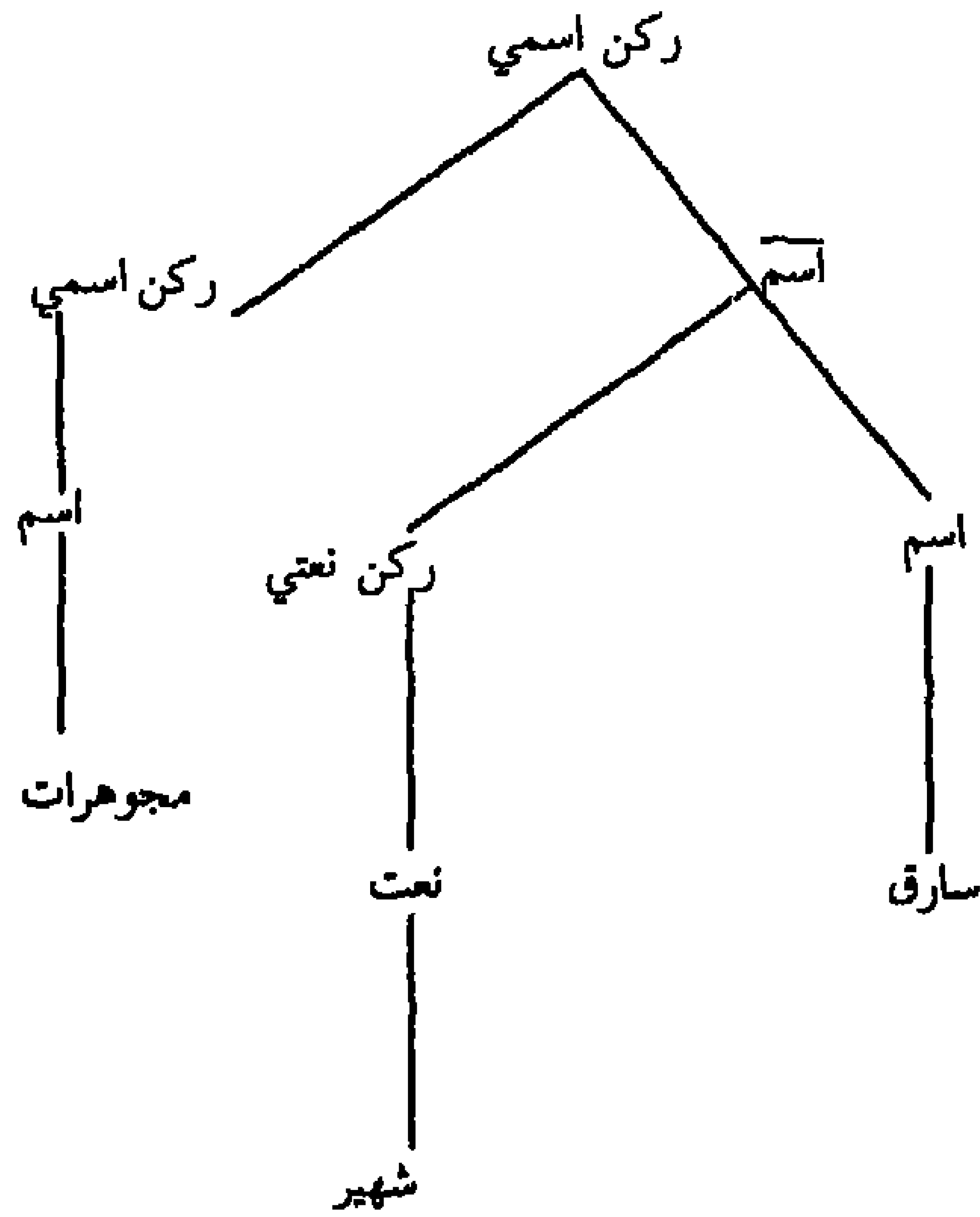
* ب ـ سارق شهير مجوهرات.

يوضح المشجران (٩- آ) و (٩- ب) طبيعة العلاقات التركيبية القائمة بين عناصر المثالين السابقين:

(٩) آ ـ



ب ـ



يظهر المشجر الركني (٩ـ آ) العائد للتركيب (٨ـ آ) كيف أن اسم الفاعل (سارق) يهيمن بالشكل الصحيح على (مجوهرات) فيحكمه ويمده بحالة الإعراب اللازمة. أما في (٩ـ ب) فإن (سارق) لا يدخل في نفس العلاقة التركيبية مع (مجوهرات)، فهو لا يهيمن عليه. إذ أن (اسم) هي أول عقدة تتفرع وتحوي (سارق)، لكنها لا تحوي (مجوهرات). وبهذا، لا يمكن لـ (سارق) أن يحكم (مجوهرات)، وبالتالي فهو عاجز عن منحه أية علامة إعراب [٨].

من جهة أخرى، يقع الركن الاسمي (مجوهرات) في (٩ـ ب) ضمن حدود ركن اسمي رأسه (أو عنصره الأساسي) اسم الفاعل. فهو إذن ضمن حدود لا يمكن لعامل آخر من الخارج أن يتجاوزها فيرفعه أو ينصبه أو يجره. في (٩ـ ب)، يبقى إذن الركن الاسمي (مجوهرات) مجرداً من أية حالة إعراب، وهذا ما لا يجوز وفق مرشح الإعراب.

نفس الشيء ينطبق على المصدر الذي يشترط في إعماله ألا ينعت قبل تمام عمله، فلا يقال (إكرامُك العظيمُ خالدا) بل يجب تأخير النعت على معمول المصدر فتقول (إكرامُك خالدا العظيمُ)[٩].

ينتج عما سبق أن المشجر (٧ـ ب) لا يعبر عن الخصائص التركيبية للركن المصدري(١). لأنه يفترض أن هذا التركيب غير أصولي بسبب مخالفته مرشح حالات

الإعراب، كون مصدر عاجز عن مد (اللص) بعلامة الإعراب المناسبة.

إن المشكلة التي واجهتنا في المشجر (٧- ب) يمكن تفاديها إذا اعتبرنا أن قاعدة تأخير الفاعل تدمجه دمجاً كلياً بالمصدر. عندها تصبح العقدة noeud التي تربط العنصرين مباشرة من الفئة البسيطة (س). وليس من الفئة المركبة (س̄). مما يمكنها من مد الركن الاسمي (اللص) بعلامة الإعراب المناسبة. وأعني بها النصب. يُضعف هذا التحليل جوازُ التركيب التالي حيث تم فصل المصدر عن فاعله بظرف (١٠) (١١).

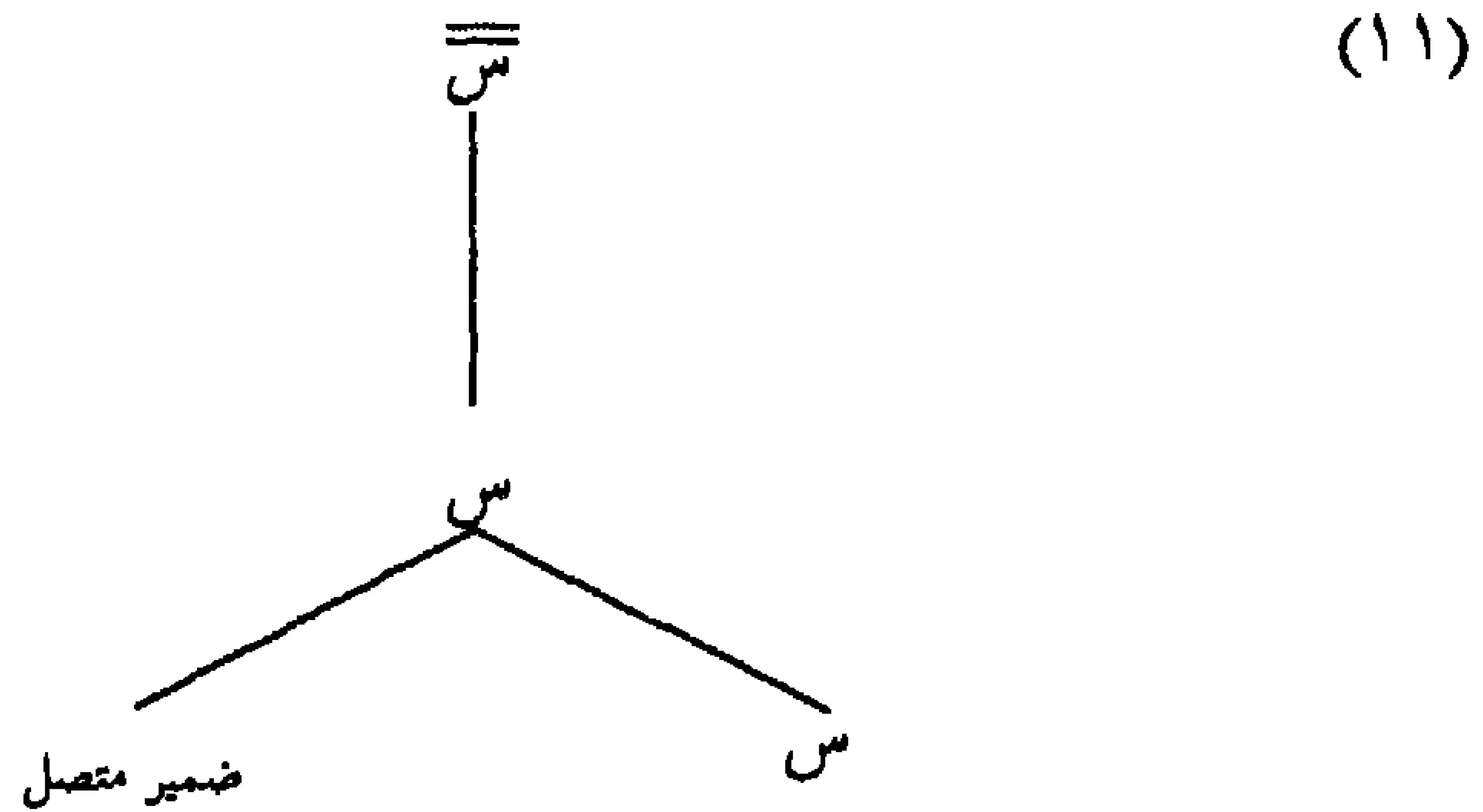
(١٠) ١- ضرب اليوم المعلمةِ زيدا يقلقني.

هذا يدلنا على أن قاعدة تأخير الفاعل عن المصدر ليست قاعدة دمج. وإلا لكانت علاقة المصدر بفاعله الظاهر هي نفسها العلاقة القائمة بين الضمير المتصل والعنصر المعجمي (س) المتصل به، هذه العلاقة يمكن تمثيلها في اللغة العربية (المنطوقة والمكتوبة على حد سواء) كما يلي:

(حيث إن/ س/ هو أي عنصر معجمي من فئة الأفعال، الأسماء، أحرف الجر أو المقيدات)(١٢).

لو كان المشجر (٧- ج) هو الذي يعبر عن العلاقات التركيبية الناتجة عن تقديم فاعل المصدر عليه لوجب اعتبار هذا الفاعل ملتحماً بالمصدر كما هو حال الضمير المتصل. ولكانت له بالتالي نفس خصائص الضمير المتصل فيما يتعلق بالعطف والتأكيد. فمن المعروف أن الضمير المتصل الملتحم بالعنصر (س) (كما يبين الشكل/ ١١/) لا يعطف عليه ولا يحتمل نبرة التأكيد:

(١١)



(١٢) * ضربه وها زيدا يقلقني

(أي ضربه وضربها زيدا يقلقني).

(١٣) * ضربه زيدا يقلقني.

(أي ضربه هو وليس ضربها هي زيدا يقلقني)

لا يشترك فاعل المصدر مع الضمير المتصل بأي من هاتين الخاصتين فالجملتان التاليتان أصوليتان تماماً:

(١٤) ضرب الأب والمعلم زيدا يقلقني

(١٥) ضرب المعلم زيدا يقلقني

(أي ضرب المعلم وليس الأب...)

من جهة أخرى، لو كان فاعل المصدر المؤخر يلتحم وإياه في كلمة واحدة لكان غير قادر على الانتقال بمفرده من موقعه الجديد إلى موقع ثالث، ولكان على أي تحويل أن يتناول العنصر (س) برمته (أي المصدر وفاعله كما في ٧- ج) لكونه أصبح كلا لا يتجزأ. لكننا نلاحظ أن هذا غير متفق ومعطيات اللغة. فالجملة التالية ممكنة وهي ناتجة عن تأخير الفاعل نحو موقع آخر جديد:

(١٦) ضرّب زيداً المعلمةِ يقلقني.

ويقول تعالى في كتابه العزيز ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتْل أولادَهم شركائِهم﴾ في قراءة ابن عامر، بنصب «أولاد» وجر «شركاء».

نستنتج مما سبق أن البنية الممثلة في المشجر (٧ ج) لا توافق التركيب المصدري (ضرْب الأمير اللص).

وأخيراً، فإن البنية التي يعبر عنها المشجر (٧- ج) لا تسمح بالتكهن بالمعطيات التالية التي تظهر إمكانية فصل فاعل المصدر عن مفعوله بظرف أو بقسم:

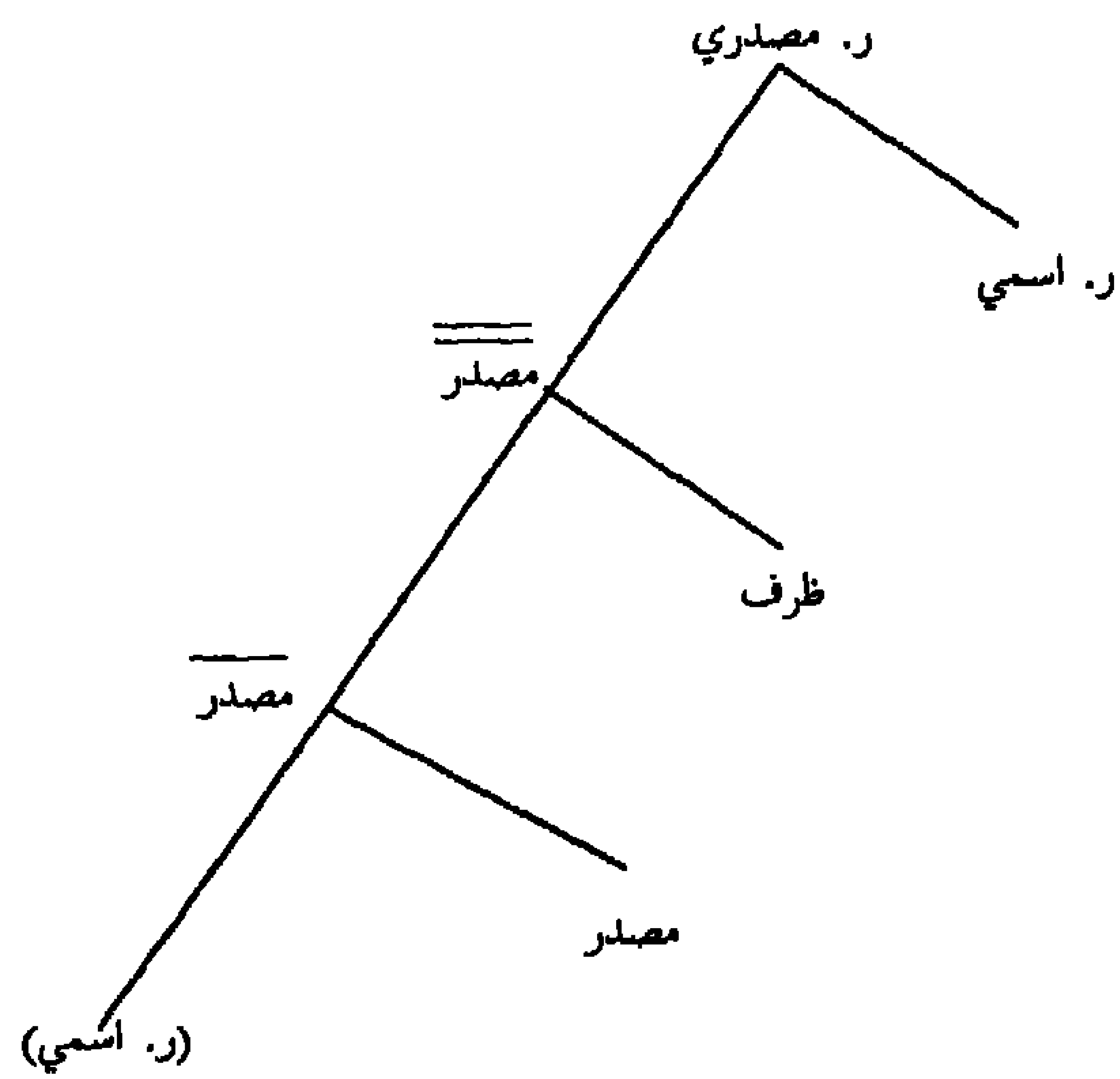
(١٧) آ ـ ضرب المعلمة اليوم زيدا أضر به كثيراً.

ب ـ ضرب المعلمة والله زيدا يحز في نفسي.

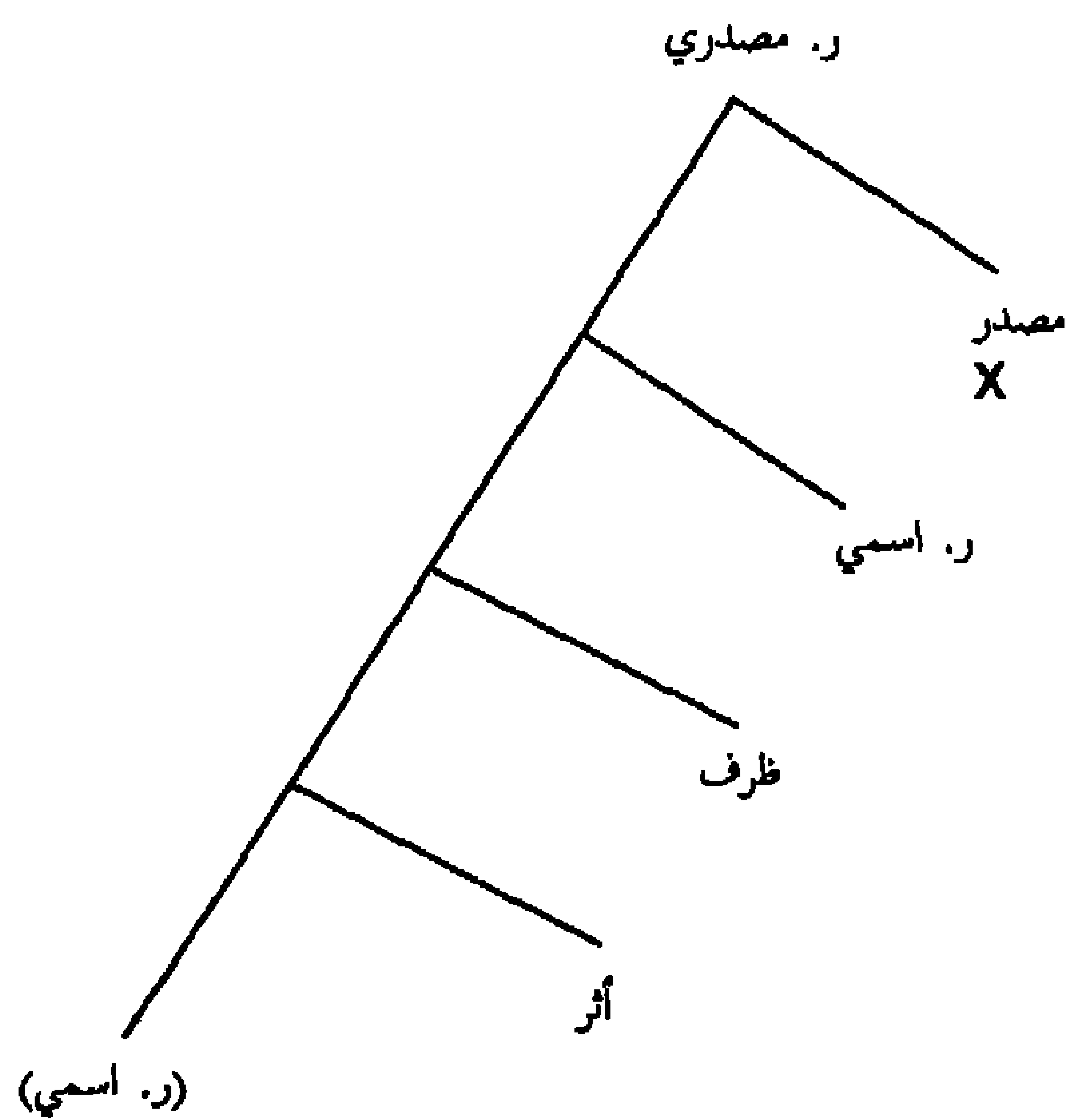
ثبت من كل ما سبق أن أيا من البنى المبينة في المشجرات الأربعة الواردة في(٧) غير مناسب، وبالتالي فإن القاعدة التي تنقلنا من البنية العميقة (الأمير ضرْب اللص) إلى البنية السطحية (ضرْب الأمير اللصّ) لا يمكن أن تكون قاعدة تأخير وإنما هي بالضرورة قاعدة تقديم. أي أن المصدر هو الذي ينتقل إلى يمين فاعله وليس العكس.

يمثل المشجران التاليان على التوالي بنية التركيب المصدري في مستواه العميق وبنيته في مستواه السطحي، وذلك عند احتوائه على فاعل معجمي:

(١٨) آ -


ر. مصدري
ر. اسمي
مصدر
ظرف
مصدر
مصدر
(ر. اسمي)

ب -


ر. مصدري
مصدر
X
ر. اسمي
ظرف
أثر
(ر. اسمي)

يستمد هذان التمثيلان قيمتهما النظرية من قدرتهما علي التكهن بكل المعطيات اللغوية المرتبطة بالتركيب المصدري، وإعطائها تفسيراً منطقياً عن طريق ربطها مباشرة بقواعد عامة تخضع لها الكفاءة اللغوية للإنسان العربي اللسان.

تناولنا بالتحليل من خلال هذا البحث الاستراتيجية المتبعة في اللغة العربية المكتوبة عند تشكيل التركيب المصدري بنوعيه، أي ذاك الذي يحوي ركناً معجمياً في موقع الفاعل، والآخر الذي لا يحوي ركنه الاسمي هذا على عنصر معجمي بل على العنصر الفارغ (ضم)، وقد رأينا أن لكلا التركيبين نفس البنية العميقة المجردة، بينما تختلف بنيتاهما السطحيتان بسبب اختلاف خصائص الركن الاسمي الفاعل في كل منهما، وأخيراً سعينا إلى إثبات أن الانتقال من البنية العميقة (الأمير ضرْب اللص) إلى البنية السطحية (ضرْب الأمير اللص) يتم نتيجة تقديم المصدر على فاعله المعجمي.

إن صح ما خلصنا إليه من أن الفاعل متقدم على المصدر في البنية العميقة بعكس ما هو عليه الحال في البنية السطحية فإن التماثل البديهي بين التركيب المصدري (ضرْب زيدٍ عمراً) والجملة الفعلية (ضرَب زيدٌ عمرا) من حيث المكونات والبنية السطحية الوظائف الموضوعاتية، يحثنا على إعادة النظر في خصائص الجملة الفعلية من حيث ترتيب مكوناتها في البنية العميقة. فإذا كان الترتيب العميق لعناصر التركيب المصدري (فاعل - مصدر - (مفعول به))، أفلا يمكن تعميم هذا الترتيب على عناصر الجملة الفعلية؟ بمعنى آخر، تطرح هذه الدراسة من حيث نتائجها التساؤل التالي: هل تنتمي العربية إلى فئة اللغات الإنسانية ذات التركيب العميق (فاعل - فعل - (مفعول به)) أم أنها كما يدل عليه ظاهرها ذات تركيب (فعل - فاعل - (مفعول به)) علماً أن لاعتماد أي من هذين التركيبين نتائج نظرية مختلفة جذرياً عن تلك المترتبة على اعتماد التركيب الآخر.

إن الإجابة على مثل هذا التساؤل لا يمكن أن تأتي بشكل اعتباطي أو انفعالي، بل لا بد أن تقوم بالاعتماد على دراسة طويلة لأوجه أخرى من النحو العربي، وبحوث تتناول تراكيب أخرى لا تقل أهمية وقل بل غموضا عن سابقتها، كتلك التي نجدها في الجمل الاسمية حيث الخبر غير فعلي، والتراكيب التي تدخل فيها الصفة المشبهة والنعت السببي.

ومهما يكن من أمر، حسبنا أن نقول إن إعادة صياغة قواعد اللغة العربية وفق أسس نظرية حديثة وما يترتب عليها من معطيات جديدة باتت أمراً لا يجوز التغاضي عن ضرورته، خاصة في زمن الذكاء الاصطناعي artificiel intelligence حيث يتطلب منا التعامل مع الحاسوب صياغة قواعد مضغوطة إلى الحد الأدنى ومتميزة بمنطقيتها، وبالتالي بسهولتها (١٣).

الهوامش والمراجع

(١) انظر:

- Chomsky, **Lectures on Government and Binding,** foris Dordecht, 1981.

(٢) لسنا هنا بصدد الدفاع عن النظرية التوليدية ولا الترويج لها. ولكن يجدر القول في هذا السياق بأنه على الرغم من أن هذه النظرية قد اتخذت من بنيوية ز .هاريس الأمريكية إحدى أسسها، إلا أنها تتميز عنها بنقاط كثيرة لا تخفى على المطلع، وليس هذا البحث مجالاً مناسباً لطرحها ومناقشتها. ولكن يمكننا القول في هذه العجالة، إن تشومسكي قد انتقل بعلم اللسانيات من مرحلة الملاحظة والتصنيف، أي من المرحلة الوصفية البحتة التي وقفت عندها البنيوية، إلى مرحلة تفسيرية تقوم على الكشف عن النماذج التي تتحكم بقدرة المتكلم ـ السامع اللغوية.

ومن هنا نستطيع القول إنه إن «سقطت البنيوية» أو «ماتت» فإن ذلك كان نتيجة حتمية لظهور وتطور النظرية التوليدية، وهو ليس مؤشراً على سقوط هذه الأخيرة. علماً أن نظرية تشومسكي ما زالت تلهم الكثير من الباحثين في مختلف أرجاء المعمورة، وهي تتطور بخطا حثيثة باتجاه تحقيق أهدافها.

إن تشومسكي وحوارييه لم ينفوا في وقت من الأوقات وجود عوامل نفسية واجتماعية مؤثرة في اللغة. إلا أنهم يرون أن هذه العوامل لا تلعب دوراً مؤثراً في قواعد الجملة، وهو محور اهتمامهم. ومع ذلك، ولئن تركوا دراسة هذه العوامل لسواهم، فقد قاسوا أهمية الأبحاث التي تجري في هذا المجال بمدى مساهمتها في إلقاء مزيد من الضوء على ظواهر نحوية استعصى تفسيرها نظرياً ورياضياً.

(٣) تدل إشارة (*) التي تسبق تركيباً ما على عدم جواز هذا التركيب.

(٤) نحن إذن نختلف مع النحاة العرب في نقطتين: الأولى هي أننا نعتبر أن المصدر إن لم يبرز فاعله كان ضميراً مستتراً، مثله في ذلك مثل الفعل. والثانية هي أن هذا الضمير المستتر الذي لا صورة له في الكلام ليس فقط مقدراً في الذهن ومنوياً، بل هو أيضاً عنصر له كيان من وجهة النظر التركيبية ويقع ضمن الركن الاسمي المخصص له. يبقى علينا إذن تحديد مكان هذا الركن بالنسبة للمصدر وتوضعه على المشجّر الركني.

(٥) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، خمسة أجزاء، الجزء الأول، بيروت: عالم الكتب، ٢٥٤.

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر: - Chomsky (1981)

- Pollock, J.-Y. «Sur la Syntaxe de» en «et le parametre du sujet Nul», Article inédit, Université de Paris VIII et DRL Paris VIII, 1983.

(٧) لمزيد من التفاصيل انظر:

- Kayne, R., «Les Chemins Non Ambigus», Dans J. Guéron et Th. Sowley Ed., Grammaire Transformationnelle, Université de Paris VIII, 1982.
- Mouchaweh, L. «De la Quantification à Distance et des Dérivations Nominales enFrançais», Publié dans Modèles Linguistiques 7.1., 1983.

(٨) يعتبر الفصل بين المضاف إليه بنعت المضاف جائزاً فقط في الضرورة نحو هذا الشاهد الشعري المنسوب لمعاوية ابن أبي سفيان:

«نجوت وقد بل المرادي سيفه ... من ابن أبي شيخ الأباطح طالب»

والأصل «من ابن أبي طالب شيخ الأباطح»

لا يخفى على القارئ أن هذا الفصل ممكن فقط لضرورات الشعر ويبقى غير أصولي في (٨) كما في المثالين التاليين: «بيتُ كبيرُ رجلٍ «و» ضربُ المبرحُ زيدٍ عمراً».

(٩) في شرح ألفية ابن مالك يجيز المصنف أن يفصل في الاختيار بين المصدر المضاف والمضاف إليه بما

نصبه المضاف. مثال ذلك قوله تعالى: «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم «في قراءة ابن عامر بنصب «أولاد» وجر الشركاء. ويفصل أيضاً بين المصدر المضاف والمضاف إليه بالظرف كقول قائل «ترك يوماً نفسك وهواها سعي لها في رداها» (انظر ابن عقيل، الجزء الثالث، الصفحة ـ ٨٢). وبشكل عام يجوز فصل المضاف عن المضاف إليه في الاختيار بالقسم. حكى الكسائي «هذا غلام والله زيد». ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله: **شرح ألفية ابن مالك**، أربعة أجزاء، الجزء الثالث بيروت: دار الفكر، الطبعة السادسة عشرة، ١٩٧٩، ص ٨٣ .

(١٠) الغلاييني، مصطفى: **جامع الدروس العربية**، جـ ٣، الطبعة الخامسة، صيدا ـ بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨١، ص ٢٨٠ .

(١١) شرح ألفية ابن مالك، ص ٨٣ .

(١٢) نعني بالمقيّدات Complémenteurs إن ـ أن ـ أنْ ـ أسماء الاستفهام والأسماء الموصولة.

(١٣) انظر: د. علي، نبيل: «اللغة العربية والحاسوب»، **عالم الفكر**، المجلد الثامن عشر ـ العدد الثالث، ١٩٨٧.

* * *

اقرأ في العدد القادم

العلاقة التبادلية بين الشكل والأرضية في التكوينات الزخرفية الجدارية، بعمائر القاهرة، حتى عصر المماليك البحرية (٢٦٣ ـ ٧٨٤ هـ / ٨٧٦ ـ ١٣٨٢م)

د. عصام عرفه محمود



ملخصات الأبحاث المنشورة بالانجليزية



بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م)

جوزيف نسيم يوسف

يتناول البحث أحوال مدينة بيت المقدس السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ استيلاء الصليبيين عليها عام ١٠٩٩م وحتى استرداد صلاح الدين لها عام ١١٨٧م. ويعالج قضايا هامة متنوعة اختلفت الآراء حولها، بينما لم يصل المؤرخون الحديثون في عدد منها إلى رأي قاطع. من بينها تعريف المؤرخين القدامى والحديثين للحركة الصليبية، واختلاف وجهات النظر حول دوافع قيامها، واعتبارها حلقة في الصراع الطويل الممتد بين شقي العالم منذ القدم وحتى اليوم، ومدى تأثير ذلك كله على موضوع هذه الدراسة.

ومن بين النقاط الهامة التي تناولها البحث، بالإضافة إلى ما تقدم، عناصر السكان في بيت المقدس وتوابعها، وأبرز خصائص حكم اللاتين للمدينة المقدسة وتوابعها، وصراع القوى بين العرب والصليبيين حولها وما يتصل به من مفاهيم. ومن بينها، كذلك، وضع مدينة بيت المقدس في ظل الحكم اللاتيني لها، وموضوع الافرنج المتمشرقين (البولان) والوافدين الجدد القادمين من الغرب، وسياسة التهجير والاستيطان في الأراضي المقدسة والنتائج المترتبة عليها، والتنافس بين نور الدين محمود وعموري الأول ملك بيت المقدس اللاتيني على ملك مصر، والافاقة والوحدة العربية وأثرهما في اعتدال ميزان القوى لصالح العرب، الذي أثمر بمعركة حطين الشهيرة (اكتوبر ١١٨٧م) واسترداد بيت المقدس من قبضة الصليبيين.

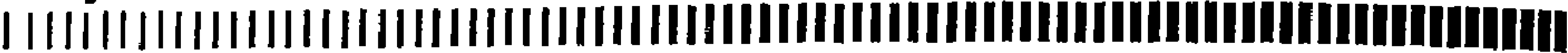
دراسة صوتية فيزيائية للازدواج المخرجي في سياق الأصوات الاحتكاكية والأصوات الصائتة في اللغة العربية

عبد الله أحمد البناي

تبحث هذه الدراسة في تأثير الازدواج المخرجي لسياق الأصوات الصامتة على الخواص الصوتية الفيزيائية للأصوات الصائتة في اللغة العربية. قام خمسة من متحدثي اللغة العربية بقراءة قائمة تتكون من ٥٦ كلمة أحادية المقطع حيث تتكون بداية كل مقطع من أحد الأصوات الاحتكاكية يليه أحد الأصوات الصائتة الطويلة وينتهي المقطع إما بصوت لثوي انفجاري مجهور أو مهموس.

أوضح تحليل تردد المكون الموجي أن الأصوات الاحتكاكية الصائتة أحدثت تأثيراً ازدواجياً مخرجياً هاماً على الجزء المستقر من تردد المكون الموجي الثاني للأصوات الصائتة، ولم يلاحظ تأثير له أهمية على الجزء المستقر من تردد المكون الموجي الأول لتلك الأصوات. بالإضافة إلى ذلك فإن التردد المكون الموجي قد بين مقداراً كبيراً من الاختلاف في تأثير سياق الأصوات الاحتكاكية ولكن درجة انتقال التأثير تختلف بشكل هام حسب مخرج الصوت الاحتكاكي.

إن مقدار الازدواج المخرجي بين الأصوات الاحتكاكية والصائتة له علاقة بدرجة القسر النطقي على حركة اللسان أثناء نطق الصوت الاحتكاكي. فالانتقال الواسع لتردد المكون الموجي الثاني يعكس الحركة المضادة لأعضاء النطق خلال سياق نطق الصوت الاحتكاكي والصائت كما هو الحال في سياق الأصوات الاحتكاكية المفخمة أو الأصوات الاحتكاكية البلعومية والأصوات الصائتة الأمامية العالية. أما الانتقال المحدود نسبياً لتردد المكون الموجي الثاني في سياق الأصوات الاحتكاكية اللثوية أو الأصوات الاحتكاكية الحنكية والأصوات الصامتة الأمامية العالية فقد يعكس الحركة المكملة لأعضاء النطق. والاختلاف غير الهام في تحول التردد المكون الموجي الثاني في سياق الصوت الاحتكاكي الشفوي الأسناني أو الصوت الاحتكاكي الحنجري والأصوات الصائتة من الممكن تفسيره بمحايدة الحركة المطلوبة لأعضاء النطق خلال ذلك السياق.



ندوة العدد



مسرح الطفل بين الواقع الكويتي والتيارات الفنية المعاصرة*

حسن يعقوب العلي
عثمان عبد المعطي عثمان
فؤاد الشطي
كمال عيد
محمد مبارك بلال

* ندوة خاصة عقدتها المجلة العربية للعلوم الإنسانية ضمن سلسلة ندوات تزمع المجلة الاستمرار في عقدها في المستقبل لتغطية بعض الموضوعات المطروحة في الساحة الثقافية.

أدار هذه الندوة وأعد لها الدكتور عثمان عبد المعطي عثمان من المعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت، وشارك فيها كل من: الدكتور حسن يعقوب العلي من المعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت، والأستاذ فؤاد الشطي رئيس مجلس إدارة فرقة المسرح العربي بدولة الكويت ونائب اتحاد الفنانين العرب، والأستاذ الدكتور كمال عيد من المعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت، والدكتور محمد مبارك بلال عميد المعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت.

د. عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم نبدأ تلك الندوة التي تقيمها المجلة العربية للعلوم الإنسانية بفضل تخطيط وتجديد وعلمية رئيسة تحريرها الأستاذة الدكتورة حياة ناصر الحجي، والتي تناقش قضية من أخطر القضايا الأدبية والتربوية والفنية التي تمس حاضر ومستقبل الطفل الكويتي على المستوى المحلي، وارتباطاً بالتيارات المعاصرة لعلوم المسرح والتربية وعلم النفس والاجتماع. وبعد أن وافق الأساتذة المنتدون على أن يكون عنوان الندوة: «مسرح الطفل بين الواقع الكويتي، والتيارات الفنية المعاصرة»، نرى أنه من الأهمية التركيز أولاً على عدة محاور تسهم إسهاماً ملموساً في توضيح شخصية الطفل من المنظور النفسي والاجتماعي والفني نظرياً وتطبيقياً. ومدى استجابته لأهم وسيلة من وسائل الاتصال التي تؤثر في تكوين اتجاهاته وإبداعاته وميوله ونمو شخصيته عن طريق المسرح، الذي يتحقق به تكوين الضمير، والوازع الخلقي مما يجعل الطفل يتكيف مع بيئته المحلية، ويتجاوب مع عالمه المعاصر الذي يعيش فيه. وحتى يتحقق ما نصبو إليه، رأينا بحث ودراسة ومناقشة مشكلة مسرح الطفل الكويتي بمنهجية علمية قائمة على الاستدلال والاستقراء والفكر والتجربة والملاحظة والخبرة، تأكيداً لإيماننا بأن مسرح الطفل هو أحد الوسائل التعليمية والتربوية الذي يدخل في نطاق التربية الجمالية والتربية الخلقية فضلاً عن مساهمته في التنمية العقلية إلى جانب اهتمامه بالتعليم الفني للنشئ منذ مراحل تكوينه الأولى وخارج المدرسة.

وتقوم الندوة على المحاور الخمسة التالية:

المحور الأول: حول واقع مسرح الطفل في الكويت وكيفية التطوير من زاوية الإخراج.

المحور الثاني: إشكاليات مسرح الطفل في الكويت بين الفن والتقاليد.

المحور الثالث: التجريب المسرحي في مسرح الطفل انطلاقاً من المنظور النفسي.

المحور الرابع: توظيف الفولكلور والأساطير والحكايات الشعبية الكويتية في مسرح الطفل.

المحور الخامس: أساليب التدريب الفني لمسرح الطفل، على مستوى المسرح المدرسي، ومسرح العروض الجماهيرية للأطفال.

وخير من يحدثنا عن المحور الأول الأستاذ الفنان الكبير فؤاد الشطي.

أ. فؤاد

شكراً جزيلاً للدكتور عثمان عبد المعطي على تبنيه هذه الندوة. في الواقع، لكي نتحدث عن مسرح الطفل في الكويت علينا بداية أن نحدد أهمية مسرح الطفل في أي

مجتمع من المجتمعات، ولكي نحدد أهمية مسرح الطفل علينا أن نحدد الأهداف المرجوة من وراء وجود مسرح الطفل، ولماذا نؤكد على ضرورة وجود مسرح الطفل في الكويت، وفي غيرها من دول العالم العربي. من جملة الأهداف الرئيسية لإقامة مسرح الطفل **أولاً**: الارتقاء بالحس الروحي وتجذير القيم السماوية والقيم الإنسانية وتكريس المفاهيم التربوية السليمة للناشئة ومحاولة تقويم وتهذيب سلوكيات الطفل، وخاصة ونحن نتحدث عن الطفل الذي ينمو ضميره عن طريق ما يتلقاه من نواهٍ ومن إرشادات هي التي تشكل ذات الطفل وتجعله ينشأ النشأة السليمة.

والهدف الثاني والرئيسي من إقامة ووجود مسرح الطفل هو الارتقاء بالحس الجمالي وتربية التذوق الفني لديه لأنه بارتقاء الحس الجمالي لدى الطفل وجعله ذوّاقاً للفنون بالتأكيد سيخلق من هذا الطفل في المستقبل إنساناً مقدراً لكل ما هو جميل في الحياة، ومتى ما أحس المرء بما يحيطه من جمال في عالمه الدنيوي سيؤثر بالضرورة ذلك على عطائه وعلى تقديم أفضل ما لديه من إمكانيات في خدمة مجتمعه، هذا إلى جانب العديد من الفوائد والأهداف الفرعية الأخرى. من هذا المنطلق أود أن أؤكد بأن مسرح الطفل عندما بدأ في الكويت بدأ من خلال مؤسسة أهلية يسجل لها بأنها احتضنت فكرة إنشاء مسرح للطفل وهي مؤسسة البدر للإنتاج الفني وكانت الفكرة رائدة آنذاك وتحديداً عام ١٩٧٧- ١٩٧٨، وكانت النوايا في الواقع نوايا حسنة بالفعل، كان الاجتهاد من قبل القائمين على هذه الفرقة في تقديم أعمال مسرحية تحمل الكثير من القِيم التربوية، وكذلك تحمل الكثير من القيم الجمالية، فجاء عرضها الأول والمعنون باسم مسرحية السندباد البحري للكاتب العربي المعروف محفوظ عبد الرحمن عام ١٩٧٨ كباكورة أعمال مؤسسة البدر لأعمال الطفل. وكان الاجتهاد واضحاً على كافة المستويات للوصول إلى عالم الطفل سواء من خلال النص الذي كان يطرح العديد من القيم التربوية المتعلقة بأهمية العمل والتعلق بخدمة الوطن والتفاني من أجله، أو بما يحمله العرض من طرح وتحريك روح المغامرة والمجابهة لدى الطفل، أو بما احتواه العرض من محاولة التقرب لإمتاع الطفل وخلق حالة الدهشة لديه عن طريق الديكورات المبتكرة، وكذلك تهيئة الصالة بما يتوافق وعقلية الطفل في توفير أجواء تتناسب مع روح الطفل من وجود بالونات وخلافه في أركان المسرح. ولعل البداية كانت مشجعة نتيجة لحذر القائمين على العرض المسرحي وخوفهم من خوض غمار هذه التجربة الوليدة، وعندما حققت هذه المسرحية الكثير من النجاحات الجماهيرية وأصابها بعض النجاح على المستوى النقدي جعلها تفكر بإنتاج مسرحيات أطفال أخرى، وتوالت العروض فكان عرض مسرحية البساط السحري لمهدي الصايغ، وكانت هناك عروض مسرحية ألف باء لخالد الخشان، ومن خلال هذه العروض حققت المؤسسة الكثير من النجاحات الجماهيرية. وعندما نتحدث

عن النجاح الجماهيري بالضرورة يرتبط هنا بالمكاسب المادية التي تحققت من وراء هذه العروض، وكذلك حقق بعض الفنانين الذين تعاملوا مع هذا المسرح منذ قيامه جماهيرية واسعة لدى قسم كبير جداً من أطفال الكويت، وفي هذه اللحظة وعلى عادتنا في عالمنا العربي عندما ينجح المرء من خلال مؤسسة ما ويصل إلى مرحلة من النجومية سرعان ما يفكر تفكيراً ذاتياً في تغيير هذه النجاحات لمصالحه الشخصية، فكان أن انشق الممثل الأول لهذه الفرقة عن هذه المؤسسة وأصبح يتعامل مع مسرح الطفل من خلال مؤسسته الخاصة، وبمرور الأيام تفرعت من هذه المؤسسة مجموعة من الفرق بعدد نجوم هذه الفرقة، وأصبحت قضية الاستسهال، استسهال التعامل مع مسرح الطفل دون ما وجود أدنى درجات الوعي لكيفية التعامل مع مسرح الطفل. لقد كانت البدايات لمسرح الطفل تعتمد على الحواديت والحكايات الشعبية والأبطال الأسطوريين المعروفين لدى الطفل العربي، ولكن فيما بعد تطورت العملية للجوء إلى شخصيات في الغالب كارتونية محببة للأطفال مثل أبطال أفلام والت دزني، توم وجيري، أو النمر الوردي، وكلما ظهر مسلسل تلفزيوني ناجح ظهرت علينا مسرحية بذات الاسم وشاهدنا في الآونة الأخيرة، السنافر، وأحفاد السنافر وجدات السنافر وسلاحف النينجا، وأبطال النينجا، وهايدي، وما شابهها من هذه العروض، وتعددت الفرق التي تتعامل مع مسرح الطفل، فكل من أراد الربح السريع وكل من أراد الإثراء السريع لجأ إلى مسرح الطفل، ومع الأسف الشديد وعن طريق مسرح الطفل دخل إلى الحركة الفنية أناس لا علاقة لهم بالمسرح بشكل عام ولا ينتمون إلى الحركة الفنية بأي شكل من الأشكال، وإنما دخلوا كمستثمرين في قطاع المسرح وليتهم استثمروا في قطاع مسرح الكبار، بل لجأوا إلى مسرح الصغار لكي يعبثوا به، لأننا كما نعلم بأن مسرحيات الصغار دائماً تحقق الربح ولا تحقق الخسارة، إلا في حالات نادرة جداً ولأنه كما نعلم أيضاً بأن الطفل بما له من سلطة فرض إرادته على أبويه يستطيع أن ينتزعهم انتزاعاً لأخذه لارتياد هذه العروض، والآباء والأمهات في الكويت، ولقلة ما هو متوفر على الساحة الكويتية من أماكن الترفيه ووسائل الترفيه للأطفال، لا يجدون غضاضة من أن يغير هذا الطفل الأجواء البيتية التي يحيط نفسه بها معظم الوقت في أن يرتاد هذه المسرحية ويقضي في جنبات المسرح ساعة أو ساعتين مع أقرانه من الأطفال، وبمصاحبة المربية التي ترافقهم للعرض المسرحي، دون أن يشغلوا أنفسهم بالتفكير حول قيمة هذا العرض المسرحي الذي يقدم شكلاً ومضموناً. ومن هنا نجد بأنه في فترات الأعياد والمناسبات والعطل الرسمية نجد على الأقل هناك من ثلاثة إلى أربعة عروض تقدم باسم مسرح الطفل، وهي مع الأسف الشديد لا تنتمي إلى مسرح الطفل بأي شكل من الأشكال، لأنها تكون خالية من الناحية التربوية ولا تحمل مضموناً يتوافق مع احتياجات الطفل، وجل هذه الأعمال تعتمد على فكرة بسيطة قد تبدو للوهلة الأولى على أنها قضية

تربوية ولكن تقدم من خلال هوامش كثيرة، من خلالها يتوه العرض المسرحي وينزلق إلى مستويات مع الأسف الشديد لا ترقى بأن تكون مسرحاً بشكل مطلق، فما بالك لكي تكون صالحة للأطفال، وفي الواقع إذا كانت بدايات حركة مسرح الطفل في الكويت بدأت من خلال كتاب مسرح مشهود لهم بالكفاءة والمعرفة والوعي ففي السنوات الأخيرة أصبح معظم من يكتب لمسرح الطفل لا يمتلكون ناصية الكتابة للمسرح أساساً، وليسوا على درجة من الوعي ولا من المسئولية التي تجعلهم جديرين بالتعامل مع مسرح الطفل. وإذا كان هذا حال الكتّاب فحالة المخرجين الذين يتعاملون مع مسرح الطفل في الكويت هي حالة تكاد تشكل كارثة بحد ذاتها، حيث إننا في الكويت ـ بشكل عام ـ نفتقد إلى المخرج المبدع في المسرح، ونحن لدينا مجموعة من المنفذين في الغالب، وهؤلاء المخرجين أو المنفذين كل وظيفتهم في عالم الإخراج المسرحي يتمثل بقيامهم بدور شرطي المرور، الذين يحاولون جاهدين تنظيم حركة السير على خشبة المسرح وعملية الدخول والخروج من خشبة المسرح حتى لا يصطدم الممثلون بعضهم مع بعض. ومع الأسف الشديد حتى لخلق حالة عدم الاصطدام يفشلون أحياناً، فيظل عدم وجود المخرج بمفهوم المخرج المتعارف عليه على مستوى الحركة ككل ملغياً تماماً. وعندما أتحدث لا أعمم إنما أتحدث عن غالبية ما يسود الحركة المسرحية، فبالضرورة هناك مخرجون يمتلكون ناصية الإخراج ويمتلكون خلفية عن الإخراج، ولكن أتكلم عن الغالبية العظمى، ممن ينتمون ادعاءً الإخراج المسرحي، فمن ظل هذا الفقر في المواهب الإخراجية على الساحة المسرحية نجد أنهم لم يكتفوا بالعبث في مسرح الكبار وإنما لجأوا إلى مسرح الصغار لكي يتعاملوا مع مسرح الأطفال وكأن القضية هي قضية تدرج، أي يمارس المخرج الإخراج المسرحي مع الصغار، لكي يكون الإخراج المسرحي للصغار المعبَر أو الجسر الذي يوصلهم إلى الإخراج لمسرح الكبار، ولو تفحصنا أسماء من يتولون الإخراج المسرحي بمسرح الطفل في الكويت لوجدنا أغلبهم بحاجة إلى تقويم، وبحاجة إلى إعادة منهجية تفكيرهم، وأنهم ليسوا على درجة من الثقافة ولا المعرفة، لا الفنية، ولا الحياتية، التي تمكنهم لكي يتعاملوا مع مسرح الطفل، لأن من يتعامل مع مسرح الطفل كمخرج ـ وعندما أتحدث عن المخرج هنا فإنما أتحدث عن القيادة الفنية لأي جماعة من الجماعات ـ يجب أن تتوافر فيه شروط عديدة، من أهمها هو نضجه الفكري وما يحمله من ثقافة تميزه عن فريق العمل الذي يتعامل معه، وكذلك بما يحمله من إمكانيات إبداعية في هذا المجال. ولو تفحصنا الواقع وحاولنا أن نطبق هذه الشروط البسيطة التي يجب أن تتوافر في مخرج العرض المسرحي لوجدناها لا تنطبق على ٩٩٪ من الذين يتعاملون مع مسرح الطفل في الكويت. نأتي إلى الناحية التربية. مسرح الطفل كما ذكرت هو تربوي بالدرجة الأولى، وعندما أقول تربوي، لا أريد أن أحول المسرح إلى فصل دراسي، وتربوي

بما يطرحه من قيم لتثبيت الحالات التي سبق ذكرها، ولتثبيت القيم السماوية وتثبيت الروح الوطنية وروح الانتماء لدى هذا الطفل، أي عملية تنمية ضمير هذا الطفل لكي يستوعب القيم التربوية السليمة، كل هذه الأشياء تجعل من مسرح الطفل مؤسسة تربوية بالدرجة الأولى، إلى جانب ما ذكرته من توظيف الناحية الإبدعية في العرض المسرحي. ولكي نرتقي بالحس الجمالي والذوق الفني لدى الطفل ونوسع مداركه الإبداعية، ونجعله بالفعل يُنمي درجة الخيال لديه، لأن تنمية الخيال لدى الطفل أساس مهم وحيوي لكي تفَجّرْ فيه طاقاته المستقبلية في أي مجال من المجالات، لأنه لولا الخيال والتخيل، لسادت حالة الجمود في العالم. العالم يتطور بفضل الخيال، ومسرح الطفل معني بتنمية الخيال لدى الطفل، هذا في الواقع ببساطة واقع مسرح الطفل في الكويت. وعندما نأتي ونتحدث عن كيفية التطوير من زاوية الإخراج أقول بأنه لكي يتطور مسرح الطفل لا بد من وجود عدة عناصر إلى جانب وجود المخرج الناضج والفاهم للعملية المسرحية والعملية الفنية، مسرح الطفل لا يقاد فقط من خلال فرد، لا بد وأن يكون هناك فريق عمل متجانس يتكون أولاً: من وجود كُتّاب مسرح على درجة كبيرة جداً من المعرفة بعلم سلوك الطفل، وبالدرجة الأولى من المهتمين بأدب الطفل، لأن أدب الطفل مهم جداً وإشكالياته من الممكن أن تكون المعين. ومن خلاله يأخذ رجل المسرح مادته لمسرحيات الطفل، وكذلك وجود المخرج إلى جانب المؤلف، المخرج الذي يمتلك ناصية الإخراج ومفردات العمل الإبداعي الفني، وهو كذلك على درجة كبيرة جداً من المعرفة بعالم الطفل السحري، سواء عن طريق تثقيفه لذاته، أو عن طريق كونه تربوياً من الأساس، لا يمنع بأن يكون من ضمن مساعديه مساعد تنفيذي للعرض المسرحي، يكون هناك مساعد يُعنى بشئون سلوكيات الطفل، وعلم الطفل، حتى يساعده في خياراته في الأجواء التي تحيط بهذا العرض بما يتوافق مع الطفل. إذن لا بد من وجود هيئة استشارية تضم أناساً تربويين وأناساً خبراء في علم الطفل وهو علم قائم بذاته ومعروف، ولدينا في جامعاتنا العربية أساتذة أفاضل يدرّسون هذه المادة. هذه اللجان هي التي تخطط للعروض المسرحية التي يجب أن تقدم لمسرح الطفل ويمنهجونها ويضعون الأهداف التربوية المرجوة من كل عرض مسرحي يراد تقديمه. ووجود مهندس الديكور كذلك القريب إلى عالم الطفل. لأنني واثق تماماً بأن الديكورات والأزياء التي تقدم للطفل يجب أن تكون بالضرورة مختلفة عما نراه في مسرحيات الكبار. فالطفل في مراحله المتعددة سواء كان في المرحلة العددية ومرحلة التعداد والمرحلة الوصفية ومرحلة التفسير، لكل مرحلة من هذه المراحل أسلوب للتعامل مع هذا الطفل، فعلينا أن نحدد هذا العرض لأي مرحلة سنية سوف يُقدّم، وفي هذه المرحلة السنية ما هي المتطلبات التي يجب أن تتوفر حتى نستطيع بالفعل الوصول إلى ذهن هذا الطفل، ونحقق الأهداف المرجوة من وراء هذا العرض المسرحي. في الواقع هذه

ـ بقناعاتي الشخصية ـ هي إحدى وسائل تطوير مسرح الطفل من زوايا الإخراج، ومثلما ذكرت عندما أتحدث من زاوية الإخراج فأنا لا أعني فقط المخرج بذاته، وإنما أعني فريق العرض المسرحي المتعاون معه، والمتجانس معه. وأكتفي بهذا العرض الموجز، على أن تكون لي مُداخلة فيما بعد.

د. عثمــان

شكراً للفنان الكبير فؤاد الشطي. وإذا انتقلنا إلى المحور الثاني، وهو إشكاليات مسرح الطفل في الكويت، بين الفن والتقاليد، وجدنا أن الأستاذ الدكتور محمد مبارك بلال، أفضل من يتعمق بنا في عرض ونقد هذه الإشكاليات، وفحص محتواها، بميكرسكوبه النقدي الفني.

د. محمــد

أود أولاً أن أتوجه بالشكر الجزيل للمجلة العربية للعلوم الإنسانية لإقامة هذه الندوة والتي وإن دلت على شيء إنما تدل على ما لهذه المجلة من مكانة رائدة ودور ثقافي وإيجابي نحن بأمس الحاجة إليه في هذه المرحلة المهمة في تاريخ الوطن العربي عامة والكويت خاصة بعد مرحلة الغزو العراقي الآثم، وما دمّره على المستوى المادي وعلى المستوى الإنساني. كان بودي حقيقة أن أتحدث وبشكل معمق في المحور الذي اقترحتُه وهو إشكاليات مسرح الطفل في الكويت بين الفن والتقاليد ولكن وكما سمعتم الأستاذ الكبير فؤاد الشطي غطى هذا المحور بشكل يكاد يكون كاملاً في الحقيقة، مما جعلني لا أجد بديلاً عن محاولة الخلط بين المحور الجديد، والمحور المقترح أساساً، وهو مقارنة بين مسرح الطفل في الكويت والعالم من منظور ما. وسأحاول في نفس الوقت أن أستعين بما طرحه أستاذنا فؤاد الشطي لكي أقيم علاقة تكاملية وجدلية بين هذا المحور، وبين الأسس التي أوردها الأستاذ الشطي في حديثه عن إشكاليات مسرح الأطفال، على اعتبار أن ما سيطرح من منظور أدبي أو من جانب أدبي حول مسرح الطفل، هو بالضرورة لا ينقسم بأي شكل من الأشكال عن الإشكاليات التي أوردها الأستاذ فؤاد الشطي. فالقضية من وجهة نظري تدور ـ بشكل أو بآخر ـ حول أهداف وهوية مسرح الأطفال على مستوى التنظير، ثم هوية وشكل هذا المسرح على مستوى التطبيق، أو على مستوى الواقع من خلال تجربة المسرح الكويتي الفتية... أنا أتفق مع الأستاذ فؤاد الشطي حول بداية المسرح في الكويت والتي قادتها تجربة مسرحية قدمت في منتصف السبعينيات، وهي مسرحية (السندباد) التي أنتجتها مؤسسة البدر في ذلك الوقت. هذه التجربة ـ بالضرورة ـ كانت رائدة في مسرح الأطفال. أنا أعتقد بأن هذه التجربة قد رسخت تقاليد مسرح الأطفال في الكويت، والتي لم تستطع أي من التجارب التي تلتها على مدى الأعوام التالية أن تتخلص من هذه التقاليد التي رسّختها بشكلها العام. أنا أقصد بشكلها العام بالضرورة كعرض

مسرحي وليس كنص مسرحي، قد تختلف التجارب التي تلت هذه التجربة من خلال المصدر، وهذا عنصر سيتكلم عنه الدكتور حسن يعقوب العلي، ولكن من خلال الشكل الإخراجي أصبح هناك تقاليد ثابتة في هذا المسرح، تبلورت هذه التقاليد أو برزت من خلال استخدام الغناء، ومن خلال استخدام الموسيقى، ومن خلال استخدام أساليب كثيرة من أساليب الإبهار في هذا المسرح. ثم يأتي الحديث عن قضية اللغة لأنها قضية متغيرة. اللغة في الكويت تحركت على محورين: من اللغة العربية، إلى الوسط، إلى العامية الكويتية. لكنني أشير إلى عناصر أخرى في العرض المسرحي بما فيها الممثل. هذه الأشكال كانت هي الموصل الحقيقي والمنظور والمحسوس لفكر الطفل ووجدانه، وكانت مرتبطة بقضايا أخرى وبأبعاد وبمفاهيم أخرى. في اعتقادي بأن هذه الأشكال لم تدرس أبعادها بشكل متكامل مما يمكن أن يثري هذه التجربة ويرسخ تقاليد صحيحة وعريقة في مسرح الطفل، أبرزها مثلاً ما أشار إليه الأستاذ فؤاد الشطي ـ بخصوصية مسرح الطفل ـ كمسرح تربوي وتثقيفي، إضافة إلى الجانب الهام وهو الوسيلة التي تصل فيها هذه القيم وهذا الفن ـ أي المسرح ـ نحن هنا لا نتكلم عن طفل في مدرسة ونحن لا نتكلم عن طفل في منزل أو في شارع أو في إحدى الجمعيات ولكننا نتكلم عن حزمة تربوية وتثقيفية موجهة من خلال عرض مسرحي ومن خلال الفن. هذا يعني بالضرورة بأنه سيكون هناك تزاوج واع بين الأهداف وبين الوسائل، وبين القيم التربوية والتثقيفية، وهي قيم علمية بالضرورة واجتماعية أيضاً، وبين الفن أو الوسيلة. هنا بالضرورة نتكلم عن المسرح... هذا تساؤلنا الابتدائي. وهو، هل مسرح الطفل هو مسرح تثقيفي، تربوي فقط؟! وهنا نتساءل أين الدور الفني، وأين دور الوسيلة التي نحاول أن نوصّل من خلالها هذه القيم؟ أنا هنا لا أستطيع إلا أن أطرح رؤى تكاملية مع كلام الأستاذ فؤاد الشطي، لا أستطيع إلا هذا ـ لأنه كما سبق وأشرت أن الأستاذ الشطي تكلم عن هذه القضية وغطاها من جوانب عديدة ـ أعتقد بأن أول تقليد أكدته هذه التجربة وبطريق غير مباشر ولا شعوري دفع ثمنه الطفل الكويتي، لأنه استُخدم استخداماً خاطئاً فيما بعد، إن هذه التجربة بدأت بمعزل عن المكانة التي كان من المفروض أن تبدأ منها، فقد بدأت من خلال ما يسمى بالمسرح الخاص، أو المسرح التجاري. أنا لا أطعن بهذه التجربة ولكن أنا أؤكد بأن هذه البداية، وهذا المولد استخدم فيما بعد استخداماً خاطئاً، أو بمعنى آخر، من الوجه الآخر للعملة أو (المقلوب)، إذا من المفترض ابتداءً أن تأتي هذه التجربة عن طريق الجهات المسئولة عن التخطيط والثقافة. وأقصد هنا (وزارة الإعلام). فعلاً... فبدل أن توضع لهذا المسرح أُسس ويوضع له معايير نشأ هذا المسرح في حضن جهة أخرى. وكان هذا الأثر المدمر لهذه الجهة، جهة تخضع لفلسفة العرض والطلب، (والجمهور عاوز كده)، ولا تخضع للمفاهيم التي تحاول أن تقدم هذا الفكر للطفل الكويتي. فأصبح مسرح الطفل كما

أشار الأستاذ الشطي في البداية ـ عملاً لمن ليس له عمل. كل من أراد أن يغتني، كل من أراد أن يعمل، يذهب إلى هذه الجهة فيقدم ما يشاء، ويجني من ورائه الكثير من المال، فأصبح هذا تقليداً خاطئاً. أصبح الشكل العام شكلاً سطحياً لقضية مسرح الطفل عندنا وقُدّم هذا الشكل بدون أبعاد تناجي الأعماق الحقيقية للجوانب التربوية والتثقيفية، ومحاولة تطوير شكل الفن أو شكل الوسيلة إلى ما هو أحسن، كي يتوافق مع الأشكال الأخرى الصحيحة في المجتمع. وعلى مستوى الأدب، هناك محاولات في الشعر، ومحاولات وتساؤلات وندوات لتطويره، حتى لا يظل ما في مسرح الطفل يدور في حلقة مفرغة لأن البداية ـ كما سبق وأوضحت ـ لم تكن مدروسة وتنطلق أساساً من قضايا الطفل من مفاهيم مسرحه. كما أنها في البداية لم تراعه بما يسمى بالمرحلة السنية أو العمرية لهذا المسرح، وهذا أبسط شيء لم تراعه جزئيات معنية لها خطورتها، والتي سبق أن تكلمت عنها في مناسبات سابقة، وهي الأطر التي وضعت ضمن الفن. هذه الأطر لم تراع اهتمامها بهذه المراحل العمرية وبقضية مهمة وهي الممثل الذي يمثل هؤلاء الأطفال. لاحظنا في بعض المسرحيات أن أطفالاً يمثلون لأطفال بدون توظيف واع أو انتباه لهذه الفئة، أو انتباه لخطورة طرح هذه الفئة، ثم وجدنا وبدون مبرر هذا الشكل الغالب من الممثلين الكبار الذين يمثلون للأطفال بدون الانتباه لخطورة أو أهمية هذا الطرح، هذا المدخل كان بسبب شخصية المنتج الذي تهمّه الجوانب النفعية، هذا المنتج أصبح يتبع النجم.. فمثلاً..، أصبحوا يحضرون نجوم المسرح التجاري وتجاوزا بإحضار الكوميديا من المسرح التجاري الذي يقدم للكبار كمركز جذب للأطفال أيضاً. وكأن مسرح الأطفال أبرز أهدافه وأهم أهدافه هو الإضحاك المُسِفّ أو الإضحاك الهابط، وأنا لا أقول الإضحاك أو التسلية لأن أبرز أهداف مسرح الأطفال هي التسلية، ولكن التسلية المدروسة، هذه المنزلقات والانحرافات التي وجدت في مسرح الأطفال في مراحل عديدة بناءاً على فهم خاطئ لبدايات هذا المسرح أثمرت ثمراً فاسداً الآن، ووضعت وأسست ورسخت تقاليد خاطئة في هذا المسرح، ولم نستطع التخلص من هذه التقاليد حتى الآن. وبعد أن تدخلت الجهات الرسمية للمساهمة بوضع حلول لمسرح الأطفال، لجأت بما يسمى بالحلول الترقيعية، أو التوفيقية، ثم الترقيعية، لأن مسرح الأطفال كان من المفترض أن يدرس من الأساس وتوضع له الحلول من الأساس وليس محاولة ترقيع بعض الحلول... أبرزها ما حدث في الرقابة. الرقابة في وزارة الإعلام مثلاً حاولت أن توجد أشكالاً عديدة من الرقابة، وتحت مسمى مسرح الأطفال، أدخلت أناساً بعيدين جداً عن المسرح ليس لهم علاقة بالمسرح، تحت دعوى أنهم تربويون إلخ، مما شكّل الخطر الحقيقي على مسرح الأطفال، أو غياب الهوية الحقيقية لمسرح الأطفال، بسبب فقدان النسب بين ما هو تربوي وما هو تثقيفي، وما هو فن، لأن هؤلاء ـ وفي مناسبة سابقة أنا سألت أحد الأساتذة

الأفاضل وهو دكتور في التربية: ما علاقتك بالمسرح؟! أخبرني أنه ليس له علاقة بالمسرح، هو رجل تربوي. هنا تأتي المشكلة أو يأتي الخلط بأن من يدخل مجال التوجيه لمسرح الطفل لا بد أن يدخله من مدخل تربوي ولا يوضع في الاعتبار كون هذا المسرح فناً في المقام الأول يوجّه من خلال وسائله الفنية ومختصيه. وأنا لا أنكر ضرورة الاهتمام بضمير وفكر ووجدان الطفل، وبالتالي الاهتمام بمحاولة تصحيح الشكل الفني لمسرح الطفل من هذا المنطلق، ولكنني أقول نحن نحتاج إلى فنان تربوي وليس تربوياً تربوياً. هذه من القضايا الخطيرة جداً التي لجئوا إليها كحلول ترقيعية في محاولة لتصحيح الفن. وأما أسس التربية فهي موجودة ومقعدة ولا تحتاج إلى تصحيح ودراسة ـ كما أشار الأستاذ فؤاد الشطي ـ كمواد في الجامعات. كما أن هناك جهاتاً متعددة تولت محاولة التصحيح الثقافي لهذا المسرح، ومنها وزارة الإعلام، والمجلس الوطني للآداب والفنون، عدا الجهات الفنية التي تمارس التوعية والفن والثقافة مثل الفرق المسرحية في الكويت، والفنانون المسرحيون في الكويت... منذ الأربعينيات وهم يمارسون هذا الدور. من هذه الخلفية أود أن أشير إلى قضية يمكن لهذه الخلفية أن تسندني فيها، وهي مرتبطة بفكر الطفل وبهوية الطفل، وهي خصوصية هذا المسرح وخصوصية هذا الطفل. هذا المدخل أود أن أدخل منه إلى المحور الثاني: وهو أن في محاولاتنا لمقارنة المسرح في الكويت مثلاً بالمسرح الأوروبي نرى بأنه يمكن مقارنة المسرح بشكل عام وبمفهوم عام، ولكن يظل خصوصية المسرح بالكويت يختلف وبشكل كامل عن خصوصية المسرح في العالم في أي بلد أوروبي بسبب بسيط جداً، وهو أن كل هذه الإشكاليات التي سبق وأشرت لها ـ أو لأغلبها ـ لا تتعامل مع الإنسان الأوروبي أو الإنسان في العالم بنفس الحساسية التي نتعامل معها نحن في الكويت، والسبب ببساطة، هو الخلفية الحضارية التي ارتبطت بهذا المسرح وولدت هذا المسرح في أوروبا.. مثلاً إنجلترا كأحد أبرز الأمثلة، لم نجد في انجلترا أي عقد يتعلق بإنتاج المسرحيات لا في الشكل ولا في اللغة ولا في المفهوم، لا يوجد هذا. فقد تجاوزا ما يسمى (بالعقد): لدى الأوروبيين أو لدى الأمريكيين بما يتعلق بقضايا الطفل على اعتبار أن هذا المجتمع بسبب أسبقيته في هذه المجالات لا يوجد لديه تلك الحساسيات التي قد نجدها في مسرح الطفل في الكويت. ولو حاولنا أن نقيم مقارنة سريعة بين أحد العروض المسرحية التي رأيناها في أوروبا، وأحد العروض المسرحية التي قدمت في الكويت، والتي مصدرها واحد: (سندريلا) مثلاً. مسرحية سندريلا، بما يسمى في أوروبا ترجمتها في العربي قصص الجنيات، هذه المسرحية قدمت في الكويت، مع أنها حاولت أن تحافظ وبشكل دقيق على روح العمل الأوروبية الأصلية. إلا أنها أتت بمشكلة وهي مشكلة اللغة، واللغة ليس عنصر تجريبي ميت وسلبي، ولكن اللغة تحمل تراثاً، عندما أوجه من خلال اللغة قضية ما للجمهور بخصوصية محددة، فاللغة تحمل كل الأبعاد التراثية وكل

الدلالات المعاصرة التي يمكن أن أخاطب وجدان هذا الجمهور من خلالها. فهذا التغير، تغيير اللغة أعطى أو أكد قضية الخصوصية لهذا الجمهور، ولهذا المسرح، بالمقارنة بين الأصل الذي يقدم في بلاد أخرى بلغة أخرى، أوروبا تحمل نفس الحضارة بشكل أو بآخر مع خصوصيتها، إلا أن هذه الأعمال عندما تقدم في دول أوروبا وتنتمي إلى تراث في أدب الأطفال لديهم، أتصور أن العقول الأوروبية تستقبل هذا كما تستقبل أحد الأشكال التراثية الموجودة لديهم، والتي أصلا أصولها قصص الجنيات، حواديت الجدة، والقصص المأخوذة من الإنجيل إلخ... لأنهم هم بالضرورة أمة واحدة، فهنا نجد بشكل أو بآخر بأن هذا المسرح أخذ وقطّر وقدّم الأطر أو قدم أشكال الفن وتقاليده بأسلوب آخر. ولكن أسلوب تقديم مثل هذه التجارب في الكويت لم يرسخ تراثاً أو تقاليد أساسية، بل حاول معالجة فرعيات عن طريق المسرح... أرجو أن أكون قد أثرت بعض النقاط، أرجو أن أكون قد أكدت بعض ما طرحه الأستاذ الشطي، وأرجو أن أكون قد أتحت نطاقاً أوسع وأشمل وأكبر لمناقشة قضايا وهموم مسرح الطفل في الكويت... وشكراً.

د. عثمـان

شكراً للدكتور محمد مبارك بلال. والآن جاء دور التجريب في مسرح الطفل.. والأستاذ الدكتور كمال عيد أبرع من يطير بنا في بلاد العالم شرقه وغربه، ليربط لنا التجريب المسرحي في مسرح الطفل، وارتباطه بالمنظور النفسي عند الأطفال.

د. كمال

في مستهل المحور الثالث لندوة مسرح الطفل بين الواقع الكويتي والتيارات الفنية المعاصرة، أجد لزاماً علي أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة حياة ناصر الحجي رئيسة تحرير المجلة العربية للعلوم الإنسانية، على إتاحتها الفرصة لي للتواجد بين خيرة رجال الدراما وعلوم المسرح.

التجريب المسرحي للطفل.. انطلاقاً من المنظور النفسي

ينقسم التجريب في المسرح إلى **قسمين أساسيين**، أعني بهما القسم النظري، والقسم التطبيقي العملي.

إن لفظة تجريب تعني محاولة قيام تجربة من نوع معين.. أي هي بحث في الظواهر بغية الوصول إلى تحقيق نتائج وظروف جديدة ـ عن طريق التأثير الإيجابي، أو عن طريق تغيير العملية الفنية في اتجاه متطور معين ـ يأخذ لنفسه مساراً جديداً. ولما كانت (التجربة) جانباً من جوانب الممارسة التاريخية الاجتماعية الإنسانية، فإنها تصبح ـ والحالة هذه ـ مصدراً من مصادر المعرفة، ويمكن أن تصبح كذلك معياراً أو قياسا لصدق الفروض أو النظريات.

لما كان العمل الفني في مسرح الطفل عملاً يستهدف عقل الطفل أو ذهنه، سواء انحنى هذا العمل أمام عقول الأطفال، أو نزل إليهم أو اتجه نحو هذه العقول في تربية وتثقيف وترفيه مقنن، فإن التجربة الذهنية تتضمن في جوانبها خلق ظروف ضرورية، وتحديد الموضوعات تحديداً علمياً يقبله العقل والمنطق، وإزالة تأثيرات قديمة، وتجديد الصورة المسرحية برمتها بتأثيرات مبتكرة، وفق الاستنباط المباشر من المفاهيم النظرية للتجربة ذاتها.

اتفق العالم من حولنا، منذ قيام أول تجربة لمسرح الطفل في عشرينيات هذا القرن في المدرسة العليا في بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، على أن عالم مسرح الطفل يختلف اختلافاً تاماً عن عالم المسرح الدرامي العام. أي أن الطرق، والأساليب، والفكر الدرامي، والأهداف، ومقومات التنفيذ الفني ليست هي بالضرورة مثيلاتها في مسرح الكبار. فبينما يتجول المسرح الدرامي العام حتى اليوم بين درامات اسكيلوس الإغريقي، وآرثر ميللر الأمريكي، وجون أوزبورن الإنجليزي، وآلكسي أربازوف الروسي، تتحدد مهمة مسرح الطفل في اعتباره حلقة وصل جوهرية بين مسرح العرائس من ناحية ومسرح الشباب من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يقتضي على هذا المسرح الارتباط فكرياً بهذين النوعين.. السابق عليه واللاحق له.

أخذت التجارب العالمية بنظريات التربية وعلوم النفس، باعتبارها أساساً علمياً في بناء هذا النوع من مسارح الأطفال. وبخاصة في فن كتابة دراما الأطفال. فعالم التربية الأمريكي د .فكتور لونفيلد DR. VIKTOR LOWENFELD قد حدد في نظريته (مراحل النمو DEVELOPMENTAL STAGES THEORY ضمن مراحل عمرية للنمو هي:

(١) مرحلة التخطيط أو الخربشة.

(٢) مرحلة ما قبل الموجز الشكلي.

(٣) مرحلة الموجز أو المدرك الشكلي.

(٤) مرحلة واقعية الرسم أو محاولة التعبير الواقعي.

(٥) وأخيراً مرحلة الواقعية الكاذبة أو الزائفة أو كما يطلق عليها مرحلة التغيير الواقعي. ومع أن نظرية لونفيلد قد نقدها كل من إرفنج هاللول، بويد ماكندلز، تشارلي سبيكر.

إلا أنها لا تعدم التوجيه إلى السلوك الفني عند الأطفال في هذه المراحل الخمس والتي تتضمن المراحل العمرية من (٢ - ٤) (٤ - ٧) (٩ - ١١) (١٣ - ١١).

والتجريب في مسرح الطفل، الذي ولد في بدايات القرن العشرين، وسط موجات العلوم، ونظريات التربية والجمال وعلم النفس، قد لجأ إلى التفكير العلمي استناداً إلى نظرية الأمريكي جيلفورد ليضمن للمسرح خصائص علمية تتناسب مع المجتمعات وعقليات الجماهير آنذاك، وفي عودة إلى التفكير في تاريخ تطور الثقافات. ويستند التجريب على ثلاثة أنواع من التفكير هي: التفكير السحري أو النوبي MAGIC ثم التفكير الميثولوجي أو النقل الأساطيري الخيالي، MYTHOLOGIC ثم التفكير العقلي RATIONAL. ومؤكداً علاقات التفكيرات الثلاث في علم النفس بعضها بالبعض كما يؤكد، وإثبات تحول التفكير الميثولوجي إلى التعبير العقلي في النهاية.

ناقش التجريب خصائص التفكير السحري الأول، وهو يكون عند الطفل تفكيراً مطلقاً. فكل شيء يؤثر، ويتكون، ويتفاعل. يتساوى في ذلك الغموض وروعة الإيضاح، والقوة والضعف. بمعنى أنه تفكير تشابهي تناظري. تماماً كما كان في تاريخ الثقافات. تفكير نوبي فاتن، الكل ينصهر فيه.

أما التفكير الثاني، الأساطيري الخيالي. ففيه جانب عقلي مفهوم ومقبول. وجانب آخر غير واضح وصعب القبول. ومن هنا تنشأ العقبات والمتضادات داخل حيز هذا التفكير الميثولوجي، ويرى هذا التفكير أن تطور الكائن البشري هو تطور نشوئي نوعي على مر التاريخ، الأمر الذي يفضي إلى تطابقات ملموسة وتناظرات محسوسة. وبينما يشب الطفل على التفكير السحري، فإن الشاب بتطوره يكون قد وصل فعلاً إلى مرحلة التفكير العقلي.

وفي هذا التفكير العقلي الثالث، يقتضي أن يقدم المسرح للطفل تكيفاً خاصاً، خاصة وأن العصر الحديث ـ بسرعة علومه ـ يرمي الطفل والشاب بين التفكيرات الثلاث، بما يؤكد تواجد التفكيرات الثلاثة في المسرح استجابة لثقافة العصر الحديث.

العناصر السيكولوجية للبناء الدرامي

بتطور العلوم والفنون إبان القرن العشرين كان على مسرح الطفل ـ رضي أم لم يرض ـ أن يدخل إلى المنافذ النفسية التالية:

أولاً ـ الاعتراف بزحف النظريات التربوية والنفسية

أو لِنَقُلْ التسليم بالواقع الحي. ألا وهو وجود صراع بين قوتين متعارضتين، بل وقائمتين فعلاً في ميدان مسرح الطفل. وأعني بهما قوة المنهج القديم والتقليدي، وقوة المنهج الجديد. إن كل شيء في مجتمع ما يمنع أو يعوق هو قوة قديمة، حتى وإن استقر بها الحال طويلاً نتيجة ظروف معينة أو تأخر متعمد أو غير متعمد. كما أن كل شيء يدفع إلى الأمام، ويوجه إلى التطور هو قوة جديدة، حتى وإن حملت أفكاراً غير مألوفة. إنه لمن الطبيعي في عملية التطور أن يدخل القديم والجديد في تداخل وفي علاقة جدلية. لكن

يبقى النجاح عادة من نصيب الجديد الذي يحمل جنين القديم، لكن في صورة تتناقض مع أشكال وقيم القديم، ولتبقى قضية التطور عملية موضوعية ثابتة.

ثانياً ـ الارتباط بالفكر

يرتبط العمل والحديث والحوار - وكلها خصائص يتميز بها أي مجتمع إنساني - يرتبط مع الفكر الإنساني. وتعبير إنسان ما عن فكر ما، يثبت قدرة الإنسان على تكوين المفاهيم واقتراح حلول التقدم والكشف عن أسباب وعمليات الازدهار أو الإصلاح. وهنا يبرز الفكر كأعظم نتاج للدفاع.. نتاج عضوي منظم متسق يعبر عن نشاط الإنسان اجتماعياً وفكرياً وفنياً. وعلى ذلك فلا يوجد الفكر في العملية العقلية منفصلاً بذاته، لكنه يظهر في ارتباط هام ووثيق بالعمليات النفسية الأخرى. والذي يهمنا في هذه الزاوية، هو **الإبداع الفكري في الفن**.. أي أن يكون فكراً منتجاً ومبدعاً في الفن المسرحي. فكراً يستخدم حوار مسرحية الأطفال في فن كتابة المسرحية، ويحولها إلى فن صادق يجسّد بطرق مباشرة وغير مباشرة المثل العليا، وفهم الحق والخير والجمال والعدالة الشفقة والصدق والسعادة والحرية، بل وكل مثل الأخلاقيات، وبخاصة حماس ونضال الشعوب كمفهوم تاريخي سائد في القرن المعاصر.

ثالثاً ـ الالتزام في فن الصغار

صحيح أن الالتزام في الفن مطلوب في المسرح العام. لكننا نعتبره هنا - في مسرح الطفل - أكثر أهمية وأعظم مطلباً. لماذا؟

لأن مسرح الطفل ليس ترفيهاً أو ثقافةً مسرحية فقط، لكنه مسرح تعليم وتربية وتوجيه وإرشاد.. إلى جانب الترفيه بطبيعة الحال، وهذه الخصائص الفكرية هي نماذج للتنمية الثقافية والتربية العصرية لتكوين الأجيال، باعتبارها نماذج تقدمية تسعى إلى الإنسان الكامل أخلاقياً ومهنياً. إن الالتزام في فن الصغار، ما هو إلا التزام بالتقدم، بغية خلق مجتمع سعيد، لا يقبل الظلم، ويقف إلى جانب كل ما هو خير وصالح لمستقبل سعيد آمن.

رابعاً ـ تغذية وتقوية أعصاب العقل

من أهم أهداف مسرح الطفل العصري، بناء عالم الخيال عند الطفل - كما قال الأستاذ فؤاد الشطي - وتغذية وتقوية أعصاب العقل عنده. ويتم ذلك بإثارة حاسة التخيل عنده IMAGINATION. هذه الحاسة التي تعمل على خلق عديد من الصور الحسية والفكرية في وعيه الإنساني. وهذه الصور - على اختلاف أنواعها ودرجاتها - تساعد الطفل على أن يعرف العالم من حوله، عن طريق استعماله للفروض والمفاهيم والأفكار النموذجية والمبتكرة، ودون الاستعانة بأحد. وهو ما يؤكد ذات الطفل من ناحية أخرى. ولتصبح هذه

الصور بمثابة (الحصالة) الذهبية التي تمده بالفكر الناضج ذي الدلالات الجمالية لترقية المجتمع ومعاونة ناسه وأفراده.

خامساً ـ الذوق الجمالي

هذا الاشتراك الاجتماعي والجماعي لأطفال في مجتمع ما، بفعل مسرح جاد ومتطور للطفل، إلى ماذا يؤدي بهم؟

إن درامات للطفل تعتني بعلمية معاصرة، في ارتكاز على الأفكار والأهداف الجميلة، لمسرح يربي ويعلم.. ويرفه في تقنين غير مسف، لمن شأنها أن تعكس قيماً جمالية على أطفال هذا المجتمع. في تقدير من الطفولة للجمال والقبح، والصدق والكذب، والحق والباطل، والحسن والرديء، والعدل والظلم... إلخ. وغير ذلك من مضامين أخلاقية لا يخلو مجتمع من صراعاتها. وهو ما نطلق عليه **تعديل السلوك الإنساني أو التربية بالفن.**

هذا المنهج الفني ARTISTIC METHOD يمثل جانباً سيكولوجياً واسعاً في درامات مسرح الطفل. وهو على هذه الصورة، يصبح تعبيراً عن موقف الإنسان أو حتى عن موقف الطفل.. تعبيراً جمالياً إزاء العالم، وطريقة جيدة لفهم أو تصوير الواقع المعاش في لوحة فنية رائعة.

فإذا ما انتقلت عبوراً إلى الجانب التطبيقي.. القسم الثاني من هذا المحور، فإنني أرى، أن تواجد الأسس النظرية السيكولوجية ـ السابق الإشارة إليها ـ في الجانب المعملي، يمثل أهمية بالغة في خروج العرض المسرحي في مسرح الطفل، وهو يحمل عديداً من القضايا الفكرية والتربوية والفنية، التي تصبح بدورها هي المطلق الفعلي لنجاح دراما الطفل. بمعنى أن أية بدائل عن العناصر السيكولوجية لا يمكن لها أن تحل مكان الجانب النفسي، والذي يمثل ـ في العصر الحديث ـ الركائز الأساسية للنهوض بمثل هذا المسرح، الذي نتوخاه كمركز من مراكز الإشعاع الفني لشباب ورجال المستقبل في الكويت الشقيقة.

وأتطرق إلى العناصر التنفيذية في مسرح الطفل، والتي تدخل أيضاً داخل محور المنظور النفسي.

أولاً ـ قصص الأطفال من وجهة نظر برونو بتلهايم

يشير عالم نفس الأطفال الأمريكي الجنسية، النمساوي المولد برونو بتلهايم BRUNO BETTELHEIM في كتابه (فائدة السحر) الذي أصدره عام ١٩٦٠م إلى أن القصص القديمة، بل والكلاسيكية هي الأساس في هذا المسرح في جذب وانتباه حواس الأطفال المشاهدين. فهي من وجهة نظر الطفل، واقعية، وحتى وهي غير واقعية، وهي

تعطي قوة، وتكسب ثقة، وتشارك المشاهدين من الأطفال أحاسيسهم. وطالما أن الطفل لا يعرف من آلام الحياة كثيراً، فهو لا ينفعل للقصص المخيفة لأنها تخرج عن نطاق فهمه ومجال معرفته. والقصص الكلاسيكية تعرف جماهير الأطفال في المسرح بعالم قديم مجهول لديهم وأيضاً قصص التراث يستعذب الأطفال هذه القصص، ويشتاقون إليها، وتكون لهم بمثابة الحدث العلاجي النفسي من جانب آخر.

ثانياً ـ طبيعة العروض المسرحية للطفل

أمام ما تقدم من خصوصيات مسرح الطفل. كان لا بد من ميلاد عروض ذات أشكال متعددة. مسرح يمثل فيه الكبار للأطفال. وآخر يمثل فيه الأطفال أنفسهم لجماهير من الأطفال. ومسرح ثالث يستعمل العرائس والدمى مع ممثلين من الكبار، ومسارح رابعة تتحرك فيها الدمى من الأسفل، وخامسة تتحرك بها الدمى من الأعلى. تنويعة شائقة تناسب تنقلات نفوس الأطفال بين لحظة وأخرى متنوعة تدخل عليهم ألواناً من البهجة وأشكالاً من العروض المسرحية تتداخل فيها مهمات مسارح العرائس بأنواعها مع مهمة مسرح الطفل المعاصر. ومن الناحية السيكولوجية يجري التجريب في عدة خطوط فنية، تفترض الأساسات التالية:

(أ) **النظرة التقديرية التامة للطفل المشاهد:** صحيح أن الدراما تحمل بين طياتها القِيَم والأخلاق الحميدة والتوجيه، لكن في إطار ديمقراطي يغلف المناقشات والحوار في الدراما، وضمن علاقة متبادلة بين الممثل والطفل المشاهد.

(ب) **تقدم فنون الأطفال داخل إطار فني صناعي:** أي ليس كامل التعبير الفني. حتى نسمح للطفل بمساحة من الإدراك الذاتي، ومن ثم نصل إلى الفهم عنده. وحتى عندما يتجه الكبار من الممثلين إلى الطفل في المسرحية تمثيلاً، فإنه يجب أن يكون اتجاهاً يقبل التطويع. بمعنى أن يؤدي إلى (تغيير) سلوك الطفل بالوسائل الفنية المختلفة التي تصاحب الكلمة والحوار، بغية إحداث عملية التأثير الفني عبر عملية (التعلم). وعلى حد قول الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون FRANCIS BACON (١٠٧١- ١٦٢٦م) «أن هذا التعلم ينبغي أن يكون إيضاحاً عقلياً لوقائع التجربة. حيث تكون المقدمات المفضية إلى النتائج في هذا التعلم الجديد (الوسائط البديهية) قضايا مبنية على أساس مفاهيم تم التوصل إليها، عن طريق التعميم المنهجي أو الاستقراء»[1].

(ج) **بساطة الأسلوب في فن التمثيل للطفل:** والتي تؤدي بالعرض المسرحي إلى منهج إبداعي محدد، حينما يسير الفنان في مسرح الطفل إلى مستوى تفكير الأطفال دون الإخلال بالقضايا الفكرية أو تسطيحها. حتى تبقى الأهميات الدرامية في التربية

والتعليم دون إهدار أو مساس.

(د) **الابتعاد عن اللبس أو التأويل:** في الإخراج المسرحي عند الطفل. إن كل العلاقات يجب أن تظهر (مسرحياً) في خط مستقيم، ولا أقول مباشراً. وعبر أقصر الطرق للوصول إلى الهدف المراد والمنشود.

(هـ) **العرض المسرحي هو الطريق الأمثل إلى جوهر مسرح الطفل:** فالمسرح عند الطفل ـ ومن جهة نظره ـ ليس إرباكاً، ولا هو تعمية أو ألغازاً أو غموضاً كما أنه ليس بالخدعة. إنما هو نشاط يومي عادي، يقدم سلوكاً إنسانياً، ويهمس في الأذن بخصائص سلوك راق.. يكون الطريق الطبيعي إلى جوهر المسرح. ويتميز مثل هذا السلوك بالأغاني ومعانيها والحكم، أقوال التراث والنصائح، والتربية الجمالية للسلوك، واحترام التعامل. كما يبرز أيضاً في معرفة العالم الخارجي، والتقدم العلمي، ونتائج عصر التكنولوجيا والكمبيوتر.. وكذلك في عالم الحيوان بكل ما يحمله من شفقة وحب وحنان وشفافية وبراءة قلب.

(و) **كل الحكايات حقائق أمام عالم الطفل:** فالكذب ذئب من وجهة نظر الطفولة. ومع ذلك فالطفل يحب الحكاية حسياً ووجدانياً إن جاز التعبير. وكذب الحكايات ـ من وجهة نظر الطفل ـ ليس كذباً. لكنه حقيقة أمام شفافيته ليست حقيقة عقلية لأنه لا يدركها لكنها، حقيقة سحرية خيالية. وما هو الجانب الفني في تطبيق الأكاذيبي على خشبة المسرح إخراجاً.

(ز) **الولع بالمعجزات:** تلعب المعجزات دوراً ساحراً في التأثير على الأطفال في عرض مسرح الطفل، ولا أزيد كثيراً على هذه النقطة.

(ح) **كما يمثل الترفيه، والنكات، والمقالب الصغيرة، والخدع المسرحية:** أركاناً هامة في عروض مسرح الطفل.

(ط) **تستهوي الموسيقى التراثية الأطفال المشاهدين:** أكثر بكثير مما تستهويهم الموسيقى المحلية العصرية، أو موسيقى الجاز العصرية أيضاً.

(ي) **تمثيل الكبار في مسرح الطفل:** يختلف كلياً عنه في التمثيل المسرح الدرامي. فما نطلق عليه في المسرح الدرامي (التمثيل المبالغ فيه OVER ACTING هو الصالح لأداء مسرح الأطفال، شدا للمشاهدين وإمعاناً لهم في التركيز. على شخصية الممثل، وبالتالي على دوره أيضاً.

ثالثاً ـ في إنتاج عروض مسرح التلاميذ أو الطلاب

وهو نوع خاص من المسارح الأوروبية، مخصص لطلاب المرحلتين المتوسطة

والثانوية. ويلعب علم النفس الدور الأول والأهم في درامات هذا النوع من المسارح، وكذلك التطبيق الفني أو المعملي. على اعتبار أن درامات هذه المسارح تتعرض لقضايا فكرية هامة عند شباب هذه المرحلة من مراهقين أو من هم على عتبة هذه المرحلة الدقيقة في حياة الشباب.

ومن هنا، فالصدق، أو العدالة، أو مآزرة المدرس مثلاً، كلها قضايا تمتلئ بها هذه المسرحيات، وفق الأسس والعوامل النفسية والعمرية. إذ من الطبيعي أن تختلف الأحكام على قرار مدرس بمحاباة طالب في مرحلتي المتوسطة والثانوية.. بكل مساحة الأحكام، من موافقة لرأي الأستاذ، إلى تمرد على قراره في حالة اختلاف المرحلة التعليمية. والقرار في كل مرة يتصل اتصالاً وثيقاً بالعلوم النفسية، لا شك في ذلك.

إن التعرض لتنفيذ مسرحيات الأطفال إخراجاً، يقتضي تسلحاً مسبقاً بعلوم معاصرة، تعرف بمشكلات الشعور عند الطفل، وفي مختلف مراحله العمرية، وبأسس التربية الحديثة، للكشف عن مصطلحات مثل الاستقلالية والتبعية، والازدواجية، والتضارب والتأرجح، والتجانس والانسجام، واستبطان الأفكار، وفحص الدوافع والمشاعر. وكل هذه العناصر لها من الأهميات الكثير الكثير. لأنها ـ وفي غير مبالغة ـ تقودنا مثلاً إلى معرفة دور الموسيقى في مسرح الطفل، كدافع نفسي يقوي من تآزر وتعاضد الأطفال مع الحكاية في العرض المسرحي. لكن ذلك لا يعني أن نملأ العروض المسرحية بالموسيقى من بدايتها إلى نهايتها (كما نشاهد الآن). إن كل شيء هو بالميزان الدقيق، المعادل لدقة المشاعر وحساسيتها عند الأطفال في كل مكان.

التوصيــات

وإذا كان لي من توصيات أقترحها، بعد أن أعلنت صحافة الكويت، قرار إنشاء الفرقة الوطنية لمسرح الطفل، في وزارة الإعلام. فإنني أختتم هذا المحور بالتوصيات المتواضعة التالية:

١- الارتكاز في اختيار درامات وعروض مسرح الطفل على المسرحيات الوطنية التي تحمل حقيقة عالم مسرح الطفل الكويتي الذي لا يفترق عن الأسس السيكولوجية السليمة، وكذا المسرحيات العالمية والإنسانية التي صعدت إلى خشبات مسارح الطفل الأوروبي في العديد من دول أوروبا وعلى المؤلفين الذين تخصصوا في الكتابة للأطفال وكتبوا قصصاً وروايات ومسرحيات درامية.. وأضرب أمثلة قليلة على غرار:

ـ الإنجليزي تشارلي ديكنز

(١٨١٢/٢/٧ - ١٨٧٠/٦/٩م) CHARLES DICKENS.

- الأمريكي مارك توين
(٣٠/١١/ ١٨٣٥- ٢١/٤/١٩١٠م) MARK TWAIN.
- الدانمركي هانز كريستيان أندرسون
(٢/٤/ ١٨٠٥- ٦/٨/١٨٧٥م) HANS CHRISTIAN ANOERSEN.
- الفرنسي جول فيرن
(٨/٢/ ١٨٢٨- ٢٤/٣/١٩٠٥م) JULES VERNE.
- الأخوان جريم
الألماني ياكوب جريم JAKOB GRIMM.
(٤/١/١٧٨٥ - ٢٠/٩/١٨٦٣ م)
- الألماني فيلهلم جريم WILHELM GRIMM
(٢٤/٢/ ١٧٨٦- ١٦/٢/١٨٥٩م).

٢- أرجو من الإخوة الذين سيقومون على توجيه المسرح، مسرح الطفل الكويتي إن شاء الله، الاتصال بمركز أبحاث الجماهيري في فيينا - العاصمة النمساوية، للاستعانة بالأبحاث المودعة في هذا المركز منذ إنشائه في عام ١٩٧٤م، وتحديداً في الموضوعات التالية، التي تقترب من عالمنا ومن مسرحنا في الكويت. وموضوعات الأبحاث هي:

- الرسم الشعبي.
- الفسيولوجي (علم وظائف الأعضاء).
- المسرح كقناة تربوية.
- حقائق الغضب والانفعالات بمساعدة الطرق التجريبية والظواهر الطبيعية وفحوصها على مجموعات الراشدين والمراهقين والأطفال.
- الحياة وعلاقتها باتساع المعرفة.
- تأثير اللغة المستعملة في الوسائل السمعية والبصرية على اللغة القومية.
- العلاقة بين المسرح الترفيهي والوظيفة الاجتماعية للموسيقى.
- تطويع وسائل الاتصال الجماهيري في المدارس.
- بحث تجريبي في التأثير الكوميدي.

- نظريات الفنون المسرحية المتعلقة بالجماهير.

٣- القيام بترجمة كتب تخصصية في آداب ودرامات مسرح الطفل وبخاصة في مسرح الطفل الإيطالي - المؤلفة:

أ - كتاب جوتاردو بلاسيش وآخرون (تأليف جماعي)
الأعداد في المدرسة GOTTARDO BLASICH
صدر في السبعينيات - تورينو

DRAMATIZZAZIONE NELLA SCUOLA/ CREATIVITA DI GRUPP/, TORINO,1969.

ب - فرانسيسكو أنطونيو جيزوندي
كتاب الأولاد يمثلون مسرحاً
صدر عام ١٩٧٦م - روما FRANCESCO ANTONIO GISONDI I RAGAZZI FANNO TEATRO ROMA.1976.

ج - كتاب جوزيبي بارتولوتشي وهو من أعظم كتاب القصة. صدر في عام ١٩٧٦م - فيرنزا.

GIUSEPPE BARTOLUCCI IL TEATRO DEI RAGAZZI FIRENZE,1976.

د - فرقة مسرح جيوكو
كتاب (حوار مسرحي) أنا الشجرة.. وأنت الحصان
صدر عام ١٩٧٨ - فيزيرا.

GRUPPO TEATRO GIOCO

IO ERO L'ALBERO TU IL CAVALLO

هـ - إيمانويل لازاتي
كتاب المسرح.. الأطفال.. المدينة

EMANUELE LWZZATI

IL TEATRO I RAGAZZI LA CITTA

صدر عام ١٩٧٨ - ميلانو.

و - إيفت جانجر
كتاب الأطفال ..المسرح.. المدرسة

XVETTE JENGER IL BAMBINO

IL TEATRO LA SCUOLA

صدر عام ١٩٧٧ - روما.

ز - أنطونيو بيرجاميني

كتاب مسرح في المدرسة، مدرسة في المسرح

ANTONIO BERGAMINI

TEATRO A SCUOLA SCUOLA A TEATRO

صدر عام ١٩٧٩- بولونيا.

ح - إيلينا دي باليس، روزا ماريا ماريني

كتاب مسرح وحوار

ELENA DE PAOLIS ROSA MARIA MARINI

TEATRO E TEST FIRENZE, 1986.

صدر عام ١٩٨٦ - فيرنزا

كما أشير إلى العديد من الدوريات الإيطالية الهامة التي تصدر تباعاً عن مسرح الطفل هناك. على غرار:

- QUADERNI DI TEATRO وتصدر في فيرنزا.

- SCENASCUOLA وتصدر في فيرنزا SEPARIO وهي أشهر الدوريات، وتصدر في ميلانو.

٤- الأخذ بمناهج التجريب العصرية في مسارح الأطفال الأوروبية ومنها المناهج التالية:

أ - تخصيص مكان خاص بكل الأطفال المشاهدين للمسرحية، بعيداً عن أسرهم، إمعاناً في انطلاق حرية الأطفال، وكاملة عند مشاهدة العرض المسرحي.

ب - تقدم بعض مسارح الأطفال عروضاً للأطفال، وفي جانبها مسرح درامي للكبار أهالي الأولاد، يشاهده المرافقون وحدهم. وهو أيضاً ما يوحي إلى فكرة إطلاق حرية الطفل، حتى لا يرى أهله حتى في الجانب المقابل لصالة الجمهور.

ج - هناك تجربة أيضاً، تخصص بعض مسارح الأطفال ضمن تجاربها كل الخدمات المسرحية لصالح الطفل. بمعنى أن الأطفال أنفسهم هم الذين يتولون إجلاس المشاهدين من الأطفال في صالة الجمهور، كما يقومون ببقية الخدمات الأخرى. تعويداً للطفل على الشجاعة، الاحتمال، وكسر الحاجز النفسي للخجل ثم هناك توصيات تختص بالأعمال الإدارية في مسرح الطفل الكويتي ومنها:

٥. إعداد مكتبة تجمع قصص وحكايات ورسومات الأطفال في مختلف المراحل العمرية.

٦. رجل دراما DRAMATWRG مؤلف مسرحي وطني ذو ماض عريق بفنون المسرح.

٧. شاعر شعبي وخبير بالتراث الكويتي الأدبي والوطني.

٨. عدة مترجمين من اللغات الأجنبية الحية إلى اللغة العربية.

٩. وفي النهاية، دار مسرحية خاصة بمسرح الطفل تكون في تصميمها مناسبة لدرامات وأغراض وبهلوانيات وأشكال وألوان مسرح الطفل، وعامرة بالآلات والتقنيات التي تنتج إخراج مسرحيات عصرية، بعيدة عن جمود خشبات المسرح الدرامي التقليدية.

إننا نرجو لمسرح الطفل الكويتي كل التقدم والازدهار، على يد أبنائه المخلصين فناني الكويت.. وفقكم الله.

د. عثمـان

شكراً للأستاذ الدكتور كمال عيد. أما الأستاذ الدكتور حسن يعقوب العلي كأستاذ، وفنان، ومؤلف كويتي، سيتفضل بوضع النقاط فوق الحروف بجرأته المعهودة، لتوضيح كيفية توظيف الفلكلور، والأساطير، والحكايات الشعبية الكويتية في مسرح الطفل.

د. حســن

بداية أود أن أشكر الدكتورة حياة ناصر الحجي رئيسة تحرير المجلة العربية للعلوم الإنسانية، وكذلك أشكر الأستاذ الدكتور عثمان لتفضله بتشريفي بدعوته لحضوري هذه الندوة. والحقيقة كنت أريد أن أحضّر نفسي للكلام حول توظيف التراث والفلكلور، لكن لمشغولياتي الكثيرة لم أبدأ بالكتابة إلا منذ يومين، ومع الأسف، لأنني تركت الكتابة مدة طويلة، وما إن بدأت بالموضوع وخصوصاً مع كثرة الأحاسيس والانفعالات والتي أشعر بها تجاه المأساة: مأساة مسرح الطفل في الكويت، الحقيقة سرعان ما شطحت بخيالي وذهبت أتكلم عن مسرح الطفل في الكويت أكثر من الكلام عن توظيف التراث في مسرح الطفل ولذلك أرجو السماح لي وخصوصاً الدكتور كمال لأن بعد الكلام الذي سمعته عن نظرته، والذي قاله، يعني بعض أفكاري تكاد تكون تغيرت، فأنا شاكر لك، وأيضاً أستميحكم العذر في أن أفرغ ما في نفسي من أحاسيس ومشاعرة حادة، قد لا يوافق البعض عليها، لكن هي ناتجة عن صدق في التعبير لما أحسه نحو هذا المسرح عندنا في الكويت، فأرجو المعذرة مسبقاً.

في البداية أردت أن أكتب عن الفلكلور وتوظيفه في مسرح الطفل. قد يجمع مصطلح «**الفلكلور**» بين طياته كل ما حفظته واعية الشعب خلال عصور توغل في القدم،

وكل ما مارسته أجياله من فنون تندرج في مضمون التراث الإنساني من فن وشعر ونثر، كالأغاني والأهازيج والملاحم والحكايات الخرافية والأساطير الدينية، والسير الشعبيات وما إليها من فنون الفصحى والعامية.

إن الفلكلور من هذا المفهوم الواسع محلياً وعربياً وعالمياً يمكن اعتباره من المصادر الثرية جداً، والتي يمكن أن يستقي منها كتّاب الدراما مادتهم الخام. ولا يقتصر ذلك على مسرح الطفل، بل يتعداه إلى مسارح الكبار أيضاً.

إن المسرح بشكل عام كان وما يزال يوظف التراث في إنتاجه الدرامي منذ أيام الفراعنة مروراً بالإغريق والرومان، فمسارح عصر النهضة والقرون التي تلته، اعتمدت على التراث وككل مسارح العالم الأخرى، مثل الهند، والصين، واليابان، وستظل هذه المسارح تنهل من هذا أكثر وأكثر. وللتدليل على صحة الكثير من المقدمات المنطقية التي تناسب أفكارهم ومجتمعاتهم.

في حين أننا لم نجد من كُتّاب الدراما عندنا من استطاع أن يوظف الفلكلور في دراما الأطفال بشكل متكامل ـ بمعنى أنه قد استمد من التراث الشعبي حكاية فصاغها بأسلوب درامي وقدمها لمسرح الأطفال. نعم هناك من فكّر في توظيف بعض الأهازيج ضمن عمل فني أو أكثر، وهذه الأهازيج والأغاني مما بقي لنا من فنون الماضي، والتي دونها البعض بين دفتي كتاب، كالمجهود الذي بذله الأستاذ أيوب حسين، ولكن هذه الأغاني والأهازيج تظل أقل فائدة من عمل فني متكامل، يحول إلى مسرحية أطفال يمكن أن تمتع أطفالنا وتفيدهم. ربما يعود السبب في ذلك إلى صعوبة إعداد الحكاية الشعبية درامياً، أو أن هؤلاء الكتاب والمعدين ليس لديهم من الوقت الكافي للبحث والتنقيب عن حكاية يمكنهم صياغتها، وأن الأخذ عن القصص العالمية أسهل للإعداد والتكويت. فهم غالباً ما يشاهدون مسرحية أطفال مسجلة تلفزيونياً، أو سينمائياً فيقومون بتكويت الحوار، مع بعض التعديلات، ويدفعون بها إلى المخرج الذي يقوم بتنفيذها بعد إجازتها من الإعلام. ومن هذه المسرحيات التي لا تحتاج إلى كثير من الجهد لإعدادها مسرحياً: «سندريلا، ليلى والذئب، الأميرة النائمة، أو الأميرة والأقزام السبعة» وغيرها من المسرحيات التي يمكن اعتبارها جاهزة للانتاج ولا تحتاج لأكثر من تحويل الحوار إلى اللهجة الكويتية.

ولا نستطيع أن ننكر النجاح الذي قد يصيب بعض هذه الأعمال، والذي قد يكون السر في الممثل أو الممثلة التي تقوم بدور البطولة فيها، ولكنها تظل أعمالاً فنية جاهزة لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تعبر عن البيئة المحلية، كما أنها تظل تتضمن مشاهد وأحداث غريبة وغامضة على العديد من الأطفال. وهي في كل الأحوال تظل عديمة الفائدة.

إن الأطفال عندنا يعشقون التمثيل، وقد يمارسونه في لعبهم، فكثيراً ما نراهم يحاكون بعضهم، وقد يقومون بتمثيلٍ مرتجل لمشاهد من الحياة، وهي من وعي الذاكرة، فلو أن الأعمال المسرحية تجيء نابعة من التراث المحلي فلا شك أن سعادة الطفل وفهمه للمشاهد وإدراكه لها سيكون أكبر بكثير.

ولكن هذا الإقبال على العروض المسرحية مهما كان نوعها وأياً كان مستواها أو مضمونها الفكري خطير للغاية. وأمام هذه الحقيقة المفزعة، اعتدنا سماع بعض ألفاظ التذمر تصدر من أولياء أمور، ممن هم على درجة من الوعي تؤهلهم لإدراك هذه الخطورة، وممن يجدون لديهم متسعاً من الوقت لحضور هذه العروض مع أطفالهم. وتذمرهم هذا رد فعل أمام تدني المستوى الفني لتلك العروض. ولخوفهم مما قد تعكسه مثل تلك العروض من سلبيات على سلوك أبنائهم، ولقد أقدم البعض منهم ـ مضطراً ـ على منع أطفاله من ارتياد هذه العروض، حفاظاً على أذواقهم وأفكارهم، على الرغم من علم هؤلاء بالظلم الذي قد يحسه أبناؤهم، وذلك لقصور فهم الأبناء، وعدم اقتناعهم بهذا المنع.

إن واقع الإقبال الشديد على مسرح الأطفال يعود إلى ظروف كثيرة منها أنهم درجوا على ارتياد المسارح لندرة وجود أماكن التسلية واللهو التي يجتمع فيها الأطفال لتمضية أوقات فراغهم ـ وهذه النقطة أعتقد قالها الأستاذ فؤاد الشطي ـ ولذلك فإن تدافعهم على المسرح يحقق لهم فرص الالتقاء بأقرانهم خارج البيت والمدرسة، ويهيئ لهم قضاء وقت ممتع من خلال الجمع الجماهيري الحاشد من الأطفال.

إن ملاحظة سلوك وتصرفات الأطفال خلال تلك العروض المتدنية، يمكن أن تكشف لنا عن سر ذلك الإقبال النهم. إن الأطفال في واقع الأمر لا يعيرون مستوى العرض اهتماماً، ولا يفكرون في تدنيه، كما لا يغيب عليهم ذلك التدني، وقد لا يلتفتون لما يتضمنه من كلمات أو جمل أو حركات، أو إشارات نعتبرها نحن خارجة عن المألوف من السلوكيات، ولذلك ترفضها أخلاقيات مجتمعنا العربي المسلم الذي يحرص على تقويم الأبناء. إن الأطفال في الحقيقة يقضون وقتاً ممتعاً غير عابئين بما يجري أمامهم، بل قد يتخذون منه مادة للسخرية من تلك المسوخ المتحركة على المنصة. والتي تبالغ في الهزل القبيح والرخيص لاستجداء ضحكهم. والأطفال يضحكون صادقين على حركات الممثلين، وألفاظهم السوقية في بعض الأحيان.

إن عوامل الضحك في مسرح الأطفال الممتع يأتي عن طريق الإيهام، حين يأخذهم الحدث الدرامي، ويطلق خيالاتهم، ويشدهم إلى مواقف انفعالية يندمجون معها، ويتعاطفون مع هذا الممثل أو ذاك تبعاً لطبيعة الدور وصدق التمثيل، وهذا ما يجعل من

المسرح ذا تأثير قوي يغرس في نفوسهم القيم والمُثل التي ترتقي بهم، وتخلق منهم رجالاً قادرين على مواجهة المستقبل.

ومن الصعب أن تحكم على أطفالنا بعدم الفهم أو عدم القدرة على الإدراك السليم للخطأ والصواب لما يرونه ويسمعونه على منصة التمثيل، يتضح ذلك جلياً لكل من يحضر هذه العروض عن طريق الملاحظة الحية لما يدور في الصالة. ولو أن الممثلين على درجة جيدة من القدرة على الملاحظة الدقيقة، لأمكنهم أن يدركوا من خلال سلوك الأطفال وتصرفاتهم، وما يرتسم على وجوههم البريئة من التعابير التي تكاد أن تكون ناطقة، لأصابهم الخجل من أنفسهم وهم يؤدون ذلك النوع من التمثيل المتدني. والأطفال بعد ذلك يشعرون نحو الممثلين بالحب، ومن ضمن الأسباب التي تدفعهم إلى الذهاب إلى المسرح فرص مشاهدة الممثلين، أو الالتقاء بهم، والتقاط الصور معهم.

إن من الممتع حقاً مراقبة ما يصدر عن جمهور الأطفال، في صالة العرض، عندما ترتفع الستارة ويبدأ العرض في بعض المسرحيات تكون الصالة هادئة، وعيون الأطفال مشدودة لما يجري على المنصة، وما أن يمضي العرض ويتحول الممثلون إلى أقزام، كل همهم إلقاء الكلمات أو أداء الحركات التي تستجدي الضحك، عندها يأخذ الأطفال بالضجيج المزعج الذي لا حدود له في وضع من الهرج والمرج. فالبعض يتسلى بتناول المكسرات، أو بالأكل والشرب، بينما يأخذ البعض الآخر بتناول الأحاديث الجانبية، وآخرون يلعبون بين المقاعد أو في الممرات وقوفاً، أو ذهاباً وإياباً غير عابئين لما يدور على المنصة. أما إذا بذلوا القليل من الاهتمام لما يجري أمامهم، فليس أكثر من التمتع بالبهرجة والزينة، وما تضفيه المؤثرات الضوئية والصوتية على الديكور وأشكال وأزياء الممثلين والراقصين على ألحان بعيدة عن المضمون الدرامي الذي كان يجب أن تفرضه الحكاية الدرامية الباهته.

ويرى البعض بأن مثل هذا الجو يمكن اعتباره صحياً إذ يشير إلى أن الأطفال يقضون وقتاً ممتعاً، ولكن هذا الأمر مشكوك فيه إذ لو أمعنت النظر لعلمت بأن من أهم أسباب عدم استقرار الأطفال في مقاعدهم عجز العمل والممثلين عن شد انتباههم، بل وللضيق الذي ينتابهم وهم يشاهدون شيئاً لا يستحق المشاهدة.

يجب أن نعترف أولاً بهذا الواقع المفزع للكثير من العروض المسرحية. إنه واقع أكثر من مأساوي، ولا نعتقد أن هذا الوضع بعيد عن أعين المسئولين عن النشأ. فالمسرح يهدم ما يبنيه البيت والمدرسة في أيامنا هذه. فنحن لا نشك بأن الجميع يدرك مدى الهبوط الذي تدنت إليه هذه الفرق، وأنها لا تزال تؤثر سلباً على سلوكيات الأطفال عرضاً بعد آخر. وخطورة المسرح أنه يغرس هذه السلبيات بشكل غير مباشر في نفوس الأطفال،

على أن مدى خطورة هذه السلبيات على تربية الذوق العام ستظهر حتماً على الأجيال القادمة.

هناك من يضع اللوم على وزارة الإعلام، وبالذات على مراقبة إجازة النصوص. وإحقاقاً للحق نقول: إن النصوص المجازة لا تمت إلى هذه العروض بصلة. فالنص، كما يبدو، بعض إجازته يدخل في مرحلة التنفيذ وبين المخرج والممثلين ورغبة المنتج في زيادة جرعات الكوميديا، اعتقاداً منهم بأن الأطفال يفضلون العرض الكوميدي، يتم تشويه النص حتى يأتي العرض شيئاً آخر غير النص المجاز التي تمت الموافقة عليه.

ولقد شكلت لجنة لدراسة ظاهرة تدني العروض لمسرح الطفل، ووضع تصور لهذا المسرح، ونعتقد أن اللجنة قد شخّصت الداء ووصفت الدواء، فلقد تمت الموافقة على إنشاء فرقة مسرح للأطفال يكون تحت رعاية الدولة وإشرافها مادياً وفنياً. ونأمل من اللجنة العليا للمسرح أن تأخذ قراراً شجاعاً بمنع الفرق الخاصة التي درجت على تقديم عروض الأطفال الهزيلة، من الإنتاج لمسرح الطفل.

لقد جاءت بداية مسرح الطفل عندنا متأخرة بما لا يقل عن عقد من الزمن عنها في بعض الدولة العربية الأقدم منا عهداً بفن المسرح، ولكنها كانت بداية قوية تبشر بالخير، مما جعلنا نأمل لذلك المسرح الوليد بأن يكون حافزاً قوياً لرقي مسرح الكبار. كذلك فقد كان الإقبال الجماهيري في بدايته مشجعاً على الاستمرار. ولكن هذا النجاح دفع الفرق التجارية إلى إنتاج هذا النوع من المسرحيات، ومن هنا جاءت الخطورة، فلقد كان الطلب شديداً على الممثلين والكتّاب حتى أصبح كل من هَبَّ ودَبّ، يكتب ويخرج ويمثل لمسرح الأطفال، وهكذا بدأت العروض بالتدني، وأخذ المستوى الفني بالهبوط حتى بلغ حداً من التدني الذي نشهده هذه الأيام.

إن العمل على تأسيس مسرح للأطفال تموله وتشرف عليه الدولة، أصبح أمراً في غاية الضرورة، فليس في الدنيا أهم من فلذات أكبادنا، فإذا كنا نحرص على بناء الإنسان، ونعده فعلاً لكي يكون رجل المستقبل فليس أمامنا غير أبنائنا، الأمانة الملقاة على عاتقنا. وهذا فيلسوفنا الغزالي يقول: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن تعوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد به، وإن عود الشر شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه».

وتؤكد البحوث بأن مشاهدة الأطفال لعروض درامية ناجحة تساهم في بناء شخصياتهم، وتعمل على الرقي بذوقهم، وتهذيب تصرفاتهم، وسلوكهم حضارياً وثقافياً، كما تخلق من بينهم فناني المستقبل، وهؤلاء هم الأمل الوحيد للارتقاء بمسرح الكبار.

ومن المعروف أن أزمة التردي التي يعاني منها المسرح عندنا، تعود إلى كوننا لم نرضع المسرح أطفالاً، وأن المسرح لا يشكل في حياتنا ضرورة في يوم من الأيام. ولذلك فمن الطبيعي أن نحرص على الدخول إلى صالة العرض، ولا مانع لدينا من أن نصحب معنا أكياس «البَتَك أو الحَبّ أو الفستق» وأن نعتبر هذه الأمور من مكملات قضاء وقت طيب أثناء مشاهدة العمل المسرحي.

ومن المعروف أن ذوقنا وميلنا إلى الأدب بفنونه أكثر عمقاً وثراءً منه إلى تذوق الدراما أو الميل إليها. ونحن لهذا السبب نميل إلى الحكاية السردية، والقصة القصيرة، والقصيدة الغنائية وإلى أنماط أخرى كثيرة من الموروثات الشعبية التي وجدت معنا منذ فجر طفولتنا ولذلك نحن نتوق إلى ممارستها أو الاستماع إليها.

على أن هناك من يعتقد بأن تزاحم الأطفال على دور العرض الدرامية، شبيه إلى حد ما بالسبب الذي يدفع الكبار إلى التزاحم على شباك التذاكر لبعض العروض الكوميدية، وهو قطعاً سبب لا صلة له بنجاح العمل فنياً، بقدر ما يعود إلى المفهوم العكسي للمسرح في أذهان عامة الناس، ذلك أن كثيراً منهم يعتقد أن المسرح ليس أكثر من وسيلة للتسلية والترفيه. ولا شك أن جمهوراً مثل هذا عاجز عن التذوق الغني للدراما الرفيعة، على أن الكم الهائل من الأعمال الهزلية الهابطة والتي تعرض على مثل هذا الجمهور، ولفترة طويلة تكون سبباً كافياً لتردي الذوق العام، ولعدم القدرة على وقف هذا الزحف من الأعمال الفنية الهابطة.

فإذا عدنا إلى منتجي هذه الأعمال لوجدنا أنه من الصعب حقاً أن نأمل من إنسان ينشد الربح المادي أن يلتفت إلى ضرورة التخفيف من كمية الضحك أو الهزل واستبدال ذلك بالسمو في الحكاية الدرامية، واستخدام الجدية في الطرح، والاكتفاء بالابتسامة الوقورة، وأن يضع نصب عينيه رسالة المسرح، والواجب الملقى على عاتقه تجاه تربية النشء، وهذا بالطبع أمر غير ممكن، وبعيد الاحتمال من منطق الربح والخسارة، ومن هنا ظهر من ينادي - وهو على حق - بضرورة تبني الدولة لمسرح الطفل في كافة المحافظات، وهو مسرح لا ينشد الربح، ولديه رسالة جليلة يقوم بها من أجل بناء الإنسان الجديد لهذه الأرض الطيبة. ولنقرأ ما يقوله مارك توين حول مسرح الطفل: «أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع للسلوك الطيب، اهتدت إليه عبقرية الإنسان لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة أو في البيت بطريقة مملة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس، وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال التي تعتبر أنسب وعاء لهذه الدروس. إن كتب الأخلاق لا يتعدى تأثيرها العقل، وقلما تصل إليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال فإنها لا تتوقف في منتصف الطريق، بل تمضي إلى غايتها».

والحق أقول إن محاولة صياغة تراثنا العربي درامياً لمسرح الأطفال فيه تصور واضح. فأين أبطالنا الشعبيين أمثال عنترة والهلالي سلامة وعلي الزيبق وسيف بن ذي يزن من معلوم ومفهوم أطفالنا... أين الصياغة الدرامية الملحمية لهؤلاء الأبطال الأسطوريين الذين يمكن استغلالهم لترسيخ القيم العربية القديمة التي نحن أحوج ما نكون إليها لإصلاح مجتمعنا العربي ولدفع الأجيال الناشئة إلى إعمال الخيال ومحاولة تحويل قيمه المثلى والعظيمة إلى واقع ملموس يمارسونه في حياتهم المستقبلية؟ إن استغلال التراث والفلكلور الشعبي الناشئ من البيئة العربية المحلية وسيلة مضمونة النجاح في اتساع مدارك العقل وإعمال الفكر عند الطفل بجانب أنه خير وسيلة لترسيخ أمور الدين والدنيا فيما يعود بالنفع على المجتمع حالياً ومستقبلاً، على اعتبار أن البطولة الشعبية من حيث كونها كياناً ديناميكياً تاريخي الوجود اجتماعياً، واقتصادياً، بل وسياسياً، عامل من عوامل التأكيد والتسنيد النفسي والفني في عالم الدراما.

والحقيقة أننا لم نجد حتى الآن في الساحة المسرحية الكويتية عملاً مسرحياً استخدم وسائل التعبير التراثية الجمعية لطرح رؤى اجتماعية أو نفسية على مستوى مسرح الطفل بالذات، رغم ثراء هذا الموروث في تراثنا الشعبي العربي ثراءً هو أقرب إلى الدراما منه إلى السرد أو التعليق. إن تراثنا العربي بقصصه يحمل مساحات من التوتر والصراعات والتداخل والكشف والحل وكلها من مقومات الدراما المسرحية، فإذا وجد المعد أو المستمد من هذا التراث أو القادر على الاستلهام الدرامي بيننا واستطاع توظيف التراث والفلكلور لمسرح أطفالنا، لوجدنا طفرة نجاح وتجاوب غير عادي من الأطفال والنقاد وأولياء الأمور بشكل لا يمكن توقعه... وأعتقد أن وزارة التربية مع وزارة الإعلام والتعليم العالي يقع على كاهلهم استنبات هذه العناصر، بتزويدهم بالتذوق الفني الذي يُفرض في مواد عليهم، تدفع بهم إلى التذوق الدرامي (المسرحي)، من خلال تركيز مواد توضح وتشيع هذا الاتجاه بينهم... وشكراً.

د. عثمــان

شكراً للأستاذ الدكتور حسن يعقوب العلي، إذا تحدثت عن أساليب التدريب الفني لمسرح الطفل، وهو محورنا الخامس في هذه الندوة، أرى أنه من الضروري أن أتناول هذا المحور من اتجاهين... **الاتجاه الأول:** هو أسلوب التدريب الفني الذي تتبعه دول العالم الأوروبي شرقه، وغربه لتدريب مدرس أو معلّم مسرح الطفل، على أسس علمية، وفنية، ونفسية، بما يجعله مؤهلاً لتدريس مادة التمثيل المسرحي في مدارس الروضة، والابتدائي، والمتوسط، بأسلوب فني تتكامل فيه معارفه وقدراته في الإلقاء والتمثيل والغناء والرقص والتعبير الحركي، ويستطيع بذلك أن ينتج أعمالاً مسرحية متميزة يمثلها الأطفال. وهذا ما تفتقر أو تكاد تنعدم منه مدارس الكويت في مراحلها الدراسية الثلاث.أما **الاتجاه الثانـي:**

من المحور فسأركز فيه على أساليب التدريب الفني لمسرح الطفل الذي يقوم بالتمثيل فيه ممثلون كبار السن فقط، أو صغار السن فقط، أو مزيج من الممثلين الكبار والصغار معاً، والذي ترتكز فيه الإدارة والتدريب والتوجيه في يد مخرج قد يتشابه مع مخرج مسرح الكبار العام في قدراته، ويختلف معه في أغلب القدرات والرؤى والدراسة والمعرفة والتجربة لعالم الطفل.

إن المجتمعات الإنسانية على اختلاف فلسفتها وأيديولوجيتها تعمل على التدخل في توجيه العملية التربوية في محيط النشئ منذ المراحل السنية الأولى من أجل تحقيق المصالح القومية، وفي ضوء نظرة مستقبلية واعية، تتنبأ بالأدوار التي سيقوم بها هؤلاء النشئ عندما يصبحون قادة ومسئولين في المستقبل. وعندما نناقش قضية (مسرح الطفل) باستقراء ظروف مجتمعنا العربي من خلال مشاكلنا الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والفنية، وفي ضوء تراثنا الحضاري والثقافي، نجد أن أغلب الحكومات العربية تؤمن بضرورة الاهتمام بالطفولة في كافة الميادين ومنها (مسرح الطفل)، ولكن هذا الإيمان يأخذ الإطار النظري والتقنيني أكثر من الإطار التطبيقي والإنتاجي الواقعي. وذلك يرجع - في رأينا - إلى العوامل الاقتصادية وعدم التنسيق وعدم تحديد الأولويات وتقديم الكماليات على الضروريات، وترك أمور مسرح الطفل وتنميته وتطويره ليساير روح العصر واختراعاته وتقنياته في أيد غير متخصصه وغير خبيرة بالتخطيط والتنفيذ، أو بنظريات اللعب عند الأطفال، المرتبطة بالارتقاء النفسي الذي يؤثر في كيان الطفل ككل، هذا الكيان الذي يمضي في طريق النمو متأثراً بالعديد من المتغيرات البيئية والاجتماعية والفسيولوجية.

ومن خلال الدراسات النفسية والاجتماعية والفنية العالمية التي أجريت على مستوىً عالٍ لتحديد النوعية الأساسية لمدرس تمثيل مسرح الطفل انحصرت الآراء في الآتي:

١- هو من يتقبل إجراء التغيير في نفسه أولاً.

٢- يعرف ما هو هدفه وكيف يحققه.

٣- أن يكون لديه المعرفة في أي موضوع قبل الإقدام على تنفيذه.

٤- يمكنه معرفة مشكلة الطفل ويستطيع مساعدته في حل هذه المشكلة بنفسه.

٥- أن يكون لديه نظرة سليمة لشخصية الطفل وإمكانية تطويرها.

٦- يمكنه أن يجعل الطفل يشعر بأن التغيير والتطوير يمكن تحقيقهما ذاتياً.

٧- أن يحس الطفل أنه ذو كفاءة ومقدرة وقدرة على التواصل معهم.

٨- أن يكون لديه الرغبة والاستعداد للاستزادة من كل المعارف والمعلومات.

٩- أن يكون ملتزماً التزاماً شخصياً نابعاً من ذاته ورغبته في تغيير مجتمعه إلى الأحسن والأفضل.

١٠- أن يتمتع بالقدرة على الإبداع الذاتي وأن يكون ذو شخصية إبداعية في كل ما يسند إليه.

١١- يمكن أن يلهم الطفل بالانطلاق في إبداعه التلقائي وذلك عن طريق منحه الثقة في نفسه وتشجيعه على الخلق الفني.

١٢- أن يملك المستوى الثقافي والفلسفي الرفيع والذي يمكن تطويعه لعقلية وفهم وقدرة وإبداع الطفل.

١٣- أن يتمتع بحب الأطفال دائماً من خلال قدرته الكبيرة على المزاح في الوقت الذي يكون فيه معطاءً وصبوراً.

١٤- أن يكون ممثلاً بارعاً.

١٥- أن يملك القدرة على إشعار الطفل بأنه جزء لا يتجزأ من المجموعة وأن عدم وجوده سيخل من إبداع المجموعة ككل.

١٦- أن يتصف بالقدرة الفائقة على إثارة خيال الطفل وخاصة في المواقف الخطيرة وذلك من خلال قدرته التمثيلية والتصويرية.

وتعريف «**مدرس مسرح الطفل**» لا يقتصر على المدرس الذي يدرب الطفل على فن التمثيل بل الذي يدرب أيضاً الفنيين والراقصين والمغنين والسينوجرافيين وكل من يعمل في خدمة مسرح الطفل.

وإذا تم تجزئة التخصصات لمدرسي مسرح الطفل فيلزم أن يكون مدرسو تدريب الصوت والحركة ممثلين متخصصين، وأن يملك مدرسو الصوت الخبرة الكبيرة حول الحركة ومدرسو الحركة الخبرة الكبيرة بالصوت.

أما مدرس الغناء في مسرح الطفل فيحتاج إلى معرفة واسعة بالموسيقى والقصائد وبحور الشعر.. إلخ. وكذلك بعمل الجوقة أو «الكورس». وإذا كان مدرس الصوت ممثلاً فإنه بحاجة إلى كل هذا - فيما عدا التمثيل، كما هو الحال في مدرس الحركة الذي قد يكون راقصاً أو مهرجاً أو رياضياً، فهو بحاجة إلى تدريب وخبرة تمثيلية عالية. ولذا تلجأ المدارس في الخارج إلى دورات تدريبية فنية تطبيقية وعملية طويلة المدى، قد تصل إلى ستة شهور متوالية لإعداد كوادر تدريسية خاصة لإكسابها قدرات تمثيلية أو صوتية أو حركية أو موسيقية يستفاد منها في تدريب وإعداد الطفل لمسرحه. ويفضل في هذه

الدورات وجود المدرسين الذين مارسوا الأداء التمثيلي سابقاً.

وفي هذه الدورات التدريبية يتم انتقاء المدرسين لتأهيلهم لهذه المهمة الصعبة ولا يكفي أن يكون مدرس الإلقاء والصوت في مسرح الطفل مدرساً خطابياً أو غنائياً، بل لا بد أن يتم تدريبه على الأداء التمثيلي الموسع من خلال نظريات التعليم الحديثة والنظريات السيكولوجية الخاصة بتربية وتعليم الطفل، وكذا نظريات علم الاجتماع... إلخ، وذلك حتى يستطيع توظيف الإلقاء والصوت على المسرح نظرياً وعملياً، كما يصبح كشافاً لمواهب الأطفال ويعمل على إتاحة الفرصة لتقدمهم من خلال إلهامهم وتشجيعهم.

يقول جان نورمان بنديتي رئيس اللجنة الدائمة للتعليم المسرحي لمعهد المسرح الدولي ايتي «باستوكهولم»: «إن مشكلة تدريب مدرس مسرح الطفل لا يمكن إبعادها عن مضمون نظام وأهداف مدرس المسرح العام الأخرى. ويمكننا أن نقول إن لدينا أساتذةً متخصصين أكفاء في الصوت والحركة، ولكن لديهم تجربة ضئيلة في الإنجاز، ولا يستطيعون دائماً تكييف كفاءاتهم في تدريب الممثلين، إذ يجدون عملية تدريب الطلبة الصغار أمراً صعباً ومستحيلاً. كما يجب أن نراعي إنهاء عملية التقسيم بين تدريب الممثلين الفنانين وتدريب المدرسين، ولا يجب التركيز أثناء تدريب مدرسي مسرح الطفل على المعرفة النظرية دون العملية التطبيقية، التي هي صلب عملية اكتسابهم الخبرة الفنية».

وفي مجال تدريب الطفل مسرحياً من الممكن أن يعمل بعض المدرسين طوال الوقت، وبعضهم بعض الوقت، وبعضهم بالانتداب لندرتهم.

وضماناً لاستمرارية وتطوير الأهداف والأساليب من أجل إيجاد هدف أسمى متبادل وخطط مستقبلية لمسرح الطفل، يلزم دوام إجراء مناقشات وعقد ندوات بين مدرسي مسرح الطفل على فترات متقاربة. ومن الأوفق أن تتاح الفرص لأطفال مسرح اليوم ليكونوا مدرسين لهذا المسرح بعد تخرجهم في مرحلة الشباب.

ومن الوسائل الحديثة في تدريب الأطفال على مسرحهم لتوسيع مداركهم الفنية والمسرحية، إضافة المعلومات عن طريق استخدام أحدث آلات التكنولوجيا الفنية المتيسرة مثل الفيديو وأجهزة التسجيل...إلخ، وبالتالي لا بد من تزويد المدارس بهذه الأجهزة. وأما النتائج الفنية والتطبيقات العملية التي تدرب عليها الطفل، فلا بد من عرضها على الجماهير في عروض طويلة الأمد، لقياس مدى توافق الأطفال المشاهدين لهذه العروض من عدمه، ولمعرفة الإيجابيات والسلبيات لكل عرض جماهيري طفلي - إن صح التعبير.

ومن تجارب مسرح الطفل يمكن اختيار بعض الأطفال الذين يرى المدرس تفوقهم

في الذكاء والقدرة على الإدارة والتوجيه والقدرة الفنية في سن العشر سنوات مثلاً، ليتولى هذا الطفل عملية توجيه زملائه الأطفال في مشهد تمثيلي مثلاً، لا يزيد عن الصفحتين.. وقد نجحت مثل هذه التجربة التي تتمثل في توجيه الطفل للطفل.

ولقد حظي مسرح الطفل في بعض دول العالم باهتمام كبير على مستوى إعداد مدرس أو معلم التمثيل، فنجد أن بعض الدول كالصين والاتحاد السوفيتي أنشأت مدارس دائمة لتدريب مدرس تمثيل الأطفال، بحيث أصبحت خبرتهم ذات قيمة فنية كبيرة. وفي هذه المدارس، تم وضع معايير فنية لمدرس تمثيل الأطفال، مع وضع برامج لتدريبه على الحركة والصوت، وتنظيم تعاون دولي وتبادل ثقافي مسرحي بين دولة هذا المدرس والدول الأخرى، وخاصة المتقدمة في فنون مسرح الطفل.

وروعي في أسلوب تدريب المدرسين عدم تخصيص مادة معينة من مواد المسرح يقوم بتدريسها المدرس، وبالتالي لا بد أن يكون لديه القدرة على إبراز وتوصيل الهدف والمضمون لأي مادة تتصل بمسرح الطفل، وذلك من خلال أسلوبه الخاص.

وحتى يكتمل القصد والهدف من تخريج المدرسين المسرحيين لمسرح الطفل، تم وضع أهداف لذلك تتلخص في التالي:

أ - مساعدة الطفل في اكتشاف الجانب الخفي من شخصيته الذاتية وقدرته في التعبير عنها.

ب - إتاحة الفرصة للطفل لاكتشاف قدرته الفنية وثقته التي يمكن من خلالها تفجير طاقاته الإبداعية.

ج - توسيع مدارك شخصية الطفل من خلال وسائل التعبير الفني المأخوذة عن مختلف الثقافات والعصور والبيئات، وذلك من خلال إثارة الخيال والتشبيه بالواقع.

د - تطوير قدرة الطفل، وتعليمه القدرة على التكيف الاجتماعي، من خلال التوافق الفني مع زملائه أثناء التشخيص المسرحي.

هـ - بعث روح الشخصية المتفردة والقوية عند الطفل، بحيث يملك القدرة مستقبلاً للتصدي لأصعب المواقف التي يقابلها في حياته.

وحتى أستكمل الاتجاه الأول من المحور الخامس أرى بناءً على ما سبق إنشاء مركز دائم لتدريب وتجديد الأساليب الفنية للمدرسين المتخصصين في فن «مسرح الطفل» في الكويت مع رصد الميزانية المناسبة للمهمة الفنية الكبيرة التي سيتولاها هذا المركز، إذ في هذا المركز سيتم ربط تعليم الصوت والحركة مع تدريب التمثيل، وبالتالي يصبح

هناك تبني لمدرسين جدد لفن مسرح الطفل على المدى البعيد، ومن الأوفق أن يتولى مثل هذا المركز تدريب وتطوير العمال الفنيين الذين يعملون في مجال التنفيذ العملي لعروض مسرح الطفل.

وإذا انتقلت إلى مناقشة الاتجاه الثاني من المحور الخامس الخاص بأسلوب العلاقة التدريبية التي تتم بين المخرج لمسرح الطفل وبين الممثلين سواء كانوا كباراً أم صغاراً، فلا بد أن أحدد المعايير العامة لهذه العلاقة، والمتمثلة في ضرورة الاهتمام بالنطق السليم الخالي من شوائب وعيوب النطق والكلام، وصحة اللغة أسلوباً وتعبيراً، بحيث تصبح المفاهيم واضحة دون لف أو دوران، لكي تصل إلى أذن الطفل السامع والمشاهد، دون أن تترك عيباً صوتياً أو كلامياً مكتسباً.

كما يجب على مخرج مسرح الطفل أن يعلم أن أساليب الغناء المختلفة في هذا المسرح هي مهارات مكملة، ولا يمكن أن تكون العمود الفقري للتدريب على الصوت... أما إذا كان العمل المقدم للطفل هو عبارة عن مسرحية غنائية فلا بد بالضرورة أن يكون التدريب الصوتي هو الأمر الأساسي، وكذلك الحال بالنسبة للرقص والتهريج، بل والأكروبات... إلخ، فهي كفاءات مكملة، ولا يمكن أن تكون العمود الفقري أيضاً للتدريب الحركي أو تجسيده على خشبة المسرح.

وبالنسبة لحركة الممثلين في مسرح الطفل، فلا بد من وجود كفاءة متميزة في استخدام الجسم في طريقة معبرة وواضحة عند التمثيل.

ولمخرج مسرح الطفل مقومات أساسية لا بد أن يملكها ليفيض بها على ممثليه الصغار والكبار معاً وانطلاقاً من الأسس التعليمية والتربوية ودراسات الخلق والإبداع المرتبطة بعالم الطفل يتحتم على المخرج أثناء تدريبه للأطفال على الأعمال المسرحية أن يعرف هؤلاء الأطفال أنهم يعرفون، ولا نصدمهم بأنهم لا يفهمون، وشيئاً فشيئاً سيصبحون قادرين على الفهم والعطاء وتحصيل المعرفة.

ومن عوامل تنشيط وتربية وإثارة الخيال عند الأطفال لجوء المخرج إلى بعض التدريبات الفنية التي تهدف إلى تطوير الخيال وتحريرهم من الكليشهات في التعبير والأداء التمثيلي، وتشجيعهم على التعبير والأداء بتلقائية تناسب أعمارهم.

إن المخرج الذي يستطيع أن يرى العالم من خلال نظرة الطفل هو وحده الذي ينبغي أن يخرج مسرحيات للأطفال. ودراسة واطلاع المخرج على علم نفس الطفل وأحدث طرق التدريس وأدب الكتابة للطفل، تساعده كثيراً على التعمّق والابتكار في وسائل التوصيل والاتصال بعالم الطفل، وعلى رأسها «فن المسرح».

كما أن دقة اختيار المادة المسرحية التي تقدم للأطفال وتذوقها والإحساس الصادق بها من جانب المخرج، كفيل بإنتاج مسرحيات خالية من المشاعر الزائفة. وبوسع المخرج أن يسمو بإنتاجه إذا كان على مستوى رفيع من الذوق الفني، واقتنع بضرورة تقديم أحسن المسرحيات إلى الأطفال.

ومهارة المخرج في الفنون المختلفة، إلى جانب الدراما، هي بلا شك أمر لازم لإخراج مسرحيات الأطفال. فالموسيقى والرقص وتناسق الألوان والرسم وفنون أخرى كثيرة، تسهم بنصيب وافر في مسرح الطفل وترقيته. كما يجب أن يتصف مخرج مسرح الطفل بالبشاشة والقدرة على الاحتواء، حتى يستطيع جذب الأطفال إلى شخصيته الذاتية، قبل قدرته على التوجيه والتدريب الفني لهم.

وإذا أردنا التحدث عن الأسلوب الفني لتدريب مسرح الطفل فلا بد أن نضع في الاعتبار ضرورة تبيان الفرق بين المسرح الذي يقوم به أو يقدمه الأطفال للأطفال، والمسرح الذي يقدمه الكبار للأطفال أو المزيج من الكبار والصغار الذين يمثلون للأطفال. فلا بد أن يضع مخرج مسرح الأطفال قبل إسناده دوراً رئيسياً لأحد الأطفال قدرته الصحية العالية، التي تمكنه من تحمل الآثار المجهدة للتدريبات اليومية. كما يراعي حالة الطفل النفسية والاجتماعية التي تمكنه من تقديم دوره في أحسن صورة ممكنة. ولذا يكون من الأفضل في أغلب الأحيان قيام مجموعتين من الأطفال بتمثيل نفس المسرحية بالتبادل يومياً، ففي هذا إتاحة الفرصة لأطفال أكثر للتمثيل، وفرصة أكبر لتربية جيل من الممثلين الصغار.

ولقد أكد كافة المخرجين المسرحيين الذين تعاملوا مع ممثلين من الأطفال، أن الطفل الممثل يؤدي دوره في كل ليلة بأسلوب مختلف يتفق مع مزاجه وحالته النفسية، بالرغم من كل توصيات وتوجيهات المخرج اليومية، دون أية سيطرة واعية، بقصد توصيل فكر وفن المؤلف والمخرج إلى المشاهدين.

وإذن، فهناك اختلاف واضح بين الأساليب الفنية لتدريب مسرح الكبار، وبين تدريب مسرح الأطفال، وذلك لاختلاف المسرحية في القصد والهدف. فمسرح الكبار مركّب معقّد، في حين أن النضارة والبساطة والوضوح تسود مسرح الطفل. وبالتالي تختلف طريقة التدريب والتوصيل والإفهام والتكوين. فمسرح الطفل يحتاج إلى العناية بالنطق والإلقاء، مع تصويب أداء الحوار للأطفال بكل دقة وعناية وتأكيد. كما أن إشاعة الحركة في جنبات المسرح مرتبطة مع الكلام والغناء، وبعض الحركات البهلوانية عامل هام من عوامل جذب وتركيز الطفل المشاهد للعرض المسرحي، وعلى كل ما يجري من مواقف وأحداث. وتلعب الفكاهة دوراً أساسياً قد يفوق الحوار، بشرط أن تكون الفكاهة صريحة

يفهمها الطفل بلا تعقيد.

ولا بد أن يدرب الممثلون في مسرحيات الأطفال ـ سواء كانوا كباراً أم صغاراً ـ على منح الأطفال المشاهدين فرصة للضحك في المواقف التي تستدعي الضحك، حتى يستطيع الأطفال متابعة الحوار دون أن يفوتهم حوار شخصية ما، أو موقف ما، من أحداث المسرحية المقدّمة لهم.

وقد رأى المؤتمر الدولي الذي عقد في استوكهولم في الفترة من ٧ إلى ١١ يناير ١٩٨٦ الخاص بمدرسي المسرح أن عملية الإخراج تختلف في مسرح الطفل عندما يقوم الكبار بالتمثيل، عنها عندما يقوم الصغار بالتمثيل، وبالتالي يختلف الأسلوب الفني للتوجيه والإرشاد والتدريب، بل يختلف شكل المسرحية وهدفها في الحالتين.

ومن خلال التجربة والخبرة والواقع، يتضح لنا أن الممثلين الكبار لا يجيدون تمثيل أدوار الصغار، في حين يجيد الصغار حتى سن الثانية عشرة تمثيل أدوار الكبار، ويكونون بذلك أكثر إقناعاً للطفل من الممثل الكبير، وذلك إذا أجادوا الاندماج والقدرة على تصوير الشخصية. فإقناع الطفل للطفل أسرع من إقناع الكبير في هذ المجال بالذات، وذلك بسبب كبر حجم الكبار الذي يتصوره الطفل في المسرح كالعملاق لا كالرجل العادي في الحياة... مع الأخذ في الحسبان أنه إذا كان جميع الممثلين من الأطفال، لن تبلغ المسرحية روعتها كما هو الحال في مزج الكبار من الممثلين بالصغار منهم، مع كثرة عدد الصغار عن الكبار، انطلاقاً من أن الأطفال المشاهدين يملكون القدرة على إكمال الصورة الناقصة بخيالهم لأي تقصير عندما يشاهدون مسرحية ما.

أما حين يقوم الكبار بالتمثيل للأطفال، فينبغي أن ينظروا إلى الحياة نظرة الأطفال وأن يتوخوا البساطة في التمثيل وعدم الإسراف في الحركات التمثيلية. ومن المعروف أن الممثل الكبير يجد متعة في العمل بمسرح الأطفال، لأنه ينطلق في التمثيل ولا يحس القيود التي يحسها حين يمثل أمام المتفرجين الكبار.. وللأسف يعمد الممثلون الكبار إلى الهزل في أداء الأدوار التي ينبغي أن تؤدي بطريقة جادة أمام الأطفال. إننا نريد لمسرح الأطفال ممثلين مخلصين يحترمون الأطفال، ولا يقدمون لهم سخافات تمتهن ذكاءهم، لأنه إذا استهان الممثلون الكبار بذكاء الصغار فإنهم يدفعونهم إلى الظن بأن هذا هو أقصى ما يمكن أن يقدمه المسرح لهم. وأما إذا آمن الممثل بأن أجمل آيات الفن التمثيلي هي التي ينبغي تقديمها للأطفال، وأن عليه مسئولية الارتفاع بأذواقهم، فلن يرتكب جريمة الاستهتار بالشخصية التي يمثلها، أو يساوره الإحساس بأنه أعلى من المتفرج الصغير.

وإذا انتقلت أخيراً لمناقشة المراحل وطبيعة الأسلوب الفني الذي يتبعه مخرج مسرح طفل أمكنني إيجازه في عدة نقاط منها:

أنه إذا كان مخرج مسرح الطفل في حاجة إلى أطفال في مسرحيته، فعليه الإعلان عن ذلك وإجراء اختبار لهم، ويحسن سؤالهم عما إذا كانوا على استعداد لقبول مواعيد التدريبات، على ألا تتعارض مع أي من أنواع النشاط التي يمارسونها، أو مع مذاكرتهم لموادهم الدراسية اليومية.

وفي أول جلسة تدريب للأطفال يقوم المخرج بحكاية قصة المسرحية ومضمونها للأطفال مع قراءة بعض فقرات منها وذلك بأسلوب مشوق، ثم يتم توزيع نسخ النص المسرحي على من وقع عليهم الاختيار، ويبدأ المرشحون للأدوار في القراءة، مع كتابة المخرج ملاحظات عنهم الإلقاء والصوت.. إلخ. مع إتاحة الفرصة لجميع الراغبين في الاختبار.

وفي محاولة لاكتشاف القدرة الفنية لدى الأطفال، يلجأ المخرج إلى طلب تأدية كل طفل حركات صامتة من النص المسرحي المرشح للإخراج - دون الالتزام بالنص المسرحي حرفياً - وبهذا يتعرف على مدى سعة الخيال والابتكار، والقدرة على تفهم الشخصية بتلقائية وقتية.

ومنذ جلسة التدريب الأولى على النص المسرحي يلزم على المخرج أن يشرح ما غمض على الأطفال من المعاني حتى لا يستقر المعنى الخاطئ في أذهانهم، مع تشجيع الأطفال على تحليل الشخصيات التي يمثلونها دون أي إملاء من المخرج. ثم يواصل المخرج شرح علاقة كل شخصية بالشخصيات الأخرى من خلال الفعل والقول، وتستمر تدريبات قراءة النص وتحليل شخصياته والتدريب على الإلقاء والصوت والغناء عدة أسابيع، قد تصل إلى حوالي الشهرين للأعمال الكبيرة، ثم تبدأ تدريبات الحركة على نفس المسرح الذي سيقدم عليه العرض المسرحي لتكوين صورة العرض شيئاً فشيئاً، من خلال الحركة والرقص والغناء، والحركات البهلوانية - إن وجدت. ومن خلال تجسيد الصورة المسرحية بالديكور والملابس والإضاءة والخدع المسرحية والأثاث والماكياج والأقنعة وكل الملحقات المسرحية.

أما في جلسات التدريب على النطق والإلقاء فيطلب المخرج من الأطفال توصيل صوتهم إليه في آخر صالة العرض المسرحي، وعدم إلقاء الجمل بسرعة، بل بتشبيع حروف الكلمات وتوضيحها، دون عيوب النطق والكلام المعروفة من تأتأة إلى ثأثأة إلى إبدال إلى إخفاء، إلى إدغام، والتأكيد على كل ما هو ضروري لإجادة الإلقاء دون إجهاد لعضلات الحنجرة وتوتراتها.. مع ملاحظة عدم إرهاق الأطفال في تدريبات تزيد مدتها عن الساعتين بأي شكل، حتى لا يفتر حماس الطفل الفني، وضرورة إشاعة روح المرح البرئ الذي يشجع الأطفال على التجاوب السريع.

وإذا كان الحوار في مسرحيات الأطفال مشتملاً على لهجات محلية، فينبغي أن تؤدى بعناية بالغة تحت إشراف خبير ومتخصص في هذه اللهجات، حتى يصبح لها وقع طيب ومقبول ومعقول بين الأطفال المشاهدين والسامعين. مع ملاحظة أن الأطفال يسعدون جداً جداً بتنوع اللهجات في المسرحية، كما لا يجب أن تزداد مواقف التوتر والتشدد والعنف في مسرح الطفل، خاصة إذا كان الأطفال أنفسهم هم الذين يقومون بتمثيل الشخصيات. وفي الوقت نفسه من اللازم تربوياً تقليل المشاهد العاطفية وتحاشي مناظر القُبَل والعناق.. أما مشاهد انتصار الخير على الشر، وتجسيد البطولة أمام الطفل المشاهد، فهي أكثر ما يثير حماس الطفل ويشد انتباهه إلى خشبة المسرح. وإذا كانت هناك مشاهد مبارزة بالسيوف أو معركة بالعصي ويقوم بتمثيلها أطفال على خشبة المسرح، فلا بد أن تتم هذه الحركة تحت إشراف خبير مسئول، ولا يُترك الأطفال لحالهم ينفذون ذلك، وإلا حدثت حوادث قد تؤدي بأكبر الأضرار الجسدية بين الأطفال الممثلين.

ولا يجب مطلقاً عرض مشاهد يتأذى منها الآباء والأمهات، وتخالف ديننا وعقيدتنا وآدابنا الإسلامية، مثل مشاهد احتساء الخمر، أو شرب البيرة.

وفي التدريبات النهائية التي تمهد لبداية يوم العرض الأول للمسرحية، على المخرج أن يخفف من إرشاداته وتوجيهاته، وألا يقاطع استمرارية أداء كل مشهد، ثم يتوقف لإصلاح الأخطاء سواءً في الإلقاء أو الصوت، أو التعبير أو الحركة أو الغناء أو الرقص... إلخ، ثم يعيد المشهد دون مقاطعة أيضاً إلا في نهايته، حتى تزداد ثقة الممثلين بأنفسهم - سواء كانوا كباراً أم صغاراً، وحتى يتضح إيقاع كل شخصية وكل مشهد وإيقاع المسرحية العام بما يضفي وضوح الهدف والجمال، ويكسب المسرحية المعنى المراد توصيله إلى الأطفال المشاهدين. مع ضرورة تخصيص ثلاث تدريبات كاملة على الأقل بالملابس والماكياج والإضاءة والأقنعة وكل مكونات العرض المسرحي، مع إجراء التعديلات المطلوبة لتماسك وفنية العرض المسرحي، بحيث يصبح التدريب النهائي مشابهاً للعرض الذي سيشاهده الجمهور قدر المستطاع.

أما في التدريبات الأخيرة يوجه المخرج الأطفال الممثلين إلى التجاوب مع الموسيقى المصاحبة أو المؤثرات الصوتية التي تسمع أثناء موقف من المواقف الدرامية، بما يتوافق مع مفهوم الشخصيات وطبيعة ومنطقية الموقف. كما يدربهم على حسن التصرف التلقائي في حالة دخول أو خروج أحد منهم عن طريق الخطأ أو النسيان، ويعتمد في ذلك على تصرف الأذكياء من الأطفال في كل مشهد تمثيلي. مع تحذير الأطفال من النظر في عيون المتفرجين لتفرغهم للإندماج في المشهد والشخصية.

وفي التدريبات النهائية يدرب المخرج ومساعدوه الأطفال على اتباع النظام والدقة

في مواعيد الحضور للمسرح، ومواعيد ارتداء الملابس وعمل الماكياج، واستلام وتسليم الاكسسوارات الشخصية، وطريقة إزالة الماكياج وخلع الملابس... إلخ. وعلى المخرج أن ينشر الهدوء وأن يزيل القلق عن الأطفال ويكثر من التشجيع في أيام العروض الأولى.

وعلى المخرج الواعي بمسرح الطفل أن يضع في اعتباره أن هناك أطفالاً كثيرين يملكون القدرة الفنية على إثبات جدارتهم في دور ثانوي، وهؤلاء هم وحدهم الذين يمكن إسناد دور رئيسي لهم، وسيقدمونه بنفس القدرة مع شيء من الإفهام والإقناع والتشجيع. وأن الطفل الذي يمثل دور الجد أو الأب أو الطبيب فهو يقدم هذه الشخصيات كنوع من اللعب يتشبه فيه بما يراه من الكبار.

وهكذا يتضح لنا أن المخرج هو المسئول عن سلوك الممثلين سواء كانوا كباراً أم صغاراً، وعليه أن يعلم أن سلوك ومعنويات ممثل واحد قد تؤثر على الباقين وتجعل من فترة التدريبات مصدر بهجة، أو تجعلها مجرد إجراء روتيني لا بد منه للعرض المسرحي.

إن تقديم عروض مسرحية هزلية للطفل الكويتي يقوم بإخراجها مخرج غير مدرب، يعتبر امتهاناً للأطفال وذويهم.. وفي رأينا أن مثل هذا المخرج طاه عديم الخبرة يعد وليمة كبيرة دون أن يرهق نفسه بالاطلاع على كتاب متخصص في أصول الطهي، والأطفال وذويهم معذورون في اتجاههم لمشاهدة مثل هذه المسرحيات، إذ أنهم لا يجدون غيرها في الساحة الفنية... وفي رأيي أنه لا مانع من إعادة عرض بعض المسرحيات التي لاقت نجاحاً فنياً وتعليمياً وتربوياً لدى الأطفال على فترات متباعدة تقرب من الثلاث أو الأربع سنوات مثلاً. مع العلم بأن العرض الحي على خشبة المسرح يكون أحسن وأوفق وأكثر تواصلاً مع الأطفال المشاهدين من عرض المسرحية المتلفزة، حيث يتحدد في هذه المسرحية «الكادر التليفزيوني» الذي يحرم الطفل من التمتع بجماليات العرض الحي، والتركيز على الكل مع الجزء في وقت واحد.

وحتى يتم ضمان تنفيذ خطط إنشاء وتكوين وتدريب مسارح الأطفال على أساس علمي وفني حديث ومتطور، يستلزم إنشاء مركز للدراسات المسرحية العليا الخاصة بمسرح الطفل بالكويت يضم متخصصين في شئون تربية الطفل من معلمين، إلى علماء نفس، واجتماع، وفولكلور، ومتخصصين في شئون وعلوم المسرح، وذلك لرسم السياسة التعليمية الفنية المسرحية لهذه المسارح.

ولذا أرى من خلال ما سبق عرضه في هذه الندوة أن أعرض على حضراتكم، وعلى رئاسة وإدارة المجلة العربية للعلوم الإنسانية أن تتبنى هذه الندوة العلمية الفنية التي تم

تكوينها على مستوى عال من علم وخبرات حضراتكم، وأن ترفع ما دار بهذه الندوة إلى كل من معالي وزير التربية والتعليم العالي، ومعالي وزير الإعلام بدولة الكويت، مطالبة بسرعة بحث ودراسة إنشاء معهد قومي للطفل، يكون خاضعاً لإشراف الوزارتين دراسياً، وعلمياً وفنياً، ومالياً، بحيث يكون به أربع مراحل تعليمية: ابتدائي ومتوسط وثانوي وعال، يتلقى طلابه نفس المواد المقررة على المدارس الابتدائية والمتوسطة، والثانوية، وفي نفس الوقت يتم تقرير وتحديد مواد ثقافية وفنية وتدريبات صوتية وحركية وتعبيرية وتمثيلية، يتلقاها ويطبقها عملياً الطلبة، ويخرجون بإنتاجهم المميز إلى العرض الجماهيري أيضاً، على أن يقبل الطلبة بعد إنهائهم الدراسة الثانوية بشعبة «مسرح الطفل» بالمعهد العالي للفنون المسرحية، والمعهد العالي للفنون الموسيقية، لإكمال دراستهم العالية... هنا... وهنا فقط، من خلال رأيي الشخصي، سيبزغ إلى النور الإنتاج الفني المميز لمسرح الطفل، ليطرد من الساحة الفنية كل غث مريض، وساعتها، سنجد جيلاً من الشباب القادر على الإبداع والتطوير بروح وذكاء وعقلانية العلم والفن معاً. ويمكن للخريجين بعد ذلك أن يتولوا التدريس لمواد التمثيل، ومسرحة المناهج، والموسيقى، والأصوات، والتعبير الحركي، بمدارس المراحل التعليمية الثلاث الأولى، وتستمر عملية استنبات علمي وفني للطفل المدرب على مسرحه بدءاً من مراحله التعليمية الأولى، وحتى المرحلة الجامعية. وأشكركم.

والآن يمكننا فتح مجال المداخلات والمناقشات وعرض الآراء إذا وافقتم...

د. حسن

لدي نقطة أثارها الدكتور كمال، وأكد عليها الدكتور عثمان، وهي المسرح المدرسي. يتهيأ لي أنه لا بد من أن نفصل ما بين المسرحين: مسرح الأطفال والمسرح المدرسي. في الواقع ذات المسرح التعليمي يختلف عن مسرح الطفل العادي، هذه النقطة تحتاج منا إلى أكثر من تفكير، ثم هذه النقطة تجرنا إلى سؤال آخر مهم جداً، والذي أثاره تداخل الدكتور عثمان: هو ما موقف الطفل المشارك في التمثيل من ساعات المدرسة والدراسة والمذاكرة، لأن الموجود الآن في المسارح التي تقدم مسرحيات للأطفال، يأخذون الأطفال من الساعة الرابعة حتى الساعة الحادية عشر... يذهب الطفل للبيت مرهقاً تماماً. هذا شيء... والشيء الثاني أيضاً الذي يجب أن نناقشه، عملية المعهد الذي اقترحه الدكتور عثمان، هو طبعاً فكرة طموحة جداً إلى أكثر من الواقع، لماذا؟ لأن الآن لو أردت أن تبحث في الكويت عن عائلة واحدة ترضى أن تدخل ابنها من الابتدائي فالمتوسط فالثانوي تمثيل لا يمكن أن تجدها. ولو أردنا أن نفحص طلبة المعهد العالي للفنون المسرحية لوجدنا الخريجين من الثانوي، مستوياتهم متدنية تماماً في الدرجات، ولا يجدون لهم مكاناً في أي كلية، فيأتون إلى المعهد. والقليل منهم يأتي للمعهد، وهو يريد

أن يتعلم الديكور، أو التمثيل، أو النقد، ولكن في الحقيقة هم ليس لهم أي مكان آخر، وأنا من خلال علاقتي بالطلبة، أعرف أنهم يأتون لأنهم يسمعون أن الدراسة في المعهد سهلة. فالكسل وعدم القدرة على التحصيل العلمي الجيد هو الذي جعلهم يأتون إلى المعهد، وهذا معهد عالٍ، معهد يعطي بكالوريوس، فما بالك لو كان المعهد يعطي ابتدائي ومتوسط وثانوي، لا أعتقد أن أحداً يفكر يأتي بأولاده.. سأتناول قصة حصلت لي، ويمكن حصولها عند الكثيرين، لدي أحد من أبنائي، انتهى من المتوسط، وقد سمع أن المعهد يقبل الدراسة المتوسطة فيه... وبعد ذلك الثانوية وبعد ذلك العالي، فقال أنا أريد معهد الموسيقى فأنا لم أوافق. فقلت له: كيف تطلب أن تترك دراستك وتدرس الموسيقى، وتترك مستقبلك، وخصوصاً عنده ميول علمية، وقد كنت أتمنى أن تستمر دراسته في الثانوية. فطبعاً لم أوافق أول سنة، ثاني سنة في ثانية ثانوي سقّط نفسه متعمداً، المدرس والمشرف الاجتماعي يقولون أنهم متأكدين أن هذا الولد ذكي وكان يتناقش في الصف وكان إذا جاء الامتحان لا يجيب على الأسئلة.

أ. فـؤاد

هذا يؤكد المنفذ الذي اقترحه الدكتور عثمان. قد يعالج مثل هذه الحالات أن تتحدد تطلعاتهم المستقبلية منذ الصغر، يعني كلنا نكاد تكون تطلعاتنا المستقبلية تحددت ونحن في المرحلة الابتدائية. أنا لم أتخيل نفسي إلا أنني فنان منذ الابتدائية، هناك أناس لم يتخيلوا أنفسهم إلا رياضيين.

د. حسـن

مَنْ مِنْ أولياء الأمور يوافق الآن ألا يرسل ابنه إلى مدرسة ابتدائية عادية، ويرسله إلى مدرسة تدرس الفن؟

د. عثمـان

القضية يا دكتور حسن أن أولياء الأمور هنا في الكويت، حسب ما هو مسجل عن ذكريات وبدايات التمثيل والموسيقى، وحسب ما هو معمول به ومتبع في احتفالات المدارس والمهرجانات المسرحية في مرحلة الروضة والابتدائي والمتوسط والثانوي - وحيث ما ذكره أمامنا الأستاذ فؤاد، أن أولياء الأمور يوافقون على اشتراك الطلبة والطالبات في النشاط المسرحي بالمدارس، ولكن يظهر التزمت الديني والاجتماعي وأثر التقاليد والعادات الكويتية ما بعد المرحلة الثانوية.. وأنا في مناقشتي للمحور الخامس من هذه الندوة لا أطالب باتجاه طالب الفن للدراسة العالية، سواء في معهد الفنون المسرحية، أو معهد الموسيقى، إلا للراغب وصاحب القدرة الفنية، كما في حالة ابن الدكتور حسن التي تفضّل بذكرها... إن الإجبار على الاتجاه في هذه الدراسة الفنية العالية يعتبر خطأً. ولكننا

ما زلنا نرى في الروضة والابتدائي والمتوسط والثانوي في الكويت عروضاً مسرحية وغنائية للولد وللطفل وللصبي وللشاب، على اعتبار أن الولد ما زال في مرحلة التكوين. ونرى في نفس الوقت التزمت الأسري، والتقاليد، والقيم، ومحاولة كسر طبيعة هذا المجتمع في مرحلة ما بعد الثانوي... الأولاد والبنات في المدارس يرقصون ويغنون ويقدمون عروضاً كاملة تقدم على خشبة المسرح، وجميع المسئولين وعلى أعلى المستويات يشاهدون هذه العروض في كل المراحل التعليمية، انطلاقاً من أنها عملية تعليمية.

أ. فـؤاد

عفواً دكتور أريد أن أتدخل بشكل عام، دون الدخول في التفاصيل، بداية أنا أقول للدكتور حسن كما جاء في طرحك، يعني قد يختلط أو يصبح نوع من أنواع اللبس بين مسرح الطفل وبين المسرح المدرسي، لأن جزءاً كبيراً جداً من طروحاتك التي طرحتها هي تخص المسرح المدرسي في الجزء الأكبر، ولأن المسرح المدرسي يتجاوز دوره دور مسرح الطفل، هو نشاط يتعامل مع المسرح بشكل مطلق، ويعمل على تكريس حب المسرح والفنون المرتبطة به في وجدان الطفل، وأنت د .عثمان تدخلت وطوعت محاور حديثنا، فاسمح لي أن أحوّر أيضاً محورك بناءاً على ما طرحته. بدل أساليب التدريب الفني بمسرح الطفل، أساليب التدريب الفني للطفل الذي يتعامل مع مسرح الطفل. خاصة بالجزء الأول منه، فالجزء الثاني تطرقت للجزء العام الذي يعرض للجمهور، مع التركيز على كيفية التعامل مع الطفل الممثل، لأن هذه مهمة جداً، وأنا اقترح كمنهجية يجب رفعها إلى إدارة المسرح المدرسي، لكي توضع كأساس لمن يقودوا زمام النشاط المسرحي في مدارس الكويت، هذه الأسس التي يجب أن تتوافر في من يتولى إدارة النشاط المسرحي في مدارسنا، وفي السابق كنا نتمتع حقيقة بمثل هؤلاء المدرسين. يعني كانوا في الغالب هم من مدرسي اللغة العربية الفصحى، ولهم اهتماماتهم الأدبية، ويمتلكون جذوة الفن، فكانوا يتعاملون مع المسرح المدرسي بحب وبشغف، وبالفعل يقوّمون ألسنة الطلبة، ويعلمونهم الإلقاء والتمثيل، ويأخذوا أيديهم معظم أو غالبية من هم على الساحة المسرحية في الكويت. وأعتقد نفس الشيء موجوداً في مصر. هم أساساً من خريجي المسرح المدرسي، وهم نتاج جهود الأساتذة المؤهلين بالشكل الذي طرحه د .عثمان، نأتي إلى قضية أخرى. مع استمتاعي الكبير بالمداخلة الرائعة التي ألقاها الدكتور كمال عيد، إلا أني أسمح لنفسي بالتداخل معها، لأن الكثير مما جاء في المحاضرة طرحها الدكتور كمسلمات. أنا في الواقع أستطيع أن أتحاور معها بود وبحب، لأنها جاءت مهيكلة ومقولبة ومؤطرة، وخاصة أن هذا يتنافى في الحقيقة مع روح التجريب الذي هو أساس المحور الذي تكلم عنه. يعني التجريب هو اكتشاف عوامل مضافة جديدة من عوامل المسرح، فأي نظرية ثابتة عدا الأهداف الرئيسية من وراء أي شيء قابلة وعرضة للتطوير.

ونحن نعرف أن السكون وإقرار ما هو قائم يتعارض مع روحية التجريب، أما نص المحاضرة، فأتمنى أن أحصل عليها لأنه يهمني ما طرحته، لأنه جدير بالفعل أن أتحاور معها. فهي بلا شك رائعة، الكثير من التوصيات التي جاءت في آخر المحاضرة أتفق معها مع عملية تقنينها. نحن في الكويت على الأخص دائماً إذا أردت أن تصل إلى عقل المسئول، عليك أن تبتعد عن الإسهاب وتقنن له، وأن تبسط له المسائل على عظمتها وعلى حجمها الكبير. فالكثير من الأشياء بالإمكان أن نتبناها كتوصيات. آتي إلى الدكتور محمد. وأنا أشاركه الرأي وألقي بالتبعية على لجان الرقابة المشكّلة من قبل وزارة الإعلام، والدكتور حسن حاول أن يبرئها، فإذا كانت هذه المسرحيات الأخيرة التي ظهرت على الساحة المسرحية في الآونة الأخيرة هي من نتاج رقابة هؤلاء، فأنا أعتقد بحاجة هؤلاء إلى إعادة تأهيل ذواتهم بالدرجة الأولى. والرقابة ليست فقط رقابة نص، الرقابة يجب أن تشمل النص، والعرض المسرحي. فأنا أؤكد على هذه النقطة يا دكتور لأن المسئوليات لا تتجزأ، أنا لا أجيز نص، وبعد ذلك أبتعد عن المسئولية.

د. حسـن

المسئولية متعددة.. أنت في حدود صلاحيتك: النص، فأنت عليك أن تحلل هذا النص، وتبين عيوبه، وتحاول أن تمنعه إذا كان بالفعل ظهوره مضر بالمشاهد.

أ. فـؤاد

الكثير من النصوص التي أجيزت حتى كنصوص، مع الأسف الشديد تخلو من الحد الأدنى من المفاهيم التربوية، ومن الشكل الفني الذي يجب أن يكون عليه مسرح الطفل. نأتي إلى عدة أسئلة مشروعة تطرح نفسها عليّ بعد الخبر الذي قرأناه من إنشاء مسرح قومي للأطفال. والأسئلة المشروعة تقول الآتي: من سيتولى عملية الإشراف على هذا المسرح؟ ما هي إمكانياته؟ وما هي علاقته بالمسرح؟ إذا كانت الإدارة المسئولة عن المسرح بشكل عام غير مدركه لمسئولياتها وتمارس أبشع أنواع البيروقراطيات التي تقتل المسرح بشكل عام، كيف لهذه الإدارة ذاتها أن تتعامل مع مسرح الطفل الذي نحن نتوخاه، والذي نحن نرجوه؟ ما هي نوعية العناصر التي ستنضم لعضوية اللجان التي تخطط لهذا المسرح؟ أنا أؤكد هنا منذ الآن أن السمة الغالبة لأعضاء هذه اللجان، ستكون عبارة عن اختيارات تحكمها الوجاهة الاجتماعية، والتلميع الذي لا نفع فيه، دكتور، عندما تناقش أزمة مسرح الطفل في الكويت، علينا أن نعري المستور، ونضع أيدينا على الخلل أينما وجد. بمنتهى الصراحة ما نحتاج إليه في هذه المرحلة بالذات بعدما استفحل داء مسرح الطفل هو المواجهة والمواجهة الصريحة، لأنني يا إخوان أريد تدخلاً عاجلاً لوقف كل ما يقدّم باسم مسرح الطفل، ويتم تشكيل لجنة تضم كفاءات، وأؤكد على كلمة كفاءات، لتأسيس هذا المسرح ووضع شروط وضوابط له. وأنت تعلم دعوتي منذ سنوات طويلة جداً

لتدخل الدولة، ولمنع المؤسسات الخاصة للتعامل مع مسرح الطفل، وتعلم حجم الهجوم الذي تعرضت له أيامها وما زلت مصراً على رأيي.

د. كمـال

لدى ملاحظتان صغيرتان ليستا تعقيباً ولا رداً، ولكن أشترك مع الأستاذ فؤاد فيما أشار إليه. الملاحظة الأولى، فقط أريد أن أوضح أنه لم يكن في ذهني شيء من القولبة أو الجمود أو الهيكلية أو الإطار لتحديد الأفكار، ولكنني تكلمت في محور يتصل بالأمور النفسية (بالسيكولوجي) وهي النظريات الفلسفية. ويمكن أن تؤّول وأن تختلف. فالقرن الثامن عشر الذي ولّد أكبر عدد من الفلاسفة، ترك لنا نقاطاً هامة فعلاً، لكنني لا أقصد بذلك هيكلاً. ولكن أقصد أن يكون معنياً الأسس هو القضية النفسية كيف نصل إلى الطفل عن طريق علم النفس، ونظرياته؟

أ. فـؤاد

أنا شاكر لك رفع اللبس هذا، لأنه ومن خلال الاستماع وكذلك من خلال الاسترسات التي عملتها على بعض الجمل، أوحت لي وكأن هذه الأمور من المسلمات التي يجب أن تتم. أنا أشكرك على رفع اللبس. وعلى فكرة أنا كنت مندمجاً تماماً في الاستماع، بحيث لم أستطع أن أدون حتى أوضّح الاقتراح.

د. كمـال

الملاحظة الثانية، يقترح د. عثمان بدء الدراسات من المرحلة الابتدائية الأولى الأساسية، ثم المتوسطة، ثم الثانوية. وأنا في اعتقادي أنه لا يجب أن ندخل إلى هذا الموضوع. وسأقول لماذا، لأن التعداد السكاني في الكويت لا يسمح بتخريج عدد كبير من الفنانين يتفرغ لهذه المهنة غير المستتبة إلى حد كبير. وحتى الأعداد القليلة لطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية التي هي ١٠٢ أو ١٠٤ طالباً في السنة السابقة. وإذا سمح لي دكتور بلال، أنا لا أذيع سراً والحمد لله، تكاد تتضاعف هذا العام الدراسي في المعهد العالي للفنون المسرحية وهذا شيء جيد جداً. أنا لدي تجربة صغيرة عندما كنت في ليبيا أشتغل كمستشار فني لوزارة الثقافة والإعلام قلت لهم يجب إرسال بعثات للخارج في مجال ترقية الفنون ويجب أن تعملوا، قبة سماوية وسيرك. واقتنع الوزير المختص. ووفقنا في عمل القبة السماوية، ولم نوفق في إنشاء السيرك القومي. لأنه من أجل إقامة السيرك القومي لا بد من تعليم أولاد صغار السن في الاتحاد السوفيتي لمدة سبع سنوات، يبدأ من سبع ويطلع إلى أربع عشرة سنة، يأتي الولد، وأبوه يأخذ قيمة (٥٠٠ ديناراً) وأمه تأخذ قيمة أخرى (٥٠٠ ديناراً) في نظير مرافقة طفل السبع سنوات. والولد يأخذ المنحة من الاتحاد السوفيتي لكن كانت النتيجة.. أنه لم تتقدم أسرة واحدة ولم يتقدم طالب واحد.

إذن هذا فعلاً يتوافق ـ كتجربة عملية ـ مع ما قاله زميلنا الدكتور حسن، وفعلاً حتى ولو فعلنا ذلك، فلا أعتقد أن أحداً سوف يتقدم. فكيف نبدأ بتعليم الصغار مبكراً لمهنة الفن.. التي لم تنتشر حتى نهاية قرننا العشرين، الانتشار الطبيعي والحضاري المناسب لمكانتها في مجتمعاتنا؟

د. عثمـان

والعكس قد يحدث يا دكتور كمال انطلاقاً من الإيمان بقاعدة التطور.. كما حدث لمعهد الدراسات المسرحية الذي أنشأه وأشرف عليه فناننا الكبير الأستاذ زكي طليمات، وتطور بعد ذلك ليصبح المعهد العالي للفنون المسرحية، فكان بذلك الشرارة الفنية الأولى في الخليج العربي، وأصبح يحوي كل أبناء الدول العربية، وخاصة شباب وشابات دول الخليج. أغلب ما حققته البشرية في مسارها الحضاري كان في البداية حلماً عاشته وآمنت به وسعت لتحويله إلى واقع، والعلماء والمفكرون والمكتشفون والأدباء والفنانون خير مثال لنا على ذلك.. وأعتقد أن منطقة الخليج ككل ـ من واقع التقدم العلمي والاجتماعي والفكري لدى كثير من الأسر ـ أصبحت من الوعي بحيث تستطيع أن تشارك في كسر جمود التقاليد والعادات الموروثة فيما يخص دراسة الفنون، مثل التمثيل، والموسيقى، والفنون الشعبية، لتساير النهضة العالمية في هذا المضمار. فلا مانع من المحاولة ما دام هناك شبه موافقة على اشتراك الأبناء في هذه الفنون حتى مرحلة الدراسة الثانوية.

د. كمـال

أعتقد أن ذلك ممكن حدوثه في بداية القرن الثاني والعشرين مثلاً. لدي تعقيب بسيط على لبس أشار إليه الدكتور حسن، أنني تكلمت عن مسرح التلاميذ أو مسرح الطلاب، عندما تكلمت عن مسرح التلاميذ لم أقصد به مسرح المدارس فقط، إنما قصدت به المسرحيات التي تمس المسرح المدرسي القائم في الكويت. وحتى في مصر فالمسرح المدرسي يمثل المسرحيات العالمية التي يقدمها المعهد، أو التي يقدمها المسرح العام، إنما كنت أقصد مسارح الطلبة الموجودة المخصصة للطلاب في سن مرحلة المراهقة.. المرحلة الحرجة في حياتهم ما بين (١١و ١٣) أو ما بعد هذه السن حتى يصلوا إلى (١٨ سنة). هذا المسرح بكل أسف غير موجود في الوطن العربي، وهو مسرح يتعامل أيضاً بالقواعد النفسية، لا أقصد المسرح المدرسي، د .حسن.. لأنه مثلاً في فلسفة علم النفس، وعلم النفس الطفولة والمراهقة، وعلم النفس الشباب، يقول علماء النفس إن في فترة المراهقة هذه، يرفض الولد كل فن لا يريد أن يمثل. والولد يكون في ذهنه نموذج بطل خيالي، بطل رياضي، أو بطل سينمائي يسيطر على خياله. وهذه السيطرة تبعده وتلقي به في دائرة نفسية مختلفة تماماً. فيرفض كل شيء، هذا النوع من الشباب أيضاً يتطلب

معالجة النفس، والتضاد الموجود والقائم في داخله ما بين والديه، وخادمته، وصديقه، وكل هذه القضايا الحياتية تعالج بمسرحيات اسمها مسرحيات الطلاب. وتناقش هذه الدرامات أيضاً القضايا التي تدور في المدرسة. فمسرح التلاميذ أو مسرح الطلاب الذي أشرت إليه لا دخل له بالمسرح المدرسي من بعيد أو قريب.

أ. فـؤاد

التطبيقات أو الحلول التي طرحت من قِبَلْ الدكتور عثمان قناعاتي الشخصية يجب أن تُطّوع للبيئة الخاصة بالطفل أينما وجد ـ بمعنى أن الطفل الكويتي نجد المؤثرات التي تؤثر عليه بالضرورة هي مختلفة عن المؤثرات التي تؤثر على الطفل الموجود في انجلترا، وكذلك حتى عن الطفل المصري، الطفل العربي في الكويت يختلف عن الطفل العربي في القاهرة، من هنا تأتي عملية الدراسة المتكاملة للجوانب التربوية والسلوكية والنفسية للطفل الكويتي، وتلمس احتياجاته، حتى بالفعل تطوع هذه المنهجية التي طرحت وفق احتياجاته الحقيقية ووفق معطيات البيئة التي يعيشها. يعني عندما تحدثت لا أريد أن أقول إن كل ما طرح هي مسلمات مثلاً: تستهوي الموسيقى التراثية الأطفال المشاهدين أكثر بكثير مما تستهويهم الموسيقى المحلية العصرية وموسيقى الجاز، كما نعلم ولغرابة الموضوع الطفل الكويتي لا يكاد يتذوق الموسيقى التراثية البيئية البحتة، العكس هو يساير روح العصر، الآن الأطفال منذ الصغر مع هذا الإيقاع السريع.من هنا تأتي الدراسة كما قلنا والمنهجية. نأتي للأعمال التراثية، الأعمال التراثية ذات الصبغة التراثية مستلهمة من التراث بأزيائها الخاصة، السروال، والجبة، والقميص، والعمامة وخلافهم، فالطفل الكويتي ضجر منها بعد عمل أو عملين ضجر من هذه الأشياء، الآن بدأت تستهويه كل ما له علاقة بالخيال العلمي، أي طفل يتعامل اليوم مع أحدث المعطيات العصرية في الألعاب الإلكترونية، هذا بالضرورة تشكيل عقليته وخياله بحاجة إلى شيء مختلف. فمن هنا تأتي الدعوة حقيقة. وأتمنى من عميد المعهد، والعميد السابق، وأنتم كأركان أساسية في المعهد، أن تعملوا دراسة ميدانية عن الطفل الكويتي وما يحتاج إليه، وخاصة وأن الإمكانيات متوفرة.

د. كمـال

لم أرد أن أشرح كثيراً، هذه أعتبرها نقاطاً أساسية وفيها الكثير من التركيز، أنا أشير إلى التراث، عندما أتكلم عن التراث لا أقصد نقل التراث تاريخاً، إنما أقصد تعصير التراث إلى شكل وإيقاع. لا أقصد أن يأتي التراث كمتحفٍ على خشبة المسرح، إنما قصدت الجينات في جسم الإنسان. أمه ممكن أن تشعر بالحاسة السادسة. الأم تشعر بحاجات نفسية قبل موت الولد، وبعد ذلك فعلاً يموت الولد، إذن هذه الجينات وهذا الإحساس الخفي الذي هو يشابه التفكير السحري عند الأولاد، ألا يمكن أن يجد هنا نقطة تواصل

وأساس بين الطفل وبين تراث المسرح الكويتي؟ طالما أن هذا التراث لا يأتي كتاريخ؟ يدلنا تاريخ المسرح على أن المسرح لم يكن تاريخاً أبداً.

د. حسـن

الكلام الذي تقوله (أستاذ فؤاد) سليم من عملية التكرار المماثل بالسخافات التي تحتويه، يعني سخافة التمثيل وسخافة الإخراج تتكرر، ملّها الناس، ولكن إذا كان هناك فن فعلاً، وهناك مخرج جيد، وكاتب جيد، وممثل جيد، لا نملها، لأن العملية ليست عملية لبس، أنت تستطيع أن توظف التراث لأنك تشد الطفل وتبهره بالفعل.

د. كمـال

عفواً دكتور حسن لا أريد أن أقطع حديثك، أنا أتكلم عن البطولة، عندما آتي بشخصية (أبو زيد الهلالي)، هو لا يعادل جحا كشخصية كوميدية تأتي بأفعال جيدة، أقصد هذه الشخصيات البطولية في التاريخ والشخصية العربية أحضرها وأخرجها، شخصيات عربية تعمل بقيم... بالصدق. بالأمانة. بالأخلاق عند المقدرة.

د. عثمـان

القضية هي قضية تناول الكُتَّاب للتراث.. وأغلب من يحاولون توظيف التراث في المسرح لا يقومون إلا بما يسمى بعملية «تأريخ مسرحي».. صحيح بعضهم استطاع أن يتجاوز هذه المشكلة بحيث لا تكون عملية تأريخ كامل صرف، فأتوا بجزئية معينة من التاريخ، أو التراث، أو الفلكلور، وغاصوا فيها بحسهم الأدبي والفني، وأضافوا من عندياتهم وخيالهم الخصب بما يخدم هذا التراث ويبعثه بعثاً جديداً في صورة مسرحية، فأتى إبداعهم هذا برؤية أدبية أو شعبية جديدة حوت ماضٍ كاد يندثر رغم أهميته. مثلاً.. صلاح عبد الصبور كشاعر، أخذ جزئية الحسين منصور الحلاج.. أخذ موقف قتل الحلاج من أجل تصوفه المرتبط بالعدل بين الرعية... أخذ الجزئية هذه فقط، وبدأ يضيف إليها وينسج حولها خيوطه الدرامية شعراً.. فأتى عمله هذا جامعاً بين التراث والتاريخ والدراما وجزالة الشعر.. انطلاقاً من مثل هذه التجربة يجب أن يوظف التراث والفلكلور والتاريخ في مسرحنا العربي، سواء كان للكبار أو للصغار.. وأعتقد أن الدكتور بلال قال: لا بد لباحث التراث من أن يغوص هو أيضاً في التراث فلا يقول أي كلام.

د. محمـد

الكاتب الذي يكتب مستمداً من التاريخ مادته لا نريده أن يصوغ لنا التاريخ.. فنحن لا نريد شخصاً يؤرخ عن تاريخ الكويت، أو الغوص، أو خلافه. أنا أريد شخصاً يخدم المنظور.. بمعنى: لو أراد أن يأخذ شخصية مثلاً سيف بن ذي يزن، أو عنترة، فمن

الممكن أن يدخلها ويوظفها درامياً من خلال تكنولوجيا العصر الجديد.. يوظف سيف بن ذي يزن بمفهوم ولغة العصر، حتى يجذب الولد ويجعله يترك اللعبة المبرمجة الآتية من الخارج، ويلتفت إلى سيف بن ذي يزن كعامل من عوامل حساب المدة، أو اقتصار المدة من العصر التراثي القديم، إلى أن يبعث في العصر التكنولوجي الحديث، ولو بآلات حديثة.

التوظيف/ هذا يحتاج إلى أناس يغوصون في أعماق التراث.

د. كمـال

أريد أن أوجه سؤالاً للأستاذ فؤاد، المستوى المعيشي في الكويت جيد جداً، مستوى الأولاد، عندما نأتي بمسرحية مثل (الأميرة والفقير عن مارك توين) ومستوى العلاج هنا في الأغلبية في حالة جيدة، ويشعر المشاهد الكويتي بالرجل الفقير وأحاسيسه.. ألا يحس الطفل الكويتي الغني هنا بمشاعر هذا الفقير؟ إلى حد ما سيشعر كإنسان. إذن الأغلبية ممكن أنها لا تشعر أو تشعر بنسبة معينة، والشعور هنا يتغير ويتبدل عندما يكون المشاهدون في بلد به كثير من الفقراء، إذن الحس الإنساني موجود عند الغني وعند الفقير.. وفي داخل أي إنسان في أي مكان.

أ. فـؤاد

إني شاعر بالمشاعر الإنسانية، وليس بالإمكان أن تتجزأ، لكنني تكلمت، ليس عن المشاعر الإنسانية على حسها الإنساني، لا، إنما أتكلم عن احتياجاته، أي كيفية الولوج إلى عالـم الطفل الكويتي، هل هي بالضرورة مختلفة عن الطفل الجيد، أو الجهاز المختلف إذن هذا ما أدعو إليه.

د. حســن

أود أن أنوّر أستاذ فؤاد بالنسبة للكلام الذي قلته قبل قليل، بالنسبة لوزارة الإعلام، أن اللجنة تبذل جهدها... تقرأ النصوص وتحاول أن تمنع قدر ما تستطيع من هذه النصوص التافهة، ولكن يبقى أن ترى النصوص النور لأنها تستحق رؤية النور، لكن هذه النصوص حينما تظهر بالفعل، وأنا قلت هذا الكلام لأن هناك أشخاصاً كرهوا أشخاصاً، فلما رأيت النص يمثل على خشبة المسرح استغربته فلم أعرفه تماماً، وكأنني سمعت هذا الكلام من قبل، فالنص عندما يجاز وعندما تذهب لترى العرض تراه بصورة أخرى، فمع وزارة الإعلام الحق لأن وزارة الإعلام لديها أشخاص متخصصون ليلياً يحضرون العروض المسرحية، وليلياً يرسلون إنذارات لأن هناك أشخاصاً خرجوا عن النص، وخلافه، فلا يرون هؤلاء الأشخاص طريقة التمثيل، ولبس، وحركة الممثل كيف يلقي الكلمة، فالكلمة بالنسبة للتمثيل ممكن أن تنطق بكذا شكل، فالرقيب جالس والنص أمامه ويرى الكلمة هي الكلمة دون النظر إلى طريقة الإلقاء، فالعملية ليست عملية رؤية النص، ولكن المفروض رؤية

العرض المسرحي كعرض، والعرض المسرحي بطريقة إخراجه والشخصيات نفسها حينما تأتي شخصية للضحك فقط لا غير، هذه الشخصية غير موجودة في النص، صحيح هناك شخصية ولها حوار، ولكن هذا الحوار الذي تقوله الشخصية ليس بحوارها. يُضحك نعم، فهو يضحك، ولكن الشخصية مختلفة تماماً، إذن النص شيء، والعرض شيء آخر تماماً، كيف يمكن السيطرة على مثل هؤلاء الممثلين والمخرجين والأكثر منهم المنتجين.

أ. فـؤاد

أنا حقيقة أستغرب عندما تتطرق إلى مثل هؤلاء إنك تعطيهم مسميات أكبر منهم، المنتجين والمنفذين والفنانين.

د. حســن

هم موجودون في الساحة فعلاً، الشيء الثاني، عندما أردت أن أرى ما هو موجود عن مسرح الطفل فوجدت ثلاثة بحوث لقسم الديكور في مسرح الطفل، ديكور مسرح الطفل، شخصيات مسرح الطفل، تفصيل الملابس لمسرح الطفل، هناك اهتمام في المعهد، وسائل موجودة تبحث في مسرح الطفل الكويتي.

د. عثمــان

عميد المعهد الدكتور بلال لديه أمل بعملية تخصيص قسم خاص لدراسة مسرح الطفل العربي وخاصة الخليجي.. وتدريب خريجين متخصصين في تأليف وتمثيل واخراج مسرح طفل بالدرجة الأولى.

د. حســن

النصوص موجودة لدي، ولكن العملية لها طريقة أخرى، هل تنشر النصوص على الناس أو أن تعمل محاضرات.

د. عثمــان

نعود إلى نفس المعنى والمسمى الذي أطلقه الدكتور بلال، حين قال: إن الجهات المسئولة عن مسرح الطفل في الكويت في محاولة منها ـ بعد أن أصبح أسلوب التأليف والتمثيل والإخراج قاعدة ثابتة من خلال المسرح الخاص ومؤسسة البدر، قال إن هذه المحاولات (ترقيعية). إذا كانت المحاولات ترقيعية، وما زلنا نقول إن الرقيب سواء كان الرقيب الأدبي أو الاجتماعي أو العقائدي يمثل من خلال الأشخاص الذين هم أصحاب المنفعة الذاتية، وأن الرقيب يُرقّب الكلمة ولا يُرَقّب ما يُخْرَج على خشبة المسرح من إبداع وتكوين وحركة ومعنى وخيال، وما شابه ذلك من الأشياء التربوية والنفسية والفنية والاجتماعية وغير ذلك... إذن أين الحل؟ فنحن لا بد أن نصل بكم ومن خلال آرائكم إلى نقطة نصل بها إلى نهاية مطاف!!! هل من الممكن بالنسبة لنا أن نعمل جمعية

كجمعيات النفع العام والتي تتكون من ستة أو سبعة أفراد حسب ما سمعت، ويأخذون ميزانية تساوي الميزانية التي تأخذها المؤسسات الأخرى مثل المسرح الشعبي أو المسرح الكويتي أو المسرح العربي، أو الخليجي. ويتم إشهار هذه الجمعية بالنسبة للكويتيين أصحاب الغيرة على الوسط وعلى الأطفال، وتأخذ هذه الجمعية ميزانية، وتكون مهمة هذه الجمعية التصدي للغث الذي يقدم على المسرح، والذي يقوم بتجهيل الطفل وليس بتعليمه؟!! وهنا تصبح مهمة هذه الجمعية مهمة المنظمات والمؤسسات العالمية التي تتصدى للحروب أو للدفاع عن حقوق الإنسان؟!!!

د. حســـن

هو الحل، ونحن كلنا نوافق عليه، لأنه بالفعل كما قال الأستاذ فؤاد أن هذا المسرح الذي تقرر إنشاؤه عليه عدة علامات استفهام منها ما ذكره الأستاذ فؤاد. ومنها أننا يجب أن نغتنم هذا القرار الذي وقّعه وأصدره وزير الإعلام ونطالب وزارة الإعلام بتشكيل لجان متخصصة لتسيير عمل هذا المسرح من كل جزئياته. يجب أن يكون لهذا المسرح إدارة متفهمة لطبيعة مسرح الطفل وما يجب أن يكون عليه.. وأيضاً بالنسبة لاختيار المخرجين الذين يعرفون كيف يخرجون لمسرح الطفل وأيضاً للكتاب الذين يكتبون لهذا المسرح.. يجب أن يكون لهذا المسرح ميزانية كبيرة جداً بحيث يستطيع أن يواصل خطة بعيدة المدى، من إيجاد نصوص تصلح بالفعل للارتقاء بهذا المسرح، وبالتالي بجزيئاته من الإضاءة والديكور والمؤثرات الصوتية. ثم تأتي أيضاً المهمة التي تحتاج إلى دراسة وهي كيفية تكوين أعضاء هذا المسرح، من أطفال؟!! أم من كبار.

د. عثمـــان

لماذا لا تحاول الفرق المسرحية الأربعة الأهلية في الكويت أن تدخل مجال إنتاج مسرحيات الأطفال، وبالتالي سيكون إنتاجها ولا شك متميزاً عن إنتاج الأفراد، أو المؤسسات، أو مسرحيات (المقاولات المستوردة) إن صح التعبير؟!! وأنا أتصور أنه في حالة دخول هذه الفرق مجال المنافسة الفنية الشريفة سيكون البقاء والتشجيع الجماهيري لها، والاندثار والضياع وابتعاد الجماهير سيكون للفرق الأخرى التي تملأ الساحة الآن... سنجد أن الفرق الأربعة ستستكتب كُتّاباً ومؤلفين لهم وزنهم الأدبي والفني والتربوي في مجال مسرح الطفل. كما أنها ستنتقي أو تختار الأصلح والملتزم من الممثلين والفنيين، وتتيح الفرصة للمخرجين والمبدعين الدارسين لنفسية وعقلية وابتكارات وإبداعات الطفل الكويتي بالذات. وليس معنى ذلك أن عروض هذه الفرق ستكون عروض متجهمة أو يُغلّفها التشاؤم.. لا.. ستكون عروضاً مرحة تشيع فيها الابتسامة أو الضحك من السلبيات، والتصفيق للإيجابيات التي تعرض للطفل على خشبة المسرح بجانب الغناء والفكاهة والنادرة، والتعليم، والتربية، والتثقيف ...إلخ.

أ. فؤاد

دعني أجيب على الدكتور عثمان. الواقع كل مؤسسة يجب أن تنطلق من الأهداف التي من أجلها تم تأسيسها وإنشاؤها، نحن في الفرق المسرحية الأهلية لنا دور محدد في إطار الحركة المسرحية الكويتية، هذا الدور يتمثل بالاعتناء ورعاية الشباب المحب لفن المسرح لصقل مواهبهم، وتقديم الجاد من الأعمال المسرحية، هناك العديد من الفرق المسرحية الأهلية خاضت تجربة إنتاج مسرحيات الأطفال مسايرة لما هو سائد في الحركة المسرحية الكويتية بشكل عام، ولقناعاتها بأن التعاون مع هذا المسرح مربح اقتصادياً أولاً وأخيراً، نحن في فرقة المسرح العربي لم نتجرأ حتى في محاولة التفكير في هذا الاتجاه لعدة اعتبارات من أهمها: **أولاً**: أننا على ثقة أن هذه المسئولية هي أكبر من حجم فرقة كفرقة المسرح العربي بما تمتلكها من إمكانيات مادية وبشرية فقيرة، بالكاد تستطيع من خلال هذه الإمكانيات البشرية والمادية تقديم عرض مسرحي في الموسم الواحد. **ثانياً**: نحن على ثقة بأن هذه المسئولية هي مسئولية الدولة مثلما ينص دستور الكويت. الدولة أو الحكومة مسئولة عن رعاية مواطنينها، وضمان أساسيات تتمثل في الآتي: تتكفل بالمواطن من المهد إلى اللحد في ثلاثة نواحي: توفير التعليم، وما يتبع التعليم من تثقيف. والمسرح جزء مهم جداً من العملية الثقافية والتربوية والتعليمية. **ثالثاً**: كفالة حق الرعاية الصحية للمواطن، وتنشئته التنشئة الصحية المناسبة عن طريق العلاج المجاني، ودعمها لبعض السلع الغذائية مثل حليب الأطفال وخلافه، **رابعاً**: توفير العمل المناسب لكل إنسان كويتي حتى تضمن له الحياة الكريمة، مسرح الطفل جزء أساسي من دور الحكومة في رعاية الناشئة ضمن الأهداف التي ذكرتها منذ بداية مداخلتي، فمن هنا نحن لا نريد أن ننافس الدولة وبالضرورة لأننا لا نمتلك إمكانيات الدولة أولاً وأخيراً. فمن هنا كان إصرارنا على مطالبة الحكومة أكثر من مرة للتدخل حتى تنشأ مثل هذه الفرقة، والتي أخيراً تم الإعلان عنها، والتي أتمنى أن تنشأ على أسس سليمة، وبشكل مدروس، ولا تأتي مرتجلة مثل معظم المؤسسات التي تم إنشاؤها ارتجالاً في الكويت.

د. عثمـان

هل هناك إضافات أو تداخلات يمكن أن نضيفها قبل محاولة صياغة التوصيات؟ وهل ترون ضرورة صياغة توصيات حول هذه الندوة وتُرفع إلى كل من وزارة الإعلام، ووزارة التربية والتعليم العالي، تحت قيادتها العلمية والمنهجية الجديدة، برئاسة الوزير الأستاذ الدكتور الربعي؟ أملاً في تعاون الوزارتين في التخطيط والدراسة الواعية لمسرح الطفل في الكويت، المزمع إنشاؤه، والذي صدر بتوقيع وزير الإعلام السابق؟!

د. محمـد

لا أرى أننا لجنة مخولة ترفع توصيات، لأننا أساساً لجنة لم توص بإنشائها وزارة

مختصة بناءاً على مخططات موجودة داخل هذه الوزارة، أو بروز حاجة لإنشاء هذه اللجنة. ونحن في ندوة حرة تناقش قضايا، وهموم، ومشاكل مسرح الطفل في الكويت، ولذا أرى أننا غير ملزمين بأن نقدم هذه التوصيات بصيغة جماعية. ويكفي ما ورد في عرض محاورنا ومداخلاتنا من توصيات.

أ. فـؤاد

إذا كانت هناك توصية فهي: التأكيد على أهمية القرار الخاص بإنشاء مسرح الطفل الحكومي في الكويت، ومباركة صدور مثل هذا القرار، والتوصية بالاعتناء بالتخطيط السليم من أجل إنشاء هذا المسرح علـى أسس سليمة، وخطط مدروسة، بحيث يضم هذا المشروع كفاءات وخبرات مسرحية، وتربوية، وأشخاص متخصصة بعلوم سلوك الطفل بشكل عام، وألا يخضع للروتين والبيروقراطية.

د. كمال

لماذا يجب أن نتفق على توصية جماعية؟! كلٌّ مسئولٌ عن توصيته طالما هي مكتوبة باسمه.

د. عثمـان

بناء على ذلك، أرى أن هذه اللجنة التي ضمت أقدر وأخلص الطاقات الإبداعية، والنقدية، والفلسفية في مجال المسرح، وبخاصة ـ مسرح الطفل في الكويت، وكانت عند مستوى مسئوليتها وقدرتها، وقد تناولت موضوع الندوة بموضوعية ومنهجية علمية، مستخلصة من واقع مسرح الطفل في الكويت. ولعل من يقرأ ما دار في هذه الندوة، سيتضح له مدى الإفادة التي يمكن أن تعود على أبنائنا ـ فلذات أكبادنا ـ إذا التزم بما جاء في ندوتكم هذه. ولا يسعني إلا أن أنوب عن رئاسة تحرير المجلة في تقديم جزيل الشكر والتقدير لحضراتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

(١) م. روزنتال، ب. يودين.: **الموسوعة الفلسفية**. ت. سمير كرم، الطبعة الخامسة، دار الطليعة. بيروت: كانون الثاني (يناير)، ١٩٨٥، م.ص ١٠٠ .

* * *



المناقشات



الكويت باب الأمن العربي والاسلامي أمام المتغيرات العالمية في العصر الحديث

إبراهيم أحمد العدوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تطل الكويت على الخليج العربي من موقع جغرافي عظيم الجاذبية، مع تركيب حضاري منقطع النظير، جعل من الكويت باب الأمن العربي والإسلامي أمام المتغيرات العالمية، منذ مطالع العصر الحديث حتى الوقت الحاضر. وتتلخص هاتان الصفتان في كون الكويت جزءاً من مجتمع مزاجه الرسمي العام «عربي/ إسلامي» منذ خمسة عشر قرناً، وأن هذا الجزء الاستراتيجي من المجتمع العربي/ الإسلامي ـ وهو الكويت ـ صار أقرب جغرافياً وأعظم إغراء لمطامح المتغيرات العالمية منذ مطالع العصر الحديث، وإلى اليوم ـ من سائر البلاد العربية الإسلامية الأخرى.

وتتطلب معرفة هذه الرسالة التي يقوم بها الكويت في توفير الأمن العربي والإسلامي منظوراً واسعاً أمام الأجيال المعاصرة للأمة الإسلامية، ترى منه أهمية سلامة الكويت، وتعمل في قوة ويقين للحفاظ على هذا القطر الشقيق سليماً معافى، وتصحيح ما قام به التعصب العلمي من دراسات مغرضة عن الكويت ورسالته. ذلك أن بعض المؤلفات العربية المعاصرة ذات منظور يبدو، في معالجة رسالة الكويت، مسدود النافذة أو معدومها البتة، ولا تخرج منه نظرة إلا مغرضة أو ساذجة حائرة من وراء حجاب لرؤية المطامع الخبيثة الكاذبة الواهية، أو لرؤية حوادث العالم الخارجي وهي تقترب من العالم الإسلامي اقتراباً غامضاً غير مفهوم، أو غير جدير بالفهم.

والواقع أن الكويت، من دون بلاد العالم الإسلامي، تعتبر بموقعها الفريد على الخليج العربي، ودوره في البناء الاقتصادي العالمي، واسطة جغرافية بين مجموعة الطرق التجارية العالمية، تجد كلها الأمن وسلامة الحركة في ظل أولي الأمر في الكويت وسياستهم الواسعة الأفق، على أساس من المحبة والنظرة الأخوية للجميع، الداني منها والقاصي على حد سواء.

ويتضح من هذا الوضع الجغرافي وحده للكويت ومعيشتها وسط جيرانها، أنها لا تستطيع، ولا تستطيع مراحل تاريخها، أن تكون وحدة مغلقة، وإنما تمثل الكويت القلب النابض بالحياة للجميع، ويتوقف على سلامة القلب سلامة سائر الأعضاء. وقد وقفت الكويت في هذا الصدد وقفة صادقة، تعمل على أسس الحديث الشريف «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، حيث لقي الجميع من الكويت، وعلى امتداد تاريخها، العون العظيم، مع الهداية والإرشاد.

وتؤكد هذه الحقيقة عن دور الكويت ورسالتها أن تركيبها الحضاري أشبه شيء بوثيقة تاريخية (Palimpsest) كتب أبناء الكويت أخبار وطنهم على صفحاتها جيلاً بعد جيل، وهي في أخبارها العربية/ الإسلامية تنطوي منذ ظهور الإسلام على خدمات للأمة

العربية والإسلامية، منذ الفتوحات الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين، واتساع أرجاء العالم الإسلامي حتى مطالع العصر الحديث.

ووقفت الكويت منذ مطالع العصر الحديث تبصر أولى الأمر في العالم الإسلامي، وعلى رأسهم إذ ذاك الدولة العثمانية، بخطورة المتغيرات التي سادت العالم. وكانت دول أوروبا قد أفاقت في ذلك الوقت من غفوة العصور الوسطى، وفتح العلم لأهلها آفاقاً واسعة من الثراء والسلطان في نفس الوقت، هذا فضلاً عن تحرير العلم لفكر الشعوب من كل قيود، والعمل دون خوف أو قيود.

وأحست الكويت بتلك المتغيرات الأوربية منذ الأيام الأولى لأن مظاهر تلك المتغيرات تجلت في عاملين انعكست آثارها في الخليج العربي. أما العامل الأول فهو التجارة والثاني هو تطور أساليب الحروب الأوربية وفنونها. فأدركت الكويت منذ مطالع العصر الحديث، وبفضل مكانتها على الطرق التجارية العالمية التطور الذي ساد مفهوم التجارة عند الأوربيين نتيجة المتغيرات التي سادت بلادهم. فالسفن التجارية التي شهدتها الكويت في الخليج العربي ولا سيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم تكن كسفن اليوم تضم الملاحين والمسافرين والمتاجر، وإنما كانت تلك السفن عبارة عن قلاع حصينة مليئة بالجنود والمدافع والحراس، حتى تستطيع تلك الدول الأوربية تحقيق أهدافها تحت هذا الستار التجاري.

وتأكدت الكويت عملياً من هذا التطور في مفهوم التجارة عند الأوربيين وامتداد أخطاره إلى البلاد العربية والإسلامية حين حوّل الأوربيون المتنافسون على السيادة التجارية وكالاتهم وشركاتهم التجارية إلى حملات حربية، توغلت داخل البلاد العربية والإسلامية للحصول على أكبر قدر من المغانم. وكان خير مثال لخطورة تلك المتغيرات الأوربية «شركة الهند البريطانية» التي زاد نفوذها، حتى أصبحت تكون حكومة لها فروع ثلاثة رئيسة، في البنغال، ومدراس، وبومباي بالهند.

وتولت حكومة بومباي إدارة دفة النشاط البريطاني في الخليج العربي، وتعمل على الاستئثار وحدها بالنفوذ المطلق في تلك النواحي، ولا سيما حين عمدت كل من روسيا وألمانيا إلى مد نفوذهم إلى الخليج العربي عن طريق علاقاتهم بالدولة العثمانية، التي كانت تدعى لنفسها في ذلك الوقت حق النفوذ على الكويت.

ووقفت الكويت وأولو الأمر فيها على تلك المتغيرات الأوربية التي خلقت لأطماعها ستاراً تختفي فيه وراء الدولة العثمانية، وهو الستار الذي يعرف في المصطلح الأوربي باسم «المسألة الشرقية». وتجلت خبرة أولى الأمر في الكويت فيما قام به «الشيخ مبارك آل صباح» من جهود مكثفة لحماية الكويت من أخطار هذا التنافس الدولي، وتأكيد

استقلال الكويت نفسها عن الدولة العثمانية، التي حاولت بعد سنة ١٨٩٩ العمل على خلق ذرائع تهيئ لها النفوذ في الكويت.

واستطاعت الكويت في ظل تلك السياسة الحكيمة على عهد «الشيخ مبارك» أن تؤكد استقلالها، وعدم استعدادها في الوقت نفسه لتقديم أية تنازلات إقليمية لأية جهة أجنبية، مهما كانت صلتها ومناوراتها من وراء الدولة العثمانية. وكانت كل من روسيا وألمانيا تعملان تحت ستار الدولة العثمانية لمد نفوذهما إلى الخليج العربي عن طريق بناء مشاريع لمواصلات تنتهي عند الكويت. وكان المشروع الروسي يهدف إلى ربط الخليج العربي بالبحر المتوسط عن طريق بناء خط سكة حديد يبدأ من طرابلس الشام وينتهي عند الكويت.

وقد فشل هذا المشروع الروسي لأن سياسة الكويت استطاعت أن توظف المتغيرات العالمية في أن تؤدي دورها باعتبارها باب الأمن العربي والإسلامي أمام تلك المتغيرات. فقد تصدت إنجلترا لمحاولات روسيا للامتداد نحو الكويت، وحالت بينها وبين إقامة الخط الحديدي بين مدينة طرابلس الشام والكويت. واستطاعت سياسة الكويت أن تؤتى ثمارها أيضاً في التصدي لامتداد تلك المتغيرات الأوربية إلى أرضها، حيث كانت ألمانيا تستغل صداقتها للدولة العثمانية، وذلك لبسط نفوذها على الخليج العربي عن طريق إقامة خط حديدي يمتد من قونية بآسيا الصغرى، وينتهي عند الكويت. وقد حالت إنجلترا بين ألمانيا وبين إقامة هذا الخط الحديدي، وهو الأمر الذي كفل للكويت تأمين دورها التقليدي كباب للأمن العربي والإسلامي أمام المتغيرات العالمية، والتي كانت مطامعها وتياراتها تهدد العالمين العربي والإسلامي في مطالع القرن الحالي، وهو القرن العشرون.

وعزّزت المتغيرات العالمية على امتداد القرن الحالي ـ القرن العشرين ـ من بدايته إلى الوقت الحاضر دور الكويت كباب للأمن العربي والإسلامي، وهو الأمر الذي يتطلب نظرة شاملة إلى هذا الدور تنسج في رقعة واحدة خيوط الجغرافيا والتاريخ للكويت بالسياسة والاستراتيجية، وذلك أيضاً داخل الإطار الإقليمي والعالمي في آن واحد. فإن هذه النظرة الشاملة يمكن أن تطرح اليوم نظرية جديدة كلية شاملة، تقدم مفتاحاً عاماً لماضي الكويت وحاضرها ومستقبلها، وتسمح بأن نركب فيها كل الأحداث الجارية والتطورات السارية ابتداء من الثوابت الكبرى والمتغيرات العالمية إلى أصغر التفاصيل والجزئيات الدقيقة التي تؤمّن دور الكويت كباب للأمن العربي والإسلامي، وتهدم كل زيف وبهتان يتعرض له الكويت، وتؤكد في الوقت نفسه الشخصية الاستراتيجية المستقلة التي أطلت بها الكويت على العالم وأحداثه إلى اليوم.

واشتملت المتغيرات العالمية التي تجمعت أمام «باب الكويت العربي والإسلامي»

منذ حوالي منتصف القرن الحالي، وكأنما تجمعت على ميعاد في ذلك الوقت، على أربعة متغيرات جذرية، ثورية في الوقت نفسه من الأعماق إلى الأطراف، ولكنها متعارضة ومتضاربة في آثارها، مما جعل الصورة أمام باب الكويت مركبة بالغة التعقيد، وتلك المتغيرات الأربعة هي: «ثورة التحرير الوطني وتصفية الاستعمار القديم»، و «ثورة البترول العربي»، و «بداية العصر النووي»، و «الصحوة الإسلامية» وانطلاق دعوتها السامية إلى المحبة والسلام وحسن الجوار، ليس بين أبناء الأمة الإسلامية فحسب، بل بين الأمة الإسلامية نفسها أيضاً وبين سائر أمم العالم، على اختلاف مشاربها، الدانية منها والقاصية على حد سواء.

وكانت الكويت بحكم موقعها الجغرافي الفريد على رأس الخليج العربي وطريقه التجاري العالمي أول من واجه عملياً تلك المتغيرات العالمية وكذلك لهيب آثارها، وتداخل تياراتها مع بعضها بعضاً، وتشابكها حيناً آخر كذلك. ذلك أن الكفاح الوطني الملتهب والضاغط في البلاد العربية كان أحد العوامل التي دفعت الاستعمار القديم أن «يضع عصاه على كتفه ويرحل»، حيث تأكد للقومة على هذا الاستعمار أن أية قاعدة عسكرية «دفاعية» يقيمها لا تستطيع مهما بلغت من القوة والضخامة والهيبة أن تحافظ على قيمتها وفاعليتها ووظيفتها وسط أرض معادية لها. وقد اتضح أثر هذا المتغير العالمي للاستعمار القديم في حرب السويس سنة ١٩٥٦ التي ختمت على مصير الاستعمار القديم إلى الأبد، ودفنت سادته وما أقاموه من إمبراطوريات.

وشهدت الكويت نتائج هذا التحرر الوطني حين وصل النمط الاستعماري القديم إلى أوجه في فترة الحرب العالمية الثانية إلى منتصف القرن الحالي. ذلك أن عصر الاستعمار القديم باعتباره مركباً سياسياً ـ تكنولوجياً كان عصر الفحم وما ارتبط به من السكة الحديدية والباخرة، ولكن بنجاح ثورة التحرر مع منتصف القرن العشرين بزغ نمط استراتيجي جديد، يستند إلى مركب سياسي تكنولوجي جديد، أكثر تعقيداً من نظيره القديم، ويعمل في الوقت نفسه على أن يزيح سابقه ويحل محله بالتدريج أحياناً وبصورة انقلابية وفجائية وحادة أحياناً أخرى.

وتمثل هذا المركب السياسي التكنولوجي الجديد، والذي امتدت آثاره مباشرة إلى الكويت، في انتقال العالم بصورة حاسمة ونهائية على جانب التكنولوجيا، من عصر الفحم إلى عصر البترول، وبالتالي من السكة الحديدية والباخرة إلى السيارة والناقلات العملاقة. وقد اكتمل هذا الانتقال بصورة مطلقة بعد نجاح ثورات التحرر الوطني في العالم العربي، واستكمال الكويت لاستقلالها الوطني، ومشاركتها لشقيقاتها العربيات في ميدان الحرية والعمل في ميدان التضامن العربي في ظل جامعة الدول العربية. فازدادت قامة الكويت

ارتفاعاً لاكتشاف البترول فيها، ومشاركتها لبلدان الخليج العربي في ثورة البترول في العالم، وأن تصبح الكويت مع الخليج العربي أهم منطقة استراتيجية لأهم مادة استراتيجية في المتغيرات التي سادت النصف الثاني من القرن العشرين، ووقفت مباشرة على «باب الأمن العربي والإسلامي» وهي الكويت بموقعها الجغرافي الفريد على رأس الخليج العربي.

وجاءت ثورة البترول بذلك، ليست أكبر ثورة اقتصادية وتكنولوجية في العالم فحسب، وإنما غدت بدورها أيضاً أكبر ثورة جغرافية وسياسية على المستوى الإقليمي، تقف على باب الكويت، باب الأمن العربي والإسلامي، وما صاحب ذلك من انتقال بؤرة الصراع العالمي وأطماع القوى العظمى حالياً إلى الخليج الذي أضحى قلعة البترول في العالم، أو عاصمة العالم بترولياً. فأصبحت بلاد الغرب كلها، بما فيها بريطانيا، بالإضافة إلى اليابان والولايات المتحدة، فضلاً عن دول العالم الثالث، تعتمد اعتماداً يكاد يكون كاملاً، وإن كان بدرجات متفاوتة على بترول الكويت والخليج العربي. إذ يمر من مضيق هرمز يومياً، وبمعدل ناقلة كل ثماني دقائق تسعة عشر مليون برميل من البترول، وهو يمثل أكثر من ثلثي إنتاج الخليج البالغ نحو ثمانية وعشرين مليون برميل يومياً، وهي تشكل ٩٠٪ من حاجات اليابان، وأكثر من نصف حاجات أوربا الغربية وربع واردات الولايات المتحدة.

ووقف بهذه الثورة البترولية على باب الأمن العربي والإسلامي بالكويت عين إعصار السياسة الدولية، حيث صار الخليج للغرب، ليس شريان حياته فحسب، بل ومكمن مقتله أيضاً. وزاد إدراك الغرب لتلك الحقيقة وخطورتها عليه ظهور الاتحاد السوفيتي كإحدى القوتين العظميين في العالم. إذ نظرت روسيا إلى الخليج، ليس كمستودع عالمي للبترول فحسب، ولكن إلى موقعه أيضاً باعتباره أقرب منطقة إلى الاتحاد السوفييتي، وصار يكوّن، منذ أيام القيصرية، الممر الذي تطمع في السيطرة عليه للوصول إلى المياه الدافئة.

واستطاعت الكويت بخبرتها العميقة الجذور بالمتغيرات العالمية منذ مطالع العصر الحديث أن تحافظ على سلامة «باب الأمن العربي والإسلامي»، وذلك بالإبقاء على حسن العلاقات مع التطور في ميزان القوى، واكتسبت احترام الطرفين الرئيسين في ميدان المتغيرات الجديدة في القرن العشرين، وهما أمريكا والاتحاد السوفييتي، حيث قرر كل منهما دون مواربة أن الخليج العربي - أكثر من أي منطقة أخرى في العالم - هو مفجر الحرب العالمية الثالثة المحتمل، بوابة هرمز بوابتها.

وعزز هذا الموقف الكويتي من المتغيرات الاستراتيجية العالمية سلامة دورها كباب للأمن العربي والإسلامي، ولا سيما أن العصر النووي وما صاحبه من محاولات الاستقطاب الثنائي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قد بدأ، وترتب عليه انتقال مركز الثقل

الجيوبوليتيكي وكذلك الجاذبية الاستراتيجية من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي، ومن مصر والشام إلى شرق الجزيرة العربية. ولما كان الخليج العربي يتوج رأس المحيط الهندي فقد أدركت الكويت بموقعها على الخليج تلك التطورات الجديدة التي باتت تتهدد دار الإسلام في تلك البقاع الجديدة من المحيط الهندي، الذي أخذ يشاهد حشود الأساطيل الحربية الكثيفة للقوتين العظميين، وتكالبهما على المحطات والقواعد البحرية على سواحل هذا البحر وجزره.

وصارت الكويت تمثل باب الأمن العربي والإسلامي أمام هذا التطور في مراكز القوة العالمية، التي انتقل محور السيطرة فيها من «قاطع غرب أوربا ـ البحر المتوسط ـ إلى المناطق الموسمية بآسيا، إلى قاطع عكسي يشمل محور سيطرته ونفوذه وأطماعه الخليج العربي ـ الشرق الأوسط ـ المحيط الهندي ـ القرن الإفريقي ـ وسط إفريقيا. وتجلى دور الكويت في العمل على سلامة تلك الجهات من «دار الإسلام» بما تكوّن لديها من خبرة عميقة بالمتغيرات العالمية في القرن العشرين.

وكان أهم ما وقفت عليه الكويت من نتائج المتغيرات العالمية التي صاحبت صراع القوتين العظميين، وامتداده، نحو الشرق من «دار الإسلام» تجاه آسيا والمحيط الهندي، هو تحرك مراكز الصراع الثانوية في نفس الاتجاه، واشتداد الصراعات المحلية حول مشاكل لا يجدي الحرب بين الأطراف المتنازعة فيها شيئاً. ومن أمثلة ذلك الحرب الإيرانية العراقية، ثم أخيراً، أشد تلك الصراعات وأخطرها، وأبعدها عن المنطق السليم، هي العدوان العراقي الغاشم على الكويت.

وجاءت تلك الصراعات المحلية التي لا مبرر لها من جانب العراق في وقت بلغت المتغيرات العالمية أهم معالمها وآثارها، وهي الاتجاه نحو التعايش السلمي والوفاق. وتجلى ذلك حين أصبحت أوربا الغربية، بعد انتهاء الحرب الباردة تسعى في سرعة نحو العيش الهادئ، وغدت منطقة هدوء، على حين انتقل معظم المواجهات العسكرية والصدامات الاستراتيجية الساخنة إلى بقاع من العالم الإسلامي، بسبب الأطماع العراقية، التي لا أساس ولا سند لها، ونتيجة الجهل المطبق بالأوضاع والمتغيرات العالمية في تلك السنوات الأخيرة من القرن العشرين.

وكانت المتغيرات العالمية قد بلغت قمة نتاجها في العام السابق مباشرة لاعتداء العراق على الكويت (٢ أغسطس سنة ١٩٩٠). لقد شهد هذا العام ميلاد «عالم جديد» أصبحت خلاله أجزاء من سور برلين تباع كهدايا شعبية، ووضع خط فاصل لنهاية الحرب العالمية الثانية، حيث تم توقيع الوحدة الألمانية في موسكو، واتفق الحلفاء الأربعة الذين قسموا ألمانيا النازية، وجلسوا على قلبها خمسة وأربعين عاماً، أن الوقت قد حان لإعادة

توحيدها، والتخلي أيضاً عن حقوقهم التي مارسوها على السيادة الألمانية وعلى الشعب الألماني في الشرق والغرب، وانفتح الباب أمام نظام جديد للأمن والاستقرار في أوربا.

وسار العالم كله في نفس الاتجاه الأوربي، وذلك بتصفية الخلافات القائمة بين بلاده، وحل الصراعات والمتناقضات التاريخية القديمة - حتى في بلاد مثل كمبوديا وفيتنام وكوريا، وبدأ يعمل بروح جديدة، تبنى الثقة وتقيم التعاون الجماعي للأمن على أسس من المودة والإخلاص. ومن ثم جاءت صدمة الغزو العراقي للكويت نكسة رهيبة للمتغيرات العالمية في أواخر القرن العشرين، وانطلاقها نحو التعايش السلمي وحسن الجوار.

وزاد في مأساة الغزو العراقي للكويت أنه جاء تشويهاً رهيباً للصحوة الإسلامية، ودعوتها إلى ما فيه عزة الإسلام والمسلمين، وتصحيح نظرة العالم إلى رسالة الإسلام وتعاليمه السامية. وكانت الكويت تضطلع بدور رائد في ميدان تلك الصحوة الإسلامية، وتوجيه مسيرتها توجيهاً سليماً يحقق أهداف الإسلام، ودعوته الكريمة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهو الأمر الذي يشهد به المؤتمرات الإسلامية، وما تمخضت عنه أعمالها من نجاح بفضل ريادة الكويت وعونها.

وجاء رد الفعل عنيفاً وسريعاً على الغزو العراقي الغاشم على الكويت، سواء من البلاد العربية والإسلامية من الأسرة الدولية التي أفزعها ذلك العدوان، خوفاً على جهودها في إقامة السلام العالمي الجديد. وبعد ثمانية أشهر فقط استطاعت البلاد الإسلامية بالتعاون مع الشرعية الدولية، التي غدت تمثل قمة المتغيرات العالمية، وثمارها الناضجة في السنوات الأخيرة من القرن الحالي - القرن العشرين - استطاعت تلك الجهود المؤتلفة أن تحرر الكويت من أخطر طغيان شهده العصر الحديث، وأن ترد للكويت بعض أفضالها وما قدمته من مساهمات في البناء الإسلامي والعالمي.

وتنعقد الآمال اليوم على الكويت في استئناف قيادتها الواعية أمام المتغيرات العالمية، بما يحقق للأمن العربي والإسلامي ما ينشده من انطلاق سليم، وأن يعلو ويرتفع الكويت ليكون، ليس باب الأمن العربي والإسلامي فحسب، وإنما ليكون أيضاً «باب الأمن والسلام العالمي» في الوقت الحاضر.

* * *





مراجعات
وعرض الكتب

الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي

تأليف: د. زينات بيطار

عزت قرني
قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة الكويت

الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٧، الكويت، يناير ١٩٩٢، (٢٠٩ صفحة).

هذا كتاب منعش مفيد مثرٍ لقارئه، وهو مثير للتأمل مليء بالأفكار وغزير المعارف، وسيهتم به القارئ المثقف وهاوي الفن والمتخصص في دراسة الفن وفي تاريخ الأفكار والمهتم بالعلاقات الحضارية على السواء، وهو حالة نموذجية للجمع الناجح بين التخصص الدقيق (وهو هنا تاريخ الفن) وتخصصات فرعية تكمل الأول وتثريه وتهدي خطواته (وهي هنا التاريخ الحضاري بعامة وتاريخ الأفكار وتاريخ العلاقات بين الحضارات والمنظور الثقافي للإنتاج الفني ودراسة العلاقات بين فروع الفنون عموماً وبين الأدب والفن التشكيلي بخاصة)، فضلاً عن الربط التركيبي بين تاريخ الفن والنقد الفني وفلسفة الفن (الاستيطيقا).

ونشير، قبل الدخول في التفاصيل، إلى أن مهمة مراجعة الكتب أو عرضها أو فحصها، على اختلاف في التسميات، لا تتجه إلى طرف واحد بعينه، وإنما إلى أطراف عدة وفي نفس الوقت ومعاً، فهي تتجه إلى القارئ المتخصص وإلى القارئ المثقف بعامة، وإلى المؤلف بطبيعة الحال، وإلى ناشره، بل وإلى المطبعة أحياناً، فضلاً عما يقوم من وراء هذا كله، ألا وهو الجماعة العلمية أو الثقافية، بحسب الأحوال. لهذا، فإن مهمة المراجعة ليست تعقب النقائص، أو إزجاء المديح، ولا مجرد التلخيص، ولا تقديم بعض الملاحظات والتعليقات وإضافة بعض المقترحات، إنما هي هذا كله وغيره، بما يتضمن وضع الكتاب في إطاره والتعريف به وتقديره وإفادة القارئ، فاحصاً كان أم متعجلاً، والحوار مع المؤلف، وذلك بما يمكن أن يفيد جميع أطراف العلاقة التي أشرنا إليها في بداية هذه الفقرة.

يقع كتاب «الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي» في ٤٠٩ صفحة، منها ثمانٍ وخمسون للوحات، وثمانٍ وعشرون لفهارس اللوحات والحواشي، ويستغرق النص بقية الصفحات. وهو في حجم ١٤ X ٢١ سم الذي تصدر فيه سلسلة «عالم المعرفة» (يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت)، وصدر في أول يناير ١٩٩٢م. (العدد رقم ١٥٧ منها)، وهو واحد من عدة كتب اهتمت بالفنون التشكيلية في هذه السلسلة، فضلاً عن عدد آخر اهتم بالإبداع الفني عامة.

ومؤلفة الكتاب هي الدكتورة زينات بيطار، التي تدرس تاريخ الفنون التشكيلية في الجامعة اللبنانية وفي معهد الفنون الجميلة، ولها عدد من الأبحاث يتصل كثير منها بنفس منظور الكتاب الذي بين أيدينا، أي دراسة تاريخ فن التصوير من زاوية المقارنة الحضارية، كما قدمت عدداً من الترجمات عن اللغة الروسية منها ما يتصل بالتصوير والنحت ومنها ما يتصل بالشعر الروسي. أما الكتاب نفسه فإنه صياغة باللغة العربية للرسالة التي نالت بها درجة الدكتوراه في تاريخ الفنون التشكيلية من جامعة موسكو عام ١٩٨٧م. ومن المعروف

أن الرسائل الجامعية ذات مواصفات معينة تختلف عن مواصفات الكتب الأخرى الموضوعة لغير هدف وضعها تحت أعين لجنة أكاديمية للحكم عليها ولنيل درجة علمية من جرائها، فضلاً عن عدم وجود مشرف أو مشرفين على الباحث في أثناء خطوات البحث والكتابة في هذه الحالة الأخيرة، ولهذا فإن المؤلفة راعت مراعاة ناجحة خصائص التأليف الأكاديمي، وخاصة من حيث اتساع النظرة والتعمق في التفاصيل والشمول في التغطية واختيار الموضوع المحدد نوعاً وزمناً والمقدمات التاريخية وتحديد المنهج المتبع وتبريره وإثبات المراجع ومناقشة بعض الآراء المناوئة وإبراز الأهداف وإثبات نوع التجديد المقترح في النظرة بما يؤهل العمل العلمي لنيل علامة: «إنه أضاف جديداً إلى المعرفة في مجال تخصصه». وربما بدا لنا أن أهم تجديد عام قصدت إليه المؤلفة هو محاولة إثبات أن الاهتمام بالشرق هو جزء جوهري من مكونات الحركة الرومانسية بعامة وفي فن التصوير الرومانسي الفرنسي بخاصة، أما إذا نظرنا إلى تفاصيل أبحاث الكتاب فسنجد أنها نظرت إلى أعمال الفنانين الفرنسيين في تلك الحركة من زاوية الشرق، وخاصة إلى البطل الكبير، في تلك الحركة، وفي الكتاب الذي بين أيدينا، وفي اهتمام المؤلفة على السواء، ألا وهو الفنان التصويري العظيم أوجين ديلاكروا (١٧٩٨- ١٨٦٣م).

يضم الكتاب، بعد «كلمة لا بد منها»، «توطئة» وفصولاً أربعة، ويحتوي على صفحات مخصصة للوحات، طبع ما وضع منها في نهاية كل فصل بالأبيض والأسود (تسع عشرة صفحة في مجموعها)، وفي نهاية الكتاب كله خصصت تسعاً وثلاثين صفحة للوحات ملونة بلغ عددها ثمانية وخمسين لوحة (ص٣٤١-٣٧٩)، واختتم الكتاب بفهرس للوحات جميعها (ولكن دون إشارة إلى أرقام صفحاتها)، وبحواشي الفصول الأربعة، ولا يوجد ثَبَتٌ بأسماء المراجع، وربما اكتفت المؤلفة بما ورد منها في الحواشي.

و «التوطئة» هي مقدمة الكتاب، وفيها تناولت المؤلفة ظاهرة اهتمام الحضارة الأوربية بالشرق، من جوانبه المختلفة، واهتماماً منوع الزوايا، وقامت بتتبع موجز لهذا الاهتمام على الترتيب التاريخي، وفصلت في اهتمام الحركة الرومانسية خاصة بالشرق وفي عوامله. وخصصت المؤلفة عدة صفحات لبيان اختلاف نظرتها إلى الاستشراق عن تلك التي قدمها د .ادوارد سعيد، وهي التي توجزها بالقول بأن الاستشراق «أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه»، بينما ترى هي أن استشراق الفنانين الذين درستهم «هو ظاهرة تثاقف وتماثل وتطعيم بين حضارتي الشرق والغرب» (ص ٢٥)، وتنتقد آراءه تفصيلياً (ص٢٥-٢٧).

في الفصل الأول، «الاستشراق الأوروبي في فن التصوير: مرحلة ما قبل الرومانسية» (ص ٢٩- ٨٩)، تتناول المؤلفة ستة موضوعات:

أ - نظرة تاريخية إلى الاستشراق في فن التصوير منذ القرن التاسع الميلادي، وبخاصة في عصر النهضة الأوروبية، وتهدف المؤلفة هنا إلى إثبات أن الاستشراق إنما هو «ظاهرة فنية تقليدية في الفن الأوروبي»، وليس ظاهرة عابرة من باب «الموضة الفنية»، أو ناتجة عن الانطباعات التي سجلتها حملة بونابرت على الشرق (ص ٢٩). وتخصص المؤلفة صفحتين للحديث عن «الموتيف» الشرقي عند رمبرانت وروبنز وفلاسكس (رغم بعدهم عن القرن السادس عشر الميلادي).

ب - الاستشراق الفرنسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، سواء من حيث الأحداث التاريخية والعلمية أو من حيث تطور الاهتمامات الفنية، وتلاحظ المؤلفة وجود صور من الفن الفرنسي في ذلك الوقت «لحكام وأمراء وسفراء فرنسيين في هيئة السلاطين الشرقيين. وصوِّرت المحظيات والأميرات الفرنسيات في دور «السلطانات» الشرقيات... وسيدات المجتمع الفرنسي في زي وسلوك الحريم الشرقيات» (ص ٤٦). وأشارت المؤلفة إلى حركة الأفكار في القرن الثامن عشر الميلادي، وإلى الاكتشافات الأثرية المعمارية في بلدان الشرق الأوسط في الفترة من ١٧٥٠ إلى ١٧٩٠م، «مما أدى إلى ظهور «الموتيف» المعماري الشرقي (كالمسلات والاهرامات والثيران المجنحة وتماثيل الآلهة الشرقية) في بنية المنظر الطبيعي في فن التصوير» (ص ٥٣)، وإلى رحلات الرحالة الغربيين التي سبقت الحدث الأهم المتمثل في حملة بونابرت على مصر والشام، التي سماها الفرنسيون «حملة الشرق» ونسميها نحن «الحملة الفرنسية».

ج - حملة بونابرت على الشرق وأثرها في فن التصوير الفرنسي: وتشير المؤلفة هنا إلى «الحلم الشرقي» عند بونابرت منذ شبابه، وإلى اتصاله ببعض الرحالة، وكيف استعان «بالمؤسسة الاستشراقية» العلمية في الإعداد لنجاح غزوه لمصر، وذلك منذ ١٧٨٧م. ثم تعرضت المؤلفة للفنانين والعلماء الذين رافقوا الحملة العسكرية، وعلى الأخص فيفان دينون (ص ٥٦- ٥٨)، ولكنها تلاحظ أن دور هؤلاء الفنانين تلخص «بتسجيل وتوثيق» الظواهر «الشرقية دون القدرة على الغوص في عمقها بسبب أفقهم الإبداعي المحدود» (ص ٥٩).

د - تأثير حملة الشرق على الفنانين: وهنا تخص المؤلفة المصور انطوان جان جرو (Gros) باهتمامها (ص ٦٨- ٨٢)، وتحلل أعماله وتتحدث عن صلته الوثيقة بنابليون الذي تبناه رسمياً مصوراً له ولأحداث حياته، وتنجح المؤلفة من خلال هذا كله في إبراز التداخل بين الفن والسياسة. ثم تنظر إلى غيره من الفنانين الذين سجلوا أحداث «حملة الشرق» (ص ٨٢- ٨٩). ومما تقوله عن هذا العهد: «في عهد بونابرت

[والأدق أن يقال «نابليون»] بدأت الملامح الأولى للرومانسية في المنظر الطبيعي «البورترية» وصورة الحياة والبيئة، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الغرابة و «البتورسك» الشرقي إلا أنها لم تحظ باهتمام الجمهور الفني والذوق السائد في حركة النقد، لسيطرة النزوع نحو الفن التاريخي والوطني آنذاك، ولذلك بقيت في الظل حتى مجيء أعلام الرومانسية الذين نهضوا بها حتى باتت أنواعاً سائدة في فن التصوير الرومانسي فيما بعد» (ص ٨٣).

أما الفصل الثاني فإن عنوانه: «الاستشراق في المرحلة المبكرة من العصر الرومانسي لفن التصوير الفرنسي»، وتقول المؤلفة: «إن مهمة هذا الفصل تتجلى أولاً في دراسة الاستشراق الفني ضمن منظومة العقيدة الرومانسية نفسها، وثانياً في دراسة انعكاسها على فن التصوير لدى الرومانسيين الفرنسيين إبان عهد الإصلاحات Restauration (1815-1830)، كما تتسم بأهمية خاصة في هذا الباب مسألة العلاقة بين الاستشراق والخصائص الجذرية للإدراك الرومانسي الحي للعالم و «جمالية» نظريته...» (ص ٩٥).

وهي تقدم بمقدمة هامة موضوعها «الإشارة إلى المصادر والينابيع النظرية التي استند إليها الرومانسيون الفرنسيون في مرحلة تشكيل الرومانسية المبكرة» (ص ٩٥)، ومن الطبيعي أن تهتم هنا بالمصادر الألمانية وبتلك الإنجليزية عند الفلاسفة والأدباء بخاصة. وهي تلاحظ أن «الموتيف» الإسلامي هو الذي ساد في فرنسا بينما ساد ذلك الهندي والفارسي في غيرها (ص ٩٦)، وتتحدث عن أفكار «هردر» المفكر الألماني عظيم التأثير والذي اهتم بفلسفة التاريخ وبالمقارنة بين الحضارات، وعن تأثير فردريك شليجل وشلنج، وهي تخلص إلى أن فكر الرومانسية الألمانية تميز بتحويله الفلسفة إلى فن والفن إلى فلسفة، وأنه سعى لفرض إدراك جمالي خالص للعالم وبنائه فوق مبادئ فنية ـ فلسفية بحتة (ص ٩٩).

القسم الثاني في هذا الفصل الثاني موضوعه مجموعة من الفنانين الذين شاركوا في إظهار الحساسية الرومانسية في فن التصوير في الفترة من ١٨١٥ إلى ١٨٢٤م، وهي فترة «إرهاصات الاستشراق الرومانسي لفن التصوير» (ص ١٠٥)، حيث توفي جيريكو «رائد الرومانسية الفرنسية» شاباً في عام ١٨٢٤، بينما قيض لديلاكروا الشاب، منذ صالون ١٨٢٤، أن يخوض «المعركة الرومانسية بمفرده، مكملاً رسالة جيريكو في التمرد على السائد المتسم بالجمود، معلناً ثورة في الشكل وفي المضمون» (ص ١٠٥). وقد قامت المؤلفة بتحليل أعمال كل من الفنانين فورباان وفرنيه وجيريكو، كما أشارت إلى أهمية أوجست جيل روبير المعروف باسم «مسيو أوجست».

ولكن أهم أقسام هذا الفصل الثاني هو ذلك المخصص لأهم الرومانسيين الفرنسيين في فن التصوير: أوجين ديلاكروا (ص١٢٠-١٧٠)، وفيه تعرف ببداياته الفنية (ص١٢٠-١٢٢)، ثم تعرض على التوالي لتحليل لوحاته بحسب نوعها: «اللوحة التاريخية» (ص١٢٢-١٦٤) و«فن البورتريه» (ص ١٦٤- ١٧٠). ومن أهم لوحات ديلاكروا التاريخية التي تفصل المؤلفة الحديث عنها لوحة «مذبحة هيوس» (عن الحرب بين الأتراك واليونان) (ص ١٢٤- ١٣٤) ولوحة «موت ساردانابال» (ص١٣٨-١٥٣). ويقوم الفنان في هذه اللوحة الأخيرة بوضع «الملامح المتميزة للبطل الرئيسي، الملك الفارسي المستبد المتنور، الذي عاش بشاعرية ومات بشاعرية، وعرف شتى ملذات الحياة الذهنية والحسية، والذي اختار لنفسه ميتة تاريخية موسومة بمتعة استقبال الموت ووداع الحياة بمظهر احتفالي ضمنه كل ما أحب في الكون من حي وجماد، مخلصاً بذلك لنفسه، مستجيباً لقدره كبطل رومانسي» (ص ١٤٢).

وتعرض المؤلفة للمصور ريتشارد بوننجتون، وهو إنجليزي استقر في فرنسا وتتلمذ على يدي جرو، وقد «دخل بوننجتون تاريخ الرومانسية الفرنسية، ليس عبر تصوير المعارك والحروب، وبدون حمي الرومانسية. إلا أنه جلب للرومانسية معه إحدى السمات الرئيسية، إن لم تكن أولاها، ألا وهي فن التصوير بالألوان والمائيات» (ص ١٧٠)، ثم تختتم هذا الفصل الثاني بعرض عام قوي هام (ص ١٧٣-١٨٢) حول خصائص الحركة الرومانسية وصلاتها بالشرق، وفيه تقابل بينها وبين الحركة الكلاسيكية، وتؤكد على مبدأ «التوليف» بين الأنواع، وعلى أساسية «الموتيف» الشرقي فيها. لقد عارضت نظرية «إعادة خلق الواقع» الرومانسية نظرية «المحاكاة للواقع» (ص ١٧٤). «إن بعض الفنانين لجأ إلى الشرق بوصفه قناعاً فنياً يعبر عن الواقع السياسي والفني الفرنسي المعاصر.. وبعضهم الآخر لجأ إلى الشرق بوصفه كناية فنية وأخلاقية تجمع الروحانية والمادية، الشاعرية والواقعية، في الصورة الفنية الواحدة، انطلاقاً من القناعة بأن للفن عالماً خاصاً وحياة خاصة» (ص ١٧٥).

ويظل ديلاكروا بطل الفصل الثالث الذي عنوانه: «مرحلة ازدهار الاستشراق في فن التصوير الفرنسي إبان العصر الرومانسي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر» (ص١٩١-٢٨٢)، وهو يهدف إلى: «بحث ديناميكية بروز الاستشراق في منظومة العقيدة الرومانسية لفن التصوير الفرنسي، ضمن تطورها النوعي المميز لهذه الحقبة، الذي اتسم بطابع «الثقافة الشمولية»، نظراً لسعيه إلى التوليف بين الأنواع والفنون، مما أدى في نهاية المطاف إلى بروز تناقضات كان من نتيجتها عدم استقرار الرومانسية كنهج فني وقصر عمرها التاريخي» (ص ١٩١). ويبدأ الفصل بدراسة حضارية عامة للفترة المذكورة، ويحدد مضمون المرحلة الجديدة: «فالمرحلة الجديدة تعني أولاً انتصار الرومانسيين في النضال من أجل حرية

الإبداع، والتعبير الحر عن العالم الداخلي للفنان، وسماته الفردية، وابتداء من عام ١٨٣٠ تحول تاريخ الرومانسية إلى تاريخ بعض الفنانين الرومانسيين» (ص ١٩٣). ويهتم هذا الفصل بالبحث في دوافع الانجذاب إلى الشرق: «لقد اتخذت خيبة أمل الرومانسيين حيال تغيير الواقع المحيط بهم شكل القطيعة معه «بالهروب منه» (ص ١٩٥)، «وغدا الشرق أحد المراكز الرئيسية للهروب من الواقع الاجتماعي الفرنسي.. في هذا الوقت بالذات كانت مدرسة التصوير الفرنسية قد بدأت تأخذ طابعها أو وجهتها الفرنسية البحتة» (ص ١٩٦). وتقوم المؤلفة بالتعريف بهذه المراحل وبالحركة الرومانسية الفرنسية (ص١٦٩-٢٠١)، ثم تعود إلى سؤال: لم انجذبوا إلى الشرق؟ وتشير إلى جملة عوامل موضوعية، منها عامل السيطرة والتغلغل العسكري والثقافي والاقتصادي لفرنسا في الجزائر ومصر ولبنان، ومنها بواعث ذاتية معرفية عند الشخص الفرنسي مصدرها حالة «التناقض بين القيم الإنسانية الأخلاقية والتطور الثقافي للحضارة البرجوازية الأوربية» (ص ٢٠٣)، ومنها «اندماج الفن والحياة عند المسلمين» (ص ٢٠٣). وتركز المؤلفة بعض نتائجها حول هذا السؤال المركزي في هذا النص: «من أهم عوامل جذب الرومانسيين لتصوير الشرق، هو علاقة التناغم والاتساق بين الإنسان الشرقي والطبيعة. إن توحد الإنسان بالطبيعة في الشرق يشكل حالة الحلم التي يعاني منها الرومانسي الأوربي ابن المجتمع المتطور تقنياً وصناعياً والمفتقر لعلاقة تفاعل مع الطبيعة. لذلك نرى أن فن المنظر الطبيعي الشرقي قد استحوذ على اهتمام مجمل الرومانسيين الذين زاروا الشرق في بداية الثلاثينيات» (ص ٢٠٥).

ثم تقوم المؤلفة بدراسة تفصيلية للوحات كل من ديكان (ص ٢٠٦- ٢٢٤) وديلاكروا (ص ٢٢٤- ٢٥١)، وهنا تظهر لوحات هذا الأخير المشهورة الناتجة عن رحلته إلى المغرب والجزائر، ومنها لوحة نساء الجزائر (ص٢٣٥-٢٤٤) ولوحة الزفاف المغربي (ص٢٤٤-٢٤٨) ولوحة مشهد الجلد في طنجة (ص٢٤٨ - ٢٥١)، التي «تمثل إلى حد كبير نزوع الرومانسيين إلى تصوير العادات القديمة غير المراسم والطقوس الدينية الخاصة.. وتمثل شاهداً على الخصائص المحلية النفسية والاجتماعية لهذه الثقافة أو تلك» (ص ٢٥١). أما في اللوحة الأولى، وهي من أشهر وأجمل لوحات ديلاكروا على الإطلاق، فإنه فيها «ركز جل همه على تصوير نمط حياة المرأة الشرقية بوصفه نمط الدفء وسكينة الروح المنشودة المفعمة بالأناقة المطلقة والطاعة المطلقة أيضاً.. وهكذا بدت جميلات الجزائر رقة ورهافة وذوقاً، عبقاً وحزناً.. [و] عمد ديلاكروا إلى استخدام لعبة الضوء والظل بالشكل المناسب لإظهار مكامن الأنوثة والأناقة معاً» (ص ٢٣٩).

وفي القسم الرابع من هذا الفصل تدرس المؤلفة المنظر الطبيعي الرومانسي بالتفصيل (ص٢٥١- ٢٧٥)، ثم تخصص الصفحات الأخيرة منه لمن تدعوه «ممثل الاستشراق الاستعماري» هوارس فرنيه، حيث سجل مظاهر السيطرة الفرنسية على الجزائر، وتهاجم

المؤلفة هذا المصور هجوماً متصلاً، وتعتبره عسكرياً أكثر منه فناناً، وتتهمه بالسطحية وبأن لوحاته «تخلو من الطبيعة والعفوية التي اتسم بها استشراق الرومانسيين من جيله» (ص ٢٧٨).

ويظهر الايديولوجي في المؤلفة حين تحكم على «هؤلاء الرسامين» (ولا تقول «المصورين») الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الاستعمار الفرنسي: «بما أن الفن في وظيفته الجمالية يرتقي بالواقع نحو الأسمى، ونحو الجميل، فلا يمكن أن يكون الفنان فناناً حقيقياً بالفعل إن كان يؤيد الاستعمار، الذي هو في جوهره ضد الفن وضد انسانيته» (ص ٢٧٦- ٢٧٧).

أما الفصل الرابع فإن عنوانه: «الاستشراق في فن التصوير الرومانسي الفرنسي في المرحلة المتأخرة أو النهائية» (ص٢٨٩- ٣٣٨)، وموضوعه أزمة الرومانسية الأخيرة عند الجيل الثالث من فنانيها، حيث تركز المؤلفة الأضواء على لوحات شاسريو (ص ٢٩٦- ٣٢٢) وفرومنتان (ص٣٢٢-٣٣٨). وينتهي الكتاب بغير فصل ختامي.

لقد اختارت المؤلفة لنفسها موضوعاً محدداً تماماً، وهو كيف صور فنانو التصوير في الحركة الرومانسية الفرنسية، في الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٥٠م، أو قل في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بعامة، كيف صوروا الشرق وكيف تأثروا بالفن والطبيعة الشرقيين، بل هي تحدد نفسها بالشرق الإسلامي، بل وبقسم منه في الواقع، وربما كان هذا راجعاً إلى أن الفنانين الرومانسيين اهتموا في المحل الأعظم بمصر والشام والجزائر (ومعها المغرب)، أكثر من غيرها، رغم الأهمية التاريخية الممتدة للعلاقات مع تركيا، ورغم الأهمية الجوهرية لبلاد فارس وفنونها. ودراسة الدكتورة زينات بيطار دراسة في تاريخ الفن، ولكنها تنظر إلى موضوعها في إطار الصراعات الاجتماعية في ذلك العصر بطبيعة الحال، وبحسب توجهات الدراسة الأكاديمية في الاتحاد السوفيتي وقت إنتاجها رسالتها، ثم تعود لتوسع من نظرتها وتجعلها تدور في فلك إطار حضاري وثقافي أعم، سواء من حيث تراكب التيارات في داخل المجتمع الفرنسي وفي داخل القارة الأوروبية، أو من حيث علاقات الغرب بالشرق سواء في عصر الدراسة أو ما قبلها أو منذ عصر النهضة الأوروبية بل منذ الحروب الصليبية من قبل ذلك. ومن ناحية أخرى فإن المؤلفة اهتمت بالمنظور المقارن (ص ٢٢).

ومن المأمول أن يصبح هذا الكتاب مرجعاً لدراسة تكون صورة الشرق وتطورها في الضمير الأوروبي سواء في ميدان الفن أو في أي ميدان آخر، لأنها كلها متداخلة ومتراكبة، وقد أشارت المؤلفة تكراراً إلى تداخل عناصر «الاستغراب» مع حب الاستطلاع مع التهيئة والتسجيل من أجل الأغراض الاستعمارية في الإنتاج الاستشراقي للفنانين المصورين،

وأشارت إلى امتزاج الاستشراق الفني مع الاستشراق العلمي، واهتمت بإبراز التحولات والتغيرات الطارئة على النظرة إلى الشرق في ذات الحركة الرومانسية عبر العقود وعبر الشخصيات، ومن خلال الشخصية الكبرى المسيطرة على الكتاب، وهي شخصية ديلاكروا.

ولا نشك في أن القارئ سيفيد كثيراً، مهما تكن صفته، من التحليلات الشاملة الذكية لأهم اللوحات، وسوف يكتشف البعض أن لوحة صغيرة تستحق الحديث عنها ساعات وساعات. وقد أحسن ناشر الكتاب (وهو سلسلة عالم المعرفة والمجلس الوطني للفنون والآداب بالكويت) حين أثبت ما يقرب من الستين صفحة للوحات، أغلبها لوحات ملونة.

لقد توافرت لهذا الكتاب، إذن، عوامل عديدة تضمن نجاحه، من خصوبة الموضوع إلى اتساع المعرفة إلى وضوح العرض وتعدد جوانبه، إلى إثبات اللوحات، الملونة منها وغير الملونة.

ومن الطبيعي، مع مثل هذا الجهد الضخم، أن يكون هناك محل للملاحظات والمؤاخذات والاختلافات، وربما أتى معظم ذلك من مصدرين أساسيين: الأول والأهم، أن الدكتورة زينات بيطار اتخذت لنفسها قصداً، وعن حق وحسن قرار، منظور الدراسة الحضارية بعامة، فاضطرت لهذا إلى التعرض للعديد من المسائل التي تخرج بالضرورة عن تخصص تاريخ الفن بالمعنى الدقيق، فكان من الطبيعي أن تنزلق إلى بعض الهنات حين تكون خارج ميدان تاريخ الفن على الدقة، والثاني أن الكتاب كتب في أصله بالروسية وإلى قراء مختصين هم في النهاية أعضاء لجنة الحكم على رسالة الدكتوراه، ثم نقل إلى العربية على حاله، فيما يبدو، ودون إعادة نظر وتكييف جديد مناسب لوضعه بالعربية، بل ولتوجيهه إلى كافة أنواع القراء، وأغلبهم سيكونون من عامة المثقفين، نظراً إلى نوع السلسلة التي نشر بها الكتاب، والتي تهدف إلى تيسير الثقافة لكل مهتم بشرط أن يظهر اهتمامه بحيازة الكتاب أو بوضعه بين كفيه.

ومن القضايا الأساسية في الكتاب القول بأن الاهتمام بالشرقيات أمر جوهري وأصيل في اهتمامات الحركة الرومانسية في فن التصوير الفرنسي، ولكننا نجد كثيراً من تعريفات الحركة الرومانسية كحركة عامة في الفكر والفن لا تشتمل على أية إشارة إلى الاهتمام بالشرق، وربما تحسن المؤلفة صنعاً لو أضافت تبرير هذا «الاستشراق» في فن التصوير بالذات أكثر من أي فرع آخر من فروع الفن التشكيلي. ومن جهة أخرى فإن القارئ قد يخرج بانطباع، خاطئ، مفاده أن الاستشراق يستغرق كل أعمال ديلاكروا، مثلاً، بينما الواقع أن إنتاج هذا الفنان الضخم، سواء في التصوير الزيتي أو الجداري أو في

الحفر، والذي عدد البعض مفرداته لتصل إلى ألف عمل فني، يتعدى هذا الاهتمام بكثير، ويكون من الضروري دراسة مكان الاستشراق بين مجمل إنتاجه، مع الاهتمام بالإشارات الإحصائية. قضية أساسية أخرى، وربما مثلت الإطار العام لموقف المؤلفة، هي التي تقول: «برزت محاولة التماثل بين حضارتي الشرق والغرب على أعتاب مرحلة جديدة من تطورهما التاريخي على تخوم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكانت قد شاهدت تقارباً وتبادلاً ثقافياً ليس بين طرفين متناقضين حضارياً وحسب، وإنما في عملية تأثر وتأثير متبادلَيْن وفي حالة من الازدواجية و «التثاقف» واضحة المعالم» (ص ١٣).

وإذا مررنا عابرين على واقعة أن المؤلفة لا تحدد ما تقصده من مصطلحات هامة في هذا النص، هي «التماثل» و «التقارب» و «التبادل» و «التثاقف»، ولا الفروق بينها، فإننا لا بد أن نؤكد أن هذا الحكم غير صحيح لا في إطلاقه ولا في تفاصيله، ولا بالنسبة إلى الغرب ولا بالنسبة إلى الشرق. فما أخذه الغرب ما هو إلا عناصر مجردة انتزعت من إطارها وشكلها الغرب على ما يحلو له وتصبح منتسبة إليه وليس إلى مصدرها الأصلي، وهكذا فإن ما تسميه المؤلفة «بالاستشراق» في فن التصوير الفرنسي الرومانسي ليس عملية تماثل ولا تقارب ولا تثاقف ولا هو بالتأثر بالمعنى القوي الحقيقي للكلمة، إنما هو تجريب، بالمعنى العام، واغتراب وتلذذ به على كل حال، وهو انتزاع لعناصر من إطارها الأصلي وتفسيرها بحسب توجهات الذات وليس بحسب توجهات الآخر الذي كانت تنتمي إليه. والحال كذلك بالنسبة للشرق في الفترة التي تدرسها المؤلفة، فإذا وضعنا جانباً أخذ بعض التنظيمات العسكرية والتعليمية والصناعية، وما يأتي معها من أدوات وآلات، وظهور بعض الكتابات النادرة، وأخطرها «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» لرفاعة رافع الطهطاوي (عام ١٨٣٤م)، وذلك في مصر وتركيا على التخصيص، إذا وضعنا هذا جانباً، لما وجدنا مجالاً للتأثر بالغرب، ولا تبادلاً ولا تثاقفاً أو غير ذلك من تسميات، إنما سيصبح التأثر بالغرب موجة قوية تعم بالتدريج سائر البلاد في المنطقة المتكلمة بالعربية وفي تركيا من بعد ١٨٨٢م، سنة إعلان السيطرة الغربية بأعلى لسان. وكان ينبغي للباحثة، وهي تتحدث عن «تخوم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر» الميلاديين، أن تتساءل: ماذا بقي في مصر من الحملة الفرنسية؟ وماذا أخذ المصريون من الفرنسيين؟ وكانت ستجد أن الإجابة هي لا شيء ثم لا شيء. إن ما حدث من «استشراق» في فن التصوير الرومانسي الفرنسي هو أقرب إلى استعارة موسيقي للحن من موسيقي آخر وقيامه بعمل تنويعات عليه، تنتسب من بعد إليه هو لا إلى الثاني، منه إلى التأثر والتأثير، وهي كلمات كبيرة بالفعل إذا أريد لها أن تستخدم استخداماً مضبوطاً. ويجرنا هذا إلى مفهوم «الاستشراق» كما استخدمته المؤلفة، فهي تجعله ينطبق على الدراسات المعرفية وعلى الاستخدامات الفنية على السواء، وما هذا بسليم، وكان الأولى حفظ الكلمة للدراسة المعرفية، واستخدام تعبير آخر، من مثل

«الاهتمام بالشرق» أو ما ماثل، ولكن لا بد من الاعتراف، في المقابل، بأمرين: أ ـ أن كلمة واحدة أيسر من عدة كلمات، ب ـ أن الكلمة المقابلة للاستشراق في اللغات الأوروبية يمكن أن تستخدم في المعنيين، بل وكذلك الكلمة العربية ذاتها، ولكن ما أردنا الإشارة إليه هو ضرورة الاهتمام باستخدام المصطلح الواحد بمعنى واحد بقدر الإمكان. أخيراً فإن حكم الكتاب بأن «الرومانسيين هم أبناء فكر القرن الثامن عشر أكثر من كونهم أبناء فكر القرن التاسع عشر» (ص ١٨)، ربما انطبق على الرومانتيكية الألمانية وليس على تلك الفرنسية، كيف لا والمؤلفة ذاتها تبين خلال مجرى الدراسة رد الفعل الرومانسي على الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) ونتائجها، وهي الثورة التي أنهت عصراً بأكمله وفتحت الباب أمام القرن التاسع عشر الميلادي، بما فيه من جديد في ميداني الفكر والفن وغيرهما؟ ونلاحظ أن المؤلفة لم تبرر استخدامها لكلمة «الرومانسية» وإعراضها عن «الرومانتيكية»، وهي مستعملة بالعربية بل ربما كانت أوسع انتشاراً من سابقتها، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن من المفيد بيان تبريرات الاستخدام والنبذ، وربما كانت الكلمة الأولى أوسع استخداماً في ميدان نقد الشعر، وهي أقرب إلى الكلمة الفرنسية الدالة على المذهب، بينما الثانية أقرب إلى تلك الإنجليزية.

وتقول المؤلفة، مرتين على الأقل، في الصفحات التمهيدية التي هي بمثابة الإعلان النظري عن توجهات الرسالة (ص ٩ و ٢٥)، إنها تعني «بالشرق»، أو «بالشرق الإسلامي»، الذي ستدرس علاقة الرومانسيين به، «بلدان الهلال الخصيب والمغرب العربي»، وهو تحديد غريب وقاصر سلباً وإيجاباً وكمّاً وكيفاً: «فالهلال الخصيب» تعبير جغرافي يضم شمال العراق، ولم يحدث أن اتجه الرومانسيون لا في رحلاتهم ولا في اهتماماتهم إلى هذا الجزء من الشرق، فلم لا تقول المؤلفة «الشام» بوجه عام مع ملاحظة أن الجزء الجغرافي من الشام الذي نال الاهتمام الأكبر إنما هو فلسطين. ومن جهة أخرى: فأين تركيا بل وأين مصر، وأين فارس ذاتها التي ترد إشارات إليها بين الحين والآخر؟ والواقع أن جسم البحث نفسه يكشف عن توجه الاهتمام الاستشراقي الرومانسي إلى مصر والجزائر على الأخص، ولا تعود المؤلفة إلى استخدام تعبير «الهلال الخصيب»، فكان الأولى العدول عنه في مقدمات الدراسة هي الأخرى ضماناً للاتساق واحتراماً للدقة العلمية.

وفيما يخص طريقة التناول، فلا حرج على المؤلفة من استخدام المنهج والمفاهيم الماركسية في دراستها، فهكذا كانت تقضي واجبات الدراسة في موسكو السوفيتية، ولكننا نلاحظ أنها بينما حاولت الهروب، في رأينا، من إطار التفسير الاجتماعي الاقتصادي الضيق إلى إطار المنظور الحضاري والثقافي الأرحب، ونجحت في ذلك نجاحاً موفقاً، إلا أنها أثقلت دراسة بعض الجوانب باعتبارات «أيديولوجية» ثقيلة، تتمثل في الحكم المسبق بالإدانة، وهو ما يظهر خاصة في دراستها لتأثير نابليون على مسار الحركة

الفنية في فرنسا (راجع ص ٥٤ وما بعدها، وراجع ص ١٨ وص ٢٠٠- ٢٠١ كنموذجين لتدفق المصطلحات الماركسية الأيديولوجية). ويتصل بطريقة التناول أيضاً أن المؤلفة أثقلت النص أحياناً بكم متراكم من المعارف المأخوذة من شتى المراجع، وكان من الممكن التخفيف منها وأخذ عصارتها بدل تفصيل عرضها، ويظهر هذا في الأجزاء النظرية والتاريخية من شتى الفصول، في مقابل أجزاء التحليل الفني للوحات، ولكنه أمر معروف في كثير من الرسائل الجامعية. ومعروف فيها كذلك تكرار دراسة بعض الموضوعات والعودة إليها في أكثر من فصل، وهو ما حدث في هذا الكتاب، وخاصة فيما يتصل بتعريف الحركة الرومانسية وتعريف الشرق وتحديد أسباب الانجذاب إليه، ولكننا نعرف أن من مزالق التأليف في ميدان الرسائل الجامعية أن الباحث يضن على ما جمع من معارف وأنشأ من أفكار ألا يستخدمها وألا يستخدمها كلها بقضها وقضيضها، والواجب دائماً قطع أسباب التكرار واستيفاء الموضوع دون الاسترسال غير المفيد. ومن أمثلة الأقسام المقحمة إقحاماً اصطناعياً، ذلك القسم الذي سمته المؤلفة «اندماج الفن والحياة لدى المسلمين» (ص٢٠٣-٢٠٥)، وهو في رأيها عامل من عوامل انجذاب الرومانسيين نحو الشرق، لكنها اعتمدت في تدليلها على كلام بعض المؤلفين، وهو قابل للمناقشة ولا نعتقد أنه يبرر الحكم المراد التدليل عليه، والعجيب أنه كلام يريد الحديث عن الحياة عند المسلمين فيتحدث عن فلسفيات وينسب إلى مؤلفين آحاد أشياء ما لها من أساس، فضلاً عن أن هؤلاء المتفلسفة المزعومين لا يمثلون الحضارة الإسلامية في شيء. أما قول المؤلفة نقلاً في الأغلب عن بعض المستشرقين: «إن الفلسفة الإسلامية بشقيها الصوفي الحلولي.. وممثلي اتجاه فلسفة الطبيعة في الشعر الصوفي... إلخ»، فهو كلام بغير معنى بل هو يحمل تناقضاً في الألفاظ، ولا مجال هنا لتفصيل الحديث عنه. ومن العجيب أنه بينما يفيض أسلوب المؤلفة رقة واعتباراً حين الحديث عن آراء بعض المؤلفين، وخاصة السوفيت منهم، فإنها تعامل مؤلفاً مصرياً متخصصاً في غير ميدانها معاملة خشنة لا مبرر لها، وذلك حين تتحدث عن الدكتور مؤنس طه حسين، فتسميه «الباحث العربي **المذكور**»، فتذكرنا بلغة الإجراءات القانونية والتعميمات الإدارية التي لا تهتم بالعلاقات الإنسانية، وخاصة بين العلماء.

أما فيما يخص كتابة المراجع، فلم تراع أحياناً الطرق المصطلح عليها في استخدام الاختصارات والرموز، وبينما كتبت المؤلفة رسالتها بالروسية فإنها تقدم حتى المؤلفات الفرنسية بكلمة see الإنجليزية في بعض الحواشي الإفرنجية. ويشعر القارئ بأن عدم إثبات أرقام اللوحات في أثناء الحديث عنها في صلب المتن يسبب نقصاً مؤكداً في فائدة وجود هذه اللوحات، ولكن أعظم ما ينغص على القارئ قراءته الأخطاء المطبعية الفاحشة التي تمتلئ بها سائر صفحات الكتاب، سواء بالعربية أو بغيرها، وربما كانت الكلمات الإفرنجية

الصحيحة المثبته في النص هي القلة النادرة، ولكن المسئولية هنا لا تقع على المؤلفة، بل على مراجعي الطباعة. وفي المقابل فإن أسلوب المؤلفة بالعربية يشكو أحياناً من بعض التصلب ومن القفزات غير المفهومة بين أجزاء العبارة الواحدة. وسيتمنى القارئ المهتم لو أن المؤلفة أنهت الكتاب بفصوله الأربعة بخاتمة ولو موجزة تضم أطراف الموضوع وتبرز سائر النتائج والظواهر في صورة مركزة.

وفيما يخص المصطلح الفني، فيا ليت المؤلفة تضيف ثَبتاً باقتراحاتها في هذا الصدد، مع الإبقاء على ما استقر من مصطلح سليم. وهي لم تعن بتعريف القارئ بالعربية، وهو غير القارئ المتخصص وغير القارئ الغربي، بأهم المصطلحات التي قد لا تكون واضحة بذاتها عنده، وربما كان أهم هذه المصطلحات، بالإضافة إلى أسماء المذاهب، كلمتَيْ «موتيف» و «ايقونوغرافيا»، اللتين استخدمتهما المؤلفة كثيراً على طول الكتاب، ولكن هناك غيرها الكثير أيضاً مما كان يقتضي التعريف به عند أول مرة يظهر فيها على صفحات الكتاب. أما فيما يخص المصطلحات التاريخية والفلسفية وغيرها، في غير ميدان تاريخ الفن، فإن القراءة المتأنية تبين أن المؤلفة لم توفق في اختيار المقابل العربي السليم لبعضها، ولا نضرب مثالاً إلا بكلمة «عهد الإصلاحات» الذي يقابل Restauration (١٨١٥- ١٨٣٠م) (ص ٩٥ وما بعدها)، فإن المقابل الدقيق إنما هو «عودة الملكية» بعد عصر الثورة وإمبراطورية نابليون. كذلك فإن المؤلفة تستخدم اسما «بونابرت» (وأحياناً يكتب للأسف بونابارات تكراراً، كما في ص ٥٥، ٥٧، ٥٨..) و «نابليون» كما لو كانا اسمين متبادلين، والاستخدام الصحيح هو قصر اسم «نابليون» على فترة الحكم الإمبراطوري، فبعد تنصيب السيد نابليون بونابرت إمبراطوراً أصبح اسمه الرسمي «نابليون»، أما قبل ذلك فهو «بونابرت» باسم عائلته، وعلى هذا تقول «حملة بونابرت على مصر» وليس حملة نابليون عليها، وتقول «حملة نابليون على روسيا» وليس حملة بونابرت عليها. ومن التعبيرات غير السليمة قول الكتاب الحضارة «المتوسطة» أي الإسلامية لبلاد الشرق، والواقع أن استخدام مفهوم «العصور الوسطى» على بلاد الشرق هو استخدام خاطئ، لأنه لا ينطبق إلا على الغرب في فترته المسيحية، وبينما معظم بلاد الشرق فيها العديد من الطبقات الحضارية فلا نعرف أيها الوسطى وأيها ليس كذلك.

ويتحدث الكتاب عن «السريانية» على أنها حضارة (ص ٣١)، والأدق أنها «ثقافة» على ما تقول المؤلفة هي نفسها في نفس الصفحة، والأغلب أنها تنقل في الموقعين عن مؤلفين مختلفين. ويستخدم الفصل الثالث تعبير «الشرق المتوسط» ويعرفه على الفور بأنه الأراضي «الممتدة من تركيا حتى المغرب» (ص ٢٠٢)، وفي هذه الحالة فإن كلمة «المتوسط» لا تنطبق في إطار الاستخدام الفرنسي للمصطلحات الجغرافية السياسية، وإنما ينطبق اصطلاح «الشرق الأدنى»، أي الأدنى إليهم، وكلمة «متوسط» تدل على منطقة

شرقية تقع بين منطقتين، فأين الشرق القائم بعد المغرب؟ ونكتفي بهذا القدر من الملاحظات، وهناك غيرها الكثير، ولكن أي الكتب ينجو من الملاحظات والاعتراضات؟

إننا نرجو للمؤلفة إنتاجاً وفيراً، ويتمنى كاتب هذه السطور لو أنها خصصت بعض وقتها للقيام بدراسات في تاريخ الفن في منطقتنا نحن مباشرة وفي ثقافتنا الحالية، فستكون هنا الفائدة أعظم، وستعظم الإفادة من جهد التكوين الذي اكتسبته الدكتورة زينات بيطار، وسيكون الكل لها من الشاكرين.

* * *

اقرأ في العدد القادم

ملامح الوعي الاجتماعي للمرأة الكويتية
(دراسة ميدانية
على عينة طبقة من النساء الكويتيات)

د. نضال الموسوي

جريمة السطو الأكاديمي على كلية العلوم بجامعة الكويت ودور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العراقية في هذه الجريمة في ظل الاحتلال العراقي لدولة الكويت

تأليف: نورية العوضي

حياة ناصر الحجي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

الناشر: مطابع القبس، الطبعة الأولى، الكويت ١٩٩٣ م، (١٥٢ صفحة).

يتميز كتاب «جريمة السطو الأكاديمي على كلية العلوم بجامعة الكويت» بميزتين تعطيانه أهمية أكبر في العرض هما كالآتي:

أولاً: إنه صدر للتو من المطبعة، **وثانياً:** إنه جديد من نوعه من بين الكتب التي صدرت حول الأعمال الوحشية التي قام بها العراقيون أثناء عدوانهم الظالم على الكويت، حيث إن الذين يتناولهم الكتاب من الأكاديميين العاملين في الجامعات العراقية، وممن يفترض فيهم الأمانة العلمية بالدرجة الأولى.. هؤلاء الأكاديميون كانت لهم اليد الطولى في السرقات التي تعرضت لها كلية العلوم، والتي يتناولها الكتاب بالعرض والتحليل المبرهن بالوثائق الرسمية التي تؤكد صحة ما جاء فيه من تدوين مفصل لأعمال السلب والنهب التي شملت كافة الأقسام، والمختبرات العلمية في كلية العلوم.

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول مع عدد كبير من الوثائق والإحصاءات والصور الملونة. تحتوي مقدمة الكتاب على «نبذة عامة عن حدث الغزو» والأعمال المرعبة التي قام بها الأعداء في جميع مؤسسات الدولة ومرافقها، علاوة على اقتحام البيوت، وانتهاك حرمة أماكن العبادة. حيث لم تسلم أكبر مؤسسة علمية في دولة الكويت من هذا النهب المنظم والسلب الشامل فقد امتدت أيدي الأعداء إلى المكتبات، والمختبرات، وقاعات الدرس والمحاضرات. ولقد طغى هؤلاء الأكاديميون في أفعالهم الفظيعة التي اقترفوها في رحاب جامعة الكويت على ما فعله التتار في أرجاء الجامع الأموي في دمشق في بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

كذلك تتضمن المقدمة «أهداف البحث» حيث توضح الدكتورة نورية العوضي . التي قامت بعمل هذا الكتاب الرائع الذي تكفلت بطباعته «وحدة برامج الأبحاث» بجامعة الكويت. إن أهداف هذا الكتاب هي كالآتي:

أولاً: توثيق عمليات السلب والنهب التي أقدم عليها العراقيون والدمار الكبير الذي تعرضت له كلية العلوم بكافة أقسامها، ومرافق الخدمة فيها.

ثانياً: فضح الجهاز الأكاديمي في جامعات العراق بسبب تورطهم في أعمال السرقة التي تعرضت لها كلية العلوم.

ثالثاً: دعوة الأوساط الأكاديمية والبحثية في العالم بأسره للعمل على معاقبة الجهاز الأكاديمي والبحثي في العراق على الجرائم العلمية التي فعلها في جامعة الكويت.

إنها دعوة جريئة من عالمة كويتية لعلماء العالم المخلصين للعلم وأهدافه الإنسانية.. ونحن بدورنا نسجل ثقتنا بأن علماء العالم بعد أن يطلعوا على ما جاء في الكتاب سيقفون وقفة العالم الواحد المنتصر لكلمة الحق ورفعته، كما وقف المجتمع الدولي مناصرا لقضية الكويت العادلة.

وأخيرا تحتوي المقدمة على «منهج البحث» حيث تؤكد الدكتورة نورية العوضي بأن الكتاب يشتمل على وثائق الغزاة المحتلين، وتقارير المسئولين في جامعة الكويت، وشهادة أعضاء هيئة التدريس. ونحن نضيف بأن الكتاب يتضمن وثائق دامغة تؤكد بشكل قاطع دور المؤسسات العلمية العليا في العراق في توجيه عمليات السرقة المنظمة، كما تبين هذه الوثائق دور العلماء العراقيين في أعمال الاستيلاء هذه دون خجل من العالم، أو خشية من العلي القدير. علاوة على هذا كله يشتمل الكتاب على صور ملونة واضحة تبرز مدى الدمار الذي لحق بجامعة الكويت في جميع أقسامها، وعلى وجه الخصوص المختبرات التي تضم أثمن الأجهزة العلمية، والمكتبات التي تحوي أندر الكتب الأكاديمية.

بعد ذلك تبدأ فصول الكتاب.

الفصل الأول عنوانه: لمحة تاريخية عن المسيرة الأكاديمية لجامعة الكويت خلال ربع قرن حيث توضح الدكتورة نورية العوضي تاريخ إنشاء جامعة الكويت، والمراحل التي مرت بها الجامعة في مسيرتها العلمية منذ عام ١٩٦٦م وحتى أغسطس عام ١٩٩٠ وهو تاريخ العدوان العراقي الغادر على الكويت. كذلك يحتوي الفصل على شرح مفصل لكليات الجامعة مع إحصاءات معتمدة من الجهات المسئولة في الجامعة لأعداد أعضاء هيئة التدريس، والطلبة في جميع سنوات الجامعة قبل العدوان الغاشم وبعده.

إضافة إلى ذلك يشتمل الفصل علي إيضاح مفصل لكلية العلوم منذ بداية إنشائها حتى تاريخ صدور الكتاب مع بيان واضح لأهم مرافق كلية العلوم وهي: الأقسام العلمية، ومكتبة كلية العلوم، والورش والوحدات الفنية المتخصصة.

الفصل الثاني عنوانه: الوثائق، وهو يتضمن وثائق واضحة تسجل بالدليل القاطع دور الأكاديميين العراقيين في نقل محتويات كلية العلوم إلى بغداد حيث اتخذ بعض هؤلاء الأكاديميين قاعات الدراسة مساكن لهم، وكانوا يعملون حتى ساعات متأخرة من الليل في فك وشحن الأجهزة والمعدات تحت توجيهات اللجنة الوزارية المشرفة على توزيع الموجودات، وقد تمت عملية نقل مقتنيات الجامعة خلال الفترة من ١٩٩٠/٩/٣١م وحتى ١٩٩٠/١١/٢٢م. وقد سجلت كل هذه الوقائع في الوثائق التي تضمنها هذا الفصل، بل إن بعض هذه الوثائق توضح الحالة النفسية لبعض أعضاء هذه الفرق موثقة بكتابات

العراقيين أنفسهم. ولعل من أهم الوثائق المنشورة في هذا الفصل الوثيقة رقم (٧) وهي عبارة عن أمر صادر من قبل عضو القيادة القطرية علي حسن المجيد بتاريخ ١٠/٢/ ١٩٩٠م، ويتضمن هذا الأمر تعليمات سرية ومستعجلة إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ مكتب الوزير، ووزارة التربية/ مكتب الوزير، ووزارة النقل والمواصلات/ مكتب الوزير، حيث ينص هذا الأمر إلى جميع هؤلاء بضرورة نقل جميع الموجودات بكافة أنواعها من جامعة الكويت والمؤسسات التعليمية في الكويت إلى العراق. ثم تؤكد الوثيقة رقم (١١) ما جاء في الوثيقة رقم (٧) حيث تنص الوثيقة رقم (١١) الصادرة من وزير التعليم العالي والبحث العلمي في العراق صبري رديف بتاريخ ١٥/١٠/١٩٩٠م أن يقوم رئيس جامعة البصرة باتخاذ اللازم في شأن نقل موجودات المؤسسات التعليمية بالكويت إلى العراق بعد اتخاذ الإجراءات اللازمة مع المسئولين الجدد العراقيين في المؤسسات العلمية في الكويت.

ومن الملفت للنظر حقا في الكتاب التقرير المقدم من «لجنة جرد كلية العلوم» والموقع من عمداء كليات العلوم في الجامعة المستنصرية وجامعة الكويت وجامعة بغداد وجامعة البصرة، الذي يوضح رأي اللجنة العراقية فيما يجب نقله من أدوات زجاجية ما زالت موجودة داخل حاوياتها، وما لا يجب نقله مثل البكتيريا والفيروسات والمواد الكيماوية الخطرة والنباتات الموجودة في البيوت الزجاجية، وغير ذلك من الأشياء التي يستحيل نقلها لأمر أو لآخر، مما يدل على الانتقاء الدقيق في عملية السرقة التي أشرف عليها هؤلاء اللصوص. وبعد انتهاء عملية نقل الأجهزة العلمية ابتدأت عملية نقل الأثاث كما هو مدون في الوثائق.

وتنطوي هذه الوثائق الإحدى والعشرين على أهمية كبيرة لاشتمالها على توقيعات وأختام أساتذة العلوم في الجامعات العراقية الذين لعبوا دورا رئيسيا في السرقات المنظمة لجميع موجودات ومحتويات كلية العلوم بجامعة الكويت.

الفصل الثالث: يتناول **تأثير الغزو العراقي على أقسام ومرافق كلية العلوم وانعكاس ذلك على المسيرة التعليمية والبحثية بالكلية** حيث تبين الدكتورة نورية العوضي في دراسة موضحة بالصور الوضع الذي آلت إليه أقسام الكلية بعد النهب والسلب الذي تعرضت له على أيدي الأعداء. فتذكر في كتابها هذا **أولاً**: المكتبة. **ثانياً**: قاعات الدراسة والمختبرات الدراسية. **ثالثاً**: الهيئة التدريسية وما حل بها من تناقص بسبب كارثة العدوان. **رابعاً**: الدراسات العليا حيث إن النهب الذي شمل كافة أقسام الكلية أدى إلى توقف برامج الدراسات العليا. **خامساً**: البحث العلمي حيث يوضح الكتاب ما حل بالبحث العلمي من شلل كلي نتيجة نقل جميع محتويات المختبرات العلمية إلى الجامعات

العراقية. **سادساً:** «وحدة المجهر الألكتروني» الذي توقف العمل به كلية وتعطلت أبحاث الكثيرين من الأساتذة الكويتيين في كلية العلوم نتيجة نقل المجاهر الألكترونية الخاصة بالبحوث العلمية البيولوجية والفيزيائية والكيميائية والجيولوجية وكل الأجهزة الرئيسية إلى كليات العلوم في الجامعات العراقية.

سابعاً: المشعبة التابعة لقسم النبات والميكروبيولوجيا التي تأسست عام ١٩٦٩م وانتهت تماما سنة العدوان. **ثامنا:** مربى الحيوان التابع لقسم علم الحيوان بكلية العلوم الذي نهب العراقيون كافة موجوداته بما في ذلك الحيوانات والتجهيزات والتركيبات الكهربائية المتنوعة. **تاسعاً:** ورشة الزجاج التابعة لقسم الكيمياء التي سلبت ثم دمرت تدميرا شاملا على أيدي الأعداء. **عاشراً:** وحدة الوقاية من الإشعاع التي تخدم مختلف أقسام الجامعة بالتعاون مع لجنة السلامة الإشعاعية بكلية العلوم التي تم تشكيلها عام ١٩٧٩م، وقد تم نقل جميع مكوناتها بناء على أوامر الدكتور عدنان الربيعي (وثيقة رقم ١٦). **حادي عشر:** الورشة المركزية التابعة لقسم الفيزياء التي أنشئت منذ حوالي خمسة وعشرين عاما، وقد عمل العدوان الوحشي على تجريدها من جميع ما كان فيها من أجهزة ومعدات وخامات وتجهيزات كلفت الجامعة حوالي مليون دينار، ناهيك عن الخسارة العلمية والفنية والتجريبية التي وقعت من جراء القضاء الشامل على هذه الورشة. ويتميز هذا الفصل بوجود عدد كبير من الصور الملونة التي توضح فداحة الأعمال التدميرية التي عملها العراقيون في أقسام كلية العلوم.

الفصل الرابع من كتاب «جريمة السطو الأكاديمي على كلية العلوم» هو: **أقوال المسئولين وبعض أعضاء هيئة التدريس الذين عاصروا الكلية قبل وبعد الاحتلال،** ويأتي على رأس هؤلاء المسئولين مساعد مدير الجامعة للأبحاث الدكتور علي محمد أكبر، والدكتورة وسمية الحوطي الأستاذ المساعد في علم الحشرات بقسم علم الحيوان، والأستاذ الدكتور شاندرا موهان باريك الأستاذ بقسم الرياضيات في جامعة الكويت، والأستاذ الدكتور محمد أفضل أستاذ المنتجات الطبيعية بقسم الكيمياء الحيوية بجامعة الكويت، والأستاذ الدكتور ديفيد أوليس أستاذ الكيمياء العضوية بجامعة شيفلد بالمملكة المتحدة.

ويشهد هؤلاء الأكاديميون الشرفاء من أبناء الكويت والدول العربية الشقيقة ودول التحالف بأن جامعة الكويت كانت من أبرز الجامعات في الدول العربية، وبدأت تحظى بمكانة دولية في العالم حتى جاء العدوان الوحشي فجعلها كعصف مأكول..

ومن هنا جاءت أهمية **الفصل الخامس** الذي تبين فيه د.نورية العوضي عملية **إعادة**

البناء إلى الجامعة بشكل عام وكلية العلوم بوجه خاص. فتذكر مختلف الأعمال البناءة التي اجتهد كل من ينتمي إلى كلية العلوم بعملها كل في موقعه أساتذة ومساعدين وفنيين وطلبة.

وفي ختام هذا العرض لهذا الكتاب القيم الذي يضيف إضافة جوهرية إلى مكتبة التحرير في تاريخ الكويت، لا يسعني إلا أن أدعو الأكاديميين والعلماء المخلصين في العالم أجمع بضرورة الاطلاع على هذا الكتاب وقراءة ما جاء فيه من وثائق دامغة تؤكد وحشية العدوان العراقي، والأفعال غير الإنسانية والأعمال الهدامة التي ارتكبتها أيدي الأكاديميين العراقيين، وعلى رأسهم الدكتور عدنان ياسين عميد كلية العلوم بالوكالة أثناء وقوع الكويت تحت العدوان الغادر.

تحية من القلب إلى الأستاذة الدكتورة نورية العوضي ليس فقط لمساهمتها في تدوين الكتاب، وإنما أيضا للجهود العديدة التي قامت بها من أجل تحصيل الوثائق اللازمة والصور الفوتوغرافية التي تؤكد صحة ما جاء في سطور هذا الكتاب الوثائقي الرائع.

* * *

اقرأ في العدد القادم

الشريف المرتضى:
حياته وثقافته وأدبه ونقده

د. أحمد محمد المعتوق

النقطة المتحولة
أربعون عاماً
في استكشاف المسرح

تأليف: بيتر بروك

ترجمة: فاروق عبد القادر

عثمان عبد المعطي عثمان

المعهد العالي للفنون المسرحية - الكويت

الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩١م، (٣٣٥ صفحة).

مؤلف الكتاب هو المخرج المسرحي «بيتر ستيفن بول بروك»، وهو واحد من كبار مخرجي العصر الحديث في العالم. وهو في كتابه هذا لا يتبع المنهجية العلمية التقليدية سواء من الناحية التاريخية أو التحليلية، ولذا نراه في أغلب صفحات الكتاب يكثر من الأسئلة التي قد يجيب عليها، وقد يتركها للقارئ لتوحي بالشك أو الجدل أو اختلاف وجهات النظر، وأحياناً ما تدعو إلى التأكيد أو التأييد.. بجانب نشره لبعض اللقاءات بين كبار النقاد والصحفيين، وهذا ما أعطى للكتاب صفة خاصة يحتاج إليها البحث العلمي والفني التخصصي في عالم المسرح وتجاربه الدائمة والمتجددة منذ العصر اليوناني وحتى الآن. كما أن الكتاب يخلو من الحشو، ويبرز قضايا مسرحية، وفنية، وتكنيكية يختلف حولها كثير من مخرجي وعلماء ومؤرخي ومُجرّبي المسرح الحديث.

والكتاب يقع في ٣٣٥ صفحة ذات القطع ٦٨سم X ١٠٥ سم، ويبدأ بتقديم عن الكاتب والكتاب للمترجم، ثم تسعة فصول يهدف كل فصل فيها إلى عرض قضية محورية في علم المسرح تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً وجمهوراً ونقداً، مع تدعيمها بآراء وتجارب ونتائج معملية فنية لرواد المسرح في العصر الحديث، في بلدان أوروبا الغربية أو الشرقية، أو أمريكا، أو تجارب مسرحية متميزة لدول آسيوية أو إفريقية ...إلخ.

ولعل أبرز ما يشتمل عليه الكتاب أننا نتعرف على السيرة الذاتية لبيتر بروك مرتبطة ارتباطاً جذرياً بإبداعاته وتجاربه في المسرح والسينما والأوبرا، ومشاركاته ولقاءاته لذلك الكم الهائل من الفنانين والكتّاب والنقاد الذين قابلهم وعمل معهم، أمثال: بيكيت وجروتفسكي وسلفادور دالي ودورينمات وجون جيلجوود وتيد هيوجز، وچين مورو ...إلخ.

وبيتر بروك من مواليد ١٩٢٥/٣/٢١م، وقد تلقى علومه في جامعة أكسفورد وتخرج فيها عام ١٩٤٤م، وبدأ مهنة الإخراج المسرحي عام ١٩٤٥م في المسارح الرسمية. وفي عام ١٩٤٩م أخرج لشكسبير مسرحيات: الملك چون، وخاب سعي العشاق، ولبرنارد شو بيجماليون، ولإبسن سيدة البحر، ولديستوفسكي الإخوة كرامازوف، ولسارتر جلسة سرية.. بعدها بأعوام قليلة أصبح من كبار مخرجي العصر الحديث في العالم، حيث تابع إخراج أعمال شكسبير: روميو وچولييت، تيتوس أندرونيكوس، دقة بدقة، الملك لير، بجانب «السود» لچان چانييه، U. S ـ تأليف جماعي.

وفي عام ١٩٦٤م اشترك في تأسيس جماعة للبحث المسرحي في (لامدا LAMDA) في لندن، وبدأوا البحث في الإيحاءات والمؤثرات الصوتية والصوت الإنساني وحركة الممثل.

وفي عام ١٩٧٠م يغادر انجلترا تاركاً فرقة شكسبير الملكية، ليشترك مع زملاء له في التجريب المسرحي بباريس ثم في إيران، وفي أماكن مختلفة من العالم حيث جرّب

فن الارتجال بأفريقيا وطوكيو. وقد نشأ «بروك» في وقت كان يسيطر على المسرح العالمي مخرجون مسرحيون عالميون أمثال (ستانسلافسكي، أوتو براهم، ماكس راينهاردت، الكسندر تايروف.. وآخرين)، كانوا في الأساس ممثلين مسرحيين، ثم أجادوا مهنة الإخراج بجانب دراساتهم، وأما «بيتر بروك» فلم يمارس التمثيل، ولم يدرس الإلقاء، بل تولى الإخراج مباشرة، وبزَّ فيه، فأثبت أنه رائد من رواد «مسرح المخرج» الحديث، ذلك المسرح الذي طالب فيه بوضع كل الخطوط الهامة والرفيعة في يد المخرج. كما أنه استفاد استفادةً شخصية من نظريات وموهبة المخرج والممثل والرسام الإنجليزي «إدوارد جوردون كريج».

(١)

والممارسة هي أهم وسيلة للإبداع عند «بروك»، فهو يقول في كتابه (المساحة الفارغة): «إنني أستطيع أن أعلّم أي شخص كل ما عرفته عن قواعد المسرح وتكنيكه في ساعات قلائل، أما الباقي فهو الممارسة...»[١]. كما أنه في الوقت نفسه يعتبر طريقة تجهيز المخرج لحظة إخراجه مسبّقاً طريقة فاسدة ـ كان يتبعها في بداياته. ويرى أنه من السخف ومن المستحيل استبدال الممثل بشخصية كرتونية هَشّة بلا حياة ولا دم ولا حوار، لأنه من واقع التاريخ والتجربة المسرحية «أن أكثر أشكال المسرح التزاماً هي التي غرقت في دوّامات النظرية»[٢] المسبقة، وأما المفهوم الإخراجي فلا يتبلور إلاّ في نهاية عملية الإخراج.

وعن العلاقة بين الممثل والمخرج يرى «بيتر بروك» أن مهمة المخرج هي الإثارة الدائمة للممثل، ومحاصرته بالأسئلة حتى تتكون أفكاره ومشاعره بما يتوافق مع المسرحية، وأن كل ابتكار من الممثل لا بد أن يقابله ابتكار من المخرج، وأن اعتصار ما يمكن اعتصاره من النص المسرحي يقع على عاتق المخرج مع الممثل، والأوفق أن يستخدم المخرج وسائطه التعبيرية لتجسيد رؤيته الفنية، شأنه شأن رُبّان السفينة القابض على الدفة، والدارس للخرائط، بشرط أن يستجيب لأي اقتراح بنّاء ومُبدع يفيد الهدف العام أو الخاص للمسرحية. ويحذر «بيتر بروك» ذلك الممثل الأناني الذي ينسى القاعدة الذهبية التي مفادها: «على الممثل ألا ينسى أبداً أن المسرحية أعظم منه، وإذا ظن أن بوسعه أن يقيهما في قبضته، فستكون النتيجة اختزالها لتصبح على قدّه»[٣].

ويعاود «بروك» السخرية من هؤلاء الذين يرون أن العمل المسرحي يدور فوق خشبتين هما: خشبة فترة البروفات، وخشبة فترة العرض للجمهور، ويحدّد أن العملية تمر بمرحلتين هما: الإعداد، والميلاد، وأن الإعداد قد يستمر لدقائق أو لسنوات، ولا يجب أن يتمخض عن شكل مفروض، بل يأتي طواعية في أكثر لحظات الإبداع حرارة وسخونة، خاصة عند الممثل.

وفـي موضوعية علـمية وفنـية يعترف «بروك» بأنه كان شغوفاً بخلق عالـم من الأصوات والصور والعلاقات الـمباشرة وغير الـمباشرة مع الـممثلين، ولـكنه تأكد من واقع التجربة أنه لا يجب أن يتأثر بالدعاوي النظرية وحدها، وأنه يجب أن يوظف كل العناصر والوسائل من إضاءة إلى ألوان إلى أزياء إلى ماكياج إلى جانب النص والأداء، ويلعب بكل العناصر والأشكال التعبيرية لـخلق لغة إخراجية يكون الـممثل فيها اسماً فقط، وهذا ـ في رأيه ـ مفهوم (الـمسرح الشامل) في أقصى درجات تطوره.

ويوضح الـمؤلف ضرورة قدرة الـمخرج على استكشاف الرأيين الـمتناقضين في الصراع الدرامي وعرضهما بصدق ودرجة واحدة من التفهم، وإلا ضعف وفشل عمله، أو بمعنى آخر: تشجيع كل التيارات الـمتعارضة الكامنة وراء النص.

ويتساءل الـمؤلف عن السبب في سطوع نجم ممثل ما قائلاً: «غالباً حين يصل الـممثل أو الـمخرج إلى طريقة أخّاذة في أداء مشهدٍ ما، فإنك لا تستطيع أن تحدد ما إذا كان الـمقوم الرئيسي راجعاً إلى إبداعه الـخلاّق، أو أنه كان هناك دائماً بانتظار أن يكتشفه أحد»(٤).

(٢)

وفي بداية الفصل الثاني يطالعنا الـمؤلف بأثر التأثير والتأثر قائلاً: «لا شيء أسوأ من أن يصبح الإنسان «ماركة مسجلة»، يتـميز بتوقيع خاص، ويُعرف بين الناس بخصائص معينة ومحدودة... معروفاً بأسلوبه الـخاص، ثم يصبح هذا سجنه... نحن نعمل في مجالٍ يجب أن يبقى مفتوحاً للتبادل الـحر»(٥).

وينبري الـمؤلف بعد ذلك مدافعاً عن نظريات ومحاولات «إدوارد جوردون كريج» حين طالب بإبدال الـممثلين بالدمى، وطريقة تصميم الـمناظر والستائر الـمطوية سعياً وراء خلق الـجمال الشكلي على الـمسرح، ثم تجربته الرائدة في «دراما الـمغفلين» التي كتبها في ٣٦٥ مشهداً للعرائس، وصمم مناظرها وثيابها، وحل معادلة كيفية إدخال وخروج خيوطها عبر الأبواب. ويختم دفاعه بترديد: «في الـمسرح حكماء قليلون، دافعوا عن مُثلهم بحرارة»(٦).

ويفتح «بروك» النار على الـمتسببين في الأزمة التي تواجهها كل أشكال الـمسرح في العالـم متسائلاً: هل هو الـجمهور؟ أو أشكال دور العرض الـخاطئة؟ أو التأثير التجاري لـمتعهدي العروض؟ أو افتقار الـجسارة عند الـمؤلفين؟ أو خُلو العالـم من الـموهبة والشعر؟ أو انتهاء عصر الـمديرين والفنيين الـمسرحي؟ أو يكمن الـحل في الغناء والرقص؟ وفي النهاية يقرر: «ما اعتبر يوماً أنه اللغة يبدو الآن مفتقداً للحياة عاجزاً عن التعبير عمّا يدور بالفعل داخل الإنسان، وما اعتبر يوماً حبكة يبدو الآن لا حبكة فيه على الإطلاق، وما اعتبر يوماً أنه «الشخصية» يبدو الآن مجرد مجموعة نمطية من الأقنعة»(٧).

ويتعرض «بروك» لـموضوع طبيعة الوهم الذي أطلقه «برتولت بريخت»على مسرحه

الملحمي من حيث استسلام المتفرجين لحالة من الغشية المفرطة الشبيهة بالحلم، وقال: إن هذه الحالة تسري على السينما أكثر مما تسري على المسرح، مع بعض التحفظات، وأنها تفعل بالمتفرج فعل المخدِّر بالمريض. وأما خشبة المسرح فإنها تعاملنا باعتبارنا فنانين وشهوداً مستقلين ومبدعين. ويزيد «بروك» على ذلك قائلاً: «إن بريخت وأنتونين آرتو لا يمثلان الحقيقة الفنية المطلقة، بل جانباً منها»(٨).

ولبروك رأي في مدرسة الرواية الفرنسية الجديدة التي يتصدرها (روب جرييه، مارجريت دورا، ناتالي ساردت) فهي تبتعد عن التحليل وتكتفي بعرض الحقائق دون تفسير أو تعليق. ثم يتساءل عن قصور المسرح الحديث في البحث عن أشكال شعبية جماهيرية تجريدية كما فعل (بيكاسو) في تجريديته الشهيرة (جاليري تيت). ويؤكد «بروك» أن المسرح متخلف عن بقية الفنون، لأن حاجته الدائمة إلى النجاح العاجل تقيده إلى أكثر جمهوره بطئاً وتخلفاً»(٩)، وفي الوقت نفسه يدعو إلى ربط تجريدات القرن العشرين بسرعته وتوتره وهوسه وطاقته وقسوته بحرفة الممثل وطقوسه التمثيلية، حتى يتم التوصل إلى مسرح جديد يساير العصر وأسلوبه.

وعن مضمون مسرح صمويل بيكيت يرى «بروك» أن رموزه قوية ذات إبداعاتٍ أدبية، وأما مسرح «جيرزي جروتفسكي» فهو المسرح الذي بحث في طبيعة التمثيل وظواهره ومعناه وعملياته الفعلية ـ الفيزيقية ـ والانفعالية، وذلك بعد ستانسلافسكي، وأنه المسرح الوحيد الفقير الذي لا يعدُّ فقرُهُ نقصاً فيه، وأنه مسرح مرتبط بشروط التجريب. وقد أجرى «بروك» مقارنة ما بين أسلوب جروتفسكي وأسلوبه هو في التجريب القائم على مقاسمة الجمهور الخبرة الجماعية. كما يعقد مقارنة ما بين مسرح (كريج) ومسرح (بريخت) من حيث التمثيل وخدع الماكياج والصوت، ويرى أن هناك ارتباطاً مثيراً بينهما، وخاصة في الثورة البصرية التي أحدثها كريج، وقوة التمثيل عند بريخت، وأنه لم يحدُث فهم لكريج كما حدث عدم فهم لاستانسلافسكي وأسيئ فهم بريخت، وأن المسرح عند آرتو: نار، وعند بريخت رؤية واضحة، وأما عند استانسلافسكي فهو الإنسانية، وأما أحسن فرقة في الدنيا عند «بروك» فهي فرقة (البرليز انسامبل) لتخصيصها أوقاتاً طويلة جداً للتدريبات العلمية والفنية.

(٣)

والمشكلة التي يثيرها «بروك» عن المسرح الاجتماعي جديرة بالاهتمام، فهو يقول: «المسرح الاجتماعي مات ودفن. المجتمع بحاجة إلى تغيير، وهي حاجة مُلحَّة... (و) المسرح الاجتماعي لا يستطيع أن يبلغ هدفه بالسرعة الكافية، والوقت الطويل الذي يستغرقه التصوير يرغمه على تبسيط قضيته، وهي ـ على التحديد ـ النقطة التي يثيرها خصومه»(١٠).

ويحل عام ١٩٦٤م فيعلنه «بيتر بروك» عاماً لمسرح القسوة، وذلك احتفاءاً بالمؤلف والممثل والمخرج المسرحي الفرنسي «أنتونين آرتو»[١١] وجهوده في خدمة الفكر والمسرح العالمي والتجريب المسرحي.. ويعترف «بروك» بأن آرتو لم يستطع أن ينفذ أفكار مسرحه للأسف، وأن الذي خرج من مسرحه يعتبر أقل القليل، وبهذا القليل تسلّح «بروك» وجرَّب، فقاده التجريب إلى شيء جديد من أشكال التعبير أساسه الكلمة والناحية الطقسية والشعائرية التي تدخل في صُلب الأداء فتمس جمهور المشاهدين ومشاعرهم من خلال الفظائع التي تهاجمهم.

وعن عرض دراما (U. S ـ نحن والولايات المتحدة) الذي أخرجه «بروك» لفرقة شكسبير الملكية والذي استهدف الفيتناميين وحربهم مع الولايات المتحدة الأمريكية يقول: إنه من العروض الغريبة غير المألوفة، وقد صُمِّم ليبعث في المشاهدين عدم الرضا، ويولد صعقة لهم. والدراما بشكلها ومضمونها التي ظهرت بها كان من الصعب تكليف أحد الدراميين لكتابتها، وذلك بسبب الوثائق والمستندات المشينة والمهينة لأمريكا والتي هي ضد الإنسانية ومعاداة حقوق الإنسان في هذه الحرب. والدراما تأليف جماعي اشترك فيه الممثلون (وعددهم ثلاثون ممثلاً) مع المخرجين والدراماتورجية ومساعدو الإخراج ومصممو الديكور.. وقد أمضوا خمسة عشر شهراً في التدريبات قبل ظهور العرض، واعتمدوا على الارتجال والتحليل، ثم إعادة التدريب مع الاستعانة بجميع الوثائق والتحقيقات. وقد تعرضت المسرحية لدور بريطانيا الحقيقي في هذه الحرب ومسئوليتها. وقد دعا «بروك» المخرج البولندي «جروتفسكي» أثناء التدريب ليقدم بعض الأفكار المساعدة. وقد سبَّب هذا العرض مشكلة في مجلس اللوردات الإنجليزي من حيث الموافقة عليه أو عدم الموافقة. وأخيراً تتم الموافقة على عرضه. وبعد سنتين تُلغى الرقابة تماماً على المسرح في بريطانيا. وقد استمر عرض المسرحية خمسة شهور متتالية، ثم تحولت إلى فيلم بعنوان (اكذب عليَّ) أنتجه وموّله سبعون شخصاً أمريكياً، بينهم أطباء ورجال أعمال. ثم يطالعنا «بروك» بتجربته في إخراج مسرحية «أوديب» للروماني سينكا، والذي أخرجها للمسرح القومي الإنجليزي عام ١٩٦٨م، والذي لم يهتم في وجهة نظره الإخراجية بتاريخية الدراما أو جوها القديم بقدر ما ركّز على المسرح الشامل، وعلى تطبيق أفكار آرتو وبريخت لتتوافق مع المشاهد الدموية والسادية الفكرية والحرفية في الكتابة التي تظهر في أسلوب وطريقة سينكا. وقد عهد «بروك» للشاعر (تاد هيوجس TED HUGHES) لإعادة تركيبها اللغوي لتصبح عباراتها خبرية فيها تركيز وتكثيف للأحداث. ويرى «بروك» أن حوار دراما سينكا ينقصه الحجة الدرامية المقنعة، وهو أقرب إلى مسرح (النو) الياباني. وقد وظف بروك كورس الممثلين توظيفاً طقسياً وبدائياً مصحوباً بالموسيقى الالكترونية، كما صمم الديكورات والملابس والإضاءة

بنفسه، وحقق بذلك العرض فكرة «مسرح الضوضاء» من خلال الفكر الإخراجي العنيف.

(٤)

ومن خلال إخراج «بيتر بروك» لمسرحيات شكسبير: روميو وجوليت، تيتوس أندرونيكوس، خاب سعي العشاق، الملك لير، الملك جون، قصة الشتاء، هملت، العاصفة، حلم منتصف ليلة صيف، يسوق لنا تحليله الأدبي والفني في مسرح شكسبير من خلاله خبرته الإخراجية، فقد جعل من روميو وجوليت دراما تقذف بالبطلين الشابين وسط أعاصير المعاناة والمكابدة عندهما، وهما يفقدان حياتهما من أجل غضب ورعونة الأسرتين، وهذا مدخل «بروك» للعرض الذي أفزع الجمهور منذ اللحظة الأولى. كما قرّب شكسبير من العصرية الجديدة بإجراء الحذف في الحوار والاختصار اللازم لموافقة العصر الحالي، وتقليل مشاهد الدماء وإبراز الشعبية(١٢) للجماهير وطبقتها المتوسطة، كما جعل من درامات شكسبير مجالات للتجديد والتجريب انطلاقاً من إيمانه بأنه لا يجب على المخرج أن يعطي للكلمة كل المسرح، وأن تجسيد الكلمة الدرامية عمل مقدس في المسرح الجاد الناجح. وقد عمل «بروك» في إعداد وإخراج «تيتوس أندرونيكوس» لمدة عام كامل.. أربعة شهور للتعديلات وثمانية شهور للإخراج، وقد صمم مناظرها وأزياءها وأعدَّ موسيقاها بنفسه، واستخدم ميكروفونات داخل البيانو، وبجانب بدّالة البيانو لتجسيد وتضخم الصوت والموسيقى ليصل بذلك مع آلات موسيقى العصر إلى طبيعة العصر الروماني بقسوته وعنفه، وكأنه يعزف معزوفة طقسية شعائرية وبدائية. ونجد نفس الطقسية في إخراجه (لحلم منتصف ليلة صيف).

يقول «بروك»: «حين أخرجت (خاب سعي العُشّاق) كانت في ذهني مجموعة من الصور أودُّ أن أبعثها إلى الحياة، كما يُصنع الفيلم تماماً، وهكذا جاءت... عملاً بصرياً إلى أبعد الحدود، سلسلة من الصور المسرحية بالغة الرومانسية. من وقتها وطوال الفترة التي انقضت حتى أخرجت «دقة بدقة» كنت أعتقد... أن التصميم والإخراج لا يمكن أن ينفصلا... وأخيراً ومع تزايد عملي أكثر وأكثر خارج المسارح ذوات البرواز المسرحي، وفي أشكال من المسرح تقل فيها الصورة النهائية للعمل ضرورة وأهمية أصبح واضحاً عندي أن مسرحية لشكسبير ـ وبالتالي لأي عرض لشكسبير ـ يمكنها أن تمضي إلى ما وراء الوحدة التي يستطيع خيال فرد واحد أن يبلغها، إلى ما وراء خيال المخرج والمصمم»(١٣).

وعند إخراجه لمسرحية «الملك لير» يقول: «أعظم مسرحيات شكسبير... صعوبة... والبناء الكلي للمسرحية هو المعنى المركب لثمانٍ أو عشر من جدائل الحكايات المستقلة والمتساوية في الأهمية في النهاية... والمشكلة الرئيسية التي شغلت تفكيري طوال السنة التي قضيتها أعد هذا العرض هي (كيف) أحدد للعرض مكاناً بعينه

وزماناً بعينه... ولا أظن أن هناك مكاناً للموسيقى في لير على الإطلاق... (و)شكسبير لا ينتمي للماضي، ولو كانت المادة التي يقدمها صحيحة، فهي صحيحة الآن... وعندي أن أعمال شكسبير الكاملة تشبه نظاماً متكاملاً للشفرة تستثير كل شفرة منه ذبذبات ونبضات فينا، وعلينا أن نحاول ـ على الفور ـ أن نجعلنا كلاً متماسكاً»[١٤].

(٥)

وفي عام ١٩٧٠م انتقل «بيتر بروك» إلى باريس التي سبق أن أقام بها ورشة مسرحية عام ١٩٦٨م حين دعاه «جان لوي بارو» ليكون أحد العاملين في مسرح الأمم. وأنشأ مركزاً للأبحاث ثم ألحقه بمركز للإبداع، وعمل على إجراء تجارب للبحث عن طرق جديدة للأداء وتنشيطه. وتجاربه في هذا المركز هي التي وجهته إلى فكرة (المسرح الميت أو الساكن، والمسرح المقدس، والمسرح الفج الخام، والمسرح المباشر).

وقد ساند هذا المركز مؤسسات دولية أولها مؤسسات فورد واندرسون في الولايات المتحدة. وضم المركز ممثلين من كل أنحاء العالم واعتبر نقطة لالتقاء الثقافات المختلفة. وكانت المهمة الأولى لهذا المركز من خلال تدريباته وعروضه المسرحية هو وضع نهاية للتنميطات الجاهزة، أو حسب قول «بروك»: «كان هدفنا أن نبحث في المسرح عن شيء يمس الناس جميعاً كما تفعل الموسيقى»[١٥]. ولذا كانت أبحاث المركز في السنة الأولى تتركز حول دراسة تكوينات الأصوات. ومن خلال الدراسات والعروض توصلوا في هذا المركز إلى أن الارتجال تكنيك صعب على نحو استثنائي ودقيق ومختلف كل الاختلاف عن تلك الفكرة، بالغة العمومية عن «الحادثة» أو «الواقعة التلقائية».

«وفي أول ديسمبر ١٩٧٢م، أقلعت جماعة من ثلاثين شخصاً، ممثلين، وفنيين ومساعدين، من باريس إلى أفريقيا مع المخرج بيتر بروك، وكانت بداية رحلة استمرت ثلاثة شهور مع أحد عشر ممثلاً و «تاد هيوجس» من البحث والعمل التجريبي، تحت إشراف المركز الدولي لأبحاث المسرح في باريس»[١٦].

وقد واصل طريقه إلى داخل القارة الأفريقية.. يصلون إلى داهومي ثم إلى توجو فنيجيريا والنيجر ومالي، وعرضوا ثلاثين عرضاً مسرحياً بجانب التدريب اليومي. وكانت رؤيا (المسرح المباشر) عند بروك في هذه العروض هي المصدر والإلهام. وقد سعى بروك في هذه الرحلة إلى إيجاد لغة مسرحية كشكل من أشكال التقابل الجماهيري بعيداً عن لغة القوم أنفسهم. وكان الصدق في هذه العروض هو الوسيلة الوحيدة في التعبير.

وتحاول الفرقة في قصة رمزية من التاريخ الإيراني القديم بعنوان (مؤتمر الطيور) أن تعتمد على البانتومايم وعصي الخيزران وأصوات الطيور وصرخاتها وعلى علب كرتون. وقد سافرت الفرقة بهذا العرض إلى كاليفورنيا ثم إلى بروكلين ليشترك في تمثيلها

الجمهور هناك. وقد ساعدت الأسطورة وطريقة معالجتها إلى دخول الممثلين إلى مناطق تمثيلية وانفعالية لم يكونوا على علمٍ بها من قبل.

(٦)

وفي ندوة حول مساحات المسرح اعترف «بروك» بأنها مساحات عسيرة وأنه في كل تجاربه استطاع أن يثبت أن الجمهور لن يحس أبداً بأنه يفتقد الراحة إذا أصبح التمثيل أكثر دينامية وحيوية.

وعن طريقة بناء المسارح أرشد «بروك» المعماريين بقوله: «لا تجهدوا أنفسكم في وضع تخطيطات للمسرح، انسوا القواعد الرياضية ولوحات الرسم لفترة قصيرة، وخصصوا ثلاثة أو ستة شهور لإقامة علاقات بأناس من مختلف المهن، راقبوهم في الشارع وفي المطاعم وأثناء مشاجرة، كونوا عمليين، اقعدوا على الأرض وتطلعوا لفوق، اصعدوا قدر الإمكان وانظروا أسفل منكم، امضوا إلى ما وراء الناس، وفي وسطهم وأمامهم، ثم استخلصوا النتائج العلمية والهندسية من التجربة التي اكتسبتموها..»[١٧]، وختم ندوته عن المساحة في المسرح قائلاً إنها ليست مهمة من الناحية النظرية ولكنها هامة من حيث هي أداة، وأنه ليست هناك قواعد صارمة تحدّد ما إذا كانت المساحة حسنة أو رديئة.

ويعرض لنا «بروك» تجربته مع «لي ميشيلين روزان» في مسرح «البوف دي نور» (Les Beuffes Du Nord) حينما اتخذا قراراً بأن يبقيا المسرح كما كان عليه منذ مائة عام، وأن يعيدا إليه الحياة الجديدة بأسرع ما يمكن ليقدما عليه مسرحية (تيمون الأثيني) لشكسبير. وقد قدمها بروك» باللغة الفرنسية، كما أن المسرح كان ضعيف التقنية.. وفي هذا العمل تمّ تبادل الآراء والخبرات والمعارف بين الممثلين والمخرج، في الوقت الذي تبقى فيه حدود مهمة كل منهما.. وعن أسلوب تدريب الممثلين يقول «بروك»: حاولنا في تيمون الأثيني استخلاص أهم الأهميات من الممثلين بواسطة التحليل المخي الدماغي CEREBAL (يقصد بروك التحليل العقلي الذي يتطلب انتباهاً شديداً وتفكيراً مُركّزاً يخاطب العقل لا الوجدان).

ويتضح الجديد في أسلوب «بروك» التجريبي عندما قدّم الدراما الهندية (مهابهاراتا) (MAHABHARATA) التي تتألف من عشر قصص قصيرة وتقوم على الأساطير والخرافات عند الهندوس HINDUS والبوذيين BUDDHISTS وهي أساطير تمتلئ بالمعارك والحب والتضليل والخدع والكيد والتآمر والعلاقات الغرامية السرية، ويتولد النشاط المسرحي عند الممثلين فيها بحركتهم في المسرح ووسط مناظر واكسسوار البيئة. كما لجأ «بروك» إلى الأساس الهندي في البيئة الآسيوية ليكتشف عناصر الدراما. وقد اختار ممثلي هذه الدراما من عدة جنسيات مختلفة لتحقيق كونية المسرح المعاصر.

(٧)

وعن فن الأوبرا، أو كما يسميه «بيتر بروك» فن الضجيج، يصارحنا بأن الأوبرا على يد كل من (فيردي، بوتشيني، ڤاجز) كان ذا نغمة واحدة، ثم تحول إلى أغنية، وفي مرحلة لاحقة بدأ تقنين هذه العملية وبناؤها وتحوّل إلى فن، ولكن في لحظة تجمّدَ شكل هذا الفن، وتطوّر في أسلوبه بعد ذلك على يد (مونتفردي، جلوك) ثم أتى (موزار) حيث زاوج بين ما هو متكلف، وبين ما تضج به الحياة.

ثم يحيطنا «بروك» علماً وخبرة بما توصّل إليه من خلال إخراجه لأوبرات (سالومي، فاوست، أبوچين أونيچين، كارمن): في سالومي «طلبتُ من سلفادور دالي أن يضع لنا تصميم «سالومي» لموسمنا في سنة ١٩٤٩م على «الكوفنت ـ جاردن»... (و)الذي يحدد أسلوب عرض «سالومي» الموسيقى ونص الكلمات... (ولذا) شرعنا في عمل دراما موسيقية حقيقية بأسلوب الرسّامين الدينيين الكبار»[١٨].

وعن أوبرا فاوست قال: «قررنا ـ المصمم رولف جيرار، وأنا ـ أن نخلق إطاراً لفاوست من الوزن الصحيح، ورأينا أنها... عمل رومانتيكي يمكن أن يكون محبوباً من أوائل القرن التاسع عشر مثل حكايات هوڤمان»[١٩]. وعن أبوچين أونيچين قال: «كانت تتطلب صوراً مثل صور تورجنييف عن الحياة الريفية الروسية، ومنهجاً مثل منهج ستانسلافسكي ومسرح الفن في تناول التفاصيل الواقعية، وهذا بدوره يقتضي تصميماً للمناظر يتسم بالصلابة وإمكانية التصديق، مما يستغرق وقتاً طويلاً لتغييره. ولم يكتب تشايكوفسكي أية مقطوعات افتتاحية، فلا وقت يسمح بتغيير مكان مقعد أو برقع ستارة خلفية»[٢٠].

وعن أوبرا كارمن يقول: «كان ضرورياً... تغيير كل الشروط مرة واحدة. في الماضي كانت الأوركسترا قليلة العدد، في مكانها أسفل الخشبة بقليل... نمت... وتكاثرت مثل نبات الفطر العملاق، واندفعت أعمق تحت الخشبة»[٢١].

(٨)

وفي الفصل الثامن من كتابه يعرض لنا «بيتر بروك» تجربته الإخراجية في السينما بعد أن أخرج عدة أفلام عن مسرحيات سبق أن أخرجها للمسرح، ومن هذه الأفلام: الملك لير ـ مارا/صاد ـ إحك لي الأكاذيب عن مسرحية U. S. كما أخرج روايتي: (إله الذباب) ـ (موديراتو كانتابيل). وقد اتبع أسلوباً جديداً في التصوير وتحديد وجهة نظر الإخراج في أثناء إخراج (مارا/صاد) ـ تحدث عنه ـ وذلك باستخدام «ثلاث كاميرات أو أربع تعمل بدون توقف، وتستهلك مئات الياردات من الفيلم الخام، صورنا العرض مثل مباراة في الملاكمة. تقدمت الكاميرات وتأخرت، لفّت وزحفت، محاولة أن تسلك على نحو ما يحدث في عقل المتفرج، وأن تستثير تجربته، وأن تتبع التماعات الفكر المتناقضة،

والضربات واللكمات التي ملأ بها بيتر ڤايس مستشفاه هؤلاء المجانين، وفي النهاية حاولت أن أقتنص وجهة نظر ذاتية جداً حول الحدث، ولم اكتشف إلا فيما بعد أنه في هذه الذاتية يكمن الاختلاف الحقيقي بين الفيلم والمسرح»[٢٢].

وعندما أخرج «بروك» رواية (موديراتو كونتابيل) هاجمه الصحفيون بسبب جمود الكاميرا وقالوا إن السبب هو أنه أتى من المسرح وأنه لا يعرف شيئاً أفضل. ورد عليهم «بروك»: بأن تجربة إخراج الفيلم كانت إعداد صُوَرْ متحركة دون حدث، مع الإعتماد على البناء الداخلي المتماسك للشخصيات والتي يحملها الممثلون الذين تدربوا وأعدوا للحياة الداخلية للشخصيات التي يمثلونها، وأن دوره اقتصر - بعد أن وجد أماكن التصوير - أن يحدد وضع الكاميرا ويتركها تراقب ما يحدث دون تعليق، وكأنها تقوم بعملية تسجيلية ووثائقية تتوافق وتخدم أحداث الرواية.

وكما أثار في إخراجه لهذا الفيلم جدلاً كبيراً بين المهاجمين والمشجعين وَتَـرَقُّب الصامتين أثار إخراجه لفيلم (احك لي الأكاذيب - عن مسرحية U. S) - التي أخرجها للمسرح - الجدل والهجوم الأكثر، لأنه تعرّض للقلق والفزع والخسارة التي أصابت أمريكا في حربها مع ڤيتنام.

(٩)

ويختتم «بيتر بروك» كتابه بالفصل التاسع الذي وضع عنواناً له (الدخول في عالم آخر) وهو يقصد عالم أقنعة المسرح المتمثلة في القناعين: المُرعب، والطيّب. وفي رأيه أن القناع المُرعب هو الأكثر استخداماً في المسرح الغربي، وأن القناع التقليدي هو رسم حقيقي للملامح.. ملامح الروح.. صورة فوتوغرافية للشيء وانعكاس تام وحساس للحياة الداخلية.. وقد اكتشف أهمية القناع عند تدريباته مع أقنعة أهل بالي، وعرف أن «كل قناع يمثل نمطاً معيناً من الناس، له جسد معين، وله نغمة معينة، وله إيقاع معين، وله بالتالي - تنفس معين»[٢٣]. واكتملت خبرة «بروك» بعالم الأقنعة حين استخدمها أثناء إخراجه للمهابهاراتا، والعاصفة لشكسبير.

ثم يتعرض «بروك» في النهاية لمفهوم «الثقافة» في ضوء خبراته وثقافته السابقة ويتحدد مفهومه للثقافة في ثلاث ثقافات عريضة: واحدة هي - شكل أساس ثقافة الدولة، والثانية هي - بشكل أساسي - ثقافة الفرد - وتبقى الثقافة الثالثة - وهي ثقافة الروابط، والتي يقوم على كاهلها استكشاف علاقات اختفت أو ضاعت بين الإنسان والمجتمع، أو «بين الإنسانية والآلية، بين المرئي وغير المرئي، بين الفئات واللغات والأنواع»[٢٤].

الهوامش والمراجع

(١) بيتر بروك: «النقطة المتحولة: أربعون عاماً في استكشاف المسرح»، ترجمة: فاروق عبدالقادر، الكويت: عالم المعرفة، العدد ١٥٤ ـ أكتوبر ١٩٩١ م ص ١١.
(٢) النقطة المتحولة، ص٢٢.
(٣) النقطة المتحولة، ص ٣٦.
(٤) النقطة المتحولة، ص ٣٨.
(٥) النقطة المتحولة، ص ٤١.
(٦) النقطة المتحولة، ص ٤٥.
(٧) النقطة المتحولة، ص ٤٦.
(٨) النقطة المتحولة، ص ٧١.
(٩) النقطة المتحولة، ص ٥٣.
(١٠) النقطة المتحولة، ص ٨٦.
(١١) أنتونين آرتو: بدأ حياته شاعراً سيريالياً. تعلم المسرح على يد الفرنسي شارل ديلان. أقام مسرحاً تجريبياً في فرنسا وكتب كتاب (المسرح ونقيضه) تتحدد خصائص مسرحه في أن المسرح أكبر من العلاقات الغرامية أو الصراعات النفسية التي تقوم عليه، وتُمثّل على خشبته. وقد أقام مسرحه في مواجهة المسرح التقليدي السائد في أوروبا وأمريكا. ومسرحه يعطي الكلمة المقام الأول. وبدلاً من الحوار والكلمات يستبدل بهما الصوت والإيقاع والريثم، وبعضاً من نماذج التمثيل في الشرق ما حتى يصل إلى الحقيقة المخبأة غير الظاهرة في المسرح التقليدي، والباطنة في نفس الإنسان المعاصر. وقد أثّرت أفكار (آرتو) في الدراميين (البيركامي ١٩١٣/١١/٧ ـ ١/٤/ ١٩٦٠م)، (جان جانييه ١٢/١٩/ ١٩١٠م)، (آرثر أداموف ١٩٠٨/٨/٢٣ ـ ٣/١٥/ ١٩٧٠م) كما يعتنقها كثير من المخرجين أمثال (جان لوي بارو ٩/٨/ ١٩١٠م)، (جان ڤيلار ١٩١٢- ١٩٧١م)، (جيرزي جروتفسكي ١٩٣٣م) إلى جانب «بيتر بروك».
(١٢) تتضح المعالم الشعبية في درامات شكسبير في شخصيات شعبية ذات أثر فعّال وسط عناصر النبالة الواسعة المساحة درامياً. ونعثر على هذه الشخصيات في مشهد الشعب في مسرحية (ريتشارد الثالث) بعد توليه العرش. وموقف حفّار القبور في (هملت) والبواب في (مكبث) والمرضعة في (رميو وجوليت) وشخصيات الصُنّاع في مشهدهم في (حلم منتصف ليلة صيف) ومشهد الكرنڤال الشعبي في (تاجر البندقية).
(١٣) النقطة المتحولة، ص ص ١١٦- ١١٧.
(١٤) النقطة المتحولة، من ص ١٢٨- ١٤٣.
(١٥) النقطة المتحولة، ص ١٥٥.
(١٦) النقطة المتحولة، ص ١٦٥.
(١٧) النقطة المتحولة، ص ٢١٤.
(١٨) النقطة المتحولة، ص ص ٢٣٦- ٢٣٧.
(١٩) النقطة المتحولة، ص ٢٤١.
(٢٠) النقطة المتحولة، ص ص ٢٤٣- ٢٤٤.
(٢١) النقطة المتحولة، ص ص ٢٤٩- ٢٥٠.
(٢٢) النقطة المتحولة، ص ٢٦٢.
(٢٣) النقطة المتحولة، ص ٣٠٥.
(٢٤) النقطة المتحولة، ص٢٣٢.

* * *

الذكرى والتاريخ

تأليف: مجموعة من أساتذة قسم التاريخ بجامعة الكويت

قاسم عبده قاسم
قسم التاريخ - جامعة الكويت

الناشر: جامعة الكويت، عام ١٩٩٠، (٣٣٠ صفحة).

الكتاب الذي يحمل هذا العنوان عبارة عن مجموعة من الدراسات المتنوعة قدمها عدد من أساتذة قسم التاريخ بجامعة الكويت إلى جامعتهم بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيسها، وقد صدر في الكويت سنة ١٩٩٠م.

وقبل الخوض في تفاصيل الدراسات التي قدمها أساتذة قسم التاريخ في هذا الكتاب ربما كان من المناسب أن نشير إلى بعض الملامح الخارجية لهذا الكتاب (الذي يبدو أن إخراجه قد تم بصورة متعجلة لا تتفق مع المناسبة التي صدر من أجلها من ناحية كما لا ترقى إلى مستوى عدد من الدراسات القيمة التي حوتها صفحاته من ناحية أخرى).

فالكتاب يقع في ما يزيد على ثلاثمائة وثلاثين صفحة من القطع المعتاد، موزعة على عدد من الدراسات باللغة العربية ودراسة واحدة صغيرة باللغة الإنجليزية.

عنوان الكتاب بحد ذاته مشكلة، كما أنه يحمل خطأً نحوياً واضحاً. إذ أن العنوان يفتقر إلى الصياغة المتسقة. إذ جاء على النحو التالي:

الذكرى والتاريخ:

بحوث مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ إلى جامعة الكويت بمناسبة مرور خمسة وعشرين (كذا) عاماً على تأسيسها.

وهذه الصياغة المرتبكة لعنوان الكتاب الذي صدر بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً (أثبت العنوان عبارة «خمسة وعشرون») تظلم الكتاب الذي يحمل مادة علمية قيمة في مجملها لأساتذة أجلاء أعلام في تخصصاتهم.

من الأخطاء الشكلية الأخرى أن فهرس الكتاب أشار إلى ثلاثة عشر بحثاً من بينها بحث للأستاذ الدكتور بوردان بيف الباحث البلغاري، بيد أن صفحات الكتاب خلت من هذا البحث.

* * *

أما مضمون الكتاب، فهو غني ومثير حقاً، ويشيد بالمستوى الأكاديمي الراقي لنخبة من أساتذة قسم التاريخ بجامعة الكويت. بيد أننا يجب أن نشير بداية أنه لا يوجد رابط منهجي بين هذه الدراسات، والرابط الموضوعي الوحيد بينهما يتمثل في مناسبة إصدار الكتاب، وهو رابط كاف بطبيعة الأحوال.

وعلى الرغم من أن مقدمة الكتاب قسمت موضوعاته إلى خمسة أقسام، فإن أهم ما يلفت النظر في هذا التقسيم أنه خلط بين التقسيم الموضوعي والتقسيم الزمني، ومن ثم فإننا سوف نحاول عرض موضوعات الكتاب في تقسيم موضوعي بغض النظر عن التتابع

الزمني الذي يفرضه تخصص كل من الأساتذة المشاركين في الكتاب. فقد اهتم كل باحث بقضية «تاريخية» داخل نطاق العصر الذي تخصص فيه. وقد أدى ذلك إلى تنوع الدراسات ما بين قضايا استخدام المصادر التاريخية، والتاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي، فضلاً عن الموضوعات «التقليدية» في الدراسات التاريخية.

هناك دراستان تتعلقان باستخدام المصادر في الدراسة التاريخية، على الرغم من أن إحداهما تتحدث عن الآثار والأخرى تتحدث عن مصدر مختلف تماماً هو الشعر. **الدراسة الأولى، قدمها الدكتور سليمان سعدون البدر** بعنوان **«الآثار كمصدر من مصادر التاريخ»** (ص ١٥- ص ٢٩).

والدراسة تقدم مفهوماً مبسطاً للآثار باعتبارها المخلفات المادية لرحلة الإنسان الحضارية في الكون عبر الزمان، كما توضح أهمية الآثار في سد الثغرة الناتجة عن غياب المعلومات في فترة ما قبل التدوين والكتابة. ثم يقدم لنا الباحث عدة تعريفات عن «مفهوم علم الآثار»، و «التنقيب الأثري»، وكيف أن التنقيب عن الآثار قد تطور تطوراً مثيراً بفضل استخدام إنجازات العلم الحديث بدءاً بالتصوير الجوي، وتقدير مقاومة التربة للذبذبات الكهربائية، وانتهاءً بقياس المجال المغناطيسي لكشف مكنونات باطن الأرض.

بعد ذلك تقودنا الدراسة إلى خطوات علماء الآثار في الكشف عن الآثار الكامنة تحت سطح الأرض، في مصطلحات وصفية تشبه التعليمات والإرشادات التي يجب أن يلتزم بها العاملون في مجال علم الآثار.

بيد أن هذه الدراسة استطردت في الحديث عن الجوانب القانونية للآثار وأورد الباحث نصوصاً من القانون الكويتي الصادر بالمرسوم الأميري رقم ١١ لسنة ١٩٦٠م بشأن الحفاظ على الآثار، وقارنها بنصوص من القانون المصري الصادر بمرسوم جمهوري رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣م عوضاً عن القانون القديم الصادر سنة ١٩٥١م.

ثم يعرض الباحث إلى «صيانة الآثار وترميمها ودراستها وعرضها» بصورة مختصرة وسريعة (ص ٢٤- ص ٢٥) وأخيراً يتطرق إلى وسائل تحديد عمر الآثار المكتشفة سواء بطريقة الكربون ١٤ (الكربون المشع)، أو دراسة عمر الأشجار عن طريق الحلقات التي تظهر في جذعها مبنية عدد السنين، أو عن طريق دراسة العظام، أو دراسة الطبقات الأثرية، ثم أخيراً طريقة مقارنة الآثار. ويختم الباحث دراسته بعرض لأهم النتائج المستمدة من الآثار.

وعلى الرغم من أن الدراسة بهذا الشكل تبتعد، إلى حد ما، عن عنوانها؛ فإنها من ناحية أخرى تقدم معلومات مفيدة عن علم الآثار بشكل مبسط وسهل.

أما **الدراسة الثانية** في مجال استخدام المصادر في الدراسات التاريخية، فهي التي قدمها **الدكتور شاكر مصطفى** بعنوان **«الشعر والتاريخ الإسلامي»** (ص ١١٥- ص ١٥٣). والحقيقة أن الموضوع هام ومثير. وعلى الرغم من أهمية الموضوع فإن الدراسات فيه نادرة تماماً. ومع أن الدكتور شاكر قد أشار في الهامش رقم (١) إلى ما كتبه مرجليوث وروزنثال في هذا الموضوع، فالواقع أنهما لم يبحثا العلاقة بين الشعر والتاريخ من حيث كون الأول مصدراً للثاني، أو من حيث كون الثاني ملهماً للأول.

ومنذ السطور الأولى نلاحظ أن الدراسة قد عمدت إلى الاهتمام بالشعر العربي في ظل الحضارة العربية الإسلامية باعتباره جزءاً من الرواية التاريخية. وقد حدد هدفه في هذه الدراسة في زاويتين: اقتباس الشعر من كتب التاريخ، وكتابة التاريخ شعراً.

وقد أشار الدكتور شاكر مصطفى إلى نماذج كثيرة من «الشعر في كتب التاريخ» فعرض لما كتبه المسعودي في «التنبيه والإشراف»، وما جمعه ابن دحية الكلبي في «النبراس في تاريخ خلفاء بني عباس»، وابن الجوزي في «شذور العقود»... وغيرها.

وقد لاحظ الباحث أن كتب التراجم كانت أوسع مجال لسرد الشعر ضمن القصة التاريخية أو قصة حياة صاحب الترجمة... ويسوق الدكتور شاكر العديد من الأسماء لمؤرخين ومؤلفين وجامعي تراجم تصدق عليهم ملاحظاته في هذا الشأن. وقد اهتم الباحث أيضاً برواية المواقف السياسية والدينية والدولية شعراً، وهو هنا يشير على نحو خاص إلى «القصيدة الأرمنية» التي وجهها الامبراطور البيزنطي نقفور فوقاس إلى الخليفة المطيع العباس حوالي سنة ٩٦٤م في حوالي سبعين بيتاً تحمل تفاخر الامبراطور البيزنطي وتهديداته.

ثم انتقل الباحث إلى الجزء الثاني من دراسته تحت عنوان «نظم التاريخ شعراً» وهنا يحدثنا عن الشعر الفارسي لا سيما الشاهنامة التي كتبها أبو علي محمد بن أحمد البغلي الشاعر وقص فيها التاريخ منذ الخلق وتاريخ ملوك الفرس، وعدداً آخر من هذه الملاحم الشعرية التي عرفت أيضاً باسم «الشاهنامة» أو «ظفرنامة».

ثم يعرض لنا عدداً من الكتب المؤلفة شعراً مثل كتاب القاضي النعمان الذي ضاع ولم يبق منه شيء سوى اسمه، وكتب أخرى لم تصلنا.

ويقسم الدكتور شاكر مصطفى محاولات كتابة التاريخ شعراً إلى خمس مجموعات: **أولاها** في التاريخ الإسلامي والخلفاء، **والثانية** في تاريخ بعض المناطق الإسلامية، أما **الثالثة** فتتناول السير، وتتناول **الرابعة** التراجم المنظومة على حين تتناول المجموعة **الخامسة** «نظم تاريخ بعض الطبقات أو الجماعات، أو الأسر وما إلى ذلك».

وفي هذه المجموعات الخمس أورد الباحث معلومات غزيرة ومفيدة عن التواريخ التي نظمت شعراً.

وخلص الباحث من دراسته الحافلة بالمعلومات وأسماء المؤلفين وعناوين الكتب إلى عدة ملاحظات تدور حول اتخاذ الشعر شكلاً من أشكال التعبير في الكتابة التاريخية كما أن موضوعات هذا «التاريخ الشعري» تفاوتت بين التاريخ الإسلامي العام وبعض جوانب هذا التاريخ، كما أشار إلى أن بعضها وصل إلى عشرة آلاف بيت. وأخيراً فإن تلك المحاولات لكتابة التاريخ شعراً لم تصل إلى درجة إنتاج الملحمة لأن الأسباب الموضوعية حالت دون ذلك.

وأخيراً: فإن الدراسة التي قدمها الدكتور شاكر مصطفى عن الشعر والتاريخ الإسلامي قد حفلت بالجانب الشكلي الخارجي من ناحية، وبالجانب المعلوماتي التقريري من ناحية أخرى. وقد تجاهل دراسة الجانب المعرفي الفلسفي الذي طرحه أرسطو في كتابة «فن الشعر»، كما تحاشى الحديث عن الجانب المنهجي في استخدام الشعر مصدراً للدراسة التاريخية، فضلاً عن دراسة العلاقة الجدلية بين الشعر والتاريخ وهي العلاقة التي جعلت من التاريخ إلهاماً للشاعر من ناحية، كما تجعل من الشعر تفسيراً وجدانياً لأحداث التاريخ من ناحية أخرى.

بيد أن الدراسة قيمة في بابها من حيث إلقاء الضوء على جانب في الدراسات التاريخية لا يتطرق إليه الكثيرون، ومن حيث حجم المعلومات التي أوردها صاحب الدراسة.

نأتي إلى الدراسات التي تتناول «التاريخ الاقتصادي» وهنا نجد أن كتاب الذكرى والتاريخ «قد ضم بين دفتيه أربع دراسات؛ اثنتين منها متعلقتين بالتاريخ البيزنطي والإسلامي والأخريين تتعلقان بتاريخ الخليج الحديث والمعاصر.

الدراسة الأولى قدمها الدكتور وسام عبد العزيز فرج بعنوان «السياسة المالية للدولة البيزنطية في أواخر القرن السادس الميلادي ٥٦٥ـ ٥٨٢م» (ص ٣١- ص ٦٥) يبدأ الباحث بنظرة سريعة على الخلفية التاريخية التي مهدت للأزمة المالية في الامبراطورية عقب وفاة الامبراطور جستنيان الكبير (٥٢٧- ٥٦٥م) الذي كانت سياساته الاستردادية من أهم أسباب الأزمة. إذ تعين على الإدارة الامبراطورية أن تواجه مهام الدفاع عن بناء امبراطوري ضخم بموارد مالية محدودة؛ ومن ثم تعين على خلفاء جستنيان البحث عن موارد جديدة في مواجهة ثلاثة عوائق؛ أولها عجز الرعايا عن تحمل مزيد من الضرائب، وثانيها أخطاء السياسة الخارجية في عهد جستين الثاني (٥٦٥- ٥٧٨م) وما نتج عن ذلك من استنزاف لموارد الامبراطورية المحدودة. كما أن الكوارث الطبيعية قد ساهمت

بمزيد من الخسائر والأضرار لاقتصاد الامبراطورية المتهالك.

وقد استعرض الدكتور وسام المغامرات العسكرية لجستين الثاني الذي لم يكن قادراً على إدراك الحجم الحقيقي للقوة البيزنطية آنذاك، كما قدم لنا تقريراً كافياً عن موجات الجفاف وهزات الزلازل وموجات الجراد التي زادت من إنهاك الاقتصاد البيزنطي الضعيف بالفعل (ص ٣٥- ص ٤٥).

كانت أولى ملامح السياسة المالية لجستين الثاني تدل على التخبط والارتباك، فقد سدد ديون سلفه للتجار والمرابين، كما أصدر قانونه رقم (١) بإلغاء كل الضرائب المتأخرة. وهو قانون يعكس عجز الرعايا عن دفع المزيد من الضرائب من ناحية، كما يكشف عن الحال السيئة التي تردت إليها مالية الدولة من ناحية أخرى.

وقد أشار الباحث إلى أن الكرم الذي ميز قانون جستين الثاني رقم (١)، لم يلبث أن تخلى عن مكانه لسياسة أكثر تقشفاً وحرصاً على الخزانة العامة كما يتضح من قانونه رقم (٥). كما أن ثلاثة مصادر معاصرة أكدت حرص الامبراطور على جمع المال بمختلف الوسائل. أول هذه المصادر ما كتبه المؤرخ ايفا جريوس Evagrius، وثانيها كتابات المؤرخ يوحنا الأفسوسي John of Ephesus، أما الثالث فهو مؤرخ غربي هو جريجوري أسقف تور Gregory of Tours الذي وصف جستين الثاني بالجشع ووصمه بنهب أموال الآخرين.

وقد قام الباحث بتحليل ذكي لبعض قوانين جستين الثاني، وعرض لأقوال المؤرخين عنه، وخلص إلى أن جستين الثاني نجح في إعادة التوازن إلى الخزانة المضطربة.

أما سياسة خلفه تيبيريوس Tiberius، فقد بدأت بإلغاء ضريبة كان جستين الثاني قد فرضها على حق الحصول على خبز العامة وضريبة أخرى على النبيذ. وقد سلك سياسة معتدلة على الصعيد المالي، كما اتضح من القانون الذي أصدره في ١٤ أبريل ٥٧٥م. وقد قام الدكتور وسام بتحليل مضمون هذا القانون، كما أنه أشار إلى الظروف التاريخية التي جعلت مثل هذه السياسة المالية المعتدلة ممكنة، إذ تحول الميزان العسكري لصالح البيزنطيين ضد الفرس، وكانت الغنائم مصدراً هاماً من موارد الخزانة الامبراطورية.

ويلاحظ الدكتور وسام ـ بعد استعراض المصادر المختلفة ـ أن تيبيريوس كان مسرفاً. كما يشير إلى أن عيار العملة الذهبية البيزنطية ظل ثابتاً علي الرغم من حاجة الإمبراطورية للمال. ثم يختتم الباحث دراسته بالإشارة إلى أحوال الأقاليم التي كانت مكمن موارد الامبراطورية الاقتصادية.

والحقيقة أن الدراسة التي قدمها الدكتور وسام دراسة ممتعة جمعت بين السرد

التاريخي الحريص على التفاصيل الدقيقة من ناحية، والتحليل الذكي للمصادر الأصلية والوثائق التي اعتمدت عليها الدراسة من ناحية أخرى. كما أن الدراسات التاريخية للمالية البيزنطية قليلة إلى حد الندرة في كتابات الباحثين العرب، وهو الأمر الذي يكسب هذه الدراسة الجادة أهمية إضافية.

أما الدراسة الثانية، في مجموعة الدراسات التاريخية الاقتصادية، فهي التي كتبها الدكتور **مصطفى العبادي** بعنوان **«وثائق بردية عن ضرائب نصتان في صدر الإسلام»**. (ص ٦٧- ص ٨٩). وعلى الرغم من أن الدراسة تعتمد على الوثائق البردية الخاصة بمنطقة «العوجاء»، أو «عوجا الحفير» في صحراء النقب جنوب فلسطين، فإن الباحث هنا يعالج قضية في التاريخ الاقتصادي وليس في استخدام المصادر كما أشارت مقدمة الكتاب.

ترجع أهمية هذه المنطقة، كما يشير الدكتور العبادي، إلى أهمية وقوع هذه البلدة التي عرفت قديماً باسم «نصتان» أو «نصانا» على الطريق بين أيلة وغزة، والطريق إلى مصر عبر سيناء. وكانت الإشارة الوحيدة إلى هذه المنطقة في المصادر التاريخية الإسلامية هي التي جاءت في خطط المقريزي (جـ ١، ص ١٨٨). ومع بداية القرن العشرين بدأ الرحالة الأوربيون يتعرفون على الموقع وكتبوا عنه، وفي سنة ١٩٣٥- ١٩٣٧ تم الكشف عن مجموعة من الوثائق البردية والنقوش الكتابية القديمة.

ويشير الدكتور العبادي إلى أن مجموعة البرديات التي تم كشفها بهذه المنطقة تعتبر من المجموعات النادرة التي تم العثور عليها خارج مصر. بيد أن أهميتها ترجع إلى أنها تغطي فترة حاسمة من تاريخ المنطقة في القرنين السادس والسابع بعد الميلاد. والمجموعة مؤلفة من ١٩٥ بردية كتبت كلها باليونانية باستثناء تسع كتبت بالعربية واليونانية سوياً وتجمع ما بين الوثائق العامة والخاصة.

ومنذ البداية حدد الباحث مجال دراسته وحصره في الوثائق المتعلقة بالضرائب التي تمت جبايتها في صدر الإسلام. ويبدأ بعرض وثيقة نادرة تتعلق بالاقتصاد الزراعي بفلسطين، وهي البردية رقم ٨٢ (ق ٧م)، وهي تقدم معلومات هامة عن إنتاجية الأرض من محصول القمح والشعير في «نصتان»، ويستنتج أن الإنتاجية كانت عالية في هذه الأرض شبه الصحراوية.

ثم يشير الدكتور العبادي إلى ثلاثة أنواع من الضرائب وردت في برديات نصتان هي:

١- الضريبة النقدية على الأرض.

٢- ضريبة الرأس النقدية.

٣- ضريبة الرزق، وتجبى نقداً وعيناً.

ويعرض لعدد من الوثائق التي وردت بها هذه النوعيات من الضرائب (ص ٧٢-٨٧). فيعرض أولاً للوثائق الخاصة بضريبة الأرض النقدية de,osia التي وردت في ثلاث برديات من العهد الإسلامي هي الوثيقة رقم (٥٨) التي يورد ترجمة لنصها الكامل، وهو عبارة عن إيصال الضرائب المستحقة على أرض أحد القرويين. ثم وثائق ضريبة الرأس epikephalia، وأخيراً وثائق ضريبة الرزق rouzikon.

وأهم ما يخرج به الباحث في دراسته هي إشارته (ص ٨٧) إلى أنه طيلة ثمانين سنة تقريباً في صدر الإسلام استمر العمل بالتنظيم البيزنطي في هيكله الأساسي وأشخاصه إذ أن مراحل الإدارة الأساسية هي:

١- لجنة أهل نصتان من كبار الملاك.

٢- المشرف على ضرائب القرية.

٣- إدارة ضرائب كورة غزة.

وقد استمرت هذه الإدارة كما هي في العصر الإسلامي ولم يزد عليها سوى شخص الوالي العربي في غزة، وأبناء القبائل العربية الذين كان الوالي يكلفهم بتسلم الرزق، وربما كانوا مندوبين عن الجيوش العربية.

وفي تقديرنا أن هذه النتيجة كانت تستدعي أن يقوم الدكتور العبادي بتقديم تفسير لأسباب استمرار العمل بالتنظيم الإداري والمالي البيزنطي في الفترة الإسلامية الباكرة. وعلى أية حال فإننا نعتقد أن السبب كان راجعاً إلى حقيقة أن النظم المالية والإدارية في المناطق التي فتحها المسلمون، سواء كانت فارسية أو بيزنطية، كانت قد حققت نوعاً من الاستقرار والقبول من جانب سكان هذه المناطق، وكان من الأصوب أن يستمر العمل بها مع تطويرها بمرور الزمن بدلاً من تغييرها لأن ذلك التغيير كان سيخلق أوضاعاً جديدة ويتطلب ثمناً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً فادحاً؛ فضلاً عن أن الكوادر العاملة وفق الأساليب القديمة لم تكن لتتكيف مع أية أساليب جديدة - إن وجدت - دون كلفة باهظة، ولم يكن هناك من يحلون محلهم.

أخيراً، تشير هذه الدراسة الفذة إلى مشاكل تطبيق السياسة الضريبية كما تتضح من خلال إحدى البرديات. والدراسة تحفل بالكثير من التفاصيل والمعلومات المفيدة في مجال التاريخ الاقتصادي للبلاد العربية شرق المتوسط في فترة الانتقال من النظام البيزنطي إلى

النظم التي تطورت بعد ذلك في ظل الحكم الإسلامي. كما أن التحليل الذكي للمصادر يجعل منها إضافة هامة تضاف إلى رصيد صاحبها المتميز في هذا المجال.

تقدم الدكتورة **ميمونة خليفة العذبي الصباح الدراسة الثالثة في مجال الدراسات التاريخية الاقتصادية تحت عنوان «نمو الكويت الاقتصادي وأهم عوامله خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»**. (ص ٢٤١- ص ٢٨٣). وتبدأ دراستها بمقدمة عن أهمية موقع الكويت في عمليات التبادل بالمنطقة، والنمو الاقتصادي الذي حققته بعد استقرار العتوب بها. وبينت كيف أن مهن الكويتيين ارتبطت بالبحر أساساً مثل الغوص والنقل البحري وبناء السفن. كما أن القوافل البرية القادمة عبر الصحراء من شمال سوريا اتخذت من الكويت مركزاً لها.

وقد حصرت الدكتورة ميمونة الأسباب التي أدت إلى النمو الاقتصادي في الكويت في عدة عوامل:

١- سياسة حكام الكويت.

٢- انخفاض الرسوم الجمركية.

٣- موقع الكويت.

٤- مهارة الكويتيين البحرية.

٥- مهنة صيد السمك.

٦- ازدهار التجارة.

٧- تطور النقل التجاري البحري.

٨- الغوص على اللؤلؤ.

٩- صلاحية الجو.

١٠- صلاحية موانئ الكويت.

١١- الكويت كسوق لسكان الصحراء.

١٢- الكويت كمركز للقوافل التجارية.

وقد استقت الباحثة أدلتها من الوثائق، وأقوال الرحالة الأجانب، وتقارير المقيم السياسي البريطاني في الخليج، وغيرها.

بيد أن ما يلفت النظر أن هذه النقاط التي عددتها الدكتورة ميمونة باعتبارها أهم

العوامل المؤدية إلى النمو الاقتصادي للكويت قد خلطت أحياناً بين الأسباب والنتائج ذلك أن ازدهار التجارة، وتطور النقل التجاري البحري وتحول الكويت إلى سوق صحراوي ومركز للقوافل البرية، كلها من نتائج النمو الاقتصادي وليست من الأسباب التي أدت إليه.

على أية حال، فإن التفاصيل الهامة عن مهنة الغوص بحثاً عن اللؤلؤ (ص ٢٥٩-٢٦٢) تعتبر من أهم أجزاء هذه الدراسة.

ثم انتقلت الباحثة بعد ذلك لرصد العوامل الخارجية التي أدت إلى نمو الكويت اقتصادياً خلال الفترة التي يهتم البحث بها. وعددتها على النحو التالي:

١- تشجيع بني خالد للتجارة.

٢- النشاط التجاري للشركات الأوربية.

٣- ضعف منافسة القوى الأخرى.

٤- الآثار الإيجابية لانتشار الطاعون في البصرة سنة ١٧٧٣م على اقتصاد الكويت.

٥- الآثار الناجمة عن احتلال الفرس للبصرة سنة ١٧٧٦م.

٦- كثرة المهاجرين الأثرياء إلى الكويت.

٧- فتح العتوب للزبارة والبحرين مما دعم مراكزهم التجارية.

٨- أثر حرمان السفن المسيحية من المتاجرة مع السويس.

٩- انتقال وكالة شركة الهند الشرقية البريطانية للكويت ١٧٩٣/١٧٩٥م.

وفي الخاتمة توضح الدكتورة ميمونة أن البحث اهتم بتتبع نمو الكويت الاقتصادي وعوامله فحسب «دون الاهتمام بدراسة الاقتصاد الكويتي في تلك الفترة بصورة تخصصية» كما تحمل كلمات البحث الأخير مبررات عدم الاهتمام بالجوانب الأخرى في الاقتصاد إلى جانب التجارة التي اقتصرت الدراسة عليها.

الدراسة الرابعة في مجال التاريخ الاقتصادي قدمها الدكتور عبد المالك خلف التميمي بعنوان **«بريطانيا وتجارة الرقيق في منطقة الخليج العربي»** (ص ٢٨٧-٣٠٧). ويبدأ بمقدمة عن أهمية الموضوع، والكتابات الأوربية حوله. ثم محاور الدراسة التي ترتكز على لمحة تاريخية عن الرقّ وتجارته في القرن التاسع عشر بصفة عامة، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة بمنطقة الخليج العربي في مطلع القرن العشرين، ثم موقف بريطانيا من تجارة الرقيق بالمنطقة، وأخيراً أسواق تجارة الرقيق. وقد أوضح الباحث أن مادة الدراسة مستقاة من الوثائق البريطانية بشكل أساسي.

وإذا كنا قد وضعنا هذه الدراسة في إطار الدراسات الدائرة في مجال التاريخ الاقتصادي، فلأننا لاحظنا أن الجوانب الاقتصادية لمسألة الرق قد غلبت على الجوانب الأخرى في هذه الدراسة على الرغم من أن التداخل بين ما هو اقتصادي وما هو اجتماعي في الموضوع تداخل شديد بالقدر الذي يصعب تحديد مداه.

عرض الباحث، بسرعة شديدة، للخلفية التاريخية لتجارة الرق (ص ٢٨٨ـ ص ٢٨٩) وعلى الرغم من أن الدكتور التميمي طرح السؤال الهام: هل كانت محاربة تجارة الرقيق بدافع من صحوة الضمير الأوروبي/ الأمريكي، أو بسبب عدم الحاجة للرقيق في المجتمعات الصناعية الجديدة؟ ـ نقول إنه على الرغم من طرح السؤال فإنه تركه بدون إجابة مع أن الإجابة كانت يمكن أن تضفي على الخلفية التاريخية أهمية متزايدة.

وقد أشار إلى أن الظروف التاريخية بمنطقة الخليج كانت وراء رواج تجارة العبيد على مدى فترة من التاريخ الحديث. وقد تمثلت هذه الظروف في قلة عدد السكان وندرة الأيدي العاملة. كما أن التركيب القبلي للمنطقة سهل عقد اتفاقيات تجارة الرقيق مع شيوخ القبائل. ثم تطرق الدكتور التميمي إلى موقف بريطانيا من هذه التجارة ومحاربتها والأسباب الحقيقية وراء هذا الموقف. وقد أوضحت الدراسة مدى أهمية تجارة الرقيق في اقتصاد المنطقة من ناحية، واشتراك الأوربيين النشط في هذه التجارة من ناحية أخرى. وفي رأي الباحث أن رغبة بريطانيا في السيطرة على الطرق التجارية إلى الهند والشرق كانت وراء موقفها المحارب لتجارة الرقيق فضلاً عن أن تحولها إلى دولة صناعية جعلها تستغني عن العبيد.

ثم تطرقت الدراسة إلى التنسيق بين بريطانيا وحكام منطقة الخليج لمنع تجارة الرقيق واستعرض الاتفاقيات التي أبرمت بهذا الخصوص، كما عمد إلى تحليل بعض الوثائق التي تكشف عن أن الاعتبارات السياسية البريطانية جعلت موقف الدولة الاستعمارية مرناً بالقدر الذي يخدم مصالحها.

وتقدم الدراسة جدولاً بأسماء بعض العبيد الذين اعتقوا وأعيدوا لبلادهم ويخلص من هذه الأمثلة بعدة حقائق حول أعمار الرقيق وجنسهم وسنهم ونحو ذلك.

وأخيراً تحدثنا الرسالة عن الموقف البريطاني من اختطاف الرقيق، ثم أسواق تجارة الرقيق في المنطقة.

وعلى الرغم من الإيجاز الشديد للجوانب المختلفة للدراسة، والتي يستحق كل منها دراسة مستقلة، فإن الخاتمة تضمنت عدة نتائج هامة، بيد أن الصيغة الاعتذارية والدفاعية والتناول الأخلاقي تشوب الجهد الكثير الذي بذل في هذه الدراسة الهامة.

في مجال التاريخ الاجتماعي نجد دراسة هامة قدمها الدكتور محمد عيسى صالحية عنوانها «النصارى في القدس في العصر المملوكي» (ص ١٨٩- ٢٢٢). وأهمية هذه الدراسة ترجع في تقديري إلى أن نصارى القدس كان لهم وضع خاص بسبب أهمية المدينة المقدسة من ناحية، وبسبب الشروط العمرية التي تنسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب حول حقوق نصارى القدس من ناحية أخرى.

تبدأ الدراسة بمحاولة تقصي أعداد النصارى والجنسيات التي ينتمون إليها وقد أوضح الدكتور صالحية حقيقة هامة مؤداها أن الطابع الديني للمدينة جعل عدداً من أبناء الطوائف المسيحية المختلفة يتخذون من القدس موطناً لهم شادوا به الكنائس والأديرة الخاصة بهم؛ فمنهم الأحباش والهنود، والأرمن والسريان، والأقباط والنوبيون، والكرج والموارنة، واللاتين والنساطرة. ثم أشار إلى ما ذكره الرحالة عن تلك الطوائف.

أما بطريرك النصارى بالقدس، فكان من الروم الأرثوذكس يتم تعيينه بمرسوم من السلطان أو من نواب السلطنة. ثم يعرض الباحث لعدد من المراسيم التي أصدرتها الدولة المملوكية لصالح النصارى، أو بخصوصهم.

ثم يتطرق إلى العوامل التي حكمت علاقة المسلمين بالنصارى في القدس (ص ١٩٧). ويقدم بعض الأمثلة على أن العلاقات السياسية الخارجية لدولة سلاطين المماليك كانت وراء بعض المتاعب التي لاقاها أهل الذمة، فيستعرض العلاقات مع أوربا والعلاقات مع الحبشة، وينتقل الدكتور صالحية بعد ذلك إلى أهم أسباب المشكلات التي كانت تثور بين المسلمين والنصارى، وكانت عمليات ترميم الكنائس، أو بناء كنائس جديدة من أهم هذه العوامل ويقدم بعض الأمثلة على ذلك (ص ٢٠٢- ٢٠٤). ويفرد جزءاً من الدراسة لموضوع «الصراع على ملكية قبر النبي داود».

يعرض الدكتور صالحية بعد ذلك إلى موضوع هام هو الحج والزيارة التي كفل صلح الرملة حريتهما بالنسبة للمسيحيين (رمضان ٥٥٨هـ/ سبتمبر ١١٩٢)، ويحدثنا عن الاتفاقيات التالية حول هذا الموضوع، ودور القناصل، وأسماء التراجمة العاملين في خدمة الحجاج والزوار. ثم استعرض كافة جوانب موضوع الحج والزيارة وأورد نصاً للوصايا الخمس والعشرين التي كان رئيس دير صهيون يقدمها للحجاج القادمين من أوربا.

ثم يعرض لمراحل الزيارة وأماكنها حسبما كان الحجاج المسيحيون يقومون بها. وأخيراً تحدثنا الدراسة عن الرسوم التي كانت السلطات المملوكية تفرضها على الحجاج، وهو يستقي مادته من الوثائق والمصادر المعاصرة؛ عربية ولاتينية.

وقد جمعت الدراسة بين السرد والتحليل إلى جانب المعلومات الوفيرة حول

موضوع يكشف عن مدى وعمق العلاقات بين المسلمين والنصارى في المدينة المقدسة.

بقيت خمس دراسات ضمها الكتاب تدخل ضمن نطاق الكتابات التاريخية العامة كما يتضح من عناوينها.

الدراسة الأولى عن «حركة لقيط بن مالك الأزدي في عمان في صدر الإسلام» للدكتور إحسان صدقي العمد (ص ٩١- ص ١١٤). وهذه الدراسة عبارة عن معالجة لقضية من قضايا الردة وادعاء النبوة التي أعقبت وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام أو التي حدثت نتيجة لتصور أن من حق القبائل أن تمارس نوعاً من الاستقلال عن سلطة الدولة الوليدة.

والموضوع كله عبارة عن إعادة بناء للصورة التاريخية من بطون المصادر التاريخية بداية بالوضع في عمان عند ظهور الإسلام، ثم علاقة عمان بالمدينة في العهد النبوي ودخول سكانها الإسلام. وبعد ذلك يحدثنا الدكتور إحسان العمد عن ادعاء لقيط الأزدي النبوة، ويشير إلى تعدد روايات المؤرخين المسلمين حول حركة لقيط (ص ١٠٠- ص ١٠٤). ويشير أخيراً إلى مصير هذه الحركة المحتوم وكيفية القضاء عليها وما آل إليه حال الأسرى والسبي.

الدراسة الثانية كتبها الدكتور حسين علي المسري بعنوان «تجار العراق وأثرهم في الحياة السياسية والاجتماعية» (ص١٥٥- ص١٨٧).

وأول ما يلفت النظر هنا أن الدراسة أغفلت في عنوانها تحديد المدى الزمني، كما تغاضت عن ذكر مكان الدراسة!!!

على أية حال فإن الجملة الأولى تحدثنا عن أن المدى الزمني هو «العصر العباسي» وأن المكان هو العراق. وتبدأ الدراسة بمقدمة عن دور العراق في تجارة العصور الوسطى وأسباب أهمية هذا الدور. ثم ينتقل الباحث إلى الحديث عن «مركز التجار بين فئات المجتمع العراقي»، وبعدها يحدثنا عن «تصنيفات التجار» ويسوق عدداً من المصطلحات مثل «التاجر الخزان»، و «التاجر الركاض»، و «التاجر المجهز».

تتناول دراسة الدكتور المسري عدة عناصر أخرى مثل المؤسسات التجارية والشركات وأنواعها وأنماطها المختلفة (ص١٦١- ص١٦٤) فيحصر لنا خمسة أنواع من هذه الشركات والمؤسسات.

ثم يتحدث عن جوانب أخرى من العمل التجاري مثل الوديعة والائتمان لتكون خاتمة حديثه عن الجوانب التجارية التي قصرها على تصنيفات التجار وشركاتهم، ولم يتحدث عن التسعير والتسويق وغيرها من جوانب العمل التجاري. وبعدها يتحدث الباحث

عن الدور السياسي والاجتماعي للتجار، فيبدأ بالكلام عن تضخم ثروات التجار ثم علاقاتهم السياسية بالحكام، وتنكر الجواسيس في زي التجار. كما يسرد بعض الأمثلة على المصادرات التي قام بها الحكام لثروات التجار. وأخيراً يأتي إلى الدور الاجتماعي للتجار، فيبدأ بالكلام عن ألوان البذخ والنعيم، ويتحدث عن التجار الذين تخصصوا في تزويد قصور الخلفاء بأجمل النفائس والتحف.

ولا بد أن يدهش القارئ لأن الكلام عن مثل هذه الموضوعات يتم تحت عنوان «الدور الاجتماعي للتجار»، ولسنا نظن أن القصور وساكنيها، والتحف وجالبيها من ضمن موضوعات التاريخ الاجتماعي.

ثم عرض لبعض جوانب حياة التجار أنفسهم وبيوتهم، ومآكلهم ومشاربهم ومساهماتهم في النشاط الفكري والثقافي.

الدراسة الثالثة في هذه المجموعة كتبها الدكتور محمود إسماعيل تحت عنوان «الدعوة الزيدية ـ أضواء جديدة» (ص ٣١١- ٣١٩)، وعلى الرغم من قلة عدد صفحات الدراسة فإن الدكتور محمود إسماعيل خصص منها صفحتي (٣١١و ٣١٢) كمقدمة عن أهمية الموضوع وإخفاق الباحثين السابقين (مؤرخين وفلاسفة) في تناوله!!! ثم بدأ بالحديث عن أن هناك من النصوص ما يثبت انطلاق الدعوة الزيدية من أيديولوجية معتدلة «تضع في اعتباراتها الظروف المأساوية التي امتحن الشيعة خلالها...» ويخلص من هذا إلى أن الزيدية طوروا فكرهم السياسي من أجل خدمة أغراض عملية على حساب المعتقدات الشيعية التقليدية.

ثم يناقش البحث أساليب الدعوة الزيدية، وأسباب انتشارها في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي. وبعد ذلك يعرض لما فعله «محمد النفس الزكية» في سبيل تطوير الدعوة وانتشارها. ثم قيام دولة علوية بالمغرب الأقصى.

كذلك ناقش الدكتور محمود موقف المعتزلة من الدعوة الزيدية (ص ٣١٥- ص ٣١٧). وأخيراً ينهي ورقته بالقول إن النشاط السياسي الزيدي تم في إطار دعوة سياسية سرية منظمة. وفي تقديرنا أن موضوعاً تحت عنوان واعد مثل هذا لا يمكن معالجته بهذا القدر من التسرع والاختصار.

الدراسة الرابعة أشد اختصاراً، ولكنها تتناول نقطة محددة هي نقل التقنية البحرية الصينية إلى أوربا عن طريق العرب، وقد كتبها **الدكتور ميخائيل خريستيديس** الأستاذ الزائر بقسم التاريخ بالإنجليزية تحت عنوان:

«The Transmission of Chinese Martime Technology by the Arabs to Europe».

وهو يتحدث أساساً عن ثلاثة أمور هي النار الإغريقية، والدفة الواحدة والبراميل. وهو يعتمد على المصادر البيزنطية التي يقرر أن معظمها لا تشفي غليل الباحث في هذا الموضوع، ويشير إلى أن المصادر العربية لم تستخدم كما ينبغي كما أن عدداً منها ما يزال مخطوطاً.

ثم يشير إلى تداخل التقنيات البحرية عند المسلمين والبيزنطيين بحيث تصعب متابعة كل منهما على حدة، بعد ذلك يتحدث الدكتور خريستيديس عن النار الإغريقية التي استخدمت في القتال البحري آنذاك معتمداً على بعض المصادر الصينية المعاصرة. ثم يتحدث عن الدفة الواحدة بمؤخرة السفينة، مشيراً إلى أن الصينيين اخترعوا هذه الدفة منذ القرن الأول ق .م. ثم يلحق عدة صور ورسوم توضيحية بورقته التي لم تتجاوز خمس صفحات.

آخر هذه الدراسات ما كتبه المرحوم الأستاذ الدكتور بدر الدين الخصوصي بعنوان: **«الكويت في مواجهة التحديات عبر تاريخها الحديث والمعاصر»** (ص ٢٢٣- ص ٢٣٩). وأول ما يلفت الانتباه الصيغة الإعلامية في عنوان الدراسة. والواضح من استعراض ما كتبه الدكتور الخصوصي أنه يستعرض أهم النقاط الفارقة في تاريخ الكويت بعملية مسح سريعة لمعالم هذا التاريخ؛ فهو يتحدث عن «التخلص من قيود الاتفاق مع بني خالد، ثم التصدي للكعبيين في معركة الرقة، والوقوف في وجه محاولات الأتراك العثمانيين للتدخل في الشئون الداخلية للكويت (ص ٢٢٦- ص ٢٣١). بعد ذلك تحدث عن تصدي الكويت لهجمات الموحدين بعد نجاح حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في استمالة السعوديين حكام الدرعية. وبناء سور مدينة الكويت الأول والثاني والثالث في خضم الأحداث منذ سنة ١٧٩٨م حتى سنة ١٩٢٠م، وهجمات الأخوان.

بعد ذلك تحدث عن «مواجهات الدول الكبرى»، مثل ألمانيا وروسيا القيصرية وبريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية.

* * *

التقارير



أدب الرحلة والتواصل الحضاري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة المولى إسماعيل
(مكناس - المغرب من ٢٠ ـ ٢٥ أبريل ١٩٩٣م)

محمود إسماعيل
قسم التاريخ - جامعة الكويت

احتفالاً بالذكرى العاشرة لتأسيس جامعة المولى إسماعيل بمكناس ـ المملكة المغربية، نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية ندوة حول «أدب الرحلة والتواصل الحضاري خلال الفترة من ٢٠ـ ٢٥ أبريل ١٩٩٢».

وقد شارك في الندوة لفيف من الباحثين من الجامعات المغربية والجزائرية والليبية فضلاً عن جامعة الكويت بالإضافة إلى باحثين من فرنسا وإيطاليا.

وقد تضمنت الندوة عدة محاور هي:

أولاً: الرحلة في التاريخ القديم

قدمت عدة مداخلات هي:

(أ) «الرحلة وأقدم وثيقة مكتوبة في تاريخ المغرب القديم» تقدم بها الأستاذ علوي لمراني الرحلة الاستكشافية مميزاً بين الرحلة في مجالها المحدد والرحلة في إطارها الواسع من خلال نماذج لعدد من الرحالة اليونانيين.

(ب) «علاقة الرحلات باكتشاف الحضارات الإنسانية القديمة». قدم الأستاذ علي العشاق من خلال الموضوع أمثلة لهذه الرحلات كرحلة هيرودوت وسترابون وأريان، مفسراً طبيعتها التبشيرية بالحضارة اليونانية وموضحاً أثرها في الكشف عن معالم تاريخ الحضارات القديمة في بلاد الشرق.

(ج) «رحلة أودوكس الكوزيكي للمغرب» التي كانت موضوع مداخلة الأستاذ محمد مجذوب. وقد أبرز الباحث محتواها الاستكشافي مع مقارنة بنصوص أخرى وصفت بلاد المغرب مبرزاً أهمية الرحلة في إجلاء غموض بعض إشكاليات تاريخ المغرب القديم.

ثانياً: الأهمية المصدرية لكتب الرحلات

قدمت عدة عروض من أهمها في هذا الصدد ما يلي:

(أ) «مفهوم الرحلة بين التجنيس والتأصيل». وهو عرض قدمه الدكتور سعيد علوش أصل فيه لتداخل المعارف وتعدد الأجناس الأدبية للرحلة باعتبارها تجمع بين طرائق الرواية والقصة والمقالة الأدبية في ذات الوقت الذي يجد فيها المؤرخ والجغرافي

والإثنولوجي وثيقة لتخصصه.

(ب) «الأهمية التاريخية لرحلة ابن حوقل». من خلالها قدم الأستاذ محمد تضفوت ما تميزت به هذه الرحلة من معلومات دقيقة وفريدة عن المغرب خلال القرن الرابع الهجري مناقشاً أخطاء بعض المستشرقين حول اعتبار هذه الرحالة المشرقي جاسوساً للفاطميين.

(ج) «كتاب نزهة المشتاق للإدريسي كمصدر لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي». من خلال العرض أثبت الأستاذ محمد الحناوي أهمية هذا المصدر من حيث المعلومات الفريدة عن تاريخ المغرب الاقتصادي والاجتماعي مثيراً إشكالية مدى مصداقية هذه المعلومات مقارنة بنظيرتها في الكتب والمصنفات التاريخية التقليدية.

ثالثاً: كتب الرحلات كمصدر للتاريخ الحضاري

من أهم المداخلات حول هذا المحور ما يلي:

(أ) «رحلة ابن بطوطة كمصدر لدراسة الطرق الصوفية في المشرق الإسلامي». أبرز الدكتور محمود إسماعيل مدى قيمة رحلة ابن بطوطة في الكشف والتفسير والتأويل لانتشار ظاهرة الطرقية منذ القرن السادس الهجري. كما أوضح جدة معلومات ابن بطوطة كشاهد عيان حول المؤسسات الطرقية والتقاليد والنظم المتعلقة بها، فضلاً عن انتشار ظاهرة الكرامات والخوارق والشعوذة ومدى تعبيرها عن الانحطاط الفكري في العالم الإسلامي آنذاك.

(ب) «أدب الرحلة كمصدر من مصادر دراسة التقسيمات الإدارية في بلاد المغرب». من خلال هذه المداخلة قدمت الدكتورة بوبة سجاني قيمة المعلومات الخاصة بالجوانب الإدارية في رحلة ابن حوقل خلال العصر الفاطمي.

(ج) «أدب الرحلة، المصدر والتاريخ». قدم هذا العرض الدكتور عبد الواحد شعيب مبرزاً أثر الرحالة والجغرافيين العرب في إحكام التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب الإسلاميين خلال العصور الوسطى.

(د) «رحلات التجار الأندلسيين من خلال كتب التراجم والطبقات». أبرز الدكتور أحمد الطاهري في مداخلته تلك تعدد مظان التاريخ الاقتصادي الأندلسي، مشيراً إلى أهمية النشاط التجاري في ترسيخ النشاط الفكري والثقافي، منتهياً إلى حقيقة كون

الحضارة الإسلامية حضارة مدن وتجار.

رابعاً: نماذج وأعلام من الرحالة المغاربة

قدمت عدة عروض في هذا المحور من أهمها ما يلي:

(أ) «التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً». قدم من خلاله الدكتور سعيد المليح عرضاً هاماً عن الجانب المعرفي في رحلة ابن خلدون كاشفاً عن قيمة نصوصه في تأثير الثقافة المغربية في نظيرتها المشرقية.

(ب) «رحلة عبد اللطيف البغدادي إلى مصر وآفاقها العلمية». كشف الأستاذ صالح بن قربة عن دور الرحالة في التواصل الحضاري مثبتاً دوراً هاماً للبغدادي صاحب الرحلة في الإحاطة بأسرار الآثار المصرية مقدماً في هذا الصدد سبقاً لدور علماء المصريات من الأوروبيين.

(ج) «رحلة السفير محمد بن عثمان المكناس إلى نابلي سنة ١٧٨٢». قدمت من خلالها المستشرقة الإيطالية كيليا سارليني معلومات إضافية على درجة وثيقة من المصداقية من خلال مقارنة وقائع الرحلة بوثائق إيطالية.

(د) «صورة العثمانيين في كتابات بعض الرحالة». تقدم بهذه المداخلة الدكتور قدور بوزياني بأنموذجين مغربيين هما رحلتي العياشي والزياني باعتبارهما تنطويان على مادة هامة تجسد الواقع التاريخي للدولة العثمانية وبعض ولاياتها الشرقية.

خامساً: الرحلات الدينية

من أهم عروضها ما يلي:

(أ) «خبايا رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى الحج». كشف من خلالها الدكتور إبراهيم القادري عن المغزى السياسي لهذه الرحلة الدينية حيث وقف على هدفها الأساسي وهو البحث عن إديولوجية مذهبية سنية من أجل إقامة وتأسيس دولة المرابطين في المغرب.

(ب) «رحلة ابن تومرت العلمية ولقاءاته بالمشرق والمغرب». وقد وقف الدكتور أحمد المحمودي ـ كسابقه ـ عند المغزى السياسي لهذه الرحلة باعتبارها تستهدف تحقيق الوقوف على إديولوجية مناسبة لدولة مغربية كبرى تضم المغرب والأندلس هي الدولة الموحدية.

(ج) «الرحلة عند المحدثين باعتبارها من لوازم طريقتهم ومنهجهم في التلقي». وقد أثبت صاحب العرض الدكتور/ محمد الصقلي الحسيني مدى ما كان يعول عليه المحدثون في جمع الأحاديث النبوية استناداً إلى السفر والمعاينة.

(د) «رحلات الأندلسيين نحو المشرق». أشار الأستاذ عبد اللطيف مومن إلى ارتباط الرحلة في التاريخ بالبحث والمغامرة واكتشاف الجديد وأعطى نماذج وأمثلة بالغة الدلالة في هذا الصدد.

(هـ) «من أدب الرحلات». وقف الأستاذ محمد العرايشي من خلال مداخلته تلك إلى تجربته الشخصية في زيارة البلاد الحجازية وكيف قدمها في لغة شعرية تحت عنوان «الرحلة الميسرة للبقاع المقدسة المطهرة لأداء مناسك الحج والعمرة».

سادساً: إسهام الرحلات في الانفتاح على العالم الخارجي:

من أهم مداخلات هذا المحور ما يلي:

(أ) «تصورات مغربية للمدينة الأوروبية من خلال الرحلات المغاربية». تطرق الدكتور جمال حيمر في عرضه هذا إلى خصوصية هذا النوع من الرحلات واختلاف بواعثها وأهدافها وأبرز من خلال الرحلات المغربية إلى أوروبا صورة من صور اللقاء بين حضارة عربية آفلة وأخرى أوروبية صاعدة.

(ب) «أثر الرحلات المغربية في انفتاح المغرب على التجارب التحديثية». وقد قدم الأستاذ عبد السلام حيمر من خلال عرض مدى إلمام الرحالة المغاربة بالتجارب الحديثة في أوربا وكذا في مصر في عصر محمد علي.

(ج) «العلاقات المغربية التركية من خلال أدب الرحلات». وقد قدم صاحب المداخلة الدكتور/ محمد رزوق مدى تعبير السفارات المخزنية عن الخطاب السلطوي الرسمي مشيراً إلى أهمية هذا الصنف من الرحلات في الكشف عن الجوانب الإدارية فضلاً عن النواحي العلمية.

وقد جرت مناقشة هذه العروض ـ التي حضرها لفيف من المتخصصين والمثقفين ـ بدرجة عالية من الطرح الراقي للإشكاليات ومراجعة الكثير من الأحكام المتواترة في ضوء المعلومات الهامة التي تضمنتها كتب الرحلات.

كما كشفت العروض والمناقشات عن بواكير مدرسة مغربية في التاريخ ـ معظمها من المؤرخين الشبان ـ الذين أتيح لهم الإحاطة بالتاريخ المغربي ومظانه ووثائقه ـ فضلاً عن تاريخ العرب المشارقة ـ كذا الإلمام بالمناهج الحديثة المعاصرة في دراسة التاريخ، تلك

التي ازدهرت في أوروبا منذ منتصف هذا القرن والتي نرى أن المؤرخين المشارقة يفتقرون إلى مواكبتها والإفادة منها.

كما أبرزت الندوة حرص المؤرخين المغاربة على التواصل الحضاري مع إخوانهم المشارقة الذين لا يبادلونهم نفس الرغبة.

وعموماً أوصت الندوة بطبع ونشر أعمالها، كما عقد على هامشها اجتماع من أجل تأسيس جمعية مغاربية للدراسات التاريخية والأثرية والحضارات المقارنة.

* * *

اقرأ في العدد القادم

أسباب كارثة المجاعات ونتائجها

في أفريقيا (السودان: دراسة استطلاعية)

د. مختار إبراهيم عجوبة



المؤتمر السنوي العالمي للرابطة الأمريكية للإرشاد النفسي والتنمية (بلتمور بولاية ميريلاند - أمريكا من ٢٧ - ٣٠/مارس/١٩٩٢)

محمد ماهر محمود عمر
قسم علم النفس - جامعة الكويت

تمهيد

احتفلت الرابطة الأمريكية للإرشاد والتنمية - بمرور ٤٠ عاماً على تأسيسها وذلك في مؤتمرها العالمي الذي عقد في مدينة بلتمور بولاية مريلاند الأمريكية خلال الفترة ٢٧- ٣٠ مارس ١٩٩٢ بتقديم العديد من المحاضرات وورش العمل والندوات واللقاءات المتنوعة حول مجالات الإرشاد النفسي المختلفة وعرض أحدث البرامج والنماذج الإرشادية التي تفيد الاختصاصيين والطلاب على حد سواء في مجال الإرشاد النفسي حيث بلغ عددها ٤٨٤ جلسة أكاديمية قدمت خلال ساعات العمل اليومي للمؤتمر من الثامنة صباحاً وحتى الخامسة بعد الظهر.

كما قدمت ١٤٥ ورشة عمل قبل بدء المؤتمر خلال الفترة ٢٥- ٢٧ مارس ١٩٩٢ حيث استمرت كل منها يوماً كاملاً من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، متناولة العديد من الموضوعات الهامة التي تفيد الاختصاصيين والطلاب من حيث تدريبهم على أحدث البرامج والنماذج والمهارات والأساليب الفنية في مجال الإرشاد النفسي.

ويعتبر البرنامج الذي ابتكره كاتب هذه السطور تحت عنوان «نموذجاً جديداً في الإرشاد النفسي لمرضى الإيدز».

ومن ورش العمل التي حازت تقديراً عالياً من قبل المحكمين وقد تم اختيارها لتقدم ضمن هذه المجموعة التي تستهدف التنمية المهنية للاختصاصيين والطلاب والأساتذة الأكاديميين في مجال الإرشاد النفسي.

وقد تم عدة لقاءات ثنائية وجماعية للعديد من الاختصاصيين في مجالات الإرشاد النفسي كل في نطاق الأقسام التي ينتمي إليها حيث تتضمن الرابطة سبعة عشر قسماً وذلك من أجل التشاور وتبادل الرأي والمعرفة حول أحدث ما وصل إليه الباحثون والمرشدون في مجال تخصصاتهم المختلفة حيث استمرت هذه اللقاءات من الساعة الخامسة بعد الظهر حتى منتصف الليل في كثير من الأحيان.

دور كاتب هذه السطور في المؤتمر

جاء موعد تقديم البرنامج الذي ابتكره كاتب هذه السطور في الإرشاد النفسي لمرضى الإيدز يوم الأربعاء الموافق ١٩٩٢/٣/٢٥ تحت رقم ١٠١ في سلسلة ورش العمل التي تقدمها معاهد التنمية المهنية تحت إشراف الرابطة الأمريكية للإرشاد النفسي والتنمية وقد اختار المؤلف عنواناً لهذا النموذج الجديد في الإرشاد النفسي لمرضى الإيدز يدل على مضمونه العلاجي والإرشادي هو: «نموذج عمر والقاضي في الإرشاد النفسي والعلاج الطبي لمرضى الإيدز» حيث تناول فيه كاتب هذه السطور الجزء الخاص بالإرشاد النفسي

وتناول فيه زميله الأستاذ الدكتور أحمد القاضي الجانب الطبي العلاجي.

وقد عرض المؤلف في الجانب الإرشادي بعض التساؤلات الهامة عن مرض الإيدز، والمراحل المختلفة للأمراض الناتجة عن الخلل في جهاز المناعة عند الإنسان، والمجموعات المختلفة المحتمل إصابتها بمرض الإيدز، وكيفية انتقال الفيروس من المرضى إلى الأصحاء، والإجراءات الوقائية التي يمكن اتخاذها للحماية من الإصابة به، وضرورة إجراء عملية الإرشاد النفسي قبل البدء في التحاليل الطبية، ونوعية التحاليل الطبية اللازمة للكشف عن احتمال وجود الفيروس ناقل العدوى.

ثم انتقل المؤلف إلى عرض عملية الإرشاد النفسي بعد إجراء التحاليل اللازمة والتأكد من الإصابة بمرض الإيدز بمفهوم الإرشاد النفسي طويل الأجل حيث ابتكر مراحل خمس في الإرشاد النفسي طويل الأجل مع مرضى الإيدز قدمت تحت عنوان مراحل عمر في الإرشاد النفسي لمرضى الإيدز.

وتتضمن المرحلة الأولى ضرورة تقدير ووصف شخصية المريض من جميع جوانبها من حيث تحديد حالته النفسية والحاجات التي لم يتم إشباعها عنده ونظام القيم الذي يؤمن به وذلك بتطبيق الاختبار الإسقاطي الذي ابتكره المؤلف تحت عنوان «فنية عمر الإسقاطية لتفهم الشخصية» وذلك من أجل وضع خطة إرشادية لإشباع حاجاته وحل مشكلاته الناتجة عن عدم إشباع هذه الحاجات ولحل الصراعات المحتمل وجودها بداخله نتيجة لإصابته بمرض الإيدز.

وتتضمن المرحلة الثانية هدم المشاعر السلبية عند المريض بالإيدز وذلك باستخدام أوضاع الاسترخاء التي تساعد على التنفس العميق وطرد الأفكار والذكريات المؤلمة من عقله خلال التدريب على الاسترخاء التخيلي الذاتي السلبي وخلال استخدام فنية اللعب بالرمل السلبي وفنية تحديد العلاقات بين الأشياء وخلال فنية كتابة السناريو لحياة المريض السلبية وذلك ضمن استخدام فنيات العلاج النفسي بالدراما.

وتتضمن المرحلة الثالثة بناء المشاعر الإيجابية عند المريض بالإيدز وذلك باستخدام التدريبات الثلاثة التي ابتكرها المؤلف وسجلها على شريط كاسيت بأصوات مميزة متميزة مصاحبة لموسيقى تصويرية هادئة اختيرت بدقة وعناية وخبرة في مجال العلاج النفسي بالدراما. كما يتضمن هذه المرحلة الاسترخاء التخيلي الذاتي الإيجابي، واللعب بالرمال الإيجابي، وفنية العلاقات بين الأشياء وفنية كتابة السناريو لحياة المريض الإيجابية وذلك ضمن استخدام فنيات العلاج النفسي بالدراما.

وتتضمن المرحلة الرابعة الفنيات السلوكية للمعرفة العقلية وهي تتكون من فنيات

العلاج النفسي الانفعالي العقلاني حيث استخدم فيها المؤلف فنية الاحتجاج على المعتقدات والأفكار غير العقلانية عند مريض الإيدز، ومن فنيات العلاج النفسي الواقعي حيث استخدم فيها المؤلف فنية محطة الراديو التي ابتكرها أحد رواد العلاج النفسي الواقعي (روبرت وبولدنغ).

وتتضمن المرحلة الخامسة مجموعة من الفنيات المساعدة مثل تكوين الجماعات للإرشاد النفسي الجماعي منها جماعة اللمس العضوي واللعب الأسري الموجه، والمكان المحبب للمريض، ومائدة العشاء، وإطار الصورة الحالي، وكلها من فنيات العلاج النفسي بالدراما. كما تتضمن هذه المرحلة أيضاً جماعة الدين والعبادة لتدعيم القيم الروحية عند المريض.

وقد تناول الجانب الطبي الذي ابتكره الدكتور أحمد القاضي لتقوية جهاز المناعة عند الإنسان تعليم المريض عن:

(١) عمل جهاز المناعة لديه.

(٢) وظائف الخلايا في جسمه.

(٣) مثبطات ومقويات جهاز المناعة.

(٤) النظام الغذائي الفعال.

(٥) توصيات هامة تتعلق بالنظام الغذائي.

(٦) الإمدادات الطبيعية من الأعشاب الطبية اللازمة للمريض.

(٧) برنامج العلاجات المختلفة كتقوية جهاز المناعة.

ومما هو جدير بالذكر فقد تم تجريب هذا البرنامج في الإرشاد النفسي والعلاج الطبي لمرضى الإيدز في عيادة بنماسيتي بولاية فلوريدا الأمريكية تحت إشراف كاتب هذه السطور من الناحية السيكولوجية وتحت إشراف الدكتور القاضي من الناحية الطبية وقد أثبت فعالية ملحوظة في إيقاف نشاط فيروس جهاز المناعة عند الإنسان بناء على تحاليل مختبرية أجريت على المرضى المترددين على العيادة المذكورة قبل انتظامهم في هذا البرنامج وبعده.

ومن ناحية أخرى، كان لاشتراك كاتب هذه السطور في هذا المؤتمر أهمية كبرى على المستوى الاجتماعي حيث كان محوراً لتساؤلات كثيرة من زملاء المهنة عن وضع الكويت الحالي بعد التحرير ودور الاختصاصيين النفسيين في رعاية وإرشاد ضحايا الحرب، ودور الباحثين في تطبيق وإجراء البحوث حول الآثار النفسية، والاجتماعية

والاقتصادية الناتجة عن الاعتداء العراقي الغاشم على دولة الكويت المسالمة، وعن مشاعر وإحاسيس واتجاهات أبناء الكويت نحو بعضهم ونحو الآخرين على الصعيدين العربي والأجنبي، وعن وضع الأسرى الكويتيين والمجهودات المبذولة لإطلاق سراحهم، وغيرها من التساؤلات العديدة والتي كان زملاء المهنة في شغف لمعرفة الإجابة عنها. وقد وضح كاتب هذه السطور كل ما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية الإيجابية المتماسكة لأبناء الكويت وأخواتهم وأصدقائهم المقيمين معهم على الأرض الطيبة التي استعادت حريتها وكرامتها بعد فترة حالكة في عمرها، نسأل الله ألا تعود ولا يتكرر مثيلاتها بإذن الله.

النتائج الإيجابية لحضور المؤتمر

(١) تمثيل دولة الكويت في المؤتمر بعد التحرير أتاح الفرصة للعديد من المشتغلين بعلم النفس للتعرف على الأوضاع النفسية والاجتماعية للتركيبة السكانية في المجتمع الكويتي.

(٢) التعرف على المجهودات المبذولة على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي لإطلاق سراح الأسرى المحتجزين في سجون العراق والدعوة لتدعيم هذه الجهود على المستوى الفردي والمستوى الجماعي من قبل رجال ونساء علم النفس في مجالات تخصصاتهم المختلفة.

(٣) التعرف على المجهودات المبذولة على المستوى الرسمي والشعبي لرعاية أسر الشهداء وضحايا الحرب والأسرى الذين تم إطلاق سراحهم، انطلاقاً من مبدأ الحرص الدائم على حقوق الإنسان ورعايته وإعادة تأهيله ليكون عضواً عاملاً جديداً في المجتمع بعد أزمة الحرب.

(٤) عرض الفكر الإسلامي والفكر العربي في نطاق برنامج مبتكر للإرشاد النفسي لمرضى الإيدز مستخدماً العلاج النفسي الدرامي والعلاج النفسي المعرفي العقلاني، كذلك في نطاق برنامج مبتكر للعلاج الطبي لمرضى الإيدز بالأعشاب الطبية بما يسمى بالطب الإسلامي أو الطب النبوي.

(٥) تبادل المشورة والرأي والاطلاع على أحدث الوسائل الفنية والمهارات في مجال الإرشاد النفسي مع زملاء المهنة من مختلف بلدان العالم.

* * *

قواعد النشر

الأبحاث والدراسات: الشروط والإجراءات:

١ - ترحب المجلة بنشر الأبحاث الجيدة المبتكرة ذات الصلة بأي حقل من حقول العلوم الإنسانية التالية: اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية - الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - المسرح - الفنون التشكيلية - النحت... الخ - الدراسات الآثارية (الأركيولوجية). والتي تهدف إلى إضافة الجديد والأصيل في هذه العلوم. وتقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

٢ - أن يكون البحث المقدم للنشر مطبوعاً على الآلة الكاتبة، وأن لا يتجاوز (٤٠) صفحة مطبوعة من الحجم العادي (١٨٠٠٠) كلمة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المراجع والمصادر.

٣ - يعتبر البحث قابلاً للنشر إذا توفرت فيه النقاط التالية:

أ - إعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع.

ب - ألا يكون قد سبق نشره، أو قدم لأية جهة أخرى من أجل نشره.

جـ - أن يقر صاحب البحث كتابة بأن بحثه عمل أصيل له وغير مرسل للنشر في مجلة أخرى، ويجب أن يزود المجلة بنسخة البحث الأصلية، وأن يرفق به ملخص له في حدود صفحة واحدة (٤٠٠) كلمة بلغة البحث وترجمته إلى الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية، وإلى العربية إذاكان باللغة الإنجليزية. وتكتب في صفحة منفصلة المزيد من المعلومات عن المؤلف وبخاصة عنوانه الكامل، ودرجته العلمية وتاريخ الحصول عليها، ومن أي الجامعات، ووظيفته الحالية.

٤ - الأبحاث وجميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.
المجلة العربية للعلوم الانسانية، ص.ب: ٢٦٥٨٥ - الصفاة، الكويت: 13126.

٥ - يتم عرض الأبحاث - على نحو سري - على محكم (أو أكثر) من المختصين الذي تختارهم هيئة التحرير، ولهيئة التحرير في حالات خاصة أن تجيز على مسئوليتها نشر بعض الأبحاث دون تحكيم.

٦ - يتم إبلاغ أصحاب الأبحاث بالرأي النهائي للمحكمين بخصوص أبحاثهم وذلك ضمن الترتيبات التالية:

أ - يبلغ أصحاب الأبحاث التي تقبل للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها.

ب - الأبحاث التي يرى المحكمون وجوب إجراء بعض التعديلات أو الإضافات عليها قبل نشرها، تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر

جـ - الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون إبداء الأسباب في الرفض.

٧ - يمنح كل باحث عشرين مستلاً من بحثه المنشور.

٨ - يبلغ أصحاب الأبحاث بالقرار حول صلاحيتها للنشر أو عدمه خلال مدة أقصاها ستة أشهر.

٩ - يجب إدراج الهوامش في شكل أرقام متسلسلة في نهاية البحث، مع مراعاة أن يذكر اسم المصدر أو المرجع كاملاً عند الإشارة إليه لأول مرة، فإذا تكرر يستخدم الاسم المختصر. وعلى ذلك فسوف يتم إدراج فقط المستخدم فعلاً من المصادر والمراجع في الهوامش. ومن ثم لن يتضمن البحث قائمة مصادر ومراجع مستقلة في نهايته.

الثقافة العالمية

تصدر عن :
المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب ـ الكويت

قواعد النشر :

ترحب المجلة كل الترحيب باسهام كل مثقف عربي وكل قارىء ومتابع لافاق الفكر العالمي في اغنائها ودعم رسالتها الثقافية وتدعوهم لتزويد المجلة:

- بكل بحث اجنبي يختارونه ويجدونه جديرا بالترجمة والنشر.
- بكل بحث يترجمونه للنشر عن اي لغة اجنبية.

يشترط في البحوث المختارة او المترجمة:

اولا : ان تكون مما نشر في الدوريات العالمية خلال الاشهر الستة الاخيرة من تاريخ الارسال للمجلة في الحد الاقصى.

ثانيا : ان تكون مما يدخل ضمن خطة المجلة في المستوى الفكري والعلمي الرفيع.

- يرسل البحث المختار او المترجم بنصه الاجنبي الكامل في نسخة المجلة التي نشرته أو مصورا عنها في حالة خلو المقال من الصور او المخططات الملونة مع صورة الصفحة الاولى للمجلة التي تحمل التاريخ والفهرس.
- تدفع المجلة مكافأة قدرها ٥ دنانير عن كل بحث اجنبي يرسل اليها وتقبله للترجمة والنشر. فان تكرر وصول البحث من اكثر من جهة دفعت المكافأة للسابق في الوصول.
- تدفع المجلة مكافأة عن المقالات المترجمة التي تقبلها للنشر بمعدل ١٥ دينارا كويتيا عن كل ١٠٠٠ كلمة (او ما يعادلها) من الاصل الأجنبي فإن تكرر وصول البحث المترجم من اكثر من جهة دفعت المكافأة للترجمة الاكثر جودة وصحة.

سعر النسخة :

الكويت : ٥٠٠ فلس	ليبيا : دينار ونصف	اليمن : ٤٠٠ فلس			
السعودية : ٧ ريالات	المغرب : ١٥ درهما	السودان : ٢٠ جنيها			
الاردن : دينار ونصف	تونس : دينار ونصف	البحرين : نصف دينار			
سوريا : ٥٠ ليرة	الجزائر : ١٥ دينارا	قطر : ٥ ريالات			
لبنان : ٨٠٠ ليرة	مصر : جنيهان	عمان : نصف ريال			

الإمارات العربية المتحدة : ٥ ريالات

الاشتراكات (للمؤسسات ـ فقط)

في الكويت	٦ دنانير كويتية
في الوطن العربي	٨ دنانير كويتية
خارج الوطن العربي	٤٠ دولارا امريكيا

المراسلات

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة
فاكس : ٤٨٧٢٦٩٤ ـ ص ب ٢٣٩٩٦
الصفاة 13000 ـ الكويت

الآراء المعروضة في الابحاث تعبر عن وجهة نظر كتابها ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلس..



المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

* تقبل المجلة الأبحاث الاصيله والمبتكرة فى نطاق العلوم الادارية الأساسية والمجالات الأخرى ذات الصلة وذلك بما يعود بالنفع على الباحثين والممارسين فى مجال الادارة ، التمويل والاستثمار ، التسويق ، نظم المعلومات الادارية ، الاساليب الكمية فى الادارة ، الادارة الصناعية ، الادارة العامة ، المحاسبة ، الاقتصاد الادارى ، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية.

* تخضع كافة الأبحاث المنشورة للتحكيم من قبل هيئة تحرير المجلة وإثنين أو اكثر من المتخصصين من ذوى الخبرة البحثية والمكانة العلمية المتميزة. وفى جميع الأحوال يتم التحكيم بشكل سرى ، الأمر الذى يتطلب من الباحثين عدم إظهار ما يشير الى هويتهم فى صلب البحث.

* تشمل المجلة الأبواب التالية:
  - الأبحاث .
  - التقارير العلمية التقييمية .
  - ملخصات الرسائل الجامعية .
  - الندوات والمؤتمرات .
  - الحالات العملية .

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالى:

المجلة العربية للعلوم الادارية - جامعة الكويت ص.ب ٢٨٥٥٨ الصفاة

هاتف / فاكس : ٢٥٢٨١٢١ [٩٦٥]

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية محكّمة تعنى بنشر الأبحاث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور مبارك عبدالعزيز النويبت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت : ديناران للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول العربية : ثلاثة دنانير للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ثلاثة دنانير ونصف للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت
ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت
تلفون : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٢٢٢ - فاكس : ٤٨٣٥٧٨٩

arab journal for the humanities

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيسة هيئة التحرير
د. فتوح عبد المحسن الخترش

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

- تقبل الابحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط أن لا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ .
- لا يقتصر النشر في الحوليات على اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب فقط بل لغيرهم من المعاهد والجامعات الاخرى .
- يرفق بكل بحث ملخصا له باللغة العربية وآخر بالانجليزية لا يتجاوز ٢٠٠ كلمة .
- يمنح المؤلف (٣٠) نسخة مجانا .

الإشتراكات :

داخل الكويت
للأفراد : ٣,٢٠٠ د.ك - للاساتذة والطلاب : ١,٦٠٠ د.ك
للمؤسسات : ١٢ د.ك

خارج الكويت
٣٢ دولاراً أمريكيا - ١٦ دولاراً امريكيا
٦٤ دولاراً أمريكيا .

ثمن الرسالة : للأفراد : ٤٠٠ فلس — للأساتذة والطلاب : ٢٠٠ فلس
ثمن المجلد السنوي : للأفراد : ٤,٨٠٠ د.ك — للاساتذة والطلاب : ٢,٤٠٠ د.ك

توجه المراسلات الى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب
ص.ب ١٧٣٧٠ ـ الخالدية
الكويت ـ 72454

arab journal for the humanities



التعاون

مجلة فصليـة فكريـة شاملة محكّمة تصدر عن الشئون الاعلامية
بالامـانـة العـامـة لمجلس التعـاون لدول الخليـج العـربيـة

صدر العدد الأول في ربيع الآخر ١٤٠٦هـ - يناير ١٩٨٦م

- تخدم قضايا دول المجلس واهتماماتها الاقليمية والعربية بصورة عامة.
- تقبل الدراسات والبحوث والمقالات المعمقة ذات الصلة بهذه القضايا في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاعلامية.
- تشمل على بحث أو دراسة محكمة تثرى بتعليقين لباحثين متخصصين، اضافة الى الابواب الثابتة الأخرى تحت عنوان/ آراء ووجهات نظر/ تقارير/ وثائق/ عرض كتب/ اصدارات الامانة العامة/ يوميات مجلس التعاون/ ببليوغرافيا مجلس التعاون/ احصاءات مجلس التعاون.

يحررها نخبة من الباحثين والمتخصصين

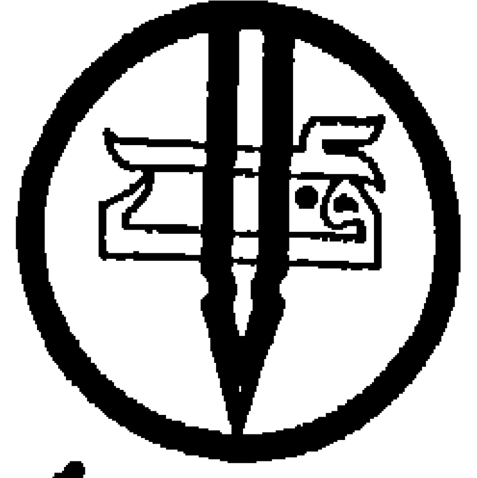
كما يمنح المشارك مكافأة مالية وفق نظام المكافآت الخاصة بالمجلة.

المشرف العام

الدكتور / عبدالله الجاسر

الامانة العامة - ص. ب ٧١٥٣ الرياض ١١٤٦٢ هاتف ٤٨٨٠٤١٢

arab journal for the humanities



عالم الفكر

تصدر عن وزارة الاعلام ـ دولة الكويت

«عالم الفكر» مجلة ثقافية فكرية محكمة، تخاطب خاصة المثقفين وتهتم بنشر الدراسات والبحوث الثقافية والعلمية ذات المستوى الرفيع، في مجالات الآداب والفنون والعلوم التنظيرية والتطبيقية.

رئيس التحرير
الدكتور: عبدالله أحمد المهنا

* ترحب المجلة بمشاركة الكتاب المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات ـ والبحوث المتعمقة وفقا للقواعد التالية:

أ) أن يكون البحث مبتكرا أصيلا ولم يسبق نشره.

ب) أن يتبع البحث الأصول العلمية المتعارف عليها وبخاصة فيما يتعلق بالتوثيق والمصادر مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في نهاية البحث وتزويده بالصور والخرائط والرسوم اللازمة.

جـ) يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢,٠٠٠ ألف كلمة ـ ١٦,٠٠٠ ألف كلمة.

د) تقبل المواد المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة ولا ترد الأصول الى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

هـ) تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري:

و) البحوث والدراسات التي يصرح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات اليها تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

* تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقا لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة كما تقدم للمؤلف عشرون مستلة من البحث المنشور.

ترسل البحوث والدراسات باسم: رئيس التحرير
وزارة الاعلام ـ الكويت ـ ص.ب ١٩٣

Rules of Publication

Research and Study Papers: Conditions and Procedures:

1. The Journal welcomes authentic research papers relevant to the different areas of the Humanities such as:

   Theoretical and Applied Linguistics, Literature and Comparative Literature, Philosophical Studies, Psychology, Social Studies, History, Geography, Arts (Music, Folklore, Theatre, Fine Arts, Sculpture, etc.), Archeology, etc. which aim at making authentic and new contributions in such areas. Papers submitted are accepted in both English and Arabic.

2. Papers submitted have to be in a typed from and must not exceed (40) pages (normal size), or (18000) words, including references, footnotes, appendices and bibliography.

3. In order for a paper to be accepted for publication, it has to meet the following requirements:

a. Adopting sceintific principles and procedures in preparing and writing the research paper in question in such issues as authentication, quotations, footnotes, references, etc.

b. The paper should not have been previously published or submitted for publication to any other journal.

c. The author should declare in writing that the paper is an original work of his/hers and that it has not been submitted for publication to any other journal. He/she should provide the Journal with the original copy of the paper together with an abstract of one page (400) words in the language in which the paper is wirtten. The abstract has to be translated into English if the paper is written in Arabic and translated into Arabic if the paper is written in English. On a separate sheet, the author has to provide further information in the form of a resume (including full address, qualifications and degrees, current position, etc.

4. All papers and correspondence should be addressed to:

   The Editor,
   The Arab Journal for the Humanities,
   P.O. Box 26585,
   13126 Safat,
   Kuwait.

5. Papers are anonymously and confidentially sent out to one or more specialized refrees nominated by the Editorial Board. However, the Board may - in certain cases - take the responsibility of passing a paper without the said arbitration.

6. Authors of research papers are notified of the final verdict of the referees according to the following procedures:

a. Authors of papers accepted for publication are notified of the Editorial Board's approval.

b. Papers that are judged to need some modifications or additions before being published are returned heir authors with the relevant comments so that they can reproduce them in the final form for publication.

c. Authors of uncaccepted papers are notified but no mention is made of reasons for rejection.

7. Each author of a published paper is given twenty reprints of his/her paper free of charge.

8. An Author of a paper is notified as to the acceptance or rejection of his/her paper for publication within a period of six months

9. Footnotes have to be listed in serial numbers at the end of the paper, bearing into consideration that the reference is wirtten in full when referred to for the first time. If it is repeated later, it can be written in a short form. Therefore, only references that have been used are listed and thus the paper will not include a separate reference list at the end.

A Generative Transformational Study of the Maṣdar Structure in Standard Arabic

Lubana Mushawah

The theoretical framework of this research is that of Generative Grammar. It takes advantage of the general principles of the "Government & Binding Theory" (Chomsky 1981) in studying the properties of the structure in which appears the Maṣdar that assigns genitive case to the noun phrase (NP) it governs immediately.

We assumed initially that the Maṣdar adjoined to its object has an empty subject pronoun within the subject NP. Then, relying on the language data, we also assumed that this NP subject precedes the Maṣdar at deep structure. We also argued on the basis of theoretical and empirical facts in favour of a transformational rule that applies to the Maṣdar moving it to the right of its subject,allowing it therefore,to govern and assign case to the NP morphological subject according to the case filter.We argued that this rule does not apply when the subject is an empty pronoun. Therefore,an adjunction relation holds between the Maṣdar and the following NP object.

We finally suggested that this result can be generalized to verbal sentence in which the verb precedes its subject in surface structure. In other words, the surface word order SVO might be obtained from a basic order SVO.This might help in explaining some aspects of the standard Arabic syntax and simplify the Arabic grammar and making it more suitable for modern needs. By giving individual researchers a useful tool for identifying and explaining the continually changing literary genres, the present scheme hopefully accords sound judgement and acumen their due place in literary scholarship, while venturing to put literary history on a new track.

The Problem of Classification in the Study of Literature

Shokri Mohammad Ayyad

The study of literature can lay no claim to a scientific status unless a satisfactory solution has been reached concerning the problem of classification. The present paper proposes to examine the different schemes of classification offered along three traditions: Classical Arabic, Classical Greek and the modern Western tradition. The first criterion in this examination is the strict adherence to the descriptive method. A science of literature (alias literary history) is not concerned either with evaluation or interpretation both being the proper domain of another discipline, viz., literary criticism. The use made by each one of the knowledge gained by the other does not justify the confusion of both as disciplines. The second criterion adopted by the present paper, both in examining the existing classification and in proposing a new one, is the multiplicity of factors. It has been observed that all three traditions are unilateral; each one arbitrarily chooses one factor only in the appearance and development of literary genres as the only base for classification, to be modified only incidentally in the light of practice. A composite scheme is offered, which subordinates all differences relating to categories of time or place, general philosophy or changes of taste to three main factors objectively acknowledged as producing the literary artefact, viz., producer, receiver and matter (or object) which are set in motion by three mechanisms: the mental attitude of the producer, the receiver's predisposition towards the object, and the channel used by the producer to reach the receiver. The main categories of each factor or mechanism are pointed out. The end-result of the whole man-made phenomenon is comprised by three interrelated aspects: vogue, style and vision.

Some Personality Traits Affecting the Success of Keller's Plan of Individualized Instruction

Shokri Sayed Ahmed

There is a link between personality variables and performance when individualized instruction has not been systematically and extensively covered in our Arab countries even though it would be reasonable to assume that personality factors play a crucial role, particularly with issues such as locus of control, anxiety, achievement motivation, extroversion, self-concept, autonomy, endurance, and dominance.

The purpose of the present study is to determine the personality factors which are essential to the success of Keller's Plan of Individualized Instruction. The subjects of the study were 102 male students enrolled in some courses at Qatar University who studied one course by using Keller's Plan. They were classified into three groups according to their performance in the final comprehensive exam of the course (Low-Medium-High). A series of six survey instruments was administered only to the low and high achievers' groups. The instruments are: Locus of Control Survey (LCS), State-Trait Anxiety Inventory (STAI), Achievement Motivation Scale (AMS), Eysenck Personality Inventory (EPI), Academic Self-Concept Scale (ASCS), and Edwards Personal Preference Schedule (EPPS). The results suggest that while there were no statistically significant differences between low achievers and high achievers regarding locus of control, anxiety, change, and abasement, the differences between the two groups were statistically significant regarding motivation, extroversion, self-concept, autonomy, order, endurance, and dominance.

Towards Developing Organization Control in Kuwait, an Analytical Study

Salem Marzouk Al-Tuhaih

The study aims at presenting a practical framework for the application of the concept and approach of organization control in government organizations as practised in the private sector. This practical framework is considered a viable alternative among the alternatives which rectify the deficiency in the organization control function in government organizations.

To achieve the above objective, the study adopted an approach that was compatible with the nature of the topic, which was not discussed much in previous studies. This approach required in its first stage a survey of the literature, a study of Kuwaiti laws related to organization control, and an analysis of some organization control models in some Arab and non-Arab countries. The second stage included intensive interviews with a number of senior officials in ministries of the State of Kuwait, and with a number of prominent businessmen who previously held offices in the government sector, in addition to some academicians in the field of administration and administrative law.

The study deduced the organization control models from the experiences of different countries in organization control, and reviewed the experience of Kuwait in that matter. The study exposed the inability of the means of organization control in government sector to cope with the developments in Kuwait before the Iraqi invasion of Kuwait. Furthermore, awareness of this inability increased during the reconstruction period after the liberation of Kuwait. The study showed that the third model of organization control is the closest to the approach followed by the private sector.

Therefore, the study recommends a basic system for the organization control function and its means, to be applied in order to continue the development of that function. This system is founded on many essential recommendations in a number of areas, the most important of which are the area of objectives, where emphasis is focussed upon linking plans and efforts of organizations to their objectives and holding these organizations accountable for achieving their objectives; and the area of bylaws and procedures, where attention is drawn to government bylaws and procedures and reducing dependence on procedural and regulatory control as well as beforehand control; also the area of intervention, where intervention by the executive authority is limited to cases where self-control leads to significant negative effects. As for the area of management, which attracted the interest of the study, there were many recommendations of which is a call for the establishment of a bureau for managerial development parallel to the Audit Bureau, subservient to the head of the executive authority, and submitting to him periodic reports similar to those accounting reports submitted by the Audit Bureau.

Four Pottery Seals in the Collection of Kuwait National Museum

Ahmad Abdel Raziq Ahmad

I

This research deals with identifying four pottery seals which were kept in the department of Islamic Antiquities in Kuwait National Museum before the Iraqi invasion. The four seals have not yet been published. They are all cylindric in form and made of rosy or yellowish green clay decorated with different motifs and surmounted with handles to facilitate its usage.

The chemical analysis that was done on some of the similar examples found in Fustat, the first capital of Islamic Egypt, proved that such seals were made of the Tebbin clay, the Nile silt, and the Mokkatam limestone in different proportions, as well as that all these materials were near the potters in the Fustat area.

II

The study of the decorative motifs on the seals revealed the existence of some Arabic inscription in both simple and floral Kufic within varied geometric designs. Such inscription throws the light on some human thoughts and aspects in the middle ages, especially the expressions that were said while eating certain kinds of desserts we still find in the markets today.

Animal designs played a great role in the decoration of some seals as we can see on some of the animal shapes, birds or fish carved alone or accompanied with some geometric or floral designs, The decoration of those seals were unique on some floral motifs made of seven petal flowers, trilobe leaves, or wavy branches ending in half a leaf with two or three petals.

III

All the previously mentioned decorative elements helped in dating this collection of seals by comparing them to similar pieces in other Islamic Museums, and were thus able to be attributed to Egypt in the time between the third and the seventh A. H./ nineth to thirteen A.D.

The study of those seals also revealed that they were used to print some decorative motifs on the special cookies baked in the different feasts and festivals abundantly celebrated during the Fatimid period. In those feasts or festivals, the baking of cookies was accompanied with many surprises prepared by the rulers such as filling them with golden Dinars as a present to these who were invited to the ruler's table. .



Arabic Articles

(25) Maeda, S. (1990), "Compensatory articulation during speech: Evidence from the analysis and synthesis of vocal-tract shapes using an articulatory model". **In speech Production and speech Modeling** (W. J. Hardcastle and A. Marchal, editors). Pp. 131- 150. Pordrech: Kluwer Academic Publishers.

(26) Carney, P. J. and Moll, K. L. (1971). "A cinefluorographic investigation of fricative consonant-vowel coarticulation". **Phonetica:** 23, Pp. 193-202.

* * *

(4) Heinz, J. M. and Stevens, K.N. (1961). "On the properties of voiceless fricative consonants". **Journal of the Acoustical Society of America**: 33, Pp. 589-596.

(5) Sharf, D. J. and Hemeyer, T. (1972). " Identification of place of consonant articulation from vowel formant transitions ". **Journal of the Acoustical Society of America**: 51, Pp.652-658.

(6) Kuehn, D. P. and Moll, k. L. (1972). "Perceptual effects of forward coarticulation". **Journal of Speech and Hearing Research**:15, Pp. 654-664.

(7) Ostreicher, H. J. and Sharf, D. J. (1976). " Effects of coarticulation on the identification of deleted consonant and vowel sounds". **Journal of Phonetics**: 4, Pp. 285-301.

(8.) Jenkins, J. I.; Strange, W. and Edman, T. R. (1983). "Identification of vowels in vowel-less syllable". **Perception and Psychophysics**: 34,Pp. 441-450.

(9) Strange, W.; Jenkins, J. I. and Johnson, T. L. (1983). "Dynamic specification of coarticulated vowels". **Journal of the Acoustical Society of America**: 74, Pp. 695-705.

(10) a. Swadesh, M. (1937). "The phonemic interpretation of long consonants". Language: 13, Pp. 1-10.

b. Flege, J. and Port, R. (1981). "Cross-language phonetic interference: Arabic to English. **Language and Speech**: 24, Pp. 125-146.

(11) MacNeilage, P. and DeClerk, J. L. (1969). "On the motor control of coarticulation in cvc monosyllables". **Journal of the Acoustical Society of America**: 45, Pp. 1217-1233.

(12) Kozhevnikov, V. A. and Chistovich, L. A. (1965). **Speech: Articulation and Perception.** (Moscow-Leningrad). Translated by Joint Publications Research Service, Washington, D.C., No. JPRS 30.543 (4th printing,1967).

(13) Recasens, D. (1985}. " Coarticulatory patterns and degrees of coarticulatory resistance in Catalan cv sequences ". **Language and Speech** 28, Pp. 97-11 4.

(14) Peterson, G. E. and Lehiste, I. (1960). "Duration of syllable nuclei in English " **Journal of the Acoustical Society of America**: 32, Pp. 693 -703.

(15) Al-Ani, S. (1970). **Arabic Phonology**. The Hague: Mouton.

(16) Fant, G. (1960). **Acoustic Theory of Speech Production.** The Hague: Mouton.

(17) a. Ali, L. and Daniloff, R. (1972). "A Cinefluorographic-phonological investigation of emphatic sound assimilation in Arabic." **Proceedings of the International Congress of Phonetics Sciences**, 7th. Pp. 639-648.

b. Al-Ghazali, S. (1977). Back Consonants and Backing Articulation in Arabic Ph.D. Thesis, The University of Texas, Austin.

(18) a. Delattre, P. (1971)."Pharyngeal Features in the Consonants of Arabic, German, Spanish, French and American English. **Phonetica**: 23, Pp, 23-129.

b. Ali, L. and Daniloff, R. (1972).

c. Al-Ghazali, S. (1977).

(19) Fant, G. (1960).

(20) Delattre, P.; Liberman, A. and Cooper, F. (1955). " Acoustic loci and Transitional Cues for Consonants". **Journal of the Acoustical Society of America**: 27, Pp. 769-773.

(21) El-Halees, Y. (1985). "The role of F1 in the place-of-articulation distinction in Arabic". **Journal of Phonetics**: 13, Pp. 287-298.

(22) Fant, G. (1960).

(23) Wood, S. (1982)." Radiographic and model studies of the palatal vowels". In **x-ray model studies of vowel articulation**, Vol.23, Pp. 119- 115. Working Papers, University of Lund.

(24) Wood,S. (1 982).

carryover coarticulatory effects on the following vowels in the cv:c syllables in GAD. The second formant frequency of the vowels showed significant variation as a function of the preceding fricative place of articulation. In general, it appears that the amount of c-to-v coarticulation is inversely related to the degree of fricative articulators involvement in the production of the following vowel. Thus, on the one hand, the large decrease in the F2 frequency of the front high vowel in the vicinity of emphatic and pharyngeal fricatives reflects the antagonistic demand on the articulatory movements during the production of such sequences; whereas, the emphatic and pharyngeal fricatives involve lowering and retracting the tongue, the front high vowel requires tongue fronting and raising towards the palatal region of the oral cavity. On other hand, the relatively small decrease in the F2 frequency of the front high vowel in the vicinity of alveolar and palatal fricatives reflects the complementary demand on the tongue movement during the production of such sequences, whereas the articulation of both the consonant and the following vowel involves tongue fronting and raising towards the palatal region.

However, it should be noted that the fricative carryover coarticulatory effects on the vowels can be explained more accurately by means of electropalatography study which provides detailed information on the articulators movement and position during the production of fricative-to-vowel sequence. A point which can be considered for future investigation of Arabic fricative consonants. Another point which needs further study is whether a native speaker of Arabic language can detect formant transitions in the vowel space as belonging to specific fricative consonants, without those fricative consonants being actually present in speech signal.

NOTES

(1) For a detailed acoustic analysis of vowels coarticulation across languages see:

a. House, A. S. and Fairbanks, G. (1953). " The influence of consonant environment upon the secondary acoustical characteristics of vowels". **Journal of the Acoustical Society of America:** 25, Pp. 105-113.

b. Stevens, K. N. and House, A. S. (1963). "Perturbations of vowel articulations by consonantal context: An acoustical study". **Journal of Speech and Hearing Research:** 6, Pp. 111-128.

c. Lindblom, B. E. F. (1963). " Spectrographic study of vowel reduction". **Journal of the Acoustical Society of America:** 35, Pp.1773-1781.

d. Öhman, S. (1966). "Coarticulation in vcv utterances: Spectrographic measures". **Journal of the Acoustical Society of America:** 39, Pp. 151 -168.

e. Broad, D. J. and Fertig, R. H. (1970). "Formant-frequency trajectories in selected cvc-syllable nuclei". **Journal of the Acoustical Society of America:** 47, Pp. 1572-1582.

f. Ohde, R. N. and Sharf, D.J. (1975). " Coarticulatory effects of voiced stops on the reduction of acoustic vowel targets". **Journal of the Acoustical Society of America:** 58, pp. 923-927.

g. Recasens, D. (1987). " An acoustic analysis of v-to-c and v-to-v coarticulatory effects in Catalan and Spanish vcv sequences ". **Journal of Phonetics:** 15, Pp. 299-312.

(2) Schouten, M. E. H. and Pols, L. C. W. (1979). "Vowel segments in consonantal contexts: a spectral study of coarticulation". **Journal of Phonetics:** 7, Pp. 1-23.

(3) Cooper, F. S.; Delattre, P. C.; Liberman, A. M.; Borst, J. M. and Gerstman, L. J. (1952). "Some experiments on the perception of Synthetic speech Sounds". **Journal of the Acoustical Society of America:** 24, Pp. 597-606.

of F2 onglide decreased in the progression θ < ð < f < ḥ < h < ɣ < x < ḍ̄ < ʕ < ṣ, and the raising of F2 onglide increased in the progression s < z < š.

(2) The decrease in the F2 onglide frequencies of the high and mid front vowels reflects some tongue lowering induced by the preceding fricatives. According to Fant (1960)[22] F2 frequency correlates with front cavity size and therefore with the degree of tongue raising towards the palate. Wood (1982)[23] found that an increase in the distance between the tongue and the palate at the place of primary constriction for front vowels causes significant decrease in the F2 frequency. The large amount of F2 onglide lowering for the high front vowels in the emphatic context is then understandable since the front cavity size is enhanced by the tongue lowering and retracting for the articulation of the emphatic fricatives. The relatively small amount of the F2 onglide lowering before dental, alveolar and palatal fricatives reflects less demand on the tongue movement during the articulation of these fricatives and the front vowels.

(3) The increase in the F2 onglide frequencies of the back vowels reflects some tongue raising induced by the preceding fricatives. The friction constriction for dental, alveolar and palatal fricatives involves tongue fronting and raising towards the palatal region of the oral cavity which causes some reduction in the front cavity size, thus yielding acoustically to an increase in the F2 onglide frequency. Wood (1982)[24] reported that advancing the dorsal constriction for [u] from the back or mid soft palate to the front soft palate or to even more anterior region causes a large F2 increase. Similar results were obtained by Maeda (1990)[25] for the vowel [o]. The emphatic fricatives influenced the back vowels by lowering their F2 onglide transition which reflects that the tongue is somewhat further retracted during the production of the sequence emphatic fricatives plus back vowels. However, the vowel [u:] showed insignificant amount of F2 onglide lowering (less than 50 Hz) which indicates that this vowel resists further backing. The carryover coarticulatory effects of the pharyngeal fricatives on the back vowels probably reflects some reduction in the back cavity size, and the small amount of F2 onglide raising before uvular fricatives may reflect that the tongue movement is minimum during the articulation of the sequence uvular fricatives plus back vowels.

(4) The increase in the F2 onglide frequencies of the low vowel [a:] in the vicinity of the alveolar and palatal fricatives reflects some tongue raising towards the palatal region of the oral cavity during the formation of these fricative constrictions. Carney and Moll (1971)[26] found that the x-ray data showing more tongue dorsum raising for [a] when it is adjacent to [s] in the sequence [hisa] than when it is adjacent to [v] in the sequence [hiva]. The decrease in the F2 onglide frequency reflects some tongue backing and lowering induced by the preceding emphatic uvular and pharyngeal fricatives.

(5) All vowels showed small amount of carryover coarticulatory effects in the vicinity of the glottal fricative and the labio-dental fricative which reflects the neutral demand on the tongue movement during the articulation of these consonants and the following vowels. The production of [h] involves tongue readiness for the articulation of the following vowel, and the production of [f] requires no tongue movements.

4- The dental voiced emphatic fricative [ð̣] showed downward shift in the F2 transition of all vowels: [u:l 38 Hz, [o:] 181 Hz, [a:] 198 Hz, [e:] 1224 Hz and [i:] 1364 Hz.

5- The alveolar voiceless fricative [s] showed downward shift in the F2 transition of the front vowels: [e:] 258 Hz and [i:] 364 Hz. The low and back vowels showed upward shift in the F2 transition: [a:] 60 Hz, [o:] 546 Hz and [u:] 683 Hz.

6- The alveolar voiced emphatic fricative [ṣ] showed downward shift in the F2 transition of all vowels: [u:] 10 Hz, [o:] 100 Hz, [a:] 319 Hz, [e:] 1076 Hz and [i:] 1464 Hz.

7- The alveolar voiced fricative [z] showed downward shift in the F2 transition of the front vowels: [e:] 235 Hz and [i:] 349 Hz. The low and back vowels showed upward shift in the F2 transition: [a:] 100 Hz, [o:] 477 Hz and [u:] 848 Hz.

8- The palato-alveolar voiceless fricative [š] showed downward shift in the F2 frequency of the front vowels: [i:] 228 Hz and [e:] 379 Hz. The low and back vowels showed upward shift in the F2 transition: [a:] 172 Hz, [o:] 486 Hz and [u:] 682 Hz.

9- The uvular voiceless fricative [x] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [a:] 191 Hz, [e:] 454 Hz and [i:] 652 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [u:] 56 Hz and [o:] 63 Hz.

10- The uvular voiceless fricative [Y] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [a:] 182 Hz, [i:] 424 Hz and [e:] 425 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [o:] 30 Hz and [u:] 51 Hz.

11- The pharyngeal voiceless frivative [ḥ] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [a:] 161 Hz, [e:] 470 Hz and [i:] 591 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [o:] 115 Hz and [u:] 325 Hz.

12- The pharyngeal voiced fricative [ʕ] showed downward shift in the F2 transitions of the vowels [a:] 252 Hz, [e:] 508 Hz and [i:] 726 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [o:] 212 Hz and [u:] 364 Hz.

13- The glottal voiceless fricative [h] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [i:] 30 Hz, [a:] 167 Hz and [e:] 243 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [u:] 46 Hz and [o:] 79 Hz.

The following tendencies emerge from the carryover coarticulatory effects of the fricative consonants on the F2 onglide transition:

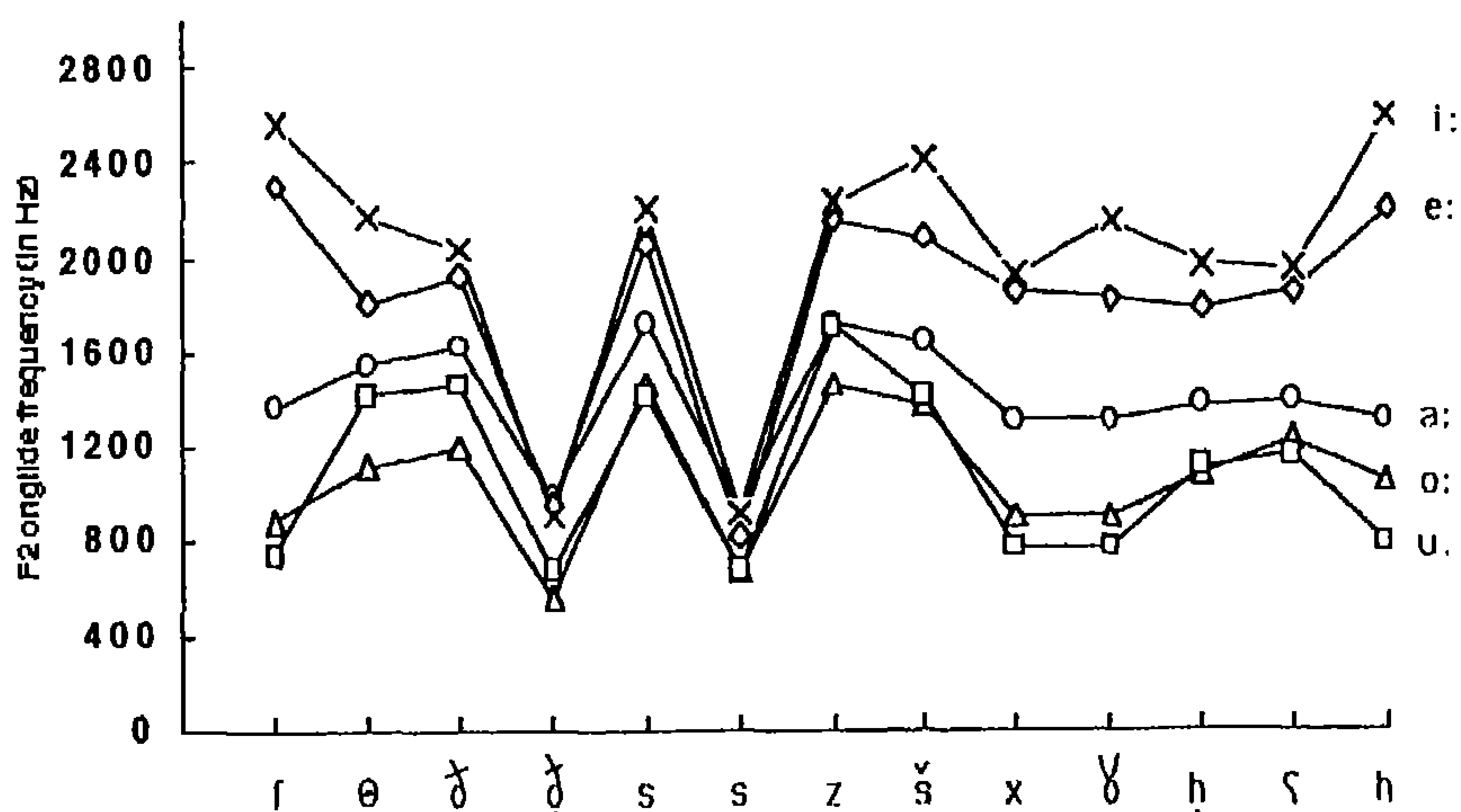
(1) All fricatives influenced the front vowels by lowering their F2 onglide frequencies compared to their steady state values in similar context. The F2 lowering for the vowel [I:] decreased in the progression h < f < š < z < s < ɵ < ɣ < ð < ḥ < x < ʕ < ð < ṣ As for the vowel [e:] the F2 lowering decreased in the progression f < z < h < s < š < ɣ < x < ḥ < ð < ʕ < ɵ < ṣ < ð̣. The back vowels showed raising F2 onglide transition before all fricatives except for the emphatic fricative which showed F2 lowering effects. The F2 onglide raising of the vowel [o:] increased in the progression f < ɣ < x < h < ḥ < ʕ < ɵ < ð < z < š < s. As for the vowel [u:] the F2 raising increased in the progression f < h < ɣ < x < ḥ < ʕ < ɵ < ð < š < s < z. The low vowel [a:] showed lowering F2 onglide transition before all fricatives except alveolar and palato-alveolar fricatives which showed F2 raising effects. The lowering

the locus of the F1 is identical for [b, d, g], and suggested that the F1 locus has nothing to do with consonant place of articulation. However, fricatives articulated in the non - anterior place of articulation (i.e. uvulars, pharyngeals) and emphatic fricatives show systematic upward shift in the F1 transition of these vowels. Although the amount of the F1 transition for the low vowel [a:] did not exceed 50 Hz range, it showed consistent upward shift after fricatives with non-anterior place of articulation and downward shift after fricatives with interior place of articulation. The vowel [u:] showed hardly any movement in the F1 transition as a function of fricative place of articulation. However in Jordanian Arabic, as reported by El-Halees (1985),[21] the F1 transition plays a major role in the distinction between uvular and pharyngeal place of articulation.

Figure (2) shows the mean values of the F2 onglide transition of the vowels as a function of preceding fricative place of articulation. This figure shows a large amount of variation in the F2 onglide transition but the degree of variation differs according to fricatives places of articulation. To get better understanding of such coarticulatory constraint, let us examine in more details the behaviour of the F2 onglide transition before individual fricative:

1- The labio-dental voiceless fricative [f] showed downward shift in the F2 transition of the front and low vowels. The F2 transition mean values decreased as follows: [i:] 50 Hz, [a:] 106 Hz, and [e:] 109 Hz, compared to their steady state means in similar environments. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [u:] 19 Hz, and [a:] 25 Hz.
2- The dental voiceless fricative [θ] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [a:] 31 Hz, [i:] 410 Hz, and [e:] 591 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [o:] 223 Hz and [u:] 636 Hz.
3- The dental voiced fricative [ð] showed downward shift in the F2 transition of the vowels: [a:] 46 Hz, [e:] 486 Hz and [i:] 531 Hz. The back vowels showed upward shift in the F2 transition: [o:] 318 Hz and[u:] 667 Hz.

FIG. (2) Mean values of F2 onglide tansition frequency (in Hz) of the long vowels as a function of preceding fricative place of articulation.



steady state lowering of the vowel [u:] reflects that this vowel is intrinsically back and probably resists further backing of the tongue.

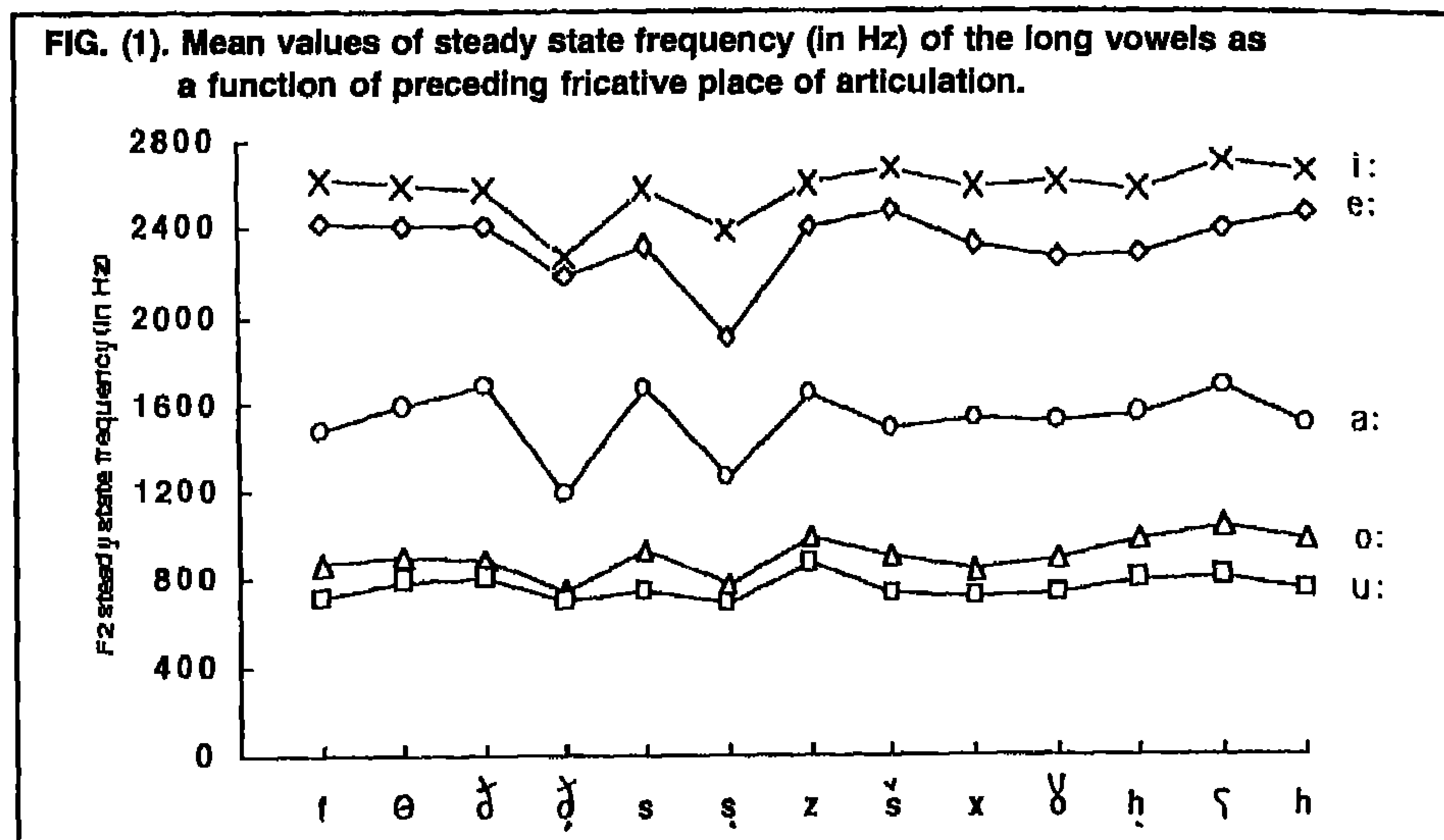


FIG. (1). Mean values of steady state frequency (in Hz) of the long vowels as a function of preceding fricative place of articulation.

(2) The degree of lowering in the pharyngeal fricatives construction has also systematically influenced the F2 steady state frequencies of the following vowels. Pharyngeal fricatives in Arabic language are produced by retracting and lowering the root of the tongue and making a low narrow constriction with the back wall of the pharynx in the laryngopharyngeal cavity (Delattre,1971; Ali and Daniloff,1972; Al-Ghazali,1979).[18] The constriction for the voiceless pharyngeal [ḥ] is lower and narrower than for the voiced pharyngeal [ʕ]. In the present data the lowering of [ḥ] constriction caused the F2 steady state frequencies of the vowels to decrease as follows: [i:] 120 Hz, [a:] 110 Hz, [e:] 105 Hz, [o:] 54 Hz, and [u:] 7 Hz; compared to their mean values preceding the voiced counterpart. The F2 lowering is associated with the size of the oral cavity: the wider the oral cavity, the lower the F2 frequency (Fant,1966)[19]. Once again the relatively small amount of the F2 steady state lowering of the vowel [u:] shows that back vowels are less sensitive to backing coarticulation effects.

As mentioned earlier a number of studies have shown that the formant transitions between the consonants and the steady state part of the vowel provide important acoustic cues for the perception of vowels and consonants. In the present study formant transition was examined to find out any regularities in the upward or downward shift in the values of formant transition as a function of preceding fricative place of articulation. The results showed no significant carryover coarticulatory effects on the F1 onglide transition for the vowels [i:, e:, o:] in the vicinity of fricative with anterior place of articulation (i.e. dentals, alveolars and palatals). The amount of F1 transition variation did not exceed 50 Hz. More importantly, repetition of tokens proved that the variation was inconsistent. Similar results were reported by Delattre et al (1955)[20] who found that

Tables (1), (2) and (3) show the carryover coarticulatory effects of initial fricative consonants on the steady state and formant transitions of the following long vowels in GAD. It is assumed that the average means of the vowel formant frequencies in various fricative contexts will capture at best the one-to-one mapping relationship between the underlying phonemic representations and their corresponding articulatory gestures. Therefore, it is hoped that, the comparison of average means with the mean of individual fricative will provide us better insight to the magnitude of consonantal effects on the target formant frequencies of vowels. The average means of the vowels steady state F1 and F2 frequencies as a function of various fricatives context is as follows: for the vowel [i:] the average mean of F1 is 330 Hz (SD 35), F2 2562 Hz (SD 112); for the vowel [e:] the average mean of F1 is 472 Hz (SD 35), F2 2322 Hz (SD 154); for the vowel [a:] the average mean of F1 is 729 Hz (SD 31), F2 1512 Hz (SD 150); for the vowel [o:] the average mean of F1 is 453 Hz (SD 36), F2 898 Hz (SD 84); and for the vowel [i:] the average F1 is 368 Hz (SD 24), F2 755 Hz (SD 50).

On the one hand, comparing the average mean of F1 steady state of the vowel [i:] with the individual fricative context mean, it appears that no systematic variation has been induced on F1 (the range does not exceed 50 Hz) as a function of fricative place of articulation. The pharyngeal fricatives show consistent increase in F1 frequency within the range of 100 Hz. Similarly, the F1 steady state of the vowel [e:] shows no significant variation as a function of fricative place of articulation. Only the voiced pharyngeal fricative [ʕ] shows consistent increase in F1 within the range of 75 Hz. The vowels [a:, o:, u:] also show no significant variation in their F1 steady state frequency in the vicinity of fricative consonants, but once again the pharyngeal fricatives induced systematic increase in the vowel [o:] F1 frequency within the range of 70 Hz.

On the other hand, fricative consonants induced systematic large coarticulatory effects on the F2 steady state frequencies of the following vowels. Figure (1) shows the mean values of F2 steady state frequency as a function of preceding fricative place of articulation. In this figure the vowels are shown to differ in their amount of F2 steady state variation. The difference between the highest and the lowest mean values of F2 steady state for each vowel is as follows: [i:] 408 Hz, [e:] 576 Hz, [a:] 499 Hz, [o:] 288 Hz, and [u:] 172 Hz. However, the carryover coarticulatory effects did not produce a progressive increase or decrease in F2 steady state frequency of the vowel as the place of fricative articulation moves from anterior to non-anterior position in the oral cavity. Nevertheless the following tendencies emerge:

(1) F2 steady state frequencies of the vowels are lowered considerably in the vicinity of the emphatic fricatives compared to the values in non-emphatic counterpart fricatives. The amount of F2 steady state lowering induced by the emphatic dental fricative [ð̣] increases in the progression [u:] < [o:] < [e:] < [i:] < [a:], and by the emphatic alveolar fricative [ṣ] increases in the progression [u:] < [o:] < [i:] < [a:] < [e:]. The present result is in agreement with the findings reported by Fant (1960)[(16)] that F2 frequency is inversely related to the degree of tongue backing. The production of emphatic fricatives [ð̣] and [ṣ] involves a primary articulation accompanied by a narrow constriction between the tip of the tongue and the upper front teeth for the former, and the blade of the tongue and the alveolar ridge for the latter. A secondary articulation involves tongue retraction towards the pharyngeal cavity (Ali and Daniloff, 1972; Al-Ghazali, 1979).[(17)]The insignificant amount of F2

Table (3). Means and standard deviation (in Hz) of the back vowel [o:,u:] F1 and F2 frequencies in various initial fricatives context

	Fl frequency				F2 frequency			
Token	onglide		steady state		onglide		steady state	
	m	SD	m	SD	m	SD	m	SD
fo:t*	439	14	424	8	888	24	863	27
θo:t*	394	9	413	13	1121	48	898	25
ðo:t*	452	12	460	16	1197	32	879	29
ð̣o:t*	495	6	410	5	561	18	742	34
so:d	394	17	439	10	1470	40	924	37
ṣo:t	486	14	441	21	673	37	773	29
zo:d	401	15	428	26	1470	13	993	26
šo:t	394	7	430	18	1380	40	894	43
xo:t*	500	24	485	20	902	15	839	30
ɣo:t*	512	11	469	26	909	28	879	18
ḥo:t*	636	31	515	16	1091	27	876	46
ʕo:d	652	18	518	10	1242	18	1030	26
ho:t*	455	21	456	28	1061	26	982	35
fu:t	352	16	348	24	735	26	716	32
θu:t*	364	10	333	81	424	42	788	26
ðu:t*	361	12	336	12	1470	18	803	31
ð̣u:t*	374	24	404	18	667	40	705	36
su:d	350	32	348	17	1425	36	742	18
ṣu:t*	364	19	368	14	682	31	692	45
zu:d	379	16	385	24	1712	18	864	27
šu:t	365	21	365	29	1409	31	727	40
xu:t*	376	31	380	37	768	48	712	28
ɣu:t*	382	18	379	11	778	29	727	17
ḥu:d	348	27	346	20	1121	20	796	42
ʕu:d	424	19	396	16	1167	37	803	20
hu:d	394	14	395	17	788	18	742	36

Table (2). Means and standard deviations (in Hz) of the front vowels [i:, e:] F1 and F2 frequencies in various initial fricatives context

	F1 frequency				F2 frequency			
Token	onglide		steady state		onglide		steady state	
	m	SD	m	SD	m	SD	m	SD
fi:d	318	31	321	26	2571	46	2621	48
θi:t*	320	14	313	21	2182	28	2592	37
ði:t*	305	18	301	16	2045	44	2576	21
ð̣i:t	394	12	318	17	909	36	2273	41
si:t	360	6	348	11	2212	27	2576	45
ṣi:t	424	12	318	18	915	43	2379	32
zi:d	319	24	316	11	2242	24	2591	39
ši:d	310	9	303	11	2424	44	2652	47
xi:t*	373	17	305	15	1924	41	2576	30
ɣ i:t*	411	21	312	20	2167	31	2591	30
ḥi:d	492	13	386	10	1970	38	2561	20
ʕi:d	505	20	418	28	1955	43	2681	40
hi:t	341	17	326	24	2606	57	2636	48
fe:t*	424	8	426	5	2315	23	2424	37
θe:t*	450	12	424	10	1818	46	2409	56
ðe:t*	379	9	425	15	1924	43	2410	43
ð̣e:t*	576	13	485	10	955	21	2179	18
se:d	475	18	434	21	2061	13	2319	27
ṣe:d	561	5	485	12	818	10	1894	28
ze:t	515	21	500	18	2159	21	2394	23
se:t*	519	23	515	22	2091	48	2470	51
xe:t*	621	16	485	13	1864	31	2318	35
ɣ e:t*	515	18	481	12	1833	46	2258	50
ḥe:t*	636	14	485	19	1803	41	2273	21
ʕe:t*	652	26	530	17	1870	27	2378	20
he:t	485	18	495	11	2212	20	2455	44

the initial fricative consonant to the steady state part of the vowel, (2) the steady state part of the vowel.

Results and Discussion

Table (1). Means and standard deviations (in HZ) of the low vowel [a:] F1 and F2 frequencies in various initial fricatives context.

Token	F1 frequency				F2 frequency			
	onglide		steady state		onglide		steady state	
	m	SD	m	SD	m	SD	m	SD
fa:t	712	16	773	12	1364	20	1470	37
θa:t*	742	12	781	14	1545	18	1576	46
ða:t	710	21	758	17	1636	42	1682	23
ḍa:t	646	9	682	15	985	39	1183	52
sa:d	636	25	712	10	1727	21	1667	24
ṣa:d	667	18	685	19	939	37	1258	20
za:d	683	11	716	13	1736	47	1636	54
ša:t	685	20	715	24	1652	42	1480	46
xa:t*	768	7	727	11	1324	56	1515	36
ɣa:t	786	15	740	14	1318	29	1500	19
ḥa:d	758	26	712	17	1384	38	1545	45
ʕa:d	788	31	758	21	1403	44	1655	54
ha:t	697	14	716	18	1318	37	1485	48

* artificial cv:c syllables.

Jenkins et al (1983)[8] and Strange et al (1983)[9] reported that the steady state portion of the vowel is not necessary for good vowel identification. They excised the relatively steady state portion from natural vowels spoken in cvc syllables, and obtained high degrees of accuracy when only the initial and final transitions and relative timing of these portions were left intact. Identification accuracy for these "vowel-less" syllables was equal to or greater than that for the steady state portions extracted from the syllables.

Material and Procedure

The linguistic material consisted of 65 cv:c syllables. Arabic possesses a phonotactic constraint which limits the monosyllabic words to cv:c or cvcc structures (Swadesh, 1937; Flege,1981)[10]. In order to separate the influence on the syllable nucleus that is attributable to the initial consonant from that attributable to the final consonant only various initial consonants are examined in the context of the similar final consonants. In fact, MacNeilage and DeClerk (1969)[11] reported that the cv unit is more cohesive than the vc unit on the basis of greater coarticulation effects of the initial consonant on the medial vowel, than of the final consonant on the medial vowel. Their results support Kozhevnikov and Chistovich (1965)[12] who suggested that the cv syllable is the basic unit of articulation. Similarly Recasens (1985)[13] has shown that the magnitude of carryover coarticulatory effects is greater than anticipatory effects in Catalan.

In each cv:c syllable the initial consonant represents one of the following GAD fricative consonants: [f, θ, ð,ð̣, s, ṣ, z, š, x, ɣ, ḥ, ʕ, h], the vowel one of the following long vowels: [i:, e:, a:, o:, u:], and the final consonant represents either voiceless or voiced alveolar stop consonants. The test material was carefully selected to be as representative as possible of all GAD fricative-to-vowel sequences. However, by using real words it was not possible to have a uniform set of fricatives with each long vowel cluster, especially with the vowels [e:, o:]. Therefore 29 cv:c artificial syllables were used to fill the gap, but all these artificial syllables conform to the phonology of Arabic.

Five male native speakers of GAD students of the United Arab Emirates University took part in this experiment. All were in their early twenties, were linguistically and phonetically naive. Each speaker was asked to read words from individual cards presented by the experimenter. Cards were arranged in random order, all tokens were printed on the cards using normal Arabic orthography. Subjects were told to produce each token five times at a speaking rate they considered to be representative of their normal conversational speech. The speech material was recorded in a sound treated room on a professional-quality portable cassette tape recorder (Sony model TCD5M) using an electrect condensor microphone positioned about six inches from the speaker's mouth. The recordings were processed at the University of Texas Speech Laboratory, they were digitized at a sampling rate of 10 KHz, after pre-emphasis and low-pass filtering. The frequencies of vowel formants were estimated using linear predictive coding (LPC) analysis on a VAX computer.

The segmentation criteria for the vowels and fricative consonants boundaries are similar to those employed by Peterson and Lehiste (1960)[14] and Al-Ani (1970).[15] The vowel portion of each cv:c syllable was divided into two segments: (1) the transition from

Introduction

Studies on the acoustic characteristics of vowels across languages have revealed that the abstract vowel phonemes have a range of phonetic variants across segmental and prosodic contexts. Vowel formant variation has been of particular interest. Vowel quality is usually described by its acoustic information of the first two formant frequencies (see House and Fairbanks (1953), Stevens and House (1963), Lindblom (1963), Öhman (1966), Broad and Fertig (1970), Ohde and Sharf (1975), Recasens (1987).....among others)[1].

One of the purposes of the present study is to find out whether the spectral characteristics of the steady state portions of vowels in the Gulf Arabic Dialect spoken in the United Arab Emirates (henceforth GAD) in monosyllabic words vary systematically as a function of the neighbouring fricative consonants. Schouten and Pols (1979)[2] reported that the steady state portion of Dutch vowels was found not to vary systematically with consonantal context, but the cv and, to a lesser extent, the vc transitions turned out to combine into pattern that was quite consistent over speakers and conditions.

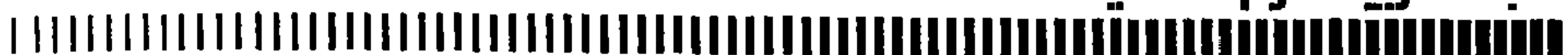
A second purpose of the present investigation is to measure and describe, in acoustical terms, any regularities in the transitions from fricatives to vowels in the tested utterances. Transitions are usually seen as rapid shifts in the frequency position of the vowel formants where vowel and consonant join and are typically most marked for the F2 (Cooper et al, 1952).[3]

Studies of natural and synthesized speech have shown that the transitions between the consonant and the steady state portion of the vowel provide important cues for the perception of vowels and consonants. Heinz and Stevens (1961)[4] exposed their listeners to isolated friction (constant duration of 200 ms), isolated friction plus the steady state portion of [a], and friction plus transition plus vowel. On the basis of fricative cues alone, listeners reliably sorted their response into three groups: [š] for low frequency poles, [s] for midfrequency poles, and [f-θ] for high-frequency poles. Adding the synthetic vowel to these friction portions still resulted in [f-θ] confusion. They indicated that F2 transition seemed to be a necessary cue for distinguishing between these two consonants.

Sharf and Hemeyer (1972)[5] used cv- and vc- stimuli from which the consonant portion had been deleted. They found that vowel formant transitions provided sufficient perceptual cues for fricative consonant identification.

Kuehn and Moll (1972)[6] progressively deleted portions of the consonants and transitions in syllables consisting of fricatives or nasals followed by a vowel on either side of the cv transitions. They found that listeners were able to identify most consonants and all vowels above chance level even though the steady state portions had been deleted.

Ostreicher and Sharf (1976)[7]presented portions of cv, vc, cvc and vcv utterances to American subjects to identify the deleted preceding or following sounds. Subjects were able to determine the tongue height and tongue advancement features of vowels from consonants.



Abstract

This study examines the carryover coarticulatory effects of consonantal context upon the acoustic characteristics of vowels in Arabic. Five speakers read a list of 65 cv:c syllables containing various initial fricatives, five long vowels, and either final voiceless or voiced alveolar stop consonants. Formant frequency analysis has shown that fricative consonants induced significant coarticulatory effects on the F2 steady state frequency of the vowels but no significant difference in F1 steady state frequency has been observed. Moreover, the F2 transitions show large amount of variation as an influence of fricative context but the degree of transition variation varies significantly as a function of fricative place of articulation. The degree of fricative-to-vowel coarticulation appears to be related to the amount of articulatory constraint on the tongue activity during the production of fricative consonant. Thus the large amount of F2 transition may reflect the antagonistic demand on the articulatory movements during the production of fricative-to-vowel sequence as in emphatic or pharyngeal fricatives and front high vowels combinations, whereas the relatively small amount of F2 transition may reflect the complementary demand on the articulatory movements as in the sequence of alveolar or palatal fricatives and front high vowels. The insignificant F2 transition variation in the sequence of labiodental or glottal fricative and vowels may be interpreted to mean neutral demand on the articulatory movements.



An Acoustic Study of Fricative-to-Vowel Coarticulation in Arabic

Abdulla Ahmed Al-Bannai*

* Ph. D. in Linguistics, University of Essex, England.
Assistant Professor, Department of Foreign Languages, Faculty of Arts, United Arab Emirates University.

Arab Journal for the humanities

All papers and correspondence should be addresses to:

The Editor,
The Arab Journal for the Humanities,
P.O.Box 26585,
13126 Safat,
Kuwait.

(82) As regards the campaigns of Amalric I and Nur al-Din against Egypt, see: Ibn Shaddad, op. cit., 28-35; Ibn al-Athir, **Tarikh al-Dawla al-Atabikiya,** ed. R.H.C.-H. Or., ii, 2e. partie, 213-9, 236-41, 246-53; idem, **al-Kamil fi al-Tarikh,** R.H.C.-H. Or., i, 532-41, 546-51, 553-8; Michel le Syrien, op. cit., R.H.C.-Doc.Arm., i, 353-9; Guillaume de Tyr, op. cit., R.H.C.-H.Occ., i, 890-1, 934, 945-6; cf. also Schlumberger, G., **Campagnes du Roi Amaury Ier. de Jérusalem en Egypte,** au XIIe. si cle (Paris, 1906), 46-8, 63-98, 172-229.

(83) Ibn Shaddad, op. cit., 33-4; Ibn al-Athir, **Tarikh al-Dawla al- Atabikiya,** R.H.C.-H. Or., ii, 2e. partie, 250-1.

(84) Ibn Shaddad, op. cit., 33-4, 38; Ibn al-Athir, **al-Kamil fi al-Tarikh,** R.H.C.-H.Or., i, 566-7, 599, 601, 611-4; cf. also Casanova, P., "Les Derniers Fatimides," ed. **Mémoires de la Mission Archéologique Français du Caire,** vi, 3e. fasc. (Paris, 1893), 422-32; Schlumberger, op. cit., 262-91.

(85) Guillaume de Tyr, op. cit., R.H.C.-H. Occ., i, 2e. partie, 895-7.

(86) Ibn Shaddad, op. cit., 60-73, 143-65, 220-7, 235-7; al-Asfahani (d. A.D. 1201), **al-Fath al-Qussi fi al-Fath al-Qudsi** (Cairo, 1321 A.H.), 17-25, 36-45, 140-260, 314-7; Ibn al-Athir, **al-Kamil fi al-Tarikh,** R.H.C.-H. Or., i, 614-744; Vartan le Grand, **Extrait de l'histoire universelle,** ed. X.H.C.-Doc.Arm., i (Paris, 1869), 439.

(87) Ibn Shaddad, op. cit., 158-9; cf. Runciman, op. cit., ii, 466.

(88) Runciman, op. cit., ii, 467-8. For further details about the nature of the relations between the Latin West and the Eastern Christians, and the causes of enmity between them see: Youssef, J. N., **The Arabs, Byzantines and Latins,** 111-8. (Arabic); Idem, **The Crusade of Louis IX to Egypt A.D.** (1248-50), 3rd. ed. (Alexandria, 1984), 116-21. (Arabic).

(89) Runciman, op. cit., ii, 473.

(90) Cf. Youssef, **The Crusades and the Public Opinion in the West,** 37. (Arabic); cf. also Toroop, op. cit., 174.

(91) Stevenson, op. cit., 723-4.

(92) Youssef, J.N., "Arab Awakening during the Crusades", **Bulletin of the Faculty of Arts, University of Alexandria,** vol. xxiii, (Alexandria 1971), 21-2.

(93) Cf. Cahen, C., **La Syrie du Nord a l'époque des croisades** (Paris, 1940), 374-7.

* * *

(Arabic).

(55) Runciman, op. cit., ii, 294.

(56) Runciman, op. cit., ii, 73, 88, 168-71.

(57) Runciman, op. c it., ii, 315.

(58) Runciman, op. cit., ii, 187-90.

(59) Runciman, op. cit., ii, 299, 303.

(60) Cf. Runciman, op. cit., ii, 300-3.

(61) Runciman, op. cit., ii, 100-1, 156, 318.

(62) Ibn Jubayr (d. A.D. 1217), **The Travel of Ibn Jubayr,** ed. Hussein Nassar (Cairo, 1955), 276-7, 288, 290-3. Cf. also Zaki Mohammed Hassan, **Moslem Travellers in the Middle Ages** (Cairo, 1945) 82-3, 93. (Arabic); Grousset, **Sum of History,** 178; Coulton, G.G., **Medieval Panorama** (New York, 1955), 322.

(63) Runciman, op. cit., ii, 101, 445.

(64) Coopland, G.W. & Vinogradoff, P., **Serfdom and Western Medieval Europe,** trans. into Arabic by M. Ziada, 3rd. ed. (Cairo, 1958), 24; Youssef, J.N., **Studies on the History of the Miiddle Ages,** 1st. ed. (Alexandria, 1958), 55-7.

(65) Runciman, op. cit., ii, 100, 296-7.

(66) Ben jamin of Tudela, op. cit., 87, 95, 99, 104, 108.

(67) Benjamin of Tudela, op. c it., 100.

(68) Benjamin of Tudela, op. cit., 99, 100-1; Runciman, op. cit., ii, 293 & map 4.

(69) Runciman, op. cit., ii, 98-9, cf. also 229.

(70) Benjamin of Tudela, op. cit., 99.

(71) Runciman, op. cit., ii, 318 & n. 1.

(72) Ibn Munqidh, Usamah's Memoirs entitled 'Kitab al-I'tibar'. Arabic text ed. by P.K. Hitti (Princeton, 1930), 132-4, 137-8.

(73) Runciman, op. cit., ii, 459-60, 466.

(74) Runciman, op. cit., ii, 323.

(75) Runciman, op. cit., ii, 73. **Concerning the cruelty of the Franks during the Crusades,** see the following sources: Ibn al-Qalanisi, op. cit., 136 ; Abulfida (d. A.D. 1331), **al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bashar,** iii (Istanbul, 1286 H.H.), 128-9; Ibn al-Wardi, **Tatimat al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bashar,** ii (Cairo, 1285 A.H.), 137; Ibn Kathir (d. A.D. 1373), **al Bidaya wa Al-Nihaya fi al Tarikh,** xiii (Cairo, 1358 A.H.), 83-4.

(76) Youssef, J. N., **The Crusade and the Public Opinion in the West.** 31-52 (Arabic); Toroop, op. cit., 2ff.

(77) These facts have been dealt with, in detail, in my book: **The Unity and Awakening Movements of the Arabs during the Crusades,** 2nd. ed. (Beirut, 1981), 27-31. (Arabic).

(78) Ibn al-Qalanisi, op. cit., 279-80; Ibn al-Athir, **Tarikh al-Dawla, al-Atabikiya Meluk al-Mausil,** ed. R.H.C.-H. Or., ii, 2e partie,118-25; Grégoire le Prêtre, **Chronique,** ed. R.H.C.-Doc. Arm., I (Paris, 1869), 157.

(79) Ibn al-Qalanisi, op. cit., 333, 339-42; cf. Guillaume de Tyr, **Historia rerum in partibus transmarinis gestarum,** ed. R.H.C.-H. Occ., i, 2e partie (Paris, 1844), 895-7.

(80) Ibn al-Athir, **Kitab al-Kamil fi al-Tarikh,** ed. R.H.C.-H. Or., i (Paris, 1872), 550; Abulfida, op. cit., iii, 40-2; Ibn Taghri Bardi, op. cit., v (Cairo, 1935), 338-9, 345-6, 363; cf. also Guillaum de Tyr, op. cit., ed. R.H.C.-H. Occ., I, 2e partie, 833.

(81) Ibn Shaddad (d. A.J. 1233), **al-Nawadir al-Sultaniya Wa al-Mahasin al-Yussifiya** (The Biography of Saladin) (Misr, 1317 A.H.), 29-30; Ibn al-Athir, **al-Kamil fi al-Tarikh,** ed. R.H.C.-H. Or., i, 535, 547; cf. Stevenson, W.B., **The Crusaders in the East** (Cambridge, 1907), 187.

177; Heer, op. cit., 111.

(28) Ibn Munqidh (d. A.D. 1188), **Kitab al-I'tibar** (Leiden, 1884), 99.

(29) "Paullani dicuntur, qui de parte Sriano et matre Francigena generatur." Cf. Joinville, J. **de, Memoirs of Louis IX, King of France,** trans. by Johnes of Hafod (London, 1848), 466 n. 1.

(30) Ambroise, **The Crusade of Richard Lion-Heart,** trans. from the old French by M.J. Hubert (New York, 1941), 16; cf. Rey, E., **Les Colonies franques de Syrie au XIIme et XIIIme siècles** (Paris, 1383), 60-1.

(31) Grousset, op. cit., 179.

(32) Youssef, J.N., "The Crusades and the Public Opinion in the West," **Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University** (Alexandria, 1968), 47-8. (Arabic).

(33) Runciman, **History of the Crusades,** ii, 297.

(34) Runciman, op. cit., ii, 291-2.

(35) Throop, P., **Criticism of the Crusades: A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda** (Amsterdam, 1940), 169; cf. Youssef, op. cit.,47.

(36) Benjamin of Tudela, X., **Itinerary of Benjamin of Tudela** (1165-1173), trans. Into Arabic from the Hebrew original by Ezra H. Haddad, 1st. ed. (Baghdad, 1945), 99.

(37) Runciman, op. cit., ii, 294-5; cf. Margolis, M.L. & Marx, A., **A History of the Jewish People** (Philadelphia, 1962), 359-64; Brooke, Z.N. **A History of Europe from 911 to 1198** (London, 1938), 238.

(38) Benjamin of Tudela, op. cit., 87, 89, 90, 93, 94, 95, 96, 104, 106, 108, 110. Benjamin stresses that the Jewish communities in the Islamic cities at that time, such as Damascus and Aleppo, were large in number, compared with the small numbers which lived in the Latin East. We understand from his account that they preferred to live in the Islamic cities rather than in the lands controlled by the Crusaders. Cf. Benjamin, 117, 122.

(39) Runciman, op. cit., ii, 324.

(40) Baldwin, op. cit., 103.

(41) Runciman, op. cit., ii, 89-90.

(42) Runciman, op. cit., ii, 100, 298.

(43) Runciman, op. cit., ii, 324, 4-03.

(44) Runciman, op. cit., ii, 72, 81-2.

(45) This point is discussed in detail when dealing with political marriages which were characteristic of the 'Latin Kingdom' in the Holy Land.

(46) Runciman, op. cit., ii, 298-99.

(47) Grousset, R., **Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, i,** (Paris, 1934), 201-7; Runciman, op. cit., i, 315ff., ii, 72, 82-3.

(48) Runciman, op. cit., ii, 177.

(49) Runciman, op. cit., ii, 36, 102-5, 177f., 292.

(50) Runciman, op. cit., ii, 309, 349-50.

(51) Cf. Conrad's Letter, ed. R.H.G.F., xv, 534-5.

(52) Lacroix, P., **Vie militaire et religieuse au moyen âge et a lépoque de la renaissance** (Paris, 1873), 198-9; idem, **La chevalerie et les croisades:** Féodalité, Blason, Ordres Militaires (Paris, 1887), 226; Grousset, op. cit., ii, 510; Runciman, op. cit., ii, 156-8, 312-4.

(53) Runciman, op. cit., ii, 314

(54) Runciman, op. cit., ii, 73, 167-8, 314-5; Heyd, W., **Histoire du commerce du Levant au moyen âge,** i(Leipzig, 1885), 343-4; Pirenne, H., **Economic and Social History of Medieval Europe,** trans. from the French by I.E. Clegg (London, 1961), 30-3; cf. also Youssef, J.N **The Arabs, Byzantines and Latins during the First Crusade,** 4th. ed. (Alexandria, 1983), 87-90.

(4) Riant, P., "Inventaire critique des lettres historiques des Croisades," cf. **A.O.L.**, i (Paris, 1881), 2.

(5) Grousset, R., **The Sum of History**, trans. by A. & H. Temple Patterson (Oxford, 1951), 181, 182

(6) Halphen, L., **L'Essor de l'Europe** (XIe - XIIIe sicles) (Paris, 1941), 4ff., 46ff., 63ff.

(7) Trevelyan G. M., **A Shortened History of England** (Aylesbury, 1960), 141.

(8) Lewis, B., **The Arabs in History** (London, 1958), 150.

(9) Youssef, J.N., "The Personal Impulse in the Rise of the Crusades,' **Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University**, no. 16 (Alexandria, 1963), 183-211 (Arabic); idem, Islam and Christianity: **The Balance of Power In the Middle Ages** (Alexandria, 1986), 151-90. (Arabic). Cf. also Barker, E., **The Crusades** (London, 1925), 6-14.

(10) Cf. Atiya, A.S., **Crusade, Commerce and Culture** (Bloomington, 1962), 23-8; Grousset, op. cit., 7-12; Arnold, T. & Guillaume, A. (eds.), **The Legacy of Islam** (London, 1952), 40-1. A. Toynbee dealt with this point in his "Study of History" and the "Abridgement".

(11) Runciman, S., **A History of the Crusades, i** (Cambridge, 1954), 169 & Appendix ii, 33641; cf. Heer, F., The Medieval World: Europe from 1100 to 1350, trans. from the German by J. Sondheimer (London, 1962), 103-4.

(12) Matthieu d'Edesse, **Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse**, ed. R.H.C.-Doc.Arm., i (Paris, 1869), 37-8; Michel le Syrien, **Extraits de la chronique de Michel le Syrien**, ed. R.H.C.-H.Doc.Arm., i, 328; Foucher de Chartres, op. cit., R.H.C.-H.Occ., iii, 4-96-7.

(13) Hagenmeyer, H. (ed.), **Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosoly- mitanorum** (Heidelberg, 1890), 353ff.; Matthieu d'Edesse, op. cit., R.H.C.-Doc. Arm., i, 39-43; Raimond d'Agiles, **Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem**, ed. R.H.C.-H.Occ., iii, 253-7.

(14) Ibn al-Qalanisi (d. A.D. 1160), **Dhayl Tarikh Dimashq** (Beirut, 1908), 135; Ibn al-Wardi (d. A.D. 1349), **Tatimmat al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bashar**, ii (Cairo, 1868), 11.

(15) Raimond d'Agiles, op. cit., R.H.C.-H.Occ., iii, 291ff.; Albert d'Aix, **Historia Hierosolimitana**, ed. R.H.C.-H. Occ., iv, 470ff. Cf. also Ibn al-Qalansi, op. cit., 136ff.

(16) Runciman, **A History of the Crusades**, ii, 316. Cf. Aref Pacha Al-Aref, **History of Jerusalem** (Cairo, 1951), 71-2, 74-. (Arabic).

(17) Barker, op. c it., 5.

(18) Runciman, op. cit., ii, 340.

(19) Baldwin, M. W. **The Mediaeval Church** (New York, 1960), 103.

(20) Setton, K.M. (ed.), **A History of the Crusades, i: The First Hundred Years** by M.A. Baldwin (Philadelphia, 1958), 96-7; Mahmud, S.F., **The Story of Islam** (Karachi, 1959), 83, 133, 134. Cf. also al-Maqrizi (d. A.D. 1442), **Ittiaz al-Honafa bi-Akhbar al-Aimma al-Fatemeiin al-Kholafa**, i (Cairo, 1948), 287-91.

(21) Oman, C. W. C., **A History of the Art of War in the Middle Ages**, i, (London, 1924), 233.

(22) Ibn al-Qalanisi, op. cit., 137; Ibn Taghri Bardi (d. A.D. 1469), **al-Nu jum al-Zahira fi Muluk Misr wal-Qahira**, v (Ciro, 1935), 149.

(23) Runciman, op. cit., ii, 166.

(24) Albert d'Aix, op. cit., R.H.C.-H.Occ., iv, 670; Matthieu d'Edesse, op. cit., R.H.C.-Doc.Arm., i, 19-24, 96-7; cf. Ibn al-Athir (d. A.D. 1234), **Tarikh al-Dawla al-Atabikiya Meluk al-Mausil**, ed. R.H.C.-H.Or., ii, 2e partie (Paris, 1876), 33.

(25) Grousset, R., **Histoire des Croisades et du Royaume de Jerusalem**, ii (Paris, 1935), 24ff., 310ff., 609ff. ; Runciman, op. cit., ii, 291ff.

(26) Lewis, **The Arabs in History**, 150; Runciman, op. cit., ii, 291.

(27) English translation of the text of Fulcher in: Lewis, op. cit., 150-2; Grouset, Sum of History,

Holy Land. They found that the amassment of Arab powers into a united front was essential for any kind of effective defence against the Franks. This means that the Arabs, in order to obtain final and decisive victory over their enemies and redeem Jerusalem from their hands, had first to make a united front.

6- Another fact is that Arab unity must precede armed struggle. Sometimes, the two went together, but in some cases the holy war preceded Arab unity, when the Arabs were suddenly confronted by a situation in which they found themselves compelled to fight against their enemies.[91]

7- The violence, cruelty and fanaticism of the Crusaders in their campaigns against the city of Jerusalem and its vassal states, were important factors that excited the nationalist spirit among the Arabs in the Near East.[92]

8- It is worthwhile to say that the Crusaders did not have the chance at all to occupy the internal Islamic cities such as Damascus, Aleppo, Hama, Cairo and Bagdad, even when the balance of power was on their side in the struggle against the Arabs, and in spite of their frequent attempts to achieve that. They preferred to stay in the coastal cities or the cities near the coast and not to risk their lives by going into the innermost parts because they knew well that they would find themselves in the middle of an atmosphere of hatred and millions of people who were ready to pounce upon them and make their life disagreeable.

9- From the beginning, the revelation of the real aims of the Crusades - expansion and colonization - was a spur to the rise of the Arab power, culminating in the comprehensive Arab awakening and unity leading to the recovery of Jerusalem and the Holy Land from the hands of the Crusaders.

ABBREVIATIONS

A.O.L. Les Archives de l'Orient Latin.

R.H.C.-Doc. Arm. Recueil des Historiens des Croisades - Documents Armeniens.

R.H.C.-H. Occ. Recueil des Historiens des Croisades - Historiens Occidentaux.

R.H.C. - H. Or. Recueil des Historiens des Croisades - Historiens Orientaux.

R.H.G.F. Recueil des Historiens des Gaules et de la France.

NOTES

(1) Compare the text of the speech of Urban II in the following sources which are contemporary with the council of Clermont and the first Crusade: Foucher de Chartres, Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium, ed. R.H.C.-H. Occ., iii (Paris, 1866), 323-4; Robert le Moine, Historia Iherosolimitana, ed. R.H.C.-H. Occ., iii, 727-30; Baudri de Bourgueil, **Historia Jerosolimitana**, ed. R.H.C.-H.Occ., iv (Paris, 1879), 12-5; Guibert de Nogent, **Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos**, ed. R.H.C.-H.Occ.,IV, 137-40.

(2) English translation of the text of Fulcher of Chartres in: Downs, N. (ed.), **Basic Documents in Medieval History** (New York, 1959), 74-5.

(3) "........Hoc enim non fuit humanum opus, sed divinum." Cf. Robert le Moine, op. cit., ed. R.H.C.-H.Occ., iii, 723.

Franks? Or are they attributed to a farsighted policy which was characteristic of the great Moslem leaders who preceded Saladin? Or are they attributed to what befell the Franks themselves which were subject to dispute and silly acts? Or are they attributed to the strong personality of Saladin and his will which never weakens?[89]

The answer is simply that the victories of Saladin which were crowned by his restoration of Jerusalem, are due, first and foremost to the unity of the Islamic Near East from Egypt in the South to Bilad al-Sham and Iraq in the extreme North to face the Crusade danger. This has disturbed the balance of power between the two conflicting sides. After the Crusaders had the upper hand at the beginning of the Crusades at the end of the eleventh century, it was followed by the levelling of the balance between both sides in the middle of the twelfth century, then the comprehensive Arab unity at the latest part of this century. Here the atmosphere was paved for Saladin to direct this effective stroke at Hattin and liberate the Holy City. However, there is no doubt the factors which Runciman referred to contributed, in some form or other, to speed up the Islamic victory.

One of ancient Westerners wrote after the defeat of the Crusaders at the hands of Saladin saying that "the Crusaders were clearly against the Divine Will", referring to the cry 'God wills it' with which began the Crusades.[90] These words need no comment.

DEDUCTIONS

From what has been said we can extract several facts and ideas. Here they are:

1- The details of this chapter reveal a fact which has its denotation, namely, that Jerusalem, with its Arab origins and roots which go deep in history, had remained a city with an Arab tinge and an Arab nature since the Arab conquest and until its liberation in the days of Saladin. Even during the Latin occupation, the Arab elements formed the majority in it.

2- Another idea is that ages of power and unity, and others of weakness and divisions succeeded each other in the Arab Near East. It also highlights the factors and causes that led to the waxing and waning of power and unity, and the result of such changes.

3- The struggle between the Arabs and the Latins during the Crusades, concerning the cause of Jerusalem, was a link in the long chain of struggle between the Arab World and the European World, which lasted from the beginning of Islam in the early 7th century A.D. until the end of the middle ages. It has been, also, a stage in the long conflict between East and West from the oldest times and still continues now.

4- The strife between the Arabs and the Crusaders from A.D. 1099 to A.D. 1087 may be best signified as a political and cultural strife between two great powers and two different civilizations, each trying to subdue the other. When the two powers are equal, the balance of power is level, so that neither side can gain a decisive victory on the other. When one side feels it is the stronger, it, at once, takes the offensive, while the other side remains on the defensive. The balance of power between both parties keeps changing from one side to the other due to the changes in political, economic, social and religious conditions prevailing at any time in both worlds.

5- Another fact is the lesson the Arabs learnt from their struggle with the Franks in the

Ramleh one of the Latin leaders namely Reynald of Châtillon but he was defeated in front of the castle of Beth Gibrin. In the autumn of the year A.D. 1179, the armies of Saladin were victorious in their fight against the Crusaders in the battle of Marj Ayun, although it did not drive them out of their central place in Jerusalem or other Latin places in Bilad al-Sham.

The end of the first stage was At Marj Ayun. This was followed by the second stage of Saladin's struggle, which began right afterwards. This second stage began in the year A.D. 1182 and ended in the year A.D. 1187. He felt roused by Reynald's attempts to undermine Mecca and Medina and the Moslems felt infuriated against the Franks. He launched regular campaigns against them and he attacked them in their dens such as Ayn Jalut and Krak between the years A.D. 1183 and A.D. 1186 so that he did not leave them a means of comfort. This second stage ends in an unsuccessful attempt by Saladin to occupy Krak at the beginning of A.D. 1187.

Next comes the third and last stage of his struggle, namely the offensive war. On July 2nd 1187 Saladin occupied Tiberias. Then, he met the armies of the Franks gathered together at Hattin two days afterwards. There, the greatest battle in the history of the Crusades took place and in it the Franks were met with utter defeat. This was followed by a series of victories scored by Saladin in which the dens of the Latins fell one after the other until his armies came before Jerusalem the garrison of which yielded and Saladin went into it triumphantly on October 2nd 1187. It is worthwhile to say that Saladin did not avenge on its Frank inhabitants but treated them humanely and generously as is recorded in the works of the Latin writers and historians.[86]

The native Christian Easterners remained in the city welcoming its restoration by Saladin, who encouraged them to settle in it. He, also, returned the sacred Christian places in Jerusalem to the Orthodox church and its followers. They did not forget during the Latin occupation of Jerusalem the ill-treatment of the Latin church and the deprivation of the Orthodox clergymen of their posts in the church of the Holy Sepulchre and even trying to force the Orthodox people to pay the tithe. All this made the Orthodox Christians unwilling, to endure the rule of the Latins and they were ready to accept the conquests of Saladin because of the chronic and dominating traditional hostility between the Catholic Latins and the Eastern Christians, the roots of which go back to the dawn of Christianity. They preferred Islamic rule to the Crusade occupation. Also, al-Aqsa Mosque has been completely purged from all the traces of the Latins. Al-Aqsa Mosque and the Dome of the Rock were prepared for the Islamic services in them anew.[88] Saladin did not live long enough to continue his struggle and conquests against the Crusaders as he died on February the 21st A.D. 1193 aged then 55 years.

The restoration of Jerusalem was considered a great occasion in the history of the Crusades in general, and Islamic history in particular. The Islamic historians have talked copiously about it, for instance: Ibn Shaddad, Imad al-Din al-Asfahani, Ibn al-Athir and al-Maqrisi. Also, the Latin historians talked bitterly about it. Ever since then, the Latin principalities have shrunk into a narrow area on the Syrian coast which enabled the successors of Saladin and those who came after them among the sultans of the First Mamluk State, to send the Crusaders out at the end of the thirteenth century A.D.

Steven Runciman wonders at the Crusades saying: Are the conquests of Saladin against the Crusaders attributed to the inevitable reaction of the Moslems to defy the

threatened their existence in the Holy Land.[79] This happened in the period of the Latin King Amalric I.

While both Nur al-Din and Amalric were in a state of readiness towards one another, the field of struggle and rivalry between them changed to become Egypt. An important development took place in the Crusade movement at the time. It manifested itself in the attempt of each of them to occupy Egypt and include it among his possessions. They were encouraged to do so by the weakness and corruption which were characteristic of the late Fatimid State in Egypt in the middle of the twelfth century A.D.[80] Both Nur al-Din and Amalric knew well that the triumph over his opponent depends on his success in occupying Egypt.[81] The result was that their campaigns against Egypt were launched one after the other between the years A.D. 1163 and A.D. 1168, those campaigns which ended in the defeat of the Franks and the triumph of Nur al-Din's army headed by Asad al-Din Shirkuh, who entered Cairo victoriously in January A.D. 1169.[82] The Latin king decided to begin a decisive act to invade Egypt and frustrate the plans of Nur al-Din before it was too late.[83]He was helped by the circumstances when internal attempts were made in Egypt aiming at the revival of the Fatimid Caliphate and the getting rid of the new minister Saladin who succeeded Shirkuh in the ministry in March A,D. 1169. But these attempts were all met with failure and all the Latin invasions were repelled. Thus, the Latin king failed for the second time in his attempt to include Egypt among his lands in Bilad al-Sham.[84]

Since that time the Latin 'state' of Jerusalem and the remaining principalities and strongholds were surrounded from North to South by Moslem forces and the Crusade colonies were exposed to loss and waste. There was nothing in front of the Franks except the sea. Even in this respect their position became endangered because the strong Arab fleet in the Mediterranean was standing menacing them. One of their writers, namely, William of Tyre who was a contemporary of this era and who watched its incidents, said that essential change which had fallen upon the Arab powers had a thundering effect on the heads of the Westerners and was considered a great blow to their colonies in Palestine.[85]

This meant that the scale of the balance weighed heavier in favour of the Arabs. This was at the time when Jerusalem and its vassal states and the remaining Latin principalities in the Holy Land weakened more and more day in day out and the European West was totally busy with other things because of the changes that had befallen the theatre there. Saladin had declared the end of the Fatimid Calipate in Egypt and the beginning of the Ayyubid State, which rose on the ground of al-Jihad against the Crusaders.

Thus, everything became ready for directing a finishing stroke to the Crusaders and their 'kingdom' in Jerusalem after the Arab awakening had put an end to every hope they had to gain grounds, and even to survive. This was accomplished during the days of Saladin. After he had felt at ease regarding the safety of the Arab front, he started his famous struggle against the Crusaders. This struggle passed through three stages: The first stage (A.D. 1171-1179) was a period of preparation and manoeuvres and had begun since the first day on which he came to rule Egypt when he besieged the castle of al-Shawbek in A.D. 1171 situated on the way of tribes between Bilad al-Sham and Egypt. But he did not succeed in occupying it. In October A.D. 1177 he met in front of

the rule.

This was a matter to be expected. The feudal society that they set up in the Near East began as a collapsible and falling one void of the fundamentals of legal states and governments in the comprehensible sense. This society was born weak and lean. The traits of nations and governments were not found in it. For example, there were no arts, no tradition, no custom, no national army, no public wealth and no developing capitals. It embraced scraps of people of different races and languages, and belonging to different groups, castes and classes coming from the West to a land which was not their own. Therefore, it remained exposed to the ups-and-downs, the violent crises and calamities which had befallen it now and then. These factors of weakness were working inside it like worms until they eventually undermined it.

During that same time at which the Latin Orient was in a state of paralysis, and immobility, the European West was distracted from it owing to its indulgence in its local and private problems at the top of which was the Investiture Conflict between the papacy and the empire on worldly matters. In addition to this, there were the defects that spread through the ecclesiastical system and made the thinkers call for its reform. This is why the s.o.s. requests that were forwarded by the kings of Jerusalem and the Franks of Bilad-al-Sham did not meet with enough response. Even the number of Latin pilgrims who used to visit Jerusalem went down considerably and the religious enthusiasm for the Crusades weakened intensively and instead of the people's rushing in a religious war against the Arabs, they began to doubt its use after a great many thousands of the best young men in the West became either captived, killed or wounded. The Latin writers who were contemporary to the Crusades tackled them critically and ironically and revealed in their books the existence of a Western public opinion against the Crusade idea in the West and from the beginning.[76]

This gradual deterioration in the Latin existence in Jerusalem and its vassal states took place while the West was busy with its problems which distracted it from backing the Latin Orient. At the same time, the feeling of the Arab peoples in the Near East,that this existence had endangered them and that they ought to start to get rid of it before it flowed into the remaining parts of the Arab world, increased. The result was the Arab awakening which ripened and was completed in the periods of Imad al-Din Zenki, Nur al-Din Mahmud and Salah al-Din the Ayyubid in the middle of the twelfth century A.D. This meant the beginning of the heavier weight of the Arab scale in the struggle against the Crusders.[77]

The cycle of history in its movement, as we all know, never goes back. Neither does the position as regards the political and military strife existing in the Holy Land. The Latin 'state' in Jerusalem was weakening and dividing upon itself more and more, whereas the Arabs were uniting themselves into one whole to drive away the Crusade danger. Imad al-Din Zenki (A.D. 1126-1146) occupied Aleppo (A.D. 1128), Hama (A.D. 1129) and Edessa (A.D.1144).[78] It was the first city the Franks occupied and the first city the Moslems restored. This was accomplished during the reign of the Latin King Fulk of Anjou. Then Imad al-Din was succeeded by his son Nur al-Din Mahmud (A.D. 1146-1174) who occupied Damascus (A.D. 1154), and he succeeded in building up a strong united state which had connected borders facing the 'state' of the Franks in Jerusalem and their remaining possessions in Bilad al-Sham. This matter disturbed the Franks and

Jordan was made up of several castles estahlished along the tribal road between Damascus on one side and both Egypt and Mecca on the other side. The Krak des Chevaliers was the strongest of these castles and also Montreal castle, which Baldwin I built in A.D. 1115. These two castles protected the front borders of the Latin 'kingdom'. Moreover, castle of Scandelion between Tyre and Acre was built to protect the coastal road. [69]

But the civil establishments were headed by the Royal Palace which occupied part of al-Aqsa Mosque, the Latin Patriarch's Palace, St. John's Hospital which was built in Jerusalem by a group of Italian merchants in the First Crusade.[70] The houses of the Franks, however, were built according to the Eastern pattern. It is worthwhile to say that the Franks depended mainly on the Eastern natives in the building up of these establishments because of their skill in architecture, fine arts and buildings. For this reason, too, they cared for winning the people by their side.

Thus, the kings of Jerusalem depended almost entirely on the natives in agriculture, industry and trade as well as in building, establishment and decoration. No wonder, the Arabs at that time surpassed the Latin West in civilisation. Latin West began to learn from the springs of their sciences and the fountains of their knowledge. This is evident, also, in various fields. For instance, in the field of medicine, they asked the Moslems several times to send them physicians because they appreciated their skill and superiority over their Latin physicians. To prove this, Amalric I sent asking for the help of skillful Moslem physicians when he found his son Baldwin the Leprous suffering from a disease which the Latin physicians had failed to get over.[71] In the book of Usama ibn Munqidh (A.D. 1188) there are several examples which show the extent of the progress of medicine in the Islamic Near East and its regress in the West at that time.[72]

The Islamic Arab civilisation embraced all fields and extended to embrace also the humane side in dealing with the enemy and this seemed evident in the way Saladin treated his Latin captives after the battle of Hattin in the year A.D. 1187 and after the liberation of Jerusalem in the same year.[73] This was met on the other side with the cruelty of the Franks and their brutality in the treatment of their opponents. We felt that when they occupied Jerusalem in A.D. 1099. Their policy during the Crusades went along the same line. [74] In spite of the counterfeit policy of peacefulness with the natives and their Moslem neighbours to realise their interests, their conduct was exposed when they came in contact with the Moslems. For instance, when king Baldwin I attacked the coastal cities of Bilad al-Sham, the attack was accompanied with brutal acts. He killed the natives after he had promised them security. The Franks, sometimes, burnt the Moslems to obtain gold which they thought they had swallowed in their attempt to hide it as it happened when Baldwin I occupied Caesarea in May A.D. 1101 when a massacre took place inside the great mosque of the city.[75]

From what has been mentioned, we can see clearly that the problems have been after the Latin 'kindgom' of Jerusalem since the first day. They were complicated and interrelated and they accumulated and worsened in course of time so that it was not easy to surmount, overcome or find decisive solutions for them. Jerusalem and its vassal states were then a curious scene of infinite plots, adventures, manoeuvre and confusion. In addition, there were ward children in rule under the guardianship of people who were ambitious to rule, or the presence of sick rulers who were unable to exercise the duties of

their products, partly to create a state of welfare and prosperity in the 'kidngdom' to help them to survive and increase their resources and incomes and partly so as not to remain a minority isolated from the Arab majority.[63]

But as regards agriculture and farming, the latin rulers conveyed the feudal system which they were familiar with, and which had reached then its perfection in the West. George William Coopland says that although the model feudal system has no existence in the West where this system differs in its minute details with the change of time and place, we find this model system of feudalism during the Crusades when the Latins carried it to the Holy Land and imposed it there without a basis or deep roots.[64]

It is known that the Latin kings of Jerusalem did not arouse the feelings of the native farmers, but left the land to its owner on condition that he proved its possession. But because of the Latin invasion the Moslems emigrated from Palestine leaving large areas of the farmlands which the rulers gave to their vassals as fiefs. The farmer who worked on this land used to offer a part of its product to the master lord, who and whose family lived on it. The master, too, exploited the estates in which fruits, grapes and sugar-cane were grown, whereas the farmer who worked in them lived in a satisfactory way. The work on the lord's farm was done in accordance with the corvée system, this is for nothing. Sometimes, the Arab captives were employed in the fiefs of the king and the great nobles.

Although no change had fallen upon the life of the farmer, the Latin rulers of Jerusalem applied the system of farm fiefs which they were familiar with in their countries in the West. There was the royal domain which consisted of four cities: Jerusalem, Acre, Nablus and Daron and the lands surrounding them, in addition to four other chief fiefs and twelve secondary fiefs. As regards the fiefs of the Latin church and the Military Religious Orders, these were continually growing through the gifts and grants or for strategic reasons. The village was the basic unit which embraced a number of fiefs and the villages varied in areas.[65]

As to industry in Jerusalem and its vassal states, we know a little about it although Benjamin of Tudela, had said in his journey that the Jews who had settled in the 'kingdom' took up the manufacture of glass and dyeing particularly in Lydda, Bethlehem and Jaffa, and he mentioned that there was in Jerusalem a dyeing laboratory which the Jews rented from the king annually and that that profession was confined to them.[66]

If we move on to architecture of Jerusalem in the Crusade age we can classify it into three kinds: religious establishments, military establishments and civil establishments. As for the religious architecture, it is known that the Latin churches were built according to the Eastern style and Greek and Moslem expert artists performed their decorations. Among the most important religious establishments are the Dome of the Rock and Al-Aqsa Mosque and the Franks changed them into two Catholic churches and also the Church of the Holy Sepulchre,[67] Among the most important military establishments are the Tower of David which lies near the Hebron Gate, the Gate of Tancred in addition to the gates of the city namely: the Gate of Ibrahim, the Gate of David, the Sion Gate, the Gate of Jehosaphat, the Gate of Paradise, the Golden Gate of St. Stephens the Jaffa Gate, the Gate of the Column, the Gate of Flowers and the Gate of Grief.[68] In addition to these, there were a number of forts and castles which the Franks established to defend the city and its suburbs against any Moslem attack. The royal domain beyond the river

considering who is going to have the upper hand in the city as we have mentioned before. He was in charge of the High Court. He was the supreme commander of the forces of the 'kingdom' and the person responsible for the central administration in it and for the appointment of its employees. His authority extended to Jerusalem and its vassal states in which there were feudal nobles who owed him loyalty although sometimes they caused him trouble while trying to get out of his control. His court was made according to the pattern which was found in the West at that time.

The High court was made up of the great feudatory vassals who owed the king direct loyalty. It was usually held in Jerusalem and its main duty was to try any member who committed any crime. Besides, there were other courts-of-law which were secondary to the High Court in importance such as the Bourgeois Courts in the big cities, and the Native Courts which looked into the cases of the natives. But the City Courts were in the main cities of the 'kingdom'. These law-courts were established at the time of Amalric I. The Italian communities had Consular Courts to attend their internal affairs.[60]

The city of Jerusalem was the centre of government, and the Crusaders represented a minority of its population, whereas in the remaining parts of the city there lived the natives who were occupied in trade and industry. Owing to the constant need of the Latin king for money, he adopted in most cases the policy of leniency and peacefulness with the people under his rule and with the neighbouring Islamic cities. To put this policy into practice, King Baldwin I was kindly to the Christian natives. He restored them their rights in Jerusalem and allowed them to follow their habits and traditions and take legal actions in their law-courts and speak their own languages. The Latin church was not allowed to interfere in the exercise of their religious rites.

He was also in need of active farmers to till the lands which became void of farmers in the city of Judaea as a result of the departure of Moslems. He, also, encouraged intermarriage between the Franks and the natives. He himself set a good example of this. Although the number of great Latin barons who attached themselves to wives from the East was small, this matter became familiar among the common Frank and the poulain soldiers. The offspring of these intermingled marriages amounted to hundreds of children who provided the 'kingdom' with a considerable part of its military forces.

Adopting this policy, he made approaches to the Moslems and the Jews subject to him. He allowed them to build a number of mosques and temples. Also, in law-courts he permitted the Moslems to take an oath with hand on the Koran and the Jews to take an oath with hand on the Torah and allowed Franks and Moslems to become brothers-in-law, although it was objected to by the papacy but he paid no attention to it. When he sought to make approaches to the Arab people, he granted free trade in Jerusalem to the people of all classes and allowed the Moslem traders to come with their goods to the Holy City and the coastal cities and ordered people to treat them well. In the year A.D. 1116, the Moslem caravans began to enter the city and its vassal states for trade. He, also, held agreements with the rulers of the neighbouring Islamic cities. The successors of Baldwin I adopted the same policy.[61] The traveller Ibn Jubayr referred to that during his visit to Bilad-al-Sham.[62]

Thus, the Latin rulers of Jerusalem had to adopt diplomacy and leniency towards the Arabs, who were subjected to them, whether these Arabs were Moslems or Christians, towards the Jews also and towards the Moslem traders partly to guarantee a market for

resources and manpower, at a time when it was badly in need of a fixed source of money and a regular established army. Even the rivalry between the Italian merchant communities inside Jerusalem and its vassal states, for the sake of getting a large amount of booties, led to the rise of violent struggles between them inside the 'kingdom', and this made the matters worse.[57]

The Seventh Phenomenon: The Problems of the Latin Principalities in Bilad al-Sham

In spite of the geographical distance of the Latin principalities which were formed in the late years of the eleventh century, such as the principality of Edessa in the upper parts of the Euphrates and the principality of Antioch in the upper parts of Bilad al-Sham and those principalities which were formed at the beginning of the twelfth century such as the principality of Tripoli on the Syrian coast, these principalities added to the old cumulative problems of the 'kingdom' of Jerusalem many new ones.

The rulers of these principalities were busy fighting against each other or against their Moslem and Byzantine neighbours. Many times have they asked the aid of Moslem allies in their struggles. For instance, when Fulk of Anjou ascended the throne in A.D. 1132 the differences among the nobles in the Holy Land were enormous. The Latin king found himself involved in them when there arose a dispute between him and the prince of Tripoli and when he had to face the plots which his sister-in-law had made against him while she was ruling Antioch.[58] There are many other examples showing how the problems of those principalities were reflected on the Latin 'kingdom' in Jerusalem. It increased its burdens and weakened its power.

The Eighth Phenomenon: A General View on the Civilization of Jerusalem in the Crusade Period

It may be useful to begin with the collection of the 'Assizes de Jerusalem' which was a reference to go back to if there was a legal problem in Palestine. The views of historians differed concerning this collection and its originals. There was a group that believed that there was no complete legal collection in the full sense of the word. At the top of those was William of Tyre who says,that whenever a legal problem arose during the reign of Baldwin III and Amalric I, the subjects used to appeal to the king himself because of his mastery of law. There is another group that says that the collection has been legislated in the period of Godfrey and it derived its origins from the laws of the different countries from which the Crusaders came, and they have borne the seal of both Godfrey and the Latin patriarch of Jerusalem and kept in the Church of the Holy Sepulchre. There is a third group that does not admit the truth of this story and says that this legal collection is attributed to John of Ibelin who came more than a century after Godfrey. In order to give awe and respect to his collection he attributed it to the first ruler of Jerusalem. It is more likely that this legal collection was not put down during the reign of Godfrey but was put down in the thirteenth century, and it included many laws some of which went back to the time of Godfrey and others were issued during the period extending up to A.D. 1181.[59]

Whatever the matter was, the king in Jerusalem was the head of the 'state' in spite of the continuous struggles between the two authorities: the religious and the worldly,

to them and the fortresses which they were protecting in important strategic regions. They represented the main military force in the 'kingdom'. But in course of time, they indulged in wordly matters. They sought profit and wealth through trade and taxes which they imposed on the caravans passing by their strongholds. The wealth of these Orders was so plentiful that in the year A.D. 1187, they became one of the large land-owners in the Near East because of the grants and gifts of lands which were granted to them by the kings of Jerusalem. The continuous discord among them and the competitions as regards profits and booties became an ordinary matter. This decreased the military power of Jerusalem to face the Arab powers in the area, those powers which began to unite their front to avoid the Crusade danger. Also, the fact that these Orders were not subjected directly to the Latin king in Jerusalem led to the absence of an ecclesiastical unity, which made matters worse and more complicated.[52]

Though the Italian merchant communities helped with their fleets to transport soldiers and ammunitions from the West to the Near East, their increasing problems were reflected on the Latin 'kingdom'. These communities had commerce as their trade and it brought forth profits whether this was at the cost of the Moslems or at the cost of their Latin natives. It is enough to know that the motto of the Venetians was: "Siamo Veneziani, poi Christiani". But the Genoese had the motto: "We are Genoese first and last". Therefore, the abuses resulting from their existence in the Holy Land were more than the uses. The Latin 'kingdom' depended on the Italian naval cities in view of the fact that Jerusalem and its vassal states had no particular naval power of its own because of the shortage of good ports and its great need for the wood necessary for the manufacture of ships. It relied on the Italian ports to help it to occupy the coastal cities of the Levant, or to transport pilgrims or soldiers or to keep the sea-ways open to the West.[53]

For these reasons the kings of Jerusalem held agreements with the commercial Italian cities to help them capture the ports of Bilad al-Sham or the inner cities in return for definite gains such as having in these cities a private church or a private market or part of the booties or a private quarter under the control of their consuls, in addition to legal privileges and exemptions from paying taxes and freedom of trade. Also they had farmlands which supplied them with the provisions.[54] Their colonies in the cities, which were subjected to the 'kingdom' of Jerusalm were communes enjoying self-government, and their individuals spoke Italian and they did not mix socially with the remaining Frank neighbours.[55]

To carry out these agreements the Venetians contributed in the occupation of Jerusalem in A.D. 1099. Also, the rulers of Jerusalem occupied most of the coastal cities with the help of the fleets of the Italian maritime cities. This is what happened when they occupied Haifa in August A.D. 1100, Arsuf in April A.D. 1101 and Caesarea in May during the same year; and this occured with the help of the Genoese. Also, King Baldwin I captured Jebail in A.D. 1104, Tripoli in A.D. 110 and Beirut and Sidon in A.D. 1110 with the aid of the Italians. King Baldwin II occupied Tyre in July A.D. 1124 with the help of a Venetian fleet, and so on.[56]

With a piercing look we can say that the interests of those Italians contradicted the interests of the other Latin authorities in the 'kingdom'. We must not forget that these privileges which they enjoyed led, in turn, to the breaking up and disruption of its financial

interest either with the object of overcoming a problem which confronted the king, or becoming the ally of other Christian powers whether Armenian, Byzantine, or to overcome a financial trouble.

For example, king Daldwin I in A.D. 1112 in order to get money, sought intermarriage which was of use to him. He married Adelaide the widow of Roger, the ruler of Sicily and it was the third marriage on his part. It is said that she came to him with a huge fleet and hundreds of warriors as well as treasures and weapons, which benefited him in solving the problems which he confronted at the time, among which were payments of the soldiers' salaries and spending money over military fortifications. Private interest dominated these political marriages. When Balwin felt that his death was near he got rid of his wife Adelaide and returned to his second wife, Arda the Armenian. Also king Baldwin II married an Armenian girl called Morphia, whareas his eldest daughter Melisende was married to a Frenchman called Fulk of Anjou[49] . Both Baldwin III and Amalric I married a Greek Princess.[50]

What is important is that the kings of Jerusalem had to hold these intermarriages or the commercial transactions to realise private interests, get rid of specific problems or hunt for money. These intermarriages ended in many cases in failure. They indicate the collapse of the Latin existence inside the 'kingdom' of Jerusalem.

The Fifth Phenomenon: Resident Oriental Franks and Eager Newcomers

We have mentioned that the first Crusaders who remained in the East and enjoyed living there came to have interests which bound them to it. They began to lead a calm and settled life. For this reason, they were not ready to accept new adventurers from the West who may spoil their lives. The bad relations and the contradictory interests between the two teams began to manifest themselves starting from the Second Crusade (A.D. 1145-1148) and up to the restoration of the Holy City by Saladin. The Franks who settled in the East considered the Holy Land and not the West their original home. They looked at the recent newcomers as competitive and intrusive elements that caused them troubles. They, also, suspected their intentions to the extent that one of the leaders of the Second Crusade, Conrad III, accused the Orientalized Franks of treason, and even after the failure of the campaign, its remaining people returned to the West to return the responsibility of its failure to the poulains.[51]

There was a feeling of enmity and hatred for those newcomers, which increased the troubles of the Latin king in Jerusalem and added a difficult problem to the other existing and accumulated problems.

The Sixth Phenomenon: Military Religious Orders and Italian Merchant Communities

Besides the problems which caused troubles to the rulers of Jerusalem, there were the military religious orders particularly the knights Hospitallers and the Knights Templars, add to these the Italian merchant communities particularly the Venetians, the Genoese and the Pisans.

During the early period of the history of the 'kingdom' of Jerusalem, the Hospitallers and the Templars were a source of power to it, to the duties which have been entrusted

duties imposed on the ships anchoring in the ports that belong to the Franks, and the taxes imposed on the people who do not take part in the campaigns launched by the Franks against the Moslems[46]. These financial resources, however, were not sufficient to cover all the needs of the 'kingdom'. Also, these were not concentrated in the hands of the king and this matter caused him many troubles particularly when he found himself forced to face the Moslems.

The Third Phenomenon: The Struggle between the Clergy and the Laymen

Among the most dangerous matters that the 'kingdom' confronted were those struggles between the laymen and the clergy whose side should have the upper hand in the city. This problem had appeared clearly before the Latins occupied Jerusalem. There arose the matter of choosing a head for the 'state' which they intend to found when they would occupy Jerusalem. This led to the uprise of striking differences between the two sides who took part in the First Crusade. Two councils were held for this purpose, the first of which was held before the occupation of the city and the second after its occupation. The papal legate for the campaign died at that time (August A.D. 1089) and the pope appointed a new legate for him, namely Diambert the archbishop of Piza who arrived in the Holy Land in December A.D. 1099 and the matter ended in the choice of Godfrey who was given the title of 'Defender of the Holy Sepulchre'. The struggle between the two took a new form when Diambert was appointed patriarch of the city and he forced Godfrey to swear loyalty to him in the year A.D. 1100. This means in the feudal term that Godfrey will become subject to him.

The problem arises again after the death of Godfrey in July A.D. 1100. He declared on his death-bed his brother Baldwin, the prince of Edessa, king of Jerusalem. This was in the presence of patriarch Diambert but the patriarch tried to impose his authority all over Jerusalem and its vassal states, he even tried to prevent Baldwin from ascending the throne. When Baldwin reached Jerusalem in November A.D. 1100, he did not get the city except after plots and struggles with Diambert until he was crowned king in December the same year. The struggle continued secretly between the two while the Latin king tried to put an end to the patriarch's authority. This struggle stopped for a time when Diambert was dismissed from his position in A.D. 1102 and forced to leave Jerusalem.[47] The struggle continued between King Baldwin II and the new Latin Patriarch.[48]

It has been noticed that after the failure of the Second Crusade the direct followers of the king became less submissive whereas the patriarch seized the chance to increase his authority at the expense of the weakness of the royal power.

Thus, the struggle between the two teams continued in various and several forms throwing more light on the motives of the Crusade movement. It was, beside the other previous factors, the worm that was eating into the Latin 'state' in Jerusalem.

The Fourth Phenomenon: Intermarriage

The Latin rule over Jerusalem was a strange mixture of problems and contradictions among which there was what can be called intermarriage or in other words, marriage for

the number of warriors in the 'kingdom' was not great at any time,[39] and it did not exceed under the best of circumstances a few hundred knights and a few thousand infantry. For example, after the cccupation of Jerusalem in the year A.D. 1099 the great Latin nobles left the city and returned to the West and no one remained in it except Godfrey and a limited number of forces[40] which were not sufficient to launch a military action or even to defend Jerusalem in case a great attack is made on it on the part of the Moslems, although the scale of the Crusade balance weighs heavier at that time. This was also the problem of Baldwin I and the rulers who succeeded him.

As a result of this, many s.o.s. signals and letters were sent from the Latin authorities in Jerusalem to the Westerners and to the papacy. Diambert, the pope's legate in the First Crusade who was appointed a Latin patriarch in Jerusalem after its occupation, sent a letter in the year A.D. 1100 to the Westerners in which he talks about the difficulty of getting a sufficient number of men to defend Jerusalem against any Moslem attack. It happened that in August A.D. 1105 the Fatimid ruler of Egypt directed a campaign against Baldwin I towards Ramleh, and the force which the Latin king preparaed did not exceed a few hundreds of knights and infantry.[41]

In fact, there arrived now and then small numbers of armed groups of pilgrims who came to visit the Holy Sepulchre and spend a few weeks or months in fighting the Moslems, but in most of the time they hurried back to their homes after making a pilgrimage. Most of them did not find his desired aim in the Holy Land, at a time when the Westerners began gradually to distract their thoughts from the Latin Orient. Thus, the kings of Jerusalem tried to persuade the West-comers to stay and join their army through a new kind of feudalism called «money-fiefs». The knight had to render his services to the king all the year round through granting him a number of horses and a sum of money and given amounts of beans, maize and barley. The first who took this step was king Baldwin II. However, this permanent army was small and the number of the king's men did not exceed seven hundred knights and five thousand infantry. The offspring of the hybrid marriages formed later a part of this army.[42] We can imagine what these can do especially after the moderation of the balance of power in the struggle existing between the two parties in favour of the Arabs.

The Second Phenomenon: Lack of Financial Sources

The lack of manpower was not the only problem which confronted Jerusalem during the Latin rule. The second problem which was not less dangerous was the permanent need of Latin rulers for money,[43] from which to spend on the warriors whom they persuaded to stay and to manage the affairs of their 'state'. The need for money was a pseudo-permanent problem. We could see Baldwin I, for example, perform military operations against the Moslems nearly with the object of getting the booties or possessing the captives and selling them as slaves. The kings of Jerusalem, sometimes, gave freedom to their captives in return for very high ransom.[44] Political marriages were, sometimes, held with a view to getting over the financial trouble.[45]

The 'kingdom' had limited and unstable sources of income. These sources included the taxes imposed on the Frank bourgeois class in Jerusalem and its vassal states and also the taxes imposed on exports and imports and on the processes of sale and purchase, on pilgrims and on the use of balances and measurements, in addition to the

But the majority of the population of the city and its vassal states at the time were Arab Christian citizens who belong to the various Christian sects such as the Syriacs, the Greeks, the Armenians and the Jacobites.[36] In Jerusalem itself there were large numbers of them and some of them were hybrids and they spoke the Arabic language and belonged to the Orthodox church. The Armenians formed a large sect. The same applied to the Jacobites, who were the Copts of Egypt, the Abyssinians and the Syrian Jacobites. This is in addition to a few groups of Westemers who settled in Jerusalem before the Crusades.

As regards the Moslem Arabs, it is known that great numbers of them left Jerusalem when the Latin 'kingdom' was established in it. However, there were villages with their Moslem inhabitants round Nablus. Many of the regions which were occupied by the Franks later remained also Islamic in tinge, nature and inhabitants. Also, the farmers of North Galilee and along the route from Banyas to Acre were Moslems and there were Arab beduins along the Southern frontiers of the 'kingdom' and beyond Jordan river. But the Jews decreased in number sensibly during this period of time for fear of murder and because of the massacres which they were exposed to at the hands of the Latins during the Crusades. They did not forget what had happened to them before the First Crusade left the West on its way to the Islamic Near East.[37] What certifies this are the words mentioned by the traveller Benjamin of Tudela when he visited the Holy Land roundabout the year A.D. 1170. He said that he did not find except a small sect of Jews all over the lands subjected to the Franks. About two hundreds of these Jews lived in Jerusalem.[38]

After all, Jerusalem was ruled by nine people during the period extending from A.D. 1099 to A.D. 1187. The first of these rulers was Godfrey and he refused to bear the title of king and was satisfied with the title of 'Advocatus Sancti Sepulchri' for he thought it was disagreeable to wear a crown of gold when Christ wore a crown of thorns. The period of his reign extended from A,D, 1099 to A.D. 1100. His brother Baldwin I succeeded him (A.D. 1100-1118) after being prince over the principality of Edessa. He used the title 'king of Jerusalem' for the first time in the year A.D. 1104 when he got rid of his rival the Latin Patriarch Diambert. Baldwin II, Baldwin the First's cousin, then reigned (A.D. 1118-1130). He was succeeded by Fulk of Anjou, the husband of Melisende, Baldwin II's own eldest daughter. Then his son, Baldwin III, followed from A.D. 1143 to A.D. 1162. His mother shared the rule with him until the year A.D. 1152. After him, Jerusalem was ruled by his brother Amalric I (A.D. 1162-1174) who was succeeded by his son, Balwin IV, the leprous, from A.D. 1174 to A.D. 1185. Then came Baldwin V the child, who ruled from A.D.1185 to A.D. 1186. Finally Sibylla and Guy of Lusignan reigned (A.D. 1186-1192).

The story of those rulers is completely known in the references on the Crusades and it does not need any repetition. Thus, I shall not cite their history according to the succession of time but I shall be satisfied with displaying the important phenomena of the history of their rule, which are considered the most distinguished traits of this period. These phenomena are eight and here they are:

The First Phenomenon: Lack of Manpower

The Latin king was badly in need of a supply of manpower from the West because

the occupied Arab territory, as well as the increasing bitter Arab struggle which caused those strangers serious anxiety and finally the awareness of the Franks that the Arabs surrounded them from all sides and that if they united in defence for their being and their sanctities, the Arabs would encircle them and get rid of them. The period of balance in the struggle between both sides has imposed itself on the scene of events. For these reasons, the calls for emigration such as the call of Fulcher of Chartres did not meet with sufficient response in the West. In addition to what has been previously mentioned, the Crusaders used to settle in the coastal towns and leave the Arab citizens in the villages ploughing and tilling the land. The result was that the Arabs were always the majority in their homes whereas the Franks were the minority and there was no tie to bind them to the land they occupy. This was also one of the factors which contributed to undermining the Latin 'state' in Jerusalem.[32]

The talk about the scarcity of the Latin existence in Jerusalem and its vassal states leads us to the talk about two important points: First, defining what we mean by the vassal states of Jerusalem and secondly the elements of population in the city and its vassal states.

The Latin king of Jerusalem considered himself not only a master of the holy city, but he also considered this mastery as extending so as to include the various principalities of the Franks in Palestine. It should be learnt that the geographical distance between the principalities of Edessa and Antioch, for example, did not permit the king to exercise any active authority in them especially as each prince was not pleased with this. This royal authority does not appear except when the king of Jerusalem was strong enough to allow this. This position was not usually available. Therefore, the royal domain was actually limited to four cities: Jerusalem, Acre, Nablus and Daron, and all the lands surrounding them, in addition to four main fiefs which follow the 'kingdom': The county of Jaffa, the principality of Galilee, the seigneurie of Sidon and the seigneurie of Oultrejourdain. After that come twelve secondary fiefs at the head of which was the fief of Caesarea.[33] These possessions were narrowing and widening according to the prevalent circumstances at some time with both the Moslems and the Crusaders.

As for the elements of population, we can start saying that the sources and documents of the age - whether Arabic or Latin - did not provide us with statistics or minute numerical bits of information about them. All the material available is scattered here and there from which we can get some indefinite and approximate bits of information. It is clear that the number of Franks who settled in the 'kingdom' during the Latin rule was very small. The number of barons and knights and their families at any time was not more than two thousands, whereas the Frankish children's number was decreasing because of the death of many of them. And if we add to these, the knights who belong to the military religious orders such as the knights Hospitallers and the Knights Templars and the remaining religious men who belong to the Latin church in Jerusalem, we find that their number range from two to three thousands excluding the orientalist Franks.[34] To sum up, the Franks who were of pure Latin blood, were a minority in Jerusalem and its vassal states. What assures this what was mentioned by a Latin historian named Humbert of Romans. He said in a book of his in Latin entitled the Call for a new Crusade' «.......and when we conquer their land, we have not obtained permanenet power over those who cultivate and live on it, since our men do not wish to remain in those parts.»[35]

beginning of their movement. But no sooner had they settled in the Holy Land and enjoyed its warm sun and fertile soil, than their enthusiasm began to weaken gradually until it vanished in the end. The new life which they began to lead, appealed to them and they disappeared gradually among the original natives. The Latin sources and the ancient Arab travellers wrote about that development which fell upon the Crusaders in a single night. They mingled with the Easterners, shared them their temperament and their habits, married many of them and brought forth children and prepared themselves for permanent settlement in Jerusalem and its satellites and no longer thought of returning home.[26]

The Latin historian Fulcher of Chartres became aware of that when he wrote round about the year A.D. 1125 saying "Now we, who were Westerners, have become Easterners. He, who was Italian or French, has in this land become a Galilean or a Palestinian.......We have already forgotten our birthplaces. Most of us do not know them or even hear of them. One already owns home and household as if by paternal and hereditary right, another has taken as wife not a compatriot, but a Syrian, Armenian..... He, who was an alien, has become a native, he, who was immigrant, is now a resident. Every day our relations and friends follow us, willingly abandoning whatever they possessed in the West. For those who were poor there has God made rich here. Those who have had a few pence there have numberless gold pieces here, he who had not a village there possesses with God as giver, a whole town here. Why then return to the West, when the East suits us as well"?[27]

This confession which was made by one of the Latin writers was a call for the immigration of the Westerners to Jerusalem and its satellites and their settling in it permanently without thinking of returning to their homes. Thus, those Franks who became easternized and for whom the Holy Land became their first home were acclimatized after they had forgotten their original homes. They began to renounce the idea of a holy war and they began to have interests which force them to live in peace and calmness. This has also been noticed by the Moslem traveller Usama Ibn Munqidh (A.D. 1095-1113) when he talked about the big gulf between the softness of the ancient Crusader and the strictness of the modern one coming straight from the West and who longed also to possess lands and fiefs.[28] The easternized Franks no longer looked at the newcomers with satisfaction and ease. The difference between the two sides was so intense that the new Franks named the old ones 'pullani' or 'Easternized Franks' as a form of scorn and ridicule. This word has its meaning for it used to mean the child who was born a hybrid as a result of the marriage between a Frank and an Easterner,[29]and other words were given to the children who are born through these marriages which were unequal in race.[30] This reveals the distinct difference between the poulains and the new Franks and how the Latins have prepared themselves for permanent settlement in the Holy land.[31]

For more explanation we can say that the Crusade experiment was summarized in the advent of Western campaigns to realise its aims of expansion disguised in religion. After the end of every campaign, the majority of the Crusaders go back home whereas a minority of them remain in the East. Even this minority either disappears spontaneously among the Arab majority or returns back to the West. This goes back to many political, economic and social reasons inside Europe itself, which attracts those adventurers towards it, besides the confusion of the political, social and economic conditions inside

have mentioned before. For this reason the West adopted the initiative policy and took the offensive which provided it with a chance to score instant victories during the First Crusade which ended in the occupation of Jerusalem. The Arabs remained on the defensive. This position went on until the end of the first campaign. What proves this is that the Fatimids tried in vain to restore the city. They sent a military force headed by the vizier al-Afdal to rescue it. It went to Ascalon pending the arrival of the Egyptian navy at sea. The Franks seized the chance while they were in the ecstacy of victory attacked the Egyptian rescue and defeated it. This took place on August 12th A.D. IO99.[22] After that, the Fatimids made repeated attempts to restore Jerusalem in vain, as exactly what happened in May A.D. 1123.[23] This means that with the swing of the Western scalepan at the beginning of the Crusades, it was not easy for the Arabs to direct an effective stroke or even regain what had been lost.

Thus, the Arabs did not forget that the losses they suffered and the gains those foreigners scored at the beginning of their movement were due, first and foremost, to their disruption and weakness. They were well aware that whenever they united, their unity was a good omen of their conscious awakening followed by counter-campaigns on the invaders. In their unity, there is strength and in their strength an end to the Franks and a liberation of Jerusalem, whereas there is weakness in their disunity and in their weakness there is disappointment and a strengthing of the influence of their enemies in the region. As years passed, the Arabs felt that the existence of the Latin 'Kingdom' in the heart of Palestine is a great danger which they should soon stamp out before it infiltrates into the other parts of the Arab world. They were aware that if a day passes without their frontier being united, it will be a certain loss and a delay of the process of al-Jihad. With the increase of the Crusade danger, there dawned in the horizon the initiative of an Arab awakening starting from the beginning of the twelfth century A.D. The Arabs worked for unity to resist the intruders. This was done in the form of local Arab leaps which had not ripened yet in one movement. Thus, it was not within their power to achieve final victory over the Franks in Jerusalem and their other strongholds at that time.[24] But this created a state of balance between the two struggling parties: the Arabs, the owners of the place and the intruding Franks, so that it was impossible for either of them in this second part of the struggle to score decisive victory over his opponent. This is the part which was tackled with analysis and in detail by R. Grousset and S. Runciman in their works on the Crusades.[25]

The Arabs did not have in this stage of balance but two ways in front of them which had no third: either to block in the face of the Latin rulers of Jerusalem the coastal way East of the Mediterranean Sea. This was not possible then because of the castles and ports in which the Franks found protection all along the coast. Also, scoring a final victory in this way was not certain as a result of the gaps that may result inside the Arab frontier itself before unity is completed, and which the enemy could exploit. The second solution was that the Arabs in Egypt and Bilad Al-Sham should start to form a strong united front from the far North to the far South so that it can press on the Latin 'Kingdom' in Jerusalem. Thus, it will be easy to restore the city and liberate the Holy Land.

If we go back to Jerusalem during the Latin occupation while events were taking place quickly on the Arab front in the Near East, we shall find that its rulers were doing their utmost to encourage the westerners to come and settle in it so that their numbers might increase and their society be strengthened. Enthusiasm filled those people at the

This is a pattern of what the Crusaders did immediately on their breaking into Jerusalem. It denotes brutalities and fanaticism about which the ancient Latin authors, who were contemporaries of the events of this period of time, wrote. Most of them were eye-witnesses such as Raymond of Aguilers, Fulcher of Chartres and William of Tyre. The modern Western historians, cited from them. Among them were Ren Grousset, Steven Runciman, Ernest Barker and others. In their eyes, the Arabs - whether Moslems, or East Christians - were heretics because they do not abide by their dogma. E. Barker confirms this trend when he said that the Latin church was trying to spread Catholicism throughout the Arab world known at that time, even if this led to armed fighting.[17] The clear proof for this is that the Franks converted the mosques and the Eastern churches of the cities they occupied into Latin churches exactly as they did when they converted the great mosque at Ascalon as soon as they occupied it in the year A.D. 1153 into a cathedral bearing the name of St. Peter.[18]

Thus the matter ended with the fall of Jerusalem in the hands of the Latins in the middle of July A.D. 1099. In this way, they founded their 'kingdom' in it after it had remained in the hands of the Arabs since A.D. 637 and up to that date, that is more than four centuries and a half. They made one of their leaders, Godfrey, its head. He divided it into feudal emirates which he distributed among his mates after they found in the weakness and division of the Arabs a golden chance to realize their dreams. M. Baldwin writes about that saying, "The Crusaders" states in the Levant may, therefore, best be understood as experiments in colonisation, the first chapter in the long history of Europe overseas. [19]

This has something to do with two important ideas. The first is related to the causes of that defeat which befell the Arabs and the results that followed that defeat. The second idea has its connection with the balance of power in the struggle between the Arabs and the Crusaders then. As to the first, there is no doubt that the principal cause of the success of the Latins in occupying Jerusalem is not due to special qualities that distinguish them from others such as daring and bravery, but is due first and foremost to the Islamic Near East being divided among itself politically and dogmatically. In Egypt the Shiite Fatimid Caliphate was not in accord with the Sunnite Abbassid- Caliphate in Baghdad. Weakness and deterioration befell them. While both parties were suffering from downfall, the Turcomans among which were the Seldjuks, were plundering as many as they could of the territories of the Fatimids and the Abbassids. The Seldjuk Sultanate was divided too into small states each of them ruled by a prince as was the case in Aleppo, Antioch and Damascus.[20] Ch. Oman made that clear when he said that if the Moslem rulers had agreed with each other then, they would have defeated the Franks. But instead of being united to face the common enemy, they did not make any effort to stop its advance in the Islamic East.[21]

It is not hard to realise that the Latins were fully aware that the Arabs could, if they unified their efforts, drive the Crusade danger away from the Holy city. Also, the Arabs, themselves, were aware that the rapid success which the Franks achieved was only due to their weakness and their disunity. This has something to do with the idea of the balance of power in the struggle between the Arabs and the Crusaders at this early stage of the Crusades and the concepts related to it. The scale of the balance tended towards the European West which got up from its sleep after many centuries of confusion and darkness. Meanwhile, the Arab Near East was divided among itself as we

However, since Urban II delivered his speech in Clermont in November A.D. 1095, preparations had been made for the breakout of the First Crusade (A.D. 1096-1099) which was divided into two parts: The popular campaigns, but they do not interest us, and the regular campaigns headed by the great feudalists of the West. They moved at the end of A.D. 1046 in four regiments towards the East: The first regiment consisted of the inhabitants of Lorraine headed by Godfrey, Duke of Lower Lorraine and his brother Baldwin, and the second consisted of French people headed by Stephen, Count of Blois, and Chartres. The third regiment consisted of Provencals headed by Raymond of Saint-Gilles, Count of Toulouse, whereas the fourth consisted of the Normans headed by Bohemond and his nephew Tancred. All those people amounted to a number ranging from sixty thousand to one hundred thousand warriors when they came down to the lands of the Byzantine state.[11] The story of their relation to the Byzantine Emperor, Alexius I, Commenus (A.D. 1081-1118) and the agreement of Constantinople which was held between the two parties in May A.D. l097 and the clashes between the Crusaders and the Seldjuks in Asia Minor is a story that needs a long explanation and the books on the Crusades have referred to it in detail. What is important is that Baldwin Godfrey's brother was able at the beginning of A.D. 1098 to form the Principality of Edessa as the first colony formed by the Franks.[12] In June A.D. 1098, Bohemond occupied Antioch, which became the second colony in the Holy Land.[13]

In April A.D. 1099, the Crusaders headed by Raymond of Saint-Gilles decided to continue the march towards Jerusalem, which they reached on June 7th, and the city at that time was in the hands of the Fatimids and its ruler was called Prince Fakhr-el-Dawla.[14] At once the Franks besieged it from June 7th till July 15th A.D. 1099. The sources tell us that the Crusaders suffered much because of lack of ammunition, shortage of water and the hot weather at this time of the year as well as the brave resistance which the Arab garrison inside the city showed to keep the Latins away from it. The Franks fought intensively until they found an outlet on one side which the Arabs did not care to fortify and they went into it with their armies and horses and ran after the safe people and surrounded them from all sides. So, the people resorted to the Dome of the Rock and the Aqsa Mosque to find protection in them. But the Franks did not care for the sanctity of the houses of God and they drew their swords mercilessly into them giving no consideration for age or race until blood flowed in the form of rivers. Two of the Latin historians witnessed this massacre and wrote about it. These historians were Raymond of Aguilers and Albert of Aix.[15]

The invaders were not satisfied with this, but they revealed their fanaticism in their attitude towards the houses of worship when they turned the Dome of the Rock into a Latin Catholic church which they called "Templum Domini". They also used the Aqsa Mosque for their own interests and called it "Templum Solomonis" and they divided it into three parts. They made the first part of it a Latin church and the second part an abode for the Knights Templum and the third a store for their ammunitions. They made the tunnel which was under the mosque a stable for their animals. During the reign of one of their kings, namely, Baldwin II, the royal palace occupied a side of the mosque (A.D. 1118). This reveals one of the motives of the Crusades, that is, working to make the Arab Islamic world a Latin land which believes in Roman Catholicism and in getting rid of Islam and its culture from the region and getting rid of Eastern Christianity and its Orthodox creed.[16]

imperialism motivated by material considerations with religion as a psychological catalyst.»

This movement which left its marks for many centuries to come was not the offspring of a day and it was not the product of a certain factor excluding others. It was the product of several centuries that preceded it and numerous factors which led to it. There is hardly a book dealing with the Crusades or its chapters which is void of referring to this as a whole or in full details. There are many schools which differ in the way they tackle the problem. There was a group which dealt with its motives from different angles whether these motives are political, economic, social, mental, religious, military or others; whereas another group had a comprehensive objective look in addition to connecting the different circumstances and incidents with each other to attain the truth. A third group divided the causes of its rise into essential ones, which date back to hundreds of years before its breakout, and secondary ones which led to the breakout of its first spark, which was extinguished only after three centuries. This group took care to analyse each factor by itself and connect all the factors eventually in one unit, and the writer of these lines belongs to the last school.

Among the essential factors without which we cannot understand this movement which ended in the occupation of Jerusalem and the establishment of a Latin 'Kingdom' in it during the First Crusade, were the prevalent conditions in both the European and the Arab worlds since the appearance of Islam till the rise of the Crusades at the end of the eleventh century. The study of the struggle which broke out between the Arabs and the Europeans and which lasted five centuries before the beginning of the Crusades, and the various powers which had a share in it, throw a light on the circumstances which paved the way for this movement. The idea of the struggle between the two powers is old and normal and is a prelude to the Crusades. Among the main factors, too, is the attitude of the West towards the East since early times, as it is considered the place where inspiration and religions fell upon Prophets, the cradle of learning and knowledge, the center of civilization and cultural radiation, so that the East appealed to the Westerners who were eager to see it. Undoubtedly, this psychological factor had its indirect effect in preparing the atmosphere for the rise of the Crusades. In the mean time, there were the development of the idea of pilgrimage from the West to Jerusalem, and the holy West Christian wars against Moslems west of the Mediterranean in the period preceding the rise of the Crusades. If we ignore these two factors, there is no way to explain the rudiments of this movement. In addition, there was the presence of individuals every one of whom had his part in preparing the minds for its acceptance. At the head of those people was Pope Urban II. We should not forget the part of legends, dreams and fables which aroused religious enthusiasm in the Latins while calling for the Crusades.[9] In the light of these facts, the picture is completed to prepare the atmosphere for the rise of the Crusades and the loss of Jerusalem during the first campaign.

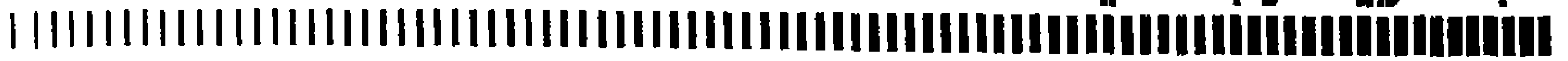
Accordingly, if we look into this movement, we shall find that it represents an important link in the struggle between the two worlds: The European world and the Arab world in the middle ages, that struggle which extended from the seventh century until the sixteenth century A.D. Meanwhile, it represents a basic stage in the struggle extending between the two halves of the world since early times and up to the present day[10]. On these grounds, we must understand the Crusades and the story of Jerusalem under the Latin rule.

To get to know the history of Jerusalem under the Latin rule between the years A. D. 1099 and A. D. 1187, we had better deal with some important thoughts because they will shed a light on many of the issues around which discussion arose among historians, and which still need more clarification.

On the l5th of August A.D. l095 the Roman Pope Urban II (A.D. 1088-1099) of the city of Le Puy sent an invitation to the clergymen of the West to attend an ecclesiastical council on the 18th of November in the same year in the city of Clermont south of France. The invitation implied the problems of the Latin church and its relations with the kings and rulers of the West. There was no reference in the invitation to the project of the Crusades although it was the main topic in it. The Pope may have aimed at keeping his Crusade plan a secret to guarantee its success. The council lasted from 16th to 28th of November, and on the day before the last, the Pope went out of the church in which the council was held and he delivered an inflammatory speech among the crowd which thronged outside it[1]. He called on them to bear the cross and go to the Islamic Near East and lay their hands on its treasures, and lands which were overflowing with milk and honey.[2] The scream of the listeners was a sentence of a small number of words but dangerous in its denotation, namely 'Deus le volt'. It was the best expression of the reality of this movement although it made religion a camouflage at a time when the church dominated the people's destinies.

The old Western historians defined these wars as «passagium generale» waged by the Latin West against the Arab world especially in the area of the near East, with the purpose of liberating Jerusalem and saving the Holy Sepulchre. Nothing can prove this more than what has been said by the Latin historian Robert the monk, who witnessed the beginning of the Crusades, and who describes the Crusades as an art of God and not of man[3]. This definition continued in the western historian works until the first decades of the twentieth century where we find a historian such as Paul Riant [4] saying that the Crusades are purely religious, its motives and its trends are purely religious and its first and last aim was regaining the holy places.

But the latest historical neutral impartial researches proved that the Crusades are wars which the Westerners waged against the Arab world under the veil of religion in response to the call of the papacy with a view to the occupatian of Jerusalem, and the establishment of a "kingdom" for them in it, then working to consolidate this "kingdom", widening its boundary and preserving it so that it may be a fulcrum for them from which they can gain ground at the expense of the neighbouring Arab countries. Beginning from the middle of the twentieth century, this neutral attitude began to appear in the works of a number of modern western historians. Among those was R. Grousset [5] who said, "The earlier Crusades had led to the first colonial expansion of the Christian West at the expense of Islam." L. Halphen[6] said that the Crusades are a natural extension of the feudal wars which the West witnessed in the centuries preceding this movement. The English historian G.I. Trevelyan[7] holds this view. B. Lewis[8] brings everything to light when he says «The Crusades were essentially an early experiment in expansionist



Abstract

The article deals with the political, economic and social conditions of the city of Jerusalem since the Crusaders captured it the year A.D). 1099 and until the time Saladin recovered it in the year A.D. 1187. It tackles diverse important cases concerning which opinions differed. In some of them, modern historians have not reached a decisive view. Among these cases are the definitions of ancient and modern historians of the Crusades, the different points of view round the motives for their rise, and their being a link in the series of cultural and political struggle extending between the two halves of the world since the ancient times and up till now. I am going to point out how far all the above-mentioned cases have had an effect on the subject of study.

Among the most important points dealt with in the research work, too, are the elements of population in Jerusalem and its vassal states, the characteristics of the Latin rule and its vassal states, the balance of power in the struggle between the Arabs and the Crusaders and all the concepts related to it. Among these cases are: the situation of Jerusalem under the Latin rule, the "poulains" and the newcomers from the West, the policy of Latin settlement in Jerusalem and its satellites and its consequences, the competition between Nur al-Din Muhammed and Amalric I the Latin king of Jerusalem to occupy Egypt. No less important is the Arab awakening and unity and the moderation of the balance of power for the interest of the Arabs, the fruits of which were the Battle of Hattin and the restoration of Jerusalem (October A.D. 1187) from the hands of the Crusaders.



Jerusalem During The Crusades (1099 - 1187 A.D.)

Joseph Nessim Youssef*

* Ph.D. Medieval History, Faculty of Arts, Alexandria University, Alexandria, Egypt, 1954.
Professor of Medieval History, Faculty of Arts, University of Alexandria,
Alexandria, Egypt.



English Articles



Discussions (in Arabic)

Book Reviews (in Arabic)

Reports (in Arabic)

Table of Contents

English Articles

Arabic Articles

The Journal's Seminar

arab journal for the humanities

A refereed quarterly periodical which offers original papers and studies in the various fields of the humanities and the related social sciences, both in English and in Arabic.

Issue No. 43 - 11th Year Spring 1993

All correspondence should be addressed to:
The Editor, Arab Journal for the Humanities, P.O.Box 26585
Safat, 13126 Kuwait. Telex: 22616 (KUNIVER)



arab journal for the humanities

Issued By
The Academic Publication Council
Kuwait University

Issue No. Forty Three
The Eleventh Year



Field of interset

The A J H accepts for publication papers and studies on the Humanities defined in a very broad sense to include theoretical and applied linguistics, literature and comparative literature, philosophy, social sciences related to the humanities, history, human geography, the arts (music, folklore, theatre arts, sculpture, etc) and archaeology

Distributor in Kuwait and the Arab World

Kuwait United Bookstore,P O Box.6588 Hawally,Code No 32040,Kuwait.

Annual Subscription Rates

Kuwait	:	K.D. 3.000 K.D. 2.000 for students K.D. 14.000 for Institutions
Other Arab Countries	:	K.D. 4.500 (or equivalent) K.D. 16.00 (or equivalent) for Institutions
Foreign Countries	:	$ 60.00 for Institutions

Price per copy

Kuwait and other G.C.C. States	K.D. .500	(or equivalent)
Other Arab Countries	$ 2.00	(or equivalent)
Foreign Countries	$ 3.00	(or equivalent)



arab journal for the humanities

Issued By The Academic Publication Council_Kuwait University

Issue No. 43 - 11th Year Spring 1993

Jerusalem During The Crusades (1099 - 1187 A.D.)

- Joseph Nessim Youssef

An Acoustic Study of Fricative-to-Vowel Coarticulation in Arabic

- Abdulla Ahmed Al-Bannai